كيفن داتون

حكمة السيكوباتيين

دروس في الحياة من القديسين والجواسيس والسفاحين

ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم



The Wisdom Of Psychopaths

Professor Kevin Dutton

حكمة السيكوباتيين

(دروس في الحياة من القديسين والجواسيس والسفاحين)

تأليف

البروفيسور كيفن داتون

ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم





11 5 2023

الكتاب

حكمة السيكوباتيين

المؤلف

كيفن داتون

الطبعة الأولى :2021

الترقيم الدولي

978-603-91498-0-4

رقم الإيداع

1442/837



t.me/soramnqraa

E-mail: admin@page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل ، شارع مشهور

المملكة العربية السعودية

حكمة السيكوباتيين



البروفيسور كيفين داتون هو عالم نفس وباحث في مركز كاليفا لأبحاث التطور والعلوم الإنسانية،[1] كلية المجدلية، جامعة أكسفورد. وهو زميل في الجمعية الملكية للطب «*Royal Society of Medicine*» وجمعية الدراسة العلمية للسيكوباتية «*Society for the Scientific Study of Psychopathy*». وهو مؤلف كتاب فليبنوسيس: **الإقناع الخاطف** «*Flipnosis: Split-Second Persuasion*». ويعيش في كوستولدز.[2]

---

(1) - مركز كاليفا لأبحاث التطور والعلوم الإنسانية Calleva Research Centre for Evolution and Human Science: مركز تأسس في أكتوبر من عام 2010، تتمثل أهدافها في التحقيق في الأسئلة الرئيسية حول أصول السلوك البشري وتطوره وأسبابه ووظائفه من خلال ربط العلوم الإنسانية والاجتماعية والمعرفية والبيولوجية ضمن إطار تطوري واسع. ويتجسد عمل المركز من خلال برامج بحثية متتالية متعددة التخصصات مدتها ثلاث سنوات تعتمد على التعاون الفريد بين زملاء الكلية المجدلية العاملين في هذه المجالات المتنوعة (المترجم).

(2) - كوستولدز Cotswolds: مجموعة من التلال في وسط غرب إنجلترا في منطقة طولها 90 ميل وعرضها 25 ميل، وهي منطقة ذات جمال طبيعي أخاذ (المترجم).

الفهرس

كلمة المترجم 9

التصدير 15

الفصل الأول: ثورة العقرب 29

الفصل الثاني: هل يستأذن السيكوباتي الحقيقي ليقف؟ 71

الفصل الثالث: اغتنام الليل 119

الفصل الرابع: حكمة السيكوباتيين 155

الفصل الخامس: اجعلني سيكوباتيًّا 197

الفصل السادس: الانتصارات السبعة المميتة 243

الفصل السابع: العقل السوبر 279

ملاحظات 329

للعقل موضعه الخاص، وهو في ذاته، يمكن أن يجعل الجحيم جنة، ويجعل الجنة جحيمًا.

جون ميلتون، **الفردوس المفقود** (1667)

الكتاب الأول: السطران 254 - 255

كلمة المترجم

لست من المترجمين الذين يميلون كثيرًا إلى كتابة مقدمات طويلة، أو حتى قصيرة، للكتاب الذي أترجمه. كثيرًا ما أكتفي بكلمة قصيرة تكون في معظمها إشارات خاطفة تتعلق بالمؤلف ولغة الكتاب وبعض الأمور التي تتعلق بالترجمة، وخاصة حين يحتوي الكتاب على تصدير للمؤلف وهوامش للمؤلف، بالإضافة إلى ملاحظات مستفيضة للمؤلف في نهاية الكتاب، وبعض هذه الملاحظات يشغل بضع صفحات.

كيفن داتون «Kevin Dutton» (1967 -) أستاذ جامعي وعالم نفس وكاتب بريطاني من مواليد لندن، متخصص في دراسة الشخصية السيكوباتية. وهو باحث ما بعد الدكتوراه في قسم علم النفس التجريبي في جامعة أكسفورد، وعضو في مجموعة أبحاث مركز أكسفورد للانفعالات وعلم الأعصاب الوجداني «Oxford Centre for Emotions and Affective Neuroscience (OCEAN)». ويقول كيفن داتون أنه يقسم وقته بين البحث المعتمد على المختبر والكتابة الجماهيرية. وقد عمل قبل ذلك زميلًا باحثًا في معهد فاراداي، وكلية سانت إدموند، في جامعة كمبردج، وأستاذًا زائرًا للمشاركة العامة في العلوم النفسية في جامعة إسكس. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة إسكس عام 2000 وكان عنوان الأطروحة «الأقليات بصفتهم رموزًا للتميز: الانفصال عن القاعدة- Minorities as symbols of uniqueness : a break from the norm». ويرأس داتون مجموعة بحثية حول دور سمات الشخصية ومهارات تنظيم الانفعالات في مختلف المجالات المهنية. وتتناول أبحاث داتون دور سمات

الشخصية ومهارات تنظيم الانفعالات المختلفة في مهن مختلفة مثل السياسة والخدمات المصرفية الاستثمارية والجراحة والجيش، وما إذا كان من الممكن اتخاذ إجراءات لتعزيز هذه الخصائص لتحسين الأداء الوظيفي واتخاذ القرارات في هذه المهن». ومن أعماله الأخرى: كيفن داتون (1 سبتمبر 2016). «هل تصوت لمريض نفسي؟ تظهر الأبحاث أن بعض السمات المكونة للسيكوباتية تساعد القادة على النجاح». **دليل السيكوباتي الجيد إلى النجاح** بقلم كيفن داتون وآندي مكناب، مع رسوم كاريكاتورية لروب موراي (2014، مطبعة بانتام). وكتاب **فليبنوسيس: فن الإقناع الخاطف** (2008، هاينمان). بالإضافة الكتاب الذي بين أيدينا حكمة السيكوباتيين: ما يمكن أن يعلمنا إياه القديسون والجواسيس والسفاحون عن النجاح (2012، هاينمان).

وقد كتب كيفن داتون العديد من المؤلفات الجماهيرية عن السيكوباتية، وذكر أحد المراجعين أن «تحليله يميل إلى تعزيز فكرة أن كيمياء جنون العظمة التي تميز العقل الإجرامي السيكوباتي قريبة من مجموعة السمات التي غالبًا ما تكافئها الرأسمالية بشكل أفضل».

حين نقرأ عنوان الكتاب، «حكمة السيكوباتيين»، قد تتبادر إلى ذهننا الظنون ونعتقد أننا أمام فخ من الفخاخ التي ينصبونها لنا، وقد تتبادر إلى ذهننا أسئلة كثيرة، لعل أبرزها: هل لدى السيكوباتيين بالفعل ما يمكن أن نتعلمه منهم؟ وكيف يمكن أن نتعلمه؟ وهل هي أشياء تتسم بالحكمة فعلًا، أم أنها قد تودي بنا إلى التهلكة؟ . . . أسئلة كثيرة قد تكون بلا نهاية. إنه عنوان مثير حقًّا، لكتاب أكثر إثارة، يأخذنا في جولات من السجون والمصحات شديدة الحراسة إلى قمة الهرم الاجتماعي.

لكن بعض هذه الظنون قد تتلاشى قليلًا حين نجد الكتاب مهدى إلى ذكرى والد المؤلف، جون ريتشارد داتون. ولا غرابة بالطبع في أن يهدي مؤلفٌ كتابًا إلى ذكرى أبيه حتى لو كان الكتاب عن السيكوباتيين أو بالأحرى عن حكمتهم، لكن الظنون

بشأن خدعة العنوان قد تتلاشى إلى حد ما حين يعترف المؤلف في بداية الكتاب أن والده كان سيكوباتيًّا، ويقول كيفن داتون إنه كتب كتاب «حكمة السيكوباتيين» في محاولة للتعرف على والده.

وربما تنتهي الظنون تمامًا حين نذكر أن المسح البريطاني الكبير للسيكوباتيين الذي أجري عام 2011 يخلص إلى أن المهن العشر التي بها أعلى نسبة من السيكوباتيين هي: المدراء التنفيذيون، والمحامون، والإعلاميون (التلفزيون والراديو)، وأفراد المبيعات، والجراحون، والصحفيون، وضباط الشرطة، ورجال الدين، والطهاة، وموظفو الخدمة المدنية. ومن الواضح أن المسح لم يشمل الزعماء وكبار القادة السياسيين والعسكريين، وإن كان كيفن داتون يذكر في الكتاب بعض المعلومات التي تتعلق بالسمات السيكوباتية عند الرؤساء الأمريكيين، مستمدًا المعلومات من كُتّاب سيرهم الذاتية. وتتطلب كل هذه الوظائف درجة عالية من الانفصال المهني، أي الفصل بين المشاعر والانفعالات والمهمة التي يقوم بها الشخص.

وفي هذه الرحلة الممتعة التي يأخذنا فيها كيفن داتون، في كتاب **حكمة السيكوباتيين**، إلى حياة السيكوباتيين وسلوكياتهم الشائنة، يوضح لنا أن هناك مقياسًا، أو طيفًا، من السيكوباتية يمكن أن نوضع جميعًا على طوله. ومن خلال دمج أحدث التطورات في تكنولوجيا مسح الدماغ وعلم الأعصاب، يوضح كيفن داتون أن جراح الأعصاب اللامع الذي يفتقر إلى التعاطف لديه الكثير من السمات المشتركة مع السفاح تيد بندي Ted Bundy الذي يقتل من أجل المتعة أكثر مما قد نرغب في الاعتراف به، وأن السارق في موقف سيارات خافت الإضاءة قد يكون لديه، في الواقع، الاتزان العصبي نفسه الذي يتمتع به عملاق من عمالقة الصناعة.

ويجادل كيفن داتون في هذا الكتاب بأن هناك بالفعل سيكوباتيين وظيفيين بيننا - يختلفون عن نظرائهم من القتلة والسفاحين - الذين يستخدمون شخصياتهم المنفصلة وغير المتزعزعة والكاريزمية من أجل تحقيق النجاح في المجتمع الحالي، وأن احتمال

نجاح الأشخاص الأكثر «سيكوباتية»، في بعض المجالات، يزداد بشكل صادم. يقوم كيفن داتون بتفكيك هذا التشخيص الذي يساء فهمه غالبًا وتحليله من خلال تقارير واقعية جريئة وأبحاث علمية أصيلة حيث يختلط مع سيكوباتي جنائي في جناح شديد الحراسة، ويتناول مشروبًا مع أحد أكثر الفنانين المخادعين نجاحًا في العالم، ويخضع لتحفيز مغناطيسي عبر الجمجمة ليكتشف ما يشعر به المرء بالضبط حين يرى من خلال عيون شخص سيكوباتي (تأتي كل هذه الأمور بالتفصيل في سياق الكتاب).

وبينما يطور كيفن داتون نظريته القائلة بأننا جميعًا لدينا ميول سيكوباتية، فإنه يطرح الحجة القائلة بأن المجتمع ككل أكثر سيكوباتية من أي وقت مضى: على الرغم من كل شيء، يميل الأشخاص السيكوباتيون إلى أن يكونوا شجعانًا وواثقين وفاتنين وقساة ومركِّزين – وهي صفات مصممة خصيصًا لتحقيق النجاح في القرن الحادي والعشرين. مثيرًا في كل منعطف، يمثل كتاب **حكمة السيكوباتيين** مغامرة مثيرة تكشف أن جانبنا المظلم كثيرًا ما يخفي أوراق النجاح الرابحة.

توجد نسختان من كتاب «**حكمة السيكوباتيين**»، تختلفان في العنوان الفرعي، <u>النسخة الأولى</u> بعنوان **حكمة السيكوباتيين: ماذا يمكن أن يعلمنا القديسون والجواسيس والسفاحون بشأن النجاح** .

(*The Wisdom of Psychopaths: What Saints, Spies, and Serial Killers can Teach Us About Success* .)

<u>والنسخة الثانية</u> بعنوان **حكمة السيكوباتيين: دروس في الحياة من القديسين والجواسيس والسفاحين.**

(*The Wisdom of Psychopaths: Lessons in Life from Saints, Spies and Serial Killers.*)

ترجمت من النسخة الأولى، ولم تصلني النسخة الثانية إلا بعد الانتهاء من الترجمة، والنسخة الثانية هي النسخة الأحدث والأكثر تنظيمًا، وهي النسخة التي راجعْتُ

الترجمة عليها، وتحمل الترجمة عنوانها. وعلى الرغم من وجود اختلاف بين النسختين حتى في العنوان الفرعي توجد اختلافات عديدة بين النسختين حتى في الملاحظات وفي كلمة الشكر والتقدير، لكنها اختلافات ليست جوهرية ولا تمس المحتوى من بعيد أو قريب.

وغني عن القول إن الترجمة كانت صعبة ولم تكن المراجعة أقل صعوبة منها؛ ربما لأول مرة في حياتي أترجم من طبعة وأراجع على طبعة أخرى، يبدو الأمر وكأنني ترجمت الكتاب مرتين. تأتي صعوبة الترجمة من اللغة التي يستخدمها المؤلف حيث يميل إلى استخدام العبارات الاصطلاحية (idioms) والتشبيهات الجزئية التي تمتد على نطاق واسع بشكل لم أعهده من قبل مع كتاب من هذا النوع. لكنه عمومًا، على الرغم من صعوبة الموضوع وتفرده، يحاول توضيح الأمور بقدر المستطاع، ويلجأ في بعض الأحيان إلى الهوامش المطولة، وإلى الملاحظات التي قد تستغرق الواحدة منها بضع صفحات. ولأن الترجمة موجهه إلى قارئ مختلف فقد حرصت على استخدام هوامش لتوضيح بعض المعلومات أو لتقديم بعض البيانات الخاصة بالأشخاص الذين يشير إليهم الكتاب سواء كانوا من السفاحين أو العلماء أو الأشخاص البارزين الذين يتمتعون ببعض السمات السيكوباتية.

أتمنى لقارئ الترجمة العربية قراءة ممتعة ومفيدة.

عبد المقصود عبد الكريم

القاهرة، 6 سبتمبر 2020



التصدير

كان والدي سيكوباتيًّا. ويبدو من الغريب إلى حد ما أن أقول ذلك الآن، وأنا أنظر إلى الوراء. لكنه كان سيكوباتيًّا. لا شك في ذلك. كان فاتنًا، لا يعرف الخوف، ولا يعرف الرحمة (لكنه لم يكن عنيفًا قط). وكان ما يحدث في ضميره مثل ما يحدث في فريزر جيفري دهمر.[3] لم يقتل أحدًا. لكنه بالتأكيد كسب مبالغ من المال بسرعة وبأقل مجهود.

إنه لأمر جيد أن الجينات لا تمثل كل شيء، أليس كذلك؟

كان لدى والدي أيضًا موهبة خارقة في الحصول على ما كان يريده بالضبط، وغالبًا ما يكون ذلك بمجرد ملاحظة تافهة وعارضة أو إيماءة واحدة معبرة. اعتاد الناس على أن يقولوا إنه يبدو مثل دل بوي الماكر في **الحمقى والجياد فقط** [4] – وقد تفوق عليه في كذلك – لم يتصرف مثله فقط، وقد تفوق عليه في ذلك أيضًا (وكان أيضًا تاجرًا في السوق).

كان مسلسل **الحمقى والجياد فقط** بمثابة فيديو عن عائلة داتون.

أتذكر أنني كنت أساعد والدي ذات يوم في بيع كمية كبيرة من المفكرات في سوق

---

(3) - جيفري دهمر Jeffrey Dahmer (1960 – 1994): سفاح أمريكي قام من عام 1978 إلى عام 1991 بقتل سبعة عشر رجلًا وفتى وتمزيق أوصالهم وكان يحتفظ بها في ثلاجة أو فريزر (المترجم).

(4) - **الحمقى والجياد فقط** *Only Fools and Horses*: مسلسل تليفزيوني كوميدي من تأليف الكاتب البريطاني جون سوليفان (1946 - 2011) وقد عرض في بريطانيا على قناة بي بي سي ون BBC One بين عام 1981 وعام 1991؛ ودل بوي Del Boy شخصية تاجر طموح في السوق في المسلسل (المترجم).

بتيكوت لين،[5] الذي يقعُ في الطرف الشرقي من لندن. كنت في العاشرة في ذلك الوقت، وكان يومًا من أيام الدراسة. كانت المفكرات التي أشير إليها هنا تهم هواة جمع الأشياء النادرة. وكانت تغطي أحد عشر شهرًا فقط.

اعترضْتُ: «لا يمكنك أن تبيع هذه المفكرات. لا يوجد فيها شهر يناير!».

قال: «أعرف. لهذا السبب نسيت عيد ميلادك».

«أيها الناس! إنّها فرصة فريدة للحصول على دفتر مذكرات به 11 شهرًا... اشتركوا في عرض خاص للحصول على مفكرتين بسعر مفكرة واحصلوا على شهر إضافي مجانًا في العام المقبل . . .».

لقد بعنا الكمية اللعينة كلّها.

كنت أكرر دائمًا أن أبي يتمتع بشخصية مثالية تناسب الحياة المعاصرة إلى حد بعيد. لم أره قط في حالة هلع. لم أره مرة يفقد هدوءه. لم أره مرة يغضب بشأن أي شيء. وصدقوني، كانت هناك أوقات كثيرة كان من الممكن أن يكون فيها كذلك.

قال لي ذات مرة: «يقولون إن البشر طوروا الخوف باعتباره آلية للبقاء للحماية من الحيوانات المفترسة. لكنك لا ترى الكثير من النمور ذات الأسنان الحادة تطوف حول منطقة الفيل والقلعة،[6] هل ترى ذلك الآن يا فتى؟».

وقد كان محقًّا. بالتأكيد لم أر أي شيء من هذا القبيل. ربما كانت هناك بعض الثعابين. لكن الجميع كانوا يعرفون حقيقتهم.

لفترة طويلة، في أثناء نشأتي، كنت أفكر في الحكمة التي نطق بها أبي على أنها مجرد عبارة ساخرة لصاحب كشك – الكل زائل، من يوجد هنا اليوم، يرحل غدًا. إنها عبارة تشبه إلى حد ما الكثير من الهراء الذي كان يبيعه، بشكل مضحك بما فيه الكفاية.

---

(5) - سوق بتيكوت لين Petticoat Lane Market: سوق للملابس والأزياء في حي سبيتافيلدز Spitalfields، في الطرف الشرقي من مدينة لندن (المترجم).

(6) - الفيل والقلعة Elephant and Castle: منطقة حول تقاطع رئيسي في جنوب شرق مدينة لندن (المترجم).

ولكن الآن، بعد سنوات، أدركت أن هناك حقيقة بيولوجية عميقة لما كان يقوله الرجل العجوز الماكر. وقد توقع، في الحقيقة، الموقف الذي تبناه المتخصصون في علم النفس التطوري الحديث بدقة خارقة ورائعة. إننا نحن البشر، على ما يبدو، طورنا بالفعل استجابة الخوف لدينا باعتبارها آلية للبقاء ووسيلة للحماية من الحيوانات المفترسة. القرود التي تعاني من تلف في لوزة الدماغ «amygdala»، على سبيل المثال – وهي بمثابة مكتب الفرز الانفعالي في الدماغ – تفعل أشياء غبية جدًّا، تشبه محاولة التقاط أفعى الكوبرا.

لكن بعد مرور ملايين السنين، في عالم لا تتربص بنا فيه الحيوانات البرية في كل زوايا الشوارع، يمكن أن يكون جهاز الخوف هذا مفرط الحساسية – مثل السائق العصبي الذي تحوم قدمه باستمرار فوق دوّاسة الفرامل – وهو يتفاعل مع الأخطار التي لا تكون موجودة في الواقع ويدفعنا إلى اتخاذ قرارات غير منطقية وغير مبررة.

يشير **جورج ليونشتاين**[7]، أستاذ الاقتصاد وعلم النفس في جامعة كارنيجي ميلون، إلى أنه «لم يكن هناك شيء من قبيل الأسهم في عصر البليستوسين، ومعَ ذلكَ يتجنّبُ البشر المخاطر بشكل مرضي. إنّ الكثير من الآليات التي تحرّكُ انفعالاتنا لا تتكيف بشكل جيد مع الحياة الحديثة».

وأنا أفضل نسخة أبي من العبارة.

ولا نحتاج إلى أن نقول إنّ الملاحظة القائلة بأن البشر المعاصرين ينفرون من الخطر نفورًا مَرَضيًّا، تعني أن هذه الحالة ملازمةٌ للبشر على الدّوام. في الواقع، يمكن أن نقول إن أولئك الذين ينفرون من الخطر نفورًا إكلينيكيًّا بيننا اليوم – أولئك الذين يعانون بيننا، على سبيل المثال، من القلق المزمن – لديهم ببساطة الكثير من الأشياء

---

(7) - جورج ليونشتاين George Loewenstein (1955 -): اقتصادي أمريكي. وهو أستاذ الاقتصاد وعلم النفس في قسم العلوم الاجتماعية وعلوم اتخاذ القرار في جامعة كارنيجي ميلون Carnegie Mellon ومدير مركز أبحاث القرار السلوكي. وهو رائد في مجالي الاقتصاد السلوكي والاقتصاد العصبي. جامعة كارنيجي ميلون: جامعة بحثية خاصة مقرها في بتسبرج، بنسلفانيا. تأسست في عام 1900، وأصبحت الجامعة معهد كارنيجي للتكنولوجيا في عام 1912 وفي عام 1967، اندمج معهد كارنيجي للتكنولوجيا مع معهد ميلون للبحوث الصناعية لتشكيل جامعة كارنيجي ميلون (المترجم).

الجيدة. في عصر أسلافنا، قد يكون وجود الأفراد الذين كانوا يقظين تمامًا تجاه التهديدات التي تتربّصُ بهم أمرًا جيدًا، كما يرى المتخصصون في علم الأحياء التطوري،[8] وكان وجودهم حاسمًا في درء خطر الحيوانات المفترسة عن الجماعة - ومن هذا المنطلق، كان القلق بلا شك بمثابة مزية تكيفية بالغة الأهمية. كلما كنت أكثر حساسية تجاه حفيف الأشجار، زادت احتمالية بقاء المرء نفسه وعائلته وأفراد مجموعته الموسعة على قيد الحياة. والأشخاص القلقون، حتى في هذه الأيام، أفضل منا في اكتشاف وجود التهديد: مع اندساس وجه غاضب بين عرض لوجوه سعيدة أو محايدة على شاشة الكمبيوتر يكون الأشخاص القلقون أسرع بكثير في التقاطه من أولئك الذين هم غير قلقين - ليست قدرة سيئة أن تتراجع إذا صادفَ ووجدت نفسك وحيدًا في الليل، تتجوّل في حي غير مألوف بالنسبة إليك. قد يكون من المفيد أن تكون قلقًا في بعض الأحيان.

إنّ فكرة أن الاضطراب النفسي يمكن أن يكون مفيدًا في بعض الأحيان - ممّا يمنح مزايا غير عادية وغريبة للذين يعانون منه، إضافة إلى الكرب المفرط في هذا الاضطراب - ليست جديدة بالطبع. كما لاحظ ذلكَ الفيلسوف **أرسطو** منذ أكثر من 2400 عام، «**لم توجد قط عبقرية دون مسحة من الجنون**». وربما يكون هذا الرابط بين «**العبقرية**» و«**الجنون**» أكثر وضوحًا في أذهان معظم الناس، وذلك بفضل نجاح شباك التذاكر في فيلم **رجل المطر** وفيلم **عقل جميل**،[9] حين يتعلق الأمر بالتوحد والفصام. في كتابه **الرجل الذي حسب زوجته قبعة**، يتحدث أخصائي الأعصاب والطبيب

---

(8) - علم الأحياء التطوري evolutionary biology: فرع من علم الأحياء، يدرس العمليات التطورية (الانتقاء الطبيعي، الأصل المشترك، التنوع) التي أنتجت تنوع الحياة على الأرض. وقد ظهر في ثلاثينيات القرن من خلال ما سماه جوليان هكسلي التوليف الحديث للفهم، من مجالات البحث البيولوجي التي لم تكن مرتبطة سابقًا، مثل علم الوراثة والإيكولوجيا، وعلم اللاهوت المنهجي وعلم الحفريات (المترجم).

(9) - **رجل المطر** *Rain Man*: فيلم درامي أمريكي من إنتاج عام 1988 مقتبس من قصة حقيقية عن الأمريكي كيم بيك Kim Peek الذي يتمتع بقدرات عقلية استثنائية على الرغم من أنه يعاني من التوحد؛ **عقل جميل** *A Beautiful Mind*: فيلم أمريكي صدر عام 2001، يحكي قصة حياة العالم الأمريكي جون فوربس ناش John Nash (1928 - 2015) الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد والقصة مستوحاة من كتاب يحمل الاسم نفسه من تأليف سيلفيا نصار (المترجم).

النفسي أوليفر ساكس عن لقاء مشهور مع «التوأم»[10] جون ومايكل. فقد كانا يعانيان من التوحد بشدة، ويبلغان من العمر ستة وعشرين عامًا حينها ويعيشان في مؤسسة. حين وقعت علبة من الكبريت على الأرض، صاح كل منهما قائلًا في الوقت نفسه إن عدد الأعواد «111». حين جمع ساكس أعواد الكبريت، بدأ العد . . .

من ناحية أخرى، فإن الصورة النمطية المهترئة «للفنان المعذّب» لا تفتقر إلى أساس. كان الرّسام فنسنت فان جوخ، وراقص الباليه **فاسلاف نيجينسكي**،[11] وجون ناش، صاحب «**نظرية اللعب**»[12] (التي سنتحدث عنها أكثر فيما بعد)، جميعهم مصابين بالذُّهان. هل هي صدفة؟ ليست صدفة وفقًا لرأي **زابلوكس كيري**،[13] الباحث في جامعة سملويس في بودابست، الذي يبدو أنه اكتشف تعدد الأشكال الجينية[14] المرتبطة بكل من الفصام والإبداع. اكتشف زابلوكس كيري أنّ الأشخاص الذين لديهم نسختان من تنوع معين في الحمض النووي من حرف واحد في جين يُدعى **نيوريجولين 1**،[15] وهو تنوع ارتبط من قبل بالذهان - بالإضافة إلى ضعف الذاكرة والحساسية المفرطة تجاه النقد - يميلون إلى تسجيل نقاط أعلى بشكل ملحوظ في مقاييس الإبداع مقارنة مع الأفراد الذين لديهم نسخة واحدة أو لا توجد لديهم نسخ من هذا التنوع. ويميل أولئك الذين لديهم نسخة واحدة إلى أن يكونوا أكثر إبداعًا، في

---

(10) - **الرجل الذي حسب زوجته قبعة** *The Man Who Mistook His Wife for a Hat*: كتاب صدر في عام 1985، ويصف فيه طبيب الأعصاب أوليفر ساكس (1933 - 2015) التاريخ المرضي لبعض مرضاه.

(11) - فاسلاف نيجينسكي Vaslav Nijinsky (1889 - 1950): راقص باليه روسي من أصل بولندي، وقيل إنه كان أفضل راقص في بداية القرن العشرين (المترجم).

(12) - نظرية اللعب game theory: إطار نظري لتصور المواقف الاجتماعية بين المنافسين لاتخاذ القرار الأمثل في إطار استراتيجي. والرائدان الرئيسيان للنظرية هما عالم الرياضيات جون فون نيومان والاقتصادي أوسكار مورجنسترن في أربعينيات القرن العشرين. ويعتبر جون ناش صاحب الامتداد الأول المهم للنظرية (المترجم).

(13) - زابلوكس كيري Szabolcs Kéri: أستاذ في قسم العلوم المعرفية، جامعة بودابست للتكنولوجيا والاقتصاد (المترجم).

(14) - تعدد الأشكال الجينية genetic polymorphism: اختلاف في تسلسل الحمض النووي بين الأفراد أو الجماعات أو الشعوب (المترجم).

(15) - نيوريجولين 1 Neuregulin 1 أو NRG1: بروتين متعدد الوظائف ومتعدد الاستخدامات: يمكن أن تتشابه أشكاله العديدة وتلعب دورًا أساسيًا أثناء تطور الجهاز العصبي المحيطي وأثناء عملية إصلاح الأعصاب؛ وقد ارتبط بالفصام (المترجم).

المتوسط، من أولئك الذين ليست لديهم نسخة.

حتى الاكتئاب له مزاياه. تشير الأبحاث الحديثة إلى أنّ الكآبة تساعدنا على التفكير بشكل أفضل – وتساهم في زيادة الانتباه وتعزيز القدرة على حل المشكلات. في تجربة رائعة، وضع جوي فورجاس- Joe Forgas، أستاذ علم النفس في جامعة نيو ساوث ويلز- New South Wales، مجموعة متنوعة من الحلي، من قبيل الدمى على هيئة جنود وحيوانات من البلاستيك وسيارات مصغرة، بالقرب من منضدة الدفع في محل صغير لبيع الأدوات المكتبية في مدينة سيدني. مع خروج المشترين من المحل، اختبر فورجاس ذاكرتهم، وطلب منهم ذكر أكبر عدد ممكن من هذه العناصر. ولكن كان هناك شيء مثير للدهشة. في بعض الأيام، كان الطقس ممطرًا، وعزف فورجاس قداس فيردي[16] في أرجاء المحل؛ في أيام أخرى كان الجو مشمسًا، وتعرض المشترون لانفجار جلبرت وسوليفان.[17]

لم يكن من الممكن أن تكون النتائج أكثر وضوحًا: فقد تذكر المشترون في الحالة «المزاجية المنخفضة» ما يقرب من أربعة أضعاف الحلي التي تذكروها في الحالة العادية. جعلهم المطر حزانى، وجعلهم حزنهم أكثر انتباهًا. المغزى من القصة؟ حين يكون الطقس لطيفًا، يكون على المرء أن يتأكد من مراجعة أشيائه الصغيرة.

حين تسير في طريق الاضطرابات التي تمنح مزايا، وطريق السُّحُب، والتحلي بروح التفاؤل في المواقف الصعبة، وجوائز العزاء النفسي، يكون من الصعب تصور حالة لا تؤتي ثمارها – على الأقل بشكل أو بآخر. تعاني من الوسواس القهري؟ لن تترك الغاز موقدًا على الإطلاق. تعاني من اضطراب البارانويا؟ لن تدخل أبدًا في صراع بسبب

---

(16) - قداس فيردي Verdi's *Requiem*: موسيقى قداس جنائزي كاثوليكي لأربعة عازفين منفصلين وضعها فيردي في ذكرى اليساندرو مانزوني، الشاعر والروائي الإيطالي الذي أعجب به فيردي. وكان العرض الأول، في كنيسة سان ماركو في ميلانو في 22 مايو 1874، في الذكرى الأولى لوفاة الشاعر (المترجم).

(17) - جلبرت وسوليفان Gilbert and Sullivan: إشارة إلى شراكة مسرحية تعود إلى العصر الفيكتوري بين الكاتب المسرحي دبليو. إس. جلبرت (1836 – 1911) والمؤلف الموسيقي آرثر سوليفان (1842 – 1900) وإلى الأعمال التي قاما بها بشكل مشترك. وقد تعاون الرجلان في أربع عشرة أوبرا هزلية في الفترة ما بين عام 1871 وعام 1896 (المترجم).

الشروط المكتوبة ببنط صغير، الشروط التي قد لا يلاحظها الآخرون. في الواقع، يشكل الخوف والحزن - القلق والاكتئاب - اثنين من الانفعالات الخمسة الأساسية[18] الموجودة عالميًا عبر الثقافات، وعلى هذا النحو، نشعر بها كلنا تقريبًا في مرحلة ما من حياتنا. ولكن هناك مجموعة واحدة من الأشخاص يمثلون استثناء من القاعدة، أولئك الذين لا يشعرون بأي من الانفعالين - حتى في ظل أصعب الظروف وأكثرها إرهاقًا. أعني السيكوباتيين. إنّ الشخص السيكوباتي لا يقلق حتى لو ترك الغاز مفتوحًا.[19] هل هناك أي مجال للتّحلي بروح التفاؤل في هذه الحالات الصعبة؟

اطرح هذا السؤال على شخص سيكوباتي، وفي أغلب الأحيان، سوف ينظر إليك كما لو كنت أنت الشخص المجنون. بالنسبة إلى شخص سيكوباتي، كما ترى، لا توجد أشياء من قبيل السحب. هناك فقط التحلي بروح التفاؤل في المواقف الصعبة. ربما كانت الملاحظة الشيطانية بأن السنة تتكون من اثني عشر شهرًا، وليس أحد عشر شهرًا، قد وضعت نهاية لجحيم بيع هذه المفكرات، على ما أعتقد. ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى أبي، فهو لم يضع لبيعها نهاية. على العكس من ذلك تمامًا، في الواقع. لقد رآها نقطة يبدأ منها البيع.

من المؤكد أنه ليس وحيدًا. وليس، كما قد يجادل البعض، بعيدًا عن المألوف. في أثناء فترة بحثي، قابلت العديد من السيكوباتيين من جميع جوانب الحياة، ليس فقط داخل عائلتي. بالتأكيد، خلف الأبواب المغلقة، واجهت نصيبي العادل من شخصية هانيبال ليكتر[20] وشخصية تيد بندي: المسجلين على القائمة (أ) من معدومي الرحمة

---

(18) - الانفعالات الثلاثة الأساسية الأخرى هي الغضب والسعادة والاشمئزاز. هناك بعض الخلاف حول إدراج الانفعال السادس، وهو الدهشة، في القائمة (المؤلف).

(19) - إنه، في معظم الأحيان، "هو he". للاطلاع على الأسباب المحتملة، راجع قسم الملاحظات في نهاية الكتاب (المؤلف).

(20) - هانيبال ليكتر Hannibal Lecter: شخصية خيالية في سلسلة من روايات الإثارة، ظهرت أول مرة عام 1981 في رواية **التنين الأحمر** *Red Dragon* للكاتب الأمريكي توماس هاريس Thomas Harris (1940 -)؛ وهانيبال طبيب نفسي جنائي لامع وسفاح من آكلي لحوم البشر في الرواية. تيد بندي Ted Bundy (1946 – 1989): ثيودور روبرت بندي سفاح أمريكي، أدين بمجامعة الموتى وقد اعتدى على العديد من النساء والفتيات وقتلهن خلال 1970، وربما في وقت سابق. وقبل إعدامه بفترة وجيزة، وبعد أكثر من عقد من الإنكار، اعترف بثلاثين جريمة قتل ارتكبت في سبع ولايات بين عامي 1974 - 1978 (المترجم).

ومعدومي الضمير الذين كان يمكنهم أن يتناولوا العشاء على مائدة أي سيكوباتي لا تبالي بذكره دون حتى أن تلتقط جهاز التليفون وتجري مكالمة، من خلال الوصول والانضمام إلى الجماعة متأخرًا وبشكل غير متوقع. لكني التقيت أيضًا بأشخاص سيكوباتيين يخدمون، بعيدًا عن التهام المجتمع من الداخل، من خلال الثّقة المتّزنةِ واتخاذ القرار بصلابة، لحماية المجتمع وإثرائه بدلًا من التهامه: أعني الجرّاحين والجنود والجواسيس ورجال الأعمال – وأجرؤ على القول، حتى والمحامين. نصح آل باتشينو بصفته المحامي الرئيسي لشركة محاماة بارزة في فيلم **محامي الشيطان**[21]: «**لا تكن مغرورًا جدًّا. مهما كنت رائعًا. لا تسمح لهم برؤيتك وأنت قادم. هذه هي الحيلة، يا صديقي، مثِّلْ دور شخص ضئيل القيمة. كن الريفي الساذج. كن المُقْعد. كن الأحمق. المصاب بالجذام. كن شخصًا غريب المنظر. انظر إليَّ، لقد تم الاستهانة بي من اليوم الأول**». كان آل باتشينو يلعب دور الشيطان. وربما ليس من المستغرب، ربما، أن يكون قد أصاب كبد الحقيقة. إذا كان هناك شيء واحد يشترك فيه السيكوباتيّون، فهو القدرة البارزة على تمرير أنفسهم على أنهم قوم عاديون لا يختلفون عن أولئك الذين تراهم كل يوم، بينما من وراء الواجهة – القناع الوحشي اللامع – يتفوقون على القلب المثلج لحيوان جليدي مفترس لا يعرف الرحمة.

كما قال لي أحد المحامين الشباب الناجحين على شرفة شقته العليا المطلة على نهر التايمز: «**في أعماقي يكمن سفاح في مكان ما. لكني أبقيه مستمتعًا بالكوكايين، والفورمولا ون، والدعوات الجنسية، وإعادة استجواب الشاهد بشكل براق**».

ببطء شديد دائمًا، كنت أبتعد عن الحافة.

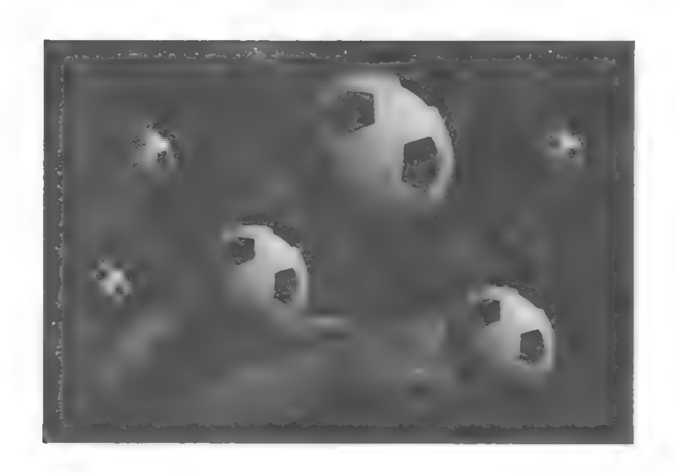
هذا اللقاء الأثيري مع المحامي الشاب (قام بعد ذلك بإعادتي إلى الفندق قرب مصب النهر في قاربه السريع) يقطع شوطًا نحو توضيح نظرية أؤمن بها عن

---

(21) - **محامي الشيطان** *The Devil's Advocate*: فيلم رعب وإثارة وغموض أمريكي عرض في سنة 1997. الفيلم مبني على رواية للكاتب الأمريكي أندرو نيدرمان (1940 -) تحمل الاسم نفسه. وهو من إخراج تايلور هاكفورد وبطولة كيانو ريفز، آل باتشينو Al Pacino (1940 -)، تشارليز ثيرون وهيثر ماتاراتزو (المترجم).

السيكوباتيين: إنّ أحد أسباب انبهارنا بهم هو أننا نُفتَن بالأوهام، بالأشياء التي تبدو، على السطح، أنها طبيعية، ولكن عند الفحص الدقيق، يتبين أنها ليست أي شيء من هذا القبيل. آميسيا لنياتيبز - *Amyciaea lineatipes* هو نوع من العناكب التي تحاكي المظهر الجسدي للنمل الذي تفترسه. فقط حين يفوت الأوان، يتحرر ضحاياها في النهاية من فكرة أنهم يحكمون بشكل جيد على الشخصية. إنّ كثيرًا من الأشخاص الذين قابلتهم يعرفون بالضبط كيف يبدو ذلك. وصدقوني، إنهم الأشخاص المحظوظون.

نلقي نظرة على الصورة أدناه. كم عدد كرات كرة القدم التي يمكن أن تراها؟ ست كرات؟ نلقي نظرة أخرى. هل ما زالت ست كرات؟ انتقل إلى نهاية التصدير وسوف تجد الإجابة في أسفل الصفحة.



هذا ما يبدو عليه السيكوباتيون. بالأناقة الظاهرية، يستخدمون فتنتهم، وجاذبيتهم، والتمويه النفسي السلس لصرف انتباهنا عن «ألوانهم الحقيقية»: عن الشذوذ الكامن أمام أعيننا مباشرة. يجذبنا إليهم حضورهم المُسْكِر والمنوِّم بشكل لا يعرف الرحمة.

ومع ذلك، فإنّ الشخصية السيكوباتية، كما ألمح الشيطان وصبيّه المتألّق في لندن، يمكن أن تكون مفيدة لنا أيضًا، على الأقل باعتدال. مثل القلق والاكتئاب وعدد ليس بالقليل من الاضطرابات النفسية الأخرى، يمكن أن تكون الشخصية السيكوباتية في بعض الأحيان شكلًا من أشكال التكيّف. لدى السيكوباتيين، كما سوف نكتشف، مجموعة متنوعة من السمات - المغناطيسية الشخصية وعبقرية إخفاء أنها بداية مفيدة - التي بمجرد أن تعرف كيفية تسخيرها وإبقائها تحت السيطرة، غالبًا ما تمنح مزايا كبيرة ليس فقط في مكان العمل، ولكن في الحياة اليومية. إنّ الشخصية السيكوباتية مثل ضوء الشمس. يمكن أن يؤدي التعرض المفرط لها إلى تسريع نهاية المرء بطريقة غريبة ومسببة للسرطان. لكن التعرض المنظم لمستويات مثالية خاضعة للتحكم يمكن أن يكون له تأثير إيجابي كبير على الرفاهية ونوعية الحياة.

في الصفحات التالية، سوف نفحص هذه السمات بالتفصيل، ونتعلم كيف يمكن أن يؤدي دمجها في مجموعة المهارات النفسية الخاصة بنا إلى إحداث تحوّل كبير في حياتنا. بالطبع، ليس في نيتي بأي حال من الأحوال أن أضفي سحرًا على تصرفات السيكوباتيين، بالتأكيد لن أضفي سحرًا على تصرفات السيكوباتيين المختلين وظيفيًا، على أي حال. قد يكون ذلك مثل إضفاء سحر على الميلانوما[22] المعرفية: المكائد الخبيثة لسرطان الشخصية. لكن هناك أدلة تشير إلى أن الشخصية السيكوباتية، بجرعات صغيرة على الأقل، شخصية ذات **سُمْرة**، وأنه يمكن أن يكون لها فوائد مدهشة.

لقد شاهدت القليل من أبي مباشرة. مع مرور السنين وتقاعده من العمل في الأسواق، لم تكن الآلهة تشاهد أبي بتأييد كبير. (رغمَ أنّ الأمر لم يكن كما لو كان من الصعب إرضاء أبي: التماثيل الصغيرة لأشباه بوذا، والقلوب المقدسة، وأشباه العذراء مريم... لقد احتلّت كلّها وقتها في مؤخرة عربته ذات العجلات الثلاث.) أصيب

(22) - الميلانوما melanoma: ورم في الخلايا التي تصنع الميلانين، وهو في العادة ورم خبيث يرتبط بسرطان الجلد (المترجم).

بالشلل الرعاش - وتحول، في فترة زمنية قصيرة بشكل مخيف، من شخص يمكنه أن يحزم حقيبة في عشر ثوانٍ فقط (وهي قدرة كانت مفيدة بشكل يثير الدهشة في كثير من الأحيان) إلى شخص لا يمكنه حتى الوقوف دون مساعدة من أي من الذراعين (وقد يقول «في الأيام الخوالي كان من المعتاد أن يكونوا رجال شرطة»).

لكن أفضل لحظاته حدثت بلا شك بعد وفاته. أو على الأقل، لفتت انتباهي بعد وفاته. في إحدى الأمسيات، ولم يكن قد مضى وقت طويل على الجنازة، كنت أراجع أشياءه حين عثرت على كمّية من الملاحظات المكتوبة بخط اليد في درج. كتبت الملاحظات بقلم مجموعة متنوّعة من مقدمي الرعاية الذين كانوا يعتنون بأبي خلال الأشهر القليلة السابقة (لقد تمكن، على عكس نصيحة الجميع تقريبًا، من الاستمرار حتى النهاية في البيت)، وتمثل، على ما أعتقد، نوعًا من «يوميات» الرعاية.

أتذكر أنّ أوّل ما أدهشني في اليوميات هو كيف كانت التدوينات مرتبة ومفصلة بدقة بالغة. لا يمكن أن تخطئ الأنثى، فقد خطت الكتابة بخط اليد بشكل حثيث عبر الصفحة، مكتوبة بتواضع بقلم بيك أزرق أو أسود، ومن النادر أن تجد بروزًا أو علامة في غير موضعها. لكن كلما قرأت أكثر، تبين لي أكثر مدى قلة الاختلاف الذي طرأ على أبي في الأشهر القليلة السابقة: كم كانت اللّحظات الأخيرة رتيبة، متكررة، وقاتمة بلا هوادة، ولا بد أن هذا كان أيضًا هو الموقف النهائي في كشك سوق الحياة. لا يعني ذلك أنه قد أعطاني هذا الانطباع حين ذهبت لزيارته بالطبع. ربما كان الشلل الرعاش يتسبب في إيذاء ذراعيه وساقيه. لكن ذلك لم يكن يتطابق مع روحه.

لكن حقيقة الوضع كانت واضحة:

«أخرجْتُ مستر داتون من السرير الساعة 7:30».

«حلقْتُ لمستر داتون».

«صنعْتُ لمستر داتون سندوتشًا من الخيار».

«أحضرْتُ لمستر داتون كوبًا من الشاي».

وما إلى ذلك وهلم جرا. وهكذا دواليك. إلى ما لا نهاية.

سرعان ما بدأت أشعر بالملل، وكما يفعل المرء عادة، بدأت أتنقل بشكل عشوائي عبر الصفحات. ثم وقعت عيني على شيء ما. في كتابة عنكبوتية هائلة في كتل من الحروف الكبيرة، عبر منتصف إحدى الصفحات، كان ما يلي: «**كان مستر داتون مبتهجًا للغاية في القاعة**». يتبعها، بعد بضع صفحات، «**نفذ مستر داتون عرضًا هزليًّا في البلكونة**».

شيء ما جعلني أشعر بأنه ربما يختلق الأمر. ولكن مهلًا، كان هذا أبي الذي كنا نتحدث عنه. لماذا تعبث بعادة دامت عمرًا كاملًا؟

إلى جانب ذلك، تغيّرت قواعد اللعبة. وراء هراء تخفيض السعر تكمن حقيقة أعلى وأعظم: قصة رجل كانت روحه تحت النار... كانت دوائرها ومشابكها متفوقة بشكل يائس لا يعرف الرحمة... ولكنه استمر، حين أتت اللحظة الحاسمة وانكشفت اللعبة، يقاوم في وابل من الاستهتار الذي لا يمكن كبحه.

البهجة والعروض الهزلية والحلاقة وسندوتشات الخيار أي يوم من أيام الأسبوع.

من يهتم إذا كان هذا كله مجرد هراء؟

ملاحظة المؤلف

تم تغيير أسماء وتفاصيل خاصة بتعريف بعض الأشخاص المذكورين في هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن هذا التمويه الديموجرافي الضروري لا يضر بأي شكل من الأشكال بصوت هؤلاء الأفراد المقنعين - وقد تم اتخاذ كل خطوة للإبلاغ عن اللقاءات والمحادثات بأكبر قدر ممكن من الدقة والأصالة. وتجدر الإشارة إلى أنه نظرًا للقيود المتعلقة بمعدات التسجيل، كان هذا هو الحال بشكل خاص في برودمور-*Broadmoor*، حيث أصبحت درجة معينة من الترخيص السردي حتمًا في تحقيق التوازن بين الحفاظ على سرية المريض والحفاظ على المشهد الفريد للشخصيات والحوار.

الفصل الأول

ثورة العقرب

نادرًا ما يجمع إنسان واحد بين العظمة والطيبة.

- ونستون تشرشل

يجلس عقرب وضفدع على ضفة نهر، والاثنان كلاهما يحتاجان إلى الوصول إلى الجانب الآخر.

ينادي العقرب من خلال القصب: «مرحبًا يا مستر ضفدع! هل تتعطف عليَّ وتجعلني أركب على ظهرك عبر الماء؟ لديَّ عمل مهم يجب عليَّ أن أقوم به على الجانب الآخر. وأنا لا أستطيع السباحة في تيار قوي مثل هذا».

يتشكك الضفدع في الأمر على الفور.

أجاب: «حسنًا، يا مستر عقرب، أقدر حقيقة أن لديك أعمالًا مهمة يجب عليك أن تقوم بها على الجانب الآخر من النهر. لكنني أحتاج إلى بعض الوقت للنظر في طلبك. أنت عقرب. لديك عضو لادغ كبير في نهاية ذيلك. بمجرد أن أدعك تركب على ظهري، فمن الطبيعي تمامًا أن تلدغني».

يعارض العقرب، الذي توقع اعتراضات الضفدع، على النحو التالي:

«عزيزي مستر ضفدع، تحفظاتك معقولة تمامًا. لكن من الواضح أنه ليس من مصلحتي أن ألدغك. أنا حقًّا في حاجة إلى الوصول إلى الجانب الآخر من النهر.

وأعدك بأنك لن تتعرض إلى أي أذى».

يوافق الضفدع، على مضض، باعتبار أن العقرب له هدف. لذا فهو يسمح للعقرب، تلك الحشرة مفصلية الأرجل سريعة الكلام، بأن يندفع فوق ظهره ويقفز، دون مزيد من اللغط، في الماء.

في البداية يسير كل شيء على ما يرام. يسير كل شيء حسب الخطة بالضبط. ولكن في منتصف الطريق، يشعر الضفدع فجأة بألم حاد في ظهره - ويرى، من زاوية عينه، العقرب يسحب عضوه اللادغ من مخبأه. ويبدأ خدر مميت في التسلل إلى أطراف الضفدع.

يتمايل الضفدع قائلًا: «يا لك من أحمق! لقد قلت إنك في حاجة إلى الوصول إلى الجانب الآخر لإدارة عملك. الآن سوف نموت أنا وأنت!».

يستهجن العقرب الكلام ويهتزُّ قليلًا على ظهر الضفدع الذي يغرق.

رد بشكل عارض: «يا مستر ضفدع قلت ذلك بنفسك. أنا عقرب. من طبيعتي أن ألدغك».

مع ذلك، يختفي العقرب والضفدع على حد سواء تحت المياه القاتمة والموحلة في التيار المتدفق بسرعة.

ولا يُرى أي منهما مرة أخرى.

الخلاصة:

أعلن جون واين جسي[23] بحسرة، في أثناء محاكمته عام 1980، أنّ كل ما كان مذنبًا به حقًّا هو «إدارة مقبرة دون ترخيص».

(23) - جون واين جسي John Wayne Gacy (1942 - 1994): سفاح ومغتصب أمريكي، كان يعرف باسم «البهلوان القاتل»، ارتكب جرائمه في مقاطعة كوك، في ولاية إلينوي (المترجم).

كانت مقبرة بكل معنى الكلمة. بين عام 1972 وعام 1978، اغتصب جسي وقتل ما لا يقل عن ثلاثة وثلاثين شابًا وصبيًّا (بمتوسط عمر يبلغ حوالي ثمانية عشر عامًا) قبل حشرهم في بدروم أسفل منزله. نجا أحد ضحاياه، واسمه **روبرت دونلي**،[24] نجا دون أن ينتبه جسي، لكنّه تعرض للتعذيب بلا رحمة على يد آسره لدرجة أنه، في عدة مرات خلال محنته، توسل إليه «أن ينهي الأمر» ويقتله.

كان جسي مرتبكًا. وردَّ عليه قائلًا: «سوف أفكر في الأمر».

لقد حملت دماغ جون واين جسي في يدي. بعد إعدامه عام 1994 بالحقنة المميتة، ساعدت الدكتورة **هيلين موريسون**[25] - وهي شاهدة للدفاع في محاكمته وتعتبر من كبار الخبراء العالميين في السفاحين - في تشريح جثته في مستشفى في شيكاجو، ثم عادت إلى المنزل مع دماغ يترجرج في وعاء زجاجي على مقعد الراكب في سيارتها البويك. لقد أرادت معرفة ما إذا كان هناك أي شيء خاص يميّز دماغ هذا الشخص - من قبيل التلف أو الأورام أو المرض - يجعله مختلفًا عن أدمغة الأشخاص العاديين.

لم تكشف الاختبارات وجود أي شيء غير عادي.

بعد عدة سنوات، في أثناء احتساء القهوة في مكتبها في شيكاجو، تحدثت مع الدكتورة موريسون حول أهمية النتائج التي توصلت إليها، ودلالة عدم العثور على... أي شيء.

سألتها: «هل يعني هذا أننا جميعًا في الأساس سيكوباتيون في أعماقنا؟ وأن كل واحد منا يخفي ميلًا للاغتصاب والقتل والتعذيب؟ إذا لم يكن هناك فرق بين دماغي ودماغ جون واين جسي، فأين يكمن الاختلاف بالتحديد؟».

ترددت موريسون لحظة قبل أن تسلّط الضوء على واحدة من الحقائق الأساسية في

---

(24) - روبرت دونلي Robert Donnelly: كان دونلي طالبًا في التاسعة عشرة من العمر، وهو الذي اعترف للبوليس على جسي في يناير 1978 (المترجم).

(25) - هيلين موريسون Helen Morrison (1942 -): طبيبة نفسية أمريكية (المترجم).

علم الأعصاب.

وقالت: «إنّ الدماغ الميت يختلف تمامًا عن الدّماغ الحي. ظاهريًا، قد يبدو أحد الأدمغة مشابهًا تمامًا لدماغٍ آخر، لكنه يعمل بشكل مختلف تمامًا. هذا ما يحدث حين تكون الأضواء مضاءة، وليست مطفأة، وهذا ما يقلب التوازن. كان جسي حالة متطرفة لدرجة أنني تساءلت عما إذا كان هناك شيء آخر يساهم في أفعاله - بعض الإصابات أو التلف الذي أصاب دماغه، أو بعض التشوهات التشريحية. ولكن لم يكن هناك أي شيء من هذا القبيل. كان دماغه طبيعيًا. وهو ما يوضح مدى تعقيد الدماغ وعدم إمكانية اختراقه في بعض الأحيان، ومدى تردده في التخلي عن أسراره. كيف يمكن للاختلافات في التنشئة، على سبيل المثال، أو الخبرات العشوائية الأخرى أن تتسبب في تغييرات طفيفة في الدوائر والكيمياء الداخلية التي تفسر فيها بعد التحولات ذات التأثير القوي على نطاق واسع في السلوك».

ذكّرني حديث موريسون في ذلك اليوم عن الأضواء والتحولات ذات التأثير القوي على نطاق واسع بشائعة سمعتها ذات مرة عن روبرت هير،[26] أستاذ علم النفس في جامعة كولومبيا البريطانية وأحد الرواد الثقات في العالم في دراسة السيكوباتيين. مرّة أخرى في تسعينيات القرن العشرين، قدّم روبرت هير ورقة بحثية إلى مجلة أكاديمية تضمنت استجابات تخطيط الدماغ الكهربائي (EEG) لدى كل من الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين وهم يؤدون ما يعرف باسم مهمة تمييز الألفاظ.[27] عرض هير وفريقه من المؤلفين المشاركين على المتطوعين سلسلة من سلاسل الحروف، ثم دفعوهم إلى اتخاذ قرار في أسرع وقت ممكن بشأن ما إذا كانت هذه السلاسل تكون كلمة أم لا.

---

(26) - روبرت هير Robert Hare (1934 -): طبيب وكاتب وعالم نفس وأستاذ جامعي كندي (المترجم).

(27) - مهمة تمييز الألفاظ lexical decision task: إجراء يستخدم في العديد من تجارب علم النفس واللغويات النفسية. يتضمن الإجراء الأساسي قياس مدى سرعة الشخص في اتخاذ قرار بشأن ما إن كانت مجموعات من الحروف تشكل كلمات أو لا تشكل كلمات (المترجم).

ما وجدوه كان مذهلًا. في حين أن المشاركين العاديين حددوا الكلمات المشحونة عاطفيًا مثل «س-ر-ط-ا-ن/ c-a-n-c-e-r» أو «ا-غ-ت-ص-ا-ب / r-a-p-e» بسرعة أكبر من الكلمات المحايدة مثل «ش-ج-ر-ة/ t-r-e-e» أو «ط-ب-ق/ p-l-a-t-e»، لم يكن هذا هو الحال مع الأشخاص السيكوباتيين. بالنسبة إلى للسيكوباتيين، كانت الانفعالات غير ذات صلة. رفضت المجلة البحث. لم يرفض، لاستنتاجاته، ولكن لشيء استثنائيّ أكثر حتّى. زعم المراجعون أن بعض أنماط تخطيط الدماغ الكهربائي كانت غير طبيعية لدرجة أنها لا يمكن أن تكون قد أتت من أشخاص حقيقيين. ولكنها بالطبع أتت من أشخاص حقيقيين.

مفتونًا بحديثي مع موريسون في شيكاجو حول أسرار العقل السيكوباتي وألغازه - وفي الحقيقة حول التمرد العصبي بشكل عام - قمت بزيارة هير في **فانكوفر**.[28] سألته: هل كانت الشائعة صحيحة؟ هل تم رفض البحث حقًّا؟ إذا كان الأمر كذلك، فماذا كان يحدث؟

قال لي: «هناك أربعة أنواع مختلفة من موجات الدماغ، تتراوح بين موجات بيتا Beta خلال فترات اليقظة التامة، مرورًا بموجات ألفا Alpha وثيتا Theta، إلى موجات دلتا Delta، التي ترافق النوم العميق. تعكس هذه الموجات المستويات المتقلبة للنشاط الكهربائي في الدماغ في أوقات مختلفة. في الأفراد العاديين من السكان، ترتبط موجات ثيتا بالنعاس أو التأمل أو حالات النوم. ولكنها تحدث في الأشخاص السيكوباتيين في أثناء حالات اليقظة العادية - حتى في بعض الأحيان في أثناء حالات الإثارة الزائدة...

«إن اللغة بالنسبة إلى السيكوباتيين ليست إلا بعمق الكلمة فقط. لا يوجد بعد انفعالي وراءها. قد يقول شخص سيكوباتي شيئًا من قبيل «إنني أحبك»، لكن هذا، في

---

(28) - فانكوفر Vancouver: مدينة كندية تقع جنوبي غرب ولاية كولومبيا البريطانية، سميت على اسم القبطان جورج فانكوفر، وهي أكبر مدينة في ولاية كولبيا البريطانية (المترجم).

الواقع، لا يعني بالنسبة إليه إلا بقدر ما يعنيه الكلام لو أنه قال ’سوف أتناول كوبًا من القهوة‘... هذا أحد الأسباب التي تجعل الأشخاص السيكوباتيين باردين جدًّا وهادئين ورابطي الجأش في ظل ظروف بالغة الخطورة، والسبب في ذلك هو أنهم يتصرفون بدافع الحصول على المكافأة ويتحمّلون المخاطر من أجلها. إن أدمغتهم، بكل معنى الكلمة، أقل قابلية للاستثارة من بقية أدمغتنا».

فكرت مرة أخرى في السفّاح جسي وما تعلمته من الدكتورة هيلين موريسون.

كان يبدو عاديًا من الخارج (كان جسي أحد أعمدة مجتمعه المحلي، وفي إحدى المرات تم تصويره حتى مع السيدة الأولى روزالين كارتر)،[29] لكنه قام بتمويه عقربه الداخلي بعباءة ساحر. ولكن كان من طبيعته أن يلدغك - بقدر ما كان يتمتع بالقدرة على أن يقنعك بأنه لن يفعل ذلك.

قال قبل دخوله غرفة الموت: «قَبِّلوا مؤخرتي».

دلالة المشية:

فابريزيو روسي Fabrizio Rossi يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا، وكان يعمل عادة في تنظيف النوافذ. لكن ميله إلى القتل سيطر عليه في النهاية. والآن، هل تصدق أنه صار «يعمل» في هذا المجال من أجل لقمة العيش.

بينما نقف بجانب بعضنا البعض في صباح يوم ربيعي معتدل، نفحص بصعوبة غرفة نوم جون واين جسي، أسأله ما الصفقة. ماذا عن الأشخاص السيكوباتيين الذين نجد أنهم شديدو الإغواء بشكل لا يقاوم؟ لماذا يبهروننا كل هذا الإبهار؟

من المؤكد إنها ليست المرة الأولى التي يطرح فيها شخص ما عليه هذا السؤال.

---

(29) - روزالين سميث كارتر Rosalynn Carter (1927 -): زوجة جيمي كارتر، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من 1977 إلى 1981، من الحزب الديموقراطي. وتشغل حاليًا منصب نائبة في مجلس مركز كارتر في ولاية أتلانتا وهذا المركز يعمل على إفشاء السلام وحقوق الإنسان في العالم (المترجم).

يقول روسي: «أعتقد أنّ الشيء الرئيسي في الأشخاص السيكوباتيين هو حقيقة أنهم من ناحية طبيعيون جدًّا، مثل بقية الناس إلى حد بعيد، ولكنهم، من ناحية أخرى، يختلفون اختلافًا كبيرًا عنّا. أعني أن جسي كان يرتدي زي مهرج ويؤدي بعض الأدوار في حفلات الأطفال... هذه هي المشكلة مع الأشخاص السيكوباتيين. يدون من الخارج عاديين جدًّا. ومع ذلك، بالخدش تحت السطح، وإلقاء نظرة خاطفة داخل البدروم، إذا جاز التعبير، لا يمكن أن تعرف أبدًا ما قد تجده».

بالطبع، نحن لسنا في غرفة النوم الفعلية لجسي، إننا بالأحرى، في نسخة مقلدة منها تحتوي على معرض فيما يجب بالتأكيد أن يكون مرشحًا لأكثر المتاحف إثارة للهلع في العالم: **متحف السفاحين** في فلورنسا. يقع المتحف في شارع فيا كافور، وهو شارع جانبي بالغ الفخامة على مسافة قريبة من الكاتدرائية.

ويقوم فابريزيو روسي برعايته.

المتحف في حالة جيدة. ولماذا لا يكون في حالة جيدة؟ إنهم جميعًا هناك، إذا كنت تحب هذا النوع من الأشياء. الجميع من جاك السفاح[30] إلى جيفري دهمر، ومن تشارلز مانسن[31] إلى تيد بندي.

أقول لروسي إن تيد بندي حالة مثيرة للاهتمام. أعجوبة غريبة من القوى الخفية للشخص السيكوباتي. مؤشر محير لاحتمال أنه إذا نظرت بجد بما فيه الكفاية، فقد يكون هناك في البدروم ما هو أكثر من مجرد أسرار غامضة.

وقد فوجئ، على أقل تقدير.

يقول: «لكن تيد بندي هو أحد أشهر السفاحين في التاريخ. إنه يمثل إحدى أكبر

---

(30) - جاك السفاح Jack the Ripper: اسم أطلق على سفاح مجهول الهوية كان نشطًا في المناطق الفقيرة جدًّا في منطقة وايت تشابل وحولها في لندن عام 1888، وقد نشأ هذا الاسم من رسالة كتبها شخص يدعي أنه القاتل، ونُشرت الرسالة في وسائل الإعلام، ولكن يُعتقد بقوة أن هذه الرسالة مجرد خدعة، وربما يكون كاتبها أحد الصحفيين (المترجم).

(31) - تشارلز ميلز مانسن Charles Manson (1934 - 2017): زعيم إجرامي وطائفي أمريكي. في منتصف عام 1967، شكل ما أصبح يعرف باسم "عائلة مانسن"، في كاليفورنيا. وقد ارتكب أتباعه سلسلة من تسع جرائم قتل في أربعة مواقع في يوليو وأغسطس 1969 (المترجم).

مناطق الجذب في المتحف. هل يمكن أن يكون هناك أي شيء آخر سوى الأسرار الغامضة؟».

يمكن أن يكون هناك شيء غيرها. عام 2009، بعد عشرين عامًا من إعدامه في سجن ولاية فلوريدا (في الوقت الذي أخذ فيه تيد بندي إلى الكرسي الكهربائي، حثت محطات الراديو المحلية المستمعين على إيقاف تشغيل الأجهزة المنزلية لزيادة إمدادات الطاقة إلى أقصى حد)، قررت عالمة النفس أنجيلا بوك[32] وزملاؤها في جامعة بروك في كندا أن تصدق ما يقوله السفاح الجليدي. خلال مقابلة معه، ادّعى تيد بندي، الذي هشّم جماجم خمس وثلاثين امرأة خلال أربع سنوات في منتصف السبعينيات، بهذه الابتسامة الصبيانية الأمريكية تمامًا، أنّه كان يستطيع أن يعرف الضحية «الجيدة» ببساطة من الطريقة التي تمشي بها.

أعلن تيد بندي: «أنا ابن العاهرة وأنا الشخص الأكثر برودة الذي يمكن أن تلتقي به على الإطلاق». ولا يمكن لأحد أن يلومه في ذلك. وقد تساءلت أنجيلا بوك: لكن هل يمكن أن يكون أيضًا من أكثر الناس دهاء؟

لمعرفة ذلك، قامت بإعداد تجربة بسيطة. أولًا، قامت بتوزيع مقياس التقرير الذاتي للشخصية السيكوباتية- Self-Report Psychopathy Scale وهو استبيان مصمم خصيصًا لتقييم السمات السيكوباتية بين عامة السكان، على عكس المقاييس المصممة لتقييم من هم في السجن أو في المستشفى - على سبعة وأربعين طالبًا من الذكور من طلاب المرحلة الجامعية. ثمّ، بناءً على النتائج، قسمتهم إلى درجات عالية ومنخفضة. بعد ذلك، صورت مشية 12 مشاركًا جديدًا بالفيديو في أثناء سيرهم في ممر من غرفة إلى أخرى، حيث أكملوا استبيانًا ديموجرافيًّا قياسيًّا. وقد تضمن الاستبيان بندين: (1) هل سبق لك أن وقعت ضحية في الماضي (نعم أم لا)؟ (2) إذا كانت الإجابة نعم، فكم مرة كنت ضحية لمثل هذه الإيذاء؟

---

(32) - أنجيلا بوك Angela Book: أستاذ مساعد في قسم علم النفس في جامعة بروك Brock University (المترجم).

وأخيرًا، قدمت أنجيلا بوك المقاطع الاثني عشر المسجلة بالفيديو للمشاركين الأصليين السبعة والأربعين، وعرضت عليهم تحدِّيًا: أن يقيّموا، على مقياس من واحد إلى عشرة، مدى إمكانية تعرض كل من هذه الأهداف للسرقة. كان الأساس المنطقي بسيطًا. إذا كان تأكيد تيد بندي محقًّا وكان يستطيع حقًّا أن يشم رائحة الضعف من الطريقة التي كان يمشي بها ضحاياه، فقد تكهنت أنجيلا بوك بأن أولئك الذين سجلوا نقاطًا عالية في مقياس التقرير الذاتي للشخصية السيكوباتية يجب أن يكونوا أفضل في الحكم على الضعف من الذين سجلوا نقاطًا منخفضة.

وقد تبيّن أن هذا ما وجدته بالضبط. وبالإضافة إلى ذلك، حين كررت أنجيلا بوك هذا الإجراء مع الأشخاص السيكوباتيين المشخصين إكلينيكيًّا في سجن يخضع للحراسة المشددة، وجدت شيئًا آخر. ربما كان الطلاب الجامعيون «السيكوباتيون» الحاصلون على نقاط عالية في الدراسة الأولى قد نجحوا في تحديد الضعف، لكن الأشخاص السيكوباتيين المشخصين إكلينيكيًّا كانوا أفضل حالًا. لقد ذكروا صراحة أنّ تحديد الضعف كان بسبب الطريقة التي كان الناس يمشون بها. إنهم، مثل تيد بندي، يعرفون بدقة ما يبحثون عنه.

الرجال الذين يحدقون في المعاطف:

إنّ النتائج التي توصلت إليها أنجيلا بوك ليست مجرد نتائج قصيرة المدى لا تتكرر. دراستها واحدة من عدد متزايد من الدراسات التي بدأت، في السنوات الأخيرة، تظهر الشخص السيكوباتي في ضوء جديد وبشكل أكثر تعقيدًا: ضوء مختلف إلى حد ما عن الظلال الصارخة التي ألقتها عناوين الصحف وكتابات هوليوود. من الصعب قبول الأخبار. والأمر يسير هنا بالطريقة نفسها، في هذه الزاوية الصغيرة المميتة من فلورنسا، كما يسير في كل مكان آخر تقريبًا: مع جرعة صحية من الشك.

يسأل روسي بشكل يعبر عن الشك: «هل تقصد أن هناك أوقاتًا لا يكون من السيئ

بالضرورة أن يكون المرء فيها شخصًا سيكوباتيًّا؟».

أومأتُ بالإيجاب: «ليس هذا فقط، لكن هناك أوقاتًا يكون فيها ذلك أمرًا جيدًا في الواقع – أن يكون المرء سيكوباتيًّا، يكون لديه في الواقع مزية على الناس الآخرين».

يبدو روسي غير مقتنع تمامًا. وبالنظر حولنا، من السهل فهم السبب. إن تيد بندي وجسي ليسا بالضبط أفضل أناس يمكن أن تتفق مع أفكارهم. ودعنا نواجه الأمر، حين يكون لديك عشرات الآخرين يتجولون وهم على استعداد لانتهاز الفرص، يكون من الصعب رؤية الإيجابيات. لكن متحف السفاحين لا يروي القصة الكاملة. إنه، في الواقع، لا يروي حتى نصفها. كما أوضحت هيلين موريسون ببلاغة، يعتمد مصير الشخص السيكوباتي على مجموعة كاملة من العوامل، بما في ذلك الجينات، والخلفية العائلية، والتعليم، والذكاء، والفرصة والطريقة التي تتفاعل بها هذه العوامل معًا.

يشير جيم كوري Jim Kouri، نائب رئيس الرابطة الوطنية الأمريكية لرؤساء الشرطة، إلى نقطة مماثلة. إنّ السّمات الشائعة بين السفاحين السيكوباتيين، كما يلاحظ كوري – وتتمثل في الشعور بالعظمة وقيمة الذات، والقدرة على الإقناع، والفتنة السطحية، وعدم الرحمة، وعدم الشعور بالندم، والتلاعب بالآخرين – يشاركهم فيها السياسيون وقادة العالم.

وهم أشخاص، بتعبير آخر، لا يركضون خوفًا من الشرطة، بل يركضون سعيًا وراء المناصب. ويشير جيم كوري إلى أنّ مثل هذا البروفايل يسمح لأولئك الذين يكافئون بالحصول على هذه المناصب بأن يفعلوا ما يحلو لهم حين يحلو لهم، غير منزعجين تمامًا من العواقب الاجتماعية أو الأخلاقية أو القانونية لأفعالهم.

إذا ولدت سعيد الحظ، على سبيل المثال، وكانت لديك سلطة على العقل البشري مثل سلطة القمر على البحر، يمكنك أن تأمر بالإبادة الجماعية لمائة ألف كردي وتمشي متثاقلًا إلى المشانق بمثل هذا التمرد المبهم الذي يمكن أن يستنبط منه، حتى من أشد

منتقديك، إذعانًا فاسدًا لا يمكن التعبير عنه.

قال صدام حسين وهو على السقالة قبل لحظات من إعدامه: «لا تخف يا دكتور. إنها للرجال».

إذا كنت عنيفًا وماكرًا، مثل «هانيبال ليكتر» الحقيقي، الذي يجسده روبرت مودسلي،[33] قد تجذب زميلًا في زنزانتك، وتحطّم جمجمته بمطرقة، وتتذوق عينة من دماغه بملعقة بلا مبالاة كما لو كنت تكسر بيضة شبه مسلوقة. (بالمناسبة، تم حبس مودسلي في الحبس الانفرادي طوال الثلاثين عامًا الماضية، في قفص مضاد للرصاص في الطابق السفلي من سجن ويكفيلد[34] في إنجلترا.)

أو إذا كنت جراح أعصاب لامعًا، باردًا بشكل لا يعرف الرحمة وتستطيع التركيز تحت الضغط، يمكنك، مثل الرجل الذي سوف أسميه الدكتور جيرتي Geraghty، أن تجرب حظك في ملعب مختلف تمامًا: في البؤر البعيدة المتقدمة لطب القرن الحادي والعشرين، حيث يهب الخطر على رياح سرعتها مائة ميل في الساعة ويكون الأكسجين ضعيفًا:

قال لي: «ليس لدي أي تعاطف مع أولئك الذين أعمل معهم. إنها رفاهية لا يمكن أن أتحملها. في مسرح العمليات، أولد من جديد: مثل آلة باردة بلا قلب، مع مشرط ومثقاب ومنشار. حين يقطع المرء بحرية وينجح في إبقاء الشخص حيًّا برغم أنه في حالة بالغة الخطورة وتبتعد عن إصابة المناطق الحيوية في الدماغ، لا تكون المشاعر مناسبة لهذا الغرض. الانفعال لا يمكن التنبؤ بنتائجه، وهو سيئ للغاية بالنسبة للعمل. لقد تعقبته حتى انقرض على مر السنين».

جيرتي هو واحد من أفضل جرّاحي الأعصاب في المملكة المتحدة - وعلى الرغم

(33) - روبرت مودسلي Robert Maudsley (1953 -): سفاح بريطاني مسئول عن قتل أربعة أشخاص. ارتكب ثلاثًا من هذه الجرائم في السجن بعد أن صدر بحقه حكم بالسجن مدى الحياة عن جريمة قتل واحدة (المترجم).

(34) - سجن ويكفيلد Wakefield: سجن للرجال، يقع في ويكفيلد، غرب يوركشاير، في إنجلترا. ويُطلق عليه لقب "قصر الوحش" نظرًا للعدد الكبير من القتلة المسجونين فيه (المترجم).

من أن كلماته تبعث، على مستوى ما، الرجفة في العمود الفقري، إلا أنها تبدو، على مستوى آخر، منطقية تمامًا. عميقًا في مناطق بعض أخطر أحياء الدماغ، يُنظَر إلى الشخص السيكوباتي على أنه مفترس متوحد وعديم الرحمة، وعلى أنه نوع منفرد من إغراء عابر ومميت. بمجرد أن تخرج الكلمة تتوالى الصور الذهنية للسفاحين والمغتصبين والمجانين والقاذفات المنفردة على أرصفة عقولنا.

ولكن ماذا لو كنت أرسم لك صورة مختلفة؟ ماذا لو أردت أن أخبرك أن الذي حرق منزلك بشكل متعمد قد يكون أيضًا، في عالم موازٍ، هو البطل الأكثر احتمالًا الذي يتحدّى الأخشاب المشتعلة في مبنى متداعٍ ومتوهج ليبحث عن أحبائك ويسحبهم بعيدًا عن الخطر؟ أو أنّ الطّفل الذي يحمل سكينًا في الظل في الجزء الخلفي من قاعة السينما قد يستخدم أيضًا، في السنوات القادمة، ببراعة نوعًا مختلفًا من السكاكين في الجزء الخلفي من مسرح مختلف إلى حد ما؟

من المعترف به أنه من الصعب تصديق مثل هذه الادعاءات. لكنها صحيحة. إنّ الأشخاص السيكوباتيين لا يعرفون الخوف، وهم واثقون وجذابون، ولا يعرفون الرحمة، ويتمتعون بقدرة عالية على التركيز. وهم مع ذلك، على عكس الاعتقاد الشائع، لا يتّسمون بالعنف بالضرورة. وإذا كان هذا يبدو جيدًا، حسنًا، فهو كذلك. أو بالأحرى يمكن أن يكون كذلك. يعتمد الأمر، كما رأينا للتو، على الأشياء الأخرى التي قد تكمن على رفوف خزانة شخصيتك. بعيدًا عن أن تكون حالة من السهل التعرف عليها - إمّا أن تكون شخصًا سيكوباتيًا أو لا تكون كذلك - هناك، بدلًا من ذلك، مناطق داخلية وخارجية من الاضطراب، تشبه إلى حد ما مناطق المحطات على خريطة مترو الأنفاق. كما سوف نرى في الفصل الثاني، هناك طيف من الشخصية السيكوباتية حيث يوجد لكل منا مكان، مع وجود أقلية صغيرة فقط من المدرجين على الفئة أ في «أعماق المدينة الأكثر فقرًا وازدحامًا».

قد يكون الشخص الواحد، على سبيل المثال، باردًا تحت ضغط، ويكشف عن قدر

من التعاطف مثل الانهيار الجليدي (سوف نقابل مثل هذا الشخص في قاعة التداول في وقت لاحق)، ومع ذلك لا يتصرف في الوقت نفسه بعنف، ولا بشكل معادٍ للمجتمع، ولا دون ضمير. والشخص الذي يحقق درجات عالية في صفتين من الصفات السيكوباتية، يمكن اعتباره بحق على طول طيف الشخصية السيكوباتية أكثر من الشخص الذي يحقق درجات أقل في هاتين الصفتين، ومع ذلك يبقى بعيدًا عن منطقة الخطر التي يترنح فيها شخص يحرز درجات عالية في كل من هاتين الصفتين تحت تأثير الكيانتي.[35]

تمامًا كما أنه لا يوجد خط فاصل رسمي بين شخص يلعب الجولف الترفيهي في عطلات نهاية الأسبوع وتيجر ودز،[36] على سبيل المثال، هكذا يكون الحد الفاصل بين شخص سيكوباتي عالمي فائق المستوى «يصوّب في الحفرة من رمية واحدة» ومجرد شخص «يتسم ببعض السمات السيكوباتية» مشوش بالمثل. فكر في سمات الشخصية السيكوباتية على أنها الأقراص وأشرطة التمرير على وحدة الدمج في استوديو.[37] إذا دفعتها كلها إلى أقصى حد، فسوف يكون لديك مسار صوتي غير مفيد لأي شخص. ولكن إذا تم تدريج المسار الصّوتي وصارت بعض عناصر التحكم أعلى من غيرها - مثل عدم الخوف، والتركيز، وعدم التعاطف، والصلابة العقلية، على سبيل المثال - فقد يكون لديك جراحٌ يفوق الآخرين.

بالطبع، الجراحة ليست إلا مثالًا واحدًا حيث قد تبرهن «المواهب» السيكوباتية على أنها مفيدة. وهناك أمثلة أخرى. خذ مثلا تنفيذ القانون. عام 2009، بعد وقت قصير من نشر أنجيلا بوك نتائج دراستها، قررت أن أقوم بدراستي الخاصة في الموضوع. إذا كان الأشخاص السيكوباتيون، كما وجدت أنجيلا، أفضل حقًا في فك

---

(35) - الكيانتي Chianti: نبيذ أحمر جاف، تم إنتاجه أصلًا في توسكانا، إيطاليا (المترجم).

(36) - تيجر ودز Tiger Woods (1975 -): لاعب جولف أمريكي ويعتبر من أنجح لاعبي الجولف على الإطلاق (المترجم).

(37) - الأقراص dials وأشرطة التمرير sliders: تشبه الأقراص أشرطة التمرير، ولكن بينما تتحرك أشرطة التمرير على طول مسار مستقيم، تتحرك الأقراص في قوس أو مسار دائري. وحدة الدمج mixing desk: جهاز إلكتروني للدمج، يقوم بتوجيه أو تغيير المستوى و / أو النغمة و / أو ديناميكيات الإشارات الصوتية (المترجم).

شفرة الضعف، فيجب أن تكون هناك تطبيقات. كان يجب أن تكون هناك طرق يمنح فيها هذا الموهوب بعض المزايا بدلًا من أن يكون استنزافًا للمجتمع. انبثقت نقطة الاستنارة حين التقيت بصديق في المطار. فكّرت في أننا نشعر جميعًا ببعض جنون العظمة ونحن نمر خلال الجمارك، حتى حين نكون أبرياء تمامًا. لكن تخيل كيف كان يمكن أن يكون شعورنا إذا كان لدينا ما نخفيه.

شارك ثلاثون طالبًا جامعيًا في تجربتي، حقق نصفهم درجات عالية في مقياس التقرير الذاتي للشخصية السيكوباتية، وحقّق النصف الآخر درجات منخفضة. كان هناك أيضًا خمسة «مساعدين». كانت مهمة الطلاب سهلة. كان عليهم أن يجلسوا في فصل دراسي ويلاحظوا حركات المساعدين وهم يدخلون من باب ويخرجون من خلال باب آخر، ويجتازون، في الطريق، درجة صغيرة مرتفعة. ولكن كان هناك أمر آخر. كان على الطلاب أيضًا ملاحظة من «المذنب»: أيٌّ من المساعدين الخمسة كان يخفي منديلًا قرمزيًا.

لزيادة الرهانات وإعطاء الطلاب دافعًا للاستمرار، تم تسليم المساعد «المذنب» 100 جنيه إسترليني. إذا حددت هيئة المحلفين بشكل صحيح الشخص المذنب - إذا تم عد الأصوات، خرج الشخص الذي كان معه المنديل على القمة - يكون عليه أن يعيد النقود. من ناحية أخرى، إذا نجا بفعلته وسقطت إصبع الشك أكثر على شخص من بين الآخرين، عندها سوف يُكافأ المساعد «المذنب». سوف يحتفظ بالمائة جنيه إسترليني.

كانت الأعصاب متوترة بالتأكيد حين دخل المساعدون. ولكن أي من الطلاب سوف يجعل «ضباط الجمارك» أفضل؟ هل يمكن للغرائز المفترسة لدى الأشخاص السيكوباتيين أن تبرهن على أنها مصدر ثقة؟ أم أنّ قدرتهم على شم رائحة الضعف سوف تخذلهم؟

كانت النتائج استثنائية. اختار أكثر من 70 في المائة من أولئك الذين سجلوا

درجات عالية في مقياس التقرير الذاتي للسيكوباتية بشكل صحيح المساعد الذي يهرب بالمنديل، مقارنة بثلاثين في المائة فقط من أصحاب الدرجات المنخفضة.

قد يكون التصويب على الضعف جزءًا من مجموعة أدوات السفاح. ولكنه قد يكون مفيدًا أيضًا في المطار.

رادار السيكوباتي:

عام 2003، أجرى ريد ميلوي،[38] وهو بروفيسور في الطب النفسي بجامعة كاليفورنيا، سان دييجو، كلّية الطب، تجربة نظرت إلى الوجه الآخر من معادلة المنديل القرمزي. من المؤكد، أنّ الأشخاص السيكوباتيين التقليديين الذين يتمتعون بالقدرة على «التصويب في الحفرة من رمية واحدة» سمعتهم جيدة في القدرة على شمّ رائحة الضعف. لكنهم معروفون أيضًا بأنهم يزعجوننا. إنّ الحكايات من الممارسة الإكلينيكية والتقارير من الحياة اليومية زاخرة بأقوال أولئك الذين واجهوا هؤلاء المفترسين الاجتماعيين القساة: أقوال غامضة ومبهمة مثل «الشعر يقف على قفاي» أو «لقد جعل بشرتي تنمل». ولكن هل هناك أي شيء في ذلك حقًّا؟ هل تصمد غرائزنا أمام التدقيق؟ هل نحن بارعون في التعرف على الأشخاص السيكوباتيين مثل براعة الأشخاص السيكوباتيين في التعرّف علينا؟

لمعرفة ذلك، سأل «ريد ميلوي» 450 متخصّصًا في العدالة الجنائية والصحة النفسية عما إذا كانوا قد شعروا في أي وقت من الأوقات بردود أفعال جسدية غريبة من هذا القبيل عند إجراء مقابلة مع شخص سيكوباتي: مجرمون يتسمون بالعنف مع وجود جميع الأقراص على وحدة الدمج للبدء على الفور بأقصى حد. لم تترك النتائج شيئًا

---

(38) - ريد ميلوي Reid Meloy: أخصائي نفسي شرعي معتمد ومستشار في القضايا الجنائية والمدنية في جميع أنحاء الولايات المتحدة وأوروبا. وأستاذ للطب النفسي في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا، سان دييجو، وعضو هيئة التدريس في مركز سان دييغو للتحليل النفسي. وهو زميل الأكاديمية الأمريكية لعلوم الطب الشرعي والرئيس السابق للأكاديمية الأمريكية لعلم النفس الشرعي (المترجم).

للخيال. قال أكثر من ثلاثة أرباعهم إنهم وجدوا، مع ذكر أن نسبة حدوث هذه الظاهرة بين المستجيبات الإناث أعلى من نسبتها بين المستجيبين الذكور (84 في المائة مقارنة ب 71 في المائة)، ويفيد أطباء الماجستير / البكالوريوس عن وجود معدل أعلى من أولئك الذين حصلوا على شهادات في مستوى الدكتوراه أو، على الجانب الآخر من الفجوة المهنية، وكلاء إنفاذ القانون (84 في المائة، 78 في المائة، 61 في المائة على التوالي). وشملت الأمثلة «شعرت بأنني قد أهزم شر هزيمة»؛ والشعور «بالاشمئزاز... والنفور... والانبهار»؛ والشعور بأن «جوهر الشر يمر من خلالي».

لكن ما الذي نفهمه من هذا بالضبط؟

للإجابة على هذا السؤال، يعود ريد ميلوي في الوقت المناسب إلى عصور ما قبل التاريخ والإملاءات الطيفية الغامضة لتطور الإنسان. هناك عدد من النظريات حول كيفية نشأة الشخصية السيكوباتية لأول مرة، وسوف ننظر في هذه النظريات بعد ذلك بقليل. لكن السؤال الشامل في مخطط المسببات المرضية الرئيسية لمثل هذه الأمور ينبغي أن يكون من أي منظور وجودي ينبغي النظر إلى الحالة بالفعل: من وجهة نظر إكلينيكية، باعتبارها اضطرابًا في الشخصية؟ أو من وجهة نظر نظرية اللّعب، باعتبارها مناورة بيولوجية شرعية - استراتيجية لتاريخ الحياة تمنح مزايا إنجابية كبيرة في البيئة البدائية التي عاش فيها الأسلاف؟

يجادل كينت بيلي، وهو أستاذ فخري في علم النفس الإكلينيكي في جامعة الكومنولث في فيرجينيا،[39] لصالح هذا الرأي الأخير، ويدفع تلك النظرية القائلة بأن المنافسة العنيفة داخل المجموعات القريبة من الأسلاف وبينها كانت مقدمة تطورية رئيسية للشخصية السيكوباتية خطوة إلى الأمام (أو، كما يعبر عن الأمر، عقلية «الصقر المحارب»).

---

(39) - كينت بيلي (1938 -) Kent Bailey: عالم أمريكي من مواليد ولاية فرجينيا. جامعة الكومنولث في فيرجينيا Virginia Commonwealth University: أو جامعه فرجينيا كومونولث واختصارا VCU تعتبر من أكبر الجامعات الأمريكية العامة، تقع في مدينة ريتشموند في ولاية فيرجينيا الأمريكية (المترجم).

يقترح **كينت بيلي** أن «درجة ما من عنف الافتراس كانت مطلوبة في جوانب البحث عن حيوانات الصيد الكبيرة وقتلها» - ومن المفترض أن تكون مجموعة من النخبة من «الصقور المحاربين» الذين لا يعرفون الرحمة في مكان قريب ليس فقط لتتبع الفريسة وقتلها ولكن أيضا لصد الغزو الذي يمكن أن تقوم به وحدات مماثلة من الجماعات الأخرى المجاورة.

وكانت المشكلة، بطبيعة الحال، تكمن في كيفية الوثوق بهؤلاء الصقور المحاربين في وقت السلم.

ويدعم **روبن دنبار**،[40] وهو أستاذ الأنثروبولوجيا التطورية في جامعة أكسفورد، ادعاءات كينت بيلي. بالعودة إلى زمن النورسمن، بين القرنين التاسع والثاني عشر، استشهد روبن دنبار بالبيرسيركيين[41] باعتبارهم مثالًا على ذلك: محاربو الفايكنج الذين يبدو، كما تشهد على ذلك القصص الملحمية والقصائد والسجلات التاريخية، أنهم قاتلوا بوحشية، وبغضب يشبه الجنون. لكن التعمق أكثر في الأدب يكشف صورة أكثر شرًا: يكشف النخبة الخطرة التي يمكن أن تنقلب ضد أفراد المجتمع المكلفين بحمايته، وارتكاب أعمال عنف وحشية ضد أبناء وطنهم.

وهنا، كما يقترح **ريد ميلوي**، يكمن حل اللغز: الوخز في القفا والتفكير التطوري بعيد المدى الذي يكمن خلف **«رادار السيكوباتي»**. لأن مثل هؤلاء الأسلاف المفترسين، كما يجادل كينت بيلي، كانوا في الواقع أشخاصًا سيكوباتيين، وسوف يتبع ذلك، من خلال ما نعرفه عن الانتقاء الطبيعي، أنهم لن يكونوا شارعًا في اتجاه واحد. إن المزيد من الأعضاء المسالمين في كل من المجتمعات المباشرة والأوسع نطاقًا يطورون

---

(40) - روبن دنبار Robin Dunbar (1947 -): أستاذ أنثروبولوجيا بريطاني، ومتخصص في علم النفس التطوري (المترجم).

(41) - النورسمن Norsemen: مجموعة لغوية إثنية كانت تعيش في شمال ألمانيا في بدايات العصور الوسطى؛ خلال أواخر القرن الثامن، شرع النورسمن في التوسع على نطاق واسع في جميع الاتجاهات، مما أدى إلى ظهور عصر الفايكنج. البيرسيركيون berserkers: أو الهائجون هم مقاتلو النورسمن القدماء الذين كانوا يقاتلون بشكل جنوني (المترجم).

بأنفسهم، على الأرجح، آلية، تتمثل في تكنولوجيا المراقبة العصبية السرية، ترمز للخطر وتدل عليه حين يدخل إلى فضائهم المعرفي، وهو نظام إنذار مبكر سري يمكنهم من مغادرة المكان بسرعة لتفادي الخطر.

في ضوء عمل **أنجيلا بوك** مع ضحايا الهجمات وأبحاثي الخاصة في تهريب المنديل القرمزي، يمكن لهذه الآلية أن تفسر بشكل معقول الاختلافات بين الجنسين، وهي اختلافات كشفتها تجربة ريد ميلوي. بالنظر إلى السمعة المعززة للشخص السيكوباتي على أنه نادل شيطاني انفعالي، له أنف متخصص في شم رائحة الضعف المبهمة، فإنه ليس خارج حدود الاحتمال أن تظهر المرأة، عن طريق تعويض دارويني مستتر لضعف جسدي أكبر، ردود فعل أكثر كثافة بشكل أكثر تكرارًا في حضوره - كما كان يفعل، للسبب نفسه بالضبط، العاملون ذوو المستوى الأدنى في مجال الصحة النفسية. إنها بالتأكيد فرضية معقولة. كلما شعرْتَ بالتهديد أكثر، وكنت أكثر عرضة للاختراق، زادت أهمية تشديد الأمن.

بالطبع، كان هناك، دون أدنى شك، في غبش أيام أسلافنا، صيادون لا يعرفون الرحمة ولا الشفقة حققوا بوحشية إنجازات في مجال فنون الافتراس الوحشي. لكن هؤلاء الصيادين، بقدرتهم على نقد الطبيعة والتشكيك فيها، كانوا سيكوباتيين كما نعرف السيكوباتيين اليوم إلى حد ما وكانوا أكثر انفتاحًا على الشك. والتعاطف هو حجر العثرة، من الناحية التشخيصية.

في زمن الأسلاف، لم يكن الصيادون الأكثر إنتاجًا وإنجازًا، كما قد يتوقع المرء، هم الأكثر تعطشًا للدماء ولم يكونوا ممن لا يعرفون الكلل. على النقيض من ذلك، كانوا الأكثر هدوءًا وتعاطفًا. كانوا هم الذين تمكنوا من استيعاب عقلية الطريدة - الذين يرون من خلال أعين فريستهم وبالتالي يتنبؤون بشكل موثوق به بمهارتها، ومساراتها الفطرية للتهرب، وطرقها ومكائدها في الهروب.

لفهم السبب، يحتاج المرء فقط إلى مراقبة طفل صغير يتعلم المشي. التطور التدريجي

للحركة المستقيمة، والوقوف على قدمين بشكل متزايد، مما يبشر بحقبة جديدة تمامًا من التسوق المبكر لبضاعة ذات طابع إنساني بدائي ويسهلها. إن الوقفة الرأسية التي تسبق الحركة الانسيابية، الأكثر كفاءة، تمكن أسلافنا في السافانا الأفريقية من البحث عن الطعام والصيد لفترات أطول بكثير مما كانت تسمح به الحركة على أربع.

لكن «الصيد المستمر»، كما هو معروف في الأنثروبولوجيا، لديه مشاكل خاصة به. يمكن للحيوانات البرية والظباء أن تتفوق بسهولة على الإنسان. يمكن أن تتلاشى في الأفق. إذا كان بإمكانك التنبؤ بدقة بالمكان الذي قد تتوقف فيه في نهاية المطاف - إما من خلال البحث عن أدلة تركتها وراءها في رحلتها أو من خلال قراءة ما يدور في عقولها أو كليهما - يمكنك زيادة فرص بقائك بشكل ما على قيد الحياة.

لذا، إذا أظهر المفترسون تعاطفًا، وفي بعض الحالات عززوا التعاطف، فكيف يمكن أن يكونوا سيكوباتيين بالفعل؟ إذا كان هناك شيء واحد يتفق عليه معظم الناس، فهو أن الأشخاص السيكوباتيين يتميزون بغياب ملحوظ للشعور، ونقصًا فريدًا في فهم الآخرين. كيف نقوم بتربيع الدائرة؟[42] المساعدة متاحة في شكل علم الأعصاب الإدراكي، مع القليل من المساعدة من بعض الفلسفة الأخلاقية الشيطانية.

مشكلة الترولي[43]

لاحظ جوشوا جرين،[44] عالم النفس وعالم الأعصاب والفيلسوف في جامعة هارفارد، كيف يحل الأشخاص السيكوباتيون المعضلات الأخلاقية، وكيف تستجيب

(42) - تربيع الدائرة square the circle: إنشاء مربع له مساحة مساوية لمساحة دائرة معطاة باستخدام عدد منته من إنشاءات الفرجار والمسطرة. تمت برهنة استحالة هذا الإنشاء في عام 1882؛ والمعنى، بالطبع، كيف نفعل المستحيل (المترجم).

(43) - مشكلة الترولي أو الترولييولوجي Trolleyology: مجال فلسفي يتناول نوعًا من المعضلات الأخلاقية كما تجسده مشكلة الترولي. ومشكلة الترولي تجربة فكرية في علم الأخلاق طرحتها فيليبا فوت ويتم تناولها في الفقرات التالية (المترجم).

(44) - جوشوا جرين Joshua Greene: تهتم معظم أبحاث جوشوا وكتاباته بالأحكام الأخلاقية وصناعة القرار. وتركز أبحاثه الأخيرة على القضايا الأساسية في العلوم المعرفية (المترجم).

أدمغتهم داخل غرف ضغط[45] أخلاقية مختلفة. وقد عثر، كما وصفت في كتابي السابق، **الإقناع الخاطف**،[46] على شيء مثير للاهتمام. بعيدًا عن أن يكون مريض الفصام متسقًا مع نفسه ومتعاطفًا. هناك نوعان متميزان: ساخن وبارد.

لنتأمل على سبيل المثال اللغز التالي (**الحالة 1**)، الذي اقترحته في البداية الفيلسوفة **فيليبا فوت**:[47]

عربة قطار تسير على المسار. في طريقها خمسة أشخاص محاصرين على الخط ولا يمكنهم الهروب. لحسن الحظ، يمكنك قلب المفتاح الذي يحول العربة إلى تفريعة في المسار بعيدًا عن الأشخاص الخمسة - ولكن بثمن. هناك شخص آخر محاصر في تلك التفريعة، وسوف تقتله العربة بدلًا منهم. هل يجب أن تضغط على مفتاح التحويل؟

معظمنا لا يواجه صعوبة تذكر عند اتخاذ قرار بشأن ما يجب فعله في هذه الحالة. على الرغم من أن احتمال قلب المفتاح ليس لطيفًا تمامًا، فإن الخيار النفعي - قتل شخص واحد فقط بدلًا من قتل خمسة أشخاص - يمثل «الخيار الأقل سوءًا». صحيح؟

لننظر الآن في الاختلاف التالي *(الحالة 2)*، الذي اقترحته الفيلسوفة **جوديث جارفيس طومسون**:[48]

كما كان الحال في المثال السابق، تسير عربة القطار خارج نطاق السيطرة في مسار باتجاه خمسة أشخاص. ولكنك، هذه المرة، تقف خلف شخص غريب ضخم جدًّا على جسر للمشاة فوق القضبان. الطريقة الوحيدة لإنقاذ الأشخاص الخمسة هي أن تدفع

---

(45) - غرف ضغط compression chambers: جزء من محرك نفاث حيث يتم وضع الهواء تحت ضغط عال قبل إرساله إلى غرفة الاحتراق ليتم مزجه بالوقود وحرقه؛ والمقصود هنا بالطبع الضغوط الأخلاقية الشديدة (المترجم).

(46) - **الإقناع الخاطف** *Split-Second Persuasion*: صدر في 2010؛ وعنوانه الكامل **الإقناع الخاطف**: الفن القديم والعلم الحديث في تغيير العقول *Split-Second Persuasion*: The Ancient Art and New Science of Changing Minds (المترجم).

(47) - فيليبا فوت Philippa Foot (1920 - 2010): فيلسوفة إنجليزية من مؤسسي أخلاقيات الفضيلة المعاصرة، المستوحاة من أخلاقيات أرسطو (المترجم).

(48) - جوديث جارفيس طومسون Judith Jarvis Thomson (1929 -): فيلسوفة أخلاقية أمريكية (المترجم).

هذا الشخص الغريب الضخم. سوف يسقط ويتعرض لموت مؤكد. لكن حجمه الضخم سوف يعوق سير العربة، وينقذ خمسة أرواح. هل يجب أن تدفعه؟

هنا، يمكنك القول إننا نواجه «**معضلة حقيقية**». على الرغم من أن عدد الأرواح هو نفسه تمامًا كما في المثال الأول (خمسة إلى واحد)، إلا أن ممارسة اللعبة يجعلنا أكثر حذرًا وتوترًا. لكن لماذا؟ يعتقد جوشوا جرين أن لديه الجواب – وهو جواب يتعلق بالمناطق المناخية المختلفة في الدماغ.

يقترح أن **الحالة 1** هي ما يمكن أن نسميه **معضلة أخلاقية** غير شخصية. إنها تنطوي على تلك المناطق من الدماغ، القشرة الجبهية الأمامية- prefrontal cortex والقشرة الجدارية الخلفية- posterior parietal cortex (**على وجه الخصوص**، القشرة الحزامية الأمامية- anterior paracingulate cortex، القطب الصدغي- temporal pole والتلم الصدغي العلوي superior temporal sulcus)، المتورطة بشكل أساسي في تجربتنا الموضوعية عن «**التعاطف البارد**»: في المنطق والفكر العقلاني.

والحالة 2، من ناحية أخرى، هي ما يمكن أن نسميه معضلة أخلاقية شخصية. إنها تدق على باب مركز عاطفة الدماغ، المعروف باسم «لوزة الدماغ- amygdala»- دائرة التعاطف **الحار**.

تمامًا مثل معظم الأفراد العاديين من السكان، يقوم الأشخاص السيكوباتيون بعمل قصير جدًّا للمعضلة المقدمة في **الحالة 1**. يقلبون مفتاح التحويل، ويتفرع القطار وفقًا لذلك، مما يؤدي إلى مقتل شخص واحد فقط بدلًا من خمسة. ومع ذلك - وهذا هو الموضع الذي تتعقد فيه الحبكة – إنهم يقومون أيضًا، على عكس الأشخاص العاديين تمامًا، بعمل قصير جدًا في **الحالة 2**. إن الشخص السيكوباتي، من دون أن ترف له عين، يسعد تمامًا بدفع الشخص السمين على الجانب، إذا كانت هذه هي النتيجة التي يقبل بها الأمر بصرف النظر عن النتيجة.

ومما يزيد الأمور تعقيدًا أن هذا الاختلاف في السلوك ينعكس انعكاسًا واضحًا في

الدماغ. يتطابق نمط التنشيط العصبي في كل من الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص العاديين تطابقًا جيدًا في عرض المعضلات الأخلاقية غير الشخصية - ولكنه يختلف بشكل كبير حين تبدأ الأمور في إضفاء طابع شخصي أكبر قليلًا.

تخيل لو أدخلتك في جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي[49] ثم قدمت لك المعضلتين. ما الذي سوف ألاحظه وأنت تتفاوض حول حقول الألغام الأخلاقية المؤذية في المعضلتين؟ حسنًا، في الوقت الذي كانت تعبر فيه طبيعة المعضلة الحدود من غير الشخصي إلى الشخصي، كنت أرى لوزة الدماغ والدوائر الدماغية ذات الصلة - على سبيل المثال: قشرتك الجبهية المدارية الإنسية medial orbitofrontal cortex - تضيء مثل **آلة البنبول**.[50] وبعبارة أخرى، سأشهد اللحظة التي تضع فيها الانفعالات أموالها في الفتحة.

ولكنني ما كنت لأرى، في **دماغ شخص سيكوباتي، إلا الظلام فقط**. الكازينو العصبي الغائر سوف يغطي الأبواب والنوافذ بألواح الأمان ولا يبالي. ويحدث العبور من غير الشخصي إلى الشخصي دون أي أثر.

إن هذا التمييز بين **التعاطف الحار والبارد**، ونوع التعاطف الذي نشعر به عند ملاحظة الآخرين، والحساب الانفعالي الصلب الذي يسمح لنا بقياس ما قد يفكر فيه شخص آخر، ببرود وهدوء انفعالي، يجب أن يكون بمثابة موسيقى في أذن منظِّرين مثل **ريد ميلوي وكينت بيلي**. ومن المؤكد أن الأشخاص السيكوباتيين قد يكون لديهم نقص في النوع الأول، في النوع الحساس. ولكن حين يتعلق الأمر بالسلعة الأخيرة، النوع الذي يرمز إلى «**الفهم**» بدلًا من «**الشعور**»؛ النوع الذي يمكِّن المرء من التنبؤ المجرد الهادئ، على عكس التماثل الشخصي؛ النوع الذي يعتمد على المعالجة الرمزية

(49) - في التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي fMRI، يحيط مغناطيس عملاق برأس الشخص. تحفز التغييرات في اتجاه المجال المغناطيسي ذرات الهيدروجين في الدماغ لتنبعث إشارات الراديو. تزداد هذه الإشارات حين يرتفع مستوى الأكسجين في الدم، مما يشير إلى أجزاء الدماغ الأكثر نشاطًا (المؤلف).

(50) - آلة البنبول pinball machine: أو جهاز الكرة والدبابيس، جهاز ترفيهي تسجل فيه كرة مدفوعة بواسطة مكبس نقاطًا وهي تتدحرج على سطح مائل بين الدبابيس والأهداف (المترجم).

بدلًا من التعايش الوجداني – وهي مجموعة المهارات المعرفية التي يتمتع بها الصيادون ذوو الخبرة والقراء الباردون، ليس فقط في البيئة الطبيعية، ولكن في الساحة البشرية أيضًا – ومن ثم يكون الأشخاص السيكوباتيون في رابطة خاصة بهم. إنهم يطيرون حتى على محرك واحد للتعاطف بشكل أفضل مما يطيرون على محركين – وهو بالطبع أحد الأسباب التي تجعل منهم أشخاصًا مقنعين بهذا الشكل البارع. إذا كنت تعرف مكان الأزرار ولا تشعر بالحرارة عند الضغط عليها، تكون الفرص سانحة أمامك لتحقيق الفوز بالجائزة الكبرى.

من المؤكد أن الانقسام التعاطفي بمثابة موسيقى في أذني روبن دنبار، الذي، حين لا يقرأ عن البيرسيركيين، يمكن أن يوجد أحيانًا في الغرفة المشتركة للأساتذة في كلية المجدلية. بعد ظهر أحد الأيام، في أثناء تناول الشاي والكعك في كوة من خشب البلوط تطل على الأديرة، أحكي له عن عربات السكك الحديدية والفرق الذي تكشفه بين الوظيفة السيكوباتية ووظيفة الدماغ الطبيعي. ولا يندهش على الإطلاق.

ويشير إلى أن «الفايكنج كان مسموحًا لهم بالقيام بأشياء كثيرة جدًّا والذهاب إلى أماكن كثيرة في أيامهم. ومن المؤكد أن البيرسيركيين لم يفعلوا أي شيء لتبديد سمعتهم باعتبارهم شعبًا لا يجب العبث به. لكنها كانت وظيفتهم. كان دورهم أن يكونوا أكثر قسوة، وأن تكون دماؤهم أكثر برودة، وأن يكونوا أكثر وحشية من جندي الفايكنج العادي، لأن... هذا كان يمثل كينونتهم بالضبط! لقد كانوا أكثر قسوة، ودمهم أكثر برودة وأكثر وحشية من جندي الفايكنج العادي. إذا كنت قد وصلت أحد البيرسيركيين بجهاز من أجهزة تصوير الدماغ وقدمت له معضلة العربة، فأنا متأكد تمامًا من أنني أعرف النتيجة التي كان من الممكن أن تحصل عليها. إنها بالضبط النتيجة التي تحصل عليها وأنت تتعامل مع السيكوباتيين. لا يوجد شيء آخر. وسوف يكون الرجل البدين مجرد تاريخ!».

أدهن لي فطيرة[51] بالزبدة.

ويتابع: «أعتقد أن كل مجتمع يحتاج إلى أفراد معينين يحملون عن كاهله عبء القيام بأعماله القذرة. أشخاص لا يخشون اتخاذ قرارات صعبة. ويطرحون أسئلة غير مريحة. ويضعون أنفسهم على المحك. وفي كثير من الأحيان، لا يكون هؤلاء الأفراد بالضرورة، حسب الطبيعة الحقيقية للعمل الذي يُكلَّفون بالقيام به، من النوع الذي قد ترغب في أن تجلس معه لتناول الشاي بعد الظهر. هل ترغب في أن تتناول سندوتش من الخيار؟».

لم يستطع **دانيل بارتلز**[52] في جامعة كولومبيا **وديفيد بيزارو**[53] في جامعة كورنيل أن يوافقا على المزيد – ولديهما أدلة وثائقية تثبت ذلك. أظهرت الدراسات أن ما يقرب من 90 بالمائة من الناس سوف يرفضون دفع الغريب من فوق الجسر، على الرغم من أنهم يعلمون أنهم إذا تمكنوا من التغلب على حرجهم الأخلاقي الطبيعي، فسيكون عدد الجثث خمس العدد. وهذا، بطبيعة الحال، يترك 10 في المائة في عداد من لم يرفضوا: أقلية أقل صحة من الناحية الأخلاقية، حين يبدأ الدفع حرفيًا، لا يكون لديهم أي وخز ضمير أو يكون الوخز ضئيلًا بشأن وضع حياة شخص آخر في الاعتبار. **لكن مَنْ هي هذه الأقلية عديمة الضمير؟ من هم هؤلاء الذين يمثلون عشرة في المائة؟**

لمعرفة ذلك، عرض **دانيل بارتلز وديفيد بيزارو** «**مشكلة الترولي**» على أكثر من مائتي طالب، وطلبوا منهم أن يشيروا على مقياس من أربع نقاط إلى أي مدى يفضلون أن يدفعوا الشخص البدين من على الجسر – لقياس مدى «**النفعية**» لديهم.

---

(51) - فطيرة scone: نوع من الفطائر يتناوله الإنجليز مع الشاي ويدهن بالزبدة أو المربى (المترجم).

(52) - دانيل بارتلز Daniel Bartels: كان أستاذًا مساعدًا في جامعة كولومبيا من عام 2010 إلى عام 2013، وهو حاليًا بروفيسور التسويق في جامعة شيكاجو، واهتمامه الأساسي إصدار الأحكام، واتخاذ القرار، وعلم النفس الأخلاقي (المترجم).

(53) - ديفيد بيزارو David Pizarro: أستاذ مساعد في جامعة كورنيل، واهتمامه الأساسي بالأحكام الأخلاقية. ويهتم بشكل خاص بالحدس الأخلاقي (خاصة فيما يتعلق بالمسئولية الأخلاقية، وجواز أعمال معينة أو عدم جوازها)، وفي التحيزات التي تؤثر على الأحكام الأخلاقية (المترجم).

ثم، إلى جانب السؤال عن مشكلة الترولي، استجاب الطلاب أيضًا لسلسلة من العناصر الشخصية المصممة خصيصًا لقياس المستويات المتبقية من الشخصية السيكوباتية. وشملت هذه العناصر عبارات من قبيل «أحب أن أرى مشاجرات بالأيدي» و«أفضل طريقة للتعامل مع الناس هي إخبارهم بما يريدون سماعه» (أوافق / لا أوافق على مقياس من واحد إلى عشرة).

تساءل دانيل بارتلز وديفيد بيزارو: هل يمكن الربط بين البنائين – **الشخصية السيكوباتية والنفعية** -؟ وكان الجواب نعم مدوية. كشف تحليلهما عن وجود ارتباط كبير بين المقاربة النفعية لمشكلة العربة (دفع الرجل السمين من فوق الجسر) وأسلوب الشخصية السيكوباتية بشكل سائد. وهو، بقدر ما تنبأ **روبن دنبار**، أمر يتعلق بالمال إلى حد كبير – ولكنه، فيما يتعلق بالاعتماد التقليدي على النفعية، يمثل مشكلة إلى حد ما. فيما يتعلق بكل شيء، يُعتقد عمومًا أن **جيرمي بنثام وجون ستيوارت ميل**،[54] وهما فيلسوفان بريطانيان من القرن التاسع عشر يرجع إليهما الفضل في إضفاء الطابع الرسمي على **نظرية النفعية**، أنهما شخصان جيدان.

قال جيرمي بنثام ذات يوم مقولته الشهيرة: «**إن تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد هو أساس الأخلاق والتشريع**».

ومع ذلك، عليك أن تحفر أعمق بعض الشيء، وسوف تظهر صورة أكثر خداعًا وغرابة وضبابية – صورة لانتقائية لا تعرف الرحمة وامتدادات أخلاقية تتسم بالغدر. إن صياغة هذا التشريع، على سبيل المثال، استخراج هذه الأخلاق، سوف يستلزم حتمًا التعدي على مصالح شخص آخر. يجب على مجموعة ما، أو قضية ما، من خلال اليانصيب البسيط للأرقام، أن تتحمل لدغة الرصاص، أعني الصعاب والمخاطر، من

---

(54) - جيرمي بنثام Jeremy Bentham (1748 – 1832): كان فيلسوفًا ورجل قانون ومصلحًا اجتماعيًا إنجليزيًا ويعتبر مؤسس مذهب النفعية الحديثة؛ جون ستيوارت ميل John Stuart Mill (1806 – 1873): كان فيلسوفًا إنجليزيًا واقتصاديًا سياسيًا. ويعتبر من أكثر المفكرين تأثيرًا في تاريخ الليبرالية الكلاسيكية، وساهم على نطاق واسع في النظرية الاجتماعية والنظرية السياسية والاقتصاد السياسي، وتأثر بجيرمي بنثام.

أجل «الصالح العام». ولكن من لديه الجرأة لشد الزناد؟ ربما وجدَ **دانيل بارتلز وديفيد بيزارو** نمطًا من هذا القبيل في المختبر. ولكن ماذا عن وجوده في الحياة اليومية؟ هل هذا هو المكان الذي يحقق فيه الشخص السيكوباتي نجاحًا بارزًا؟

الجانب المظلم للهبوط على سطح القمر:

من المؤكد أن مسألة ما يلزم للنجاح في مهنة معينة، لتسليم البضائع وإنجاز المهمة، ليست مسألة بالغة الصعوبة. إلى جانب مجموعة المهارات الخاصة اللازمة لأداء واجبات معينة، هناك، في القانون، في مجال الأعمال، في أي مجال من مجالات العمل التي يمكن أن تتذكرها، مجموعة مختارة من السمات التي تقف وراء تحقيق إنجاز كبير.

عام 2005، أجرت **بليندا بورد وكاترينا فريتزون** من جامعة سري[55] **دراسة استقصائية لمعرفة ما الذي حفز قادة الأعمال.** وكانتا تسعيان إلى أن تعرفا الجوانب الرئيسية للشخصية التي تفصل أولئك الذين يستديرون إلى اليسار عند ركوب الطائرة عن أولئك الذين يستديرون إلى اليمين؟

تناولت كل من **بليندا بورد وكاترينا** فريتزون ثلاث مجموعات - مديري الأعمال والمرضى النفسيين والمجرمين المحجوزين في المستشفيات (أولئك الذين كانوا أشخاصًا سيكوباتيين والذين كانوا يعانون من أمراض نفسية أخرى) - وقارنتا مدى نجاحهم في اختبار «**التنميط النفسي**».[56]

كشف التحليل الذي قامتا به أن عددًا من السمات السيكوباتية كانت في الواقع أكثر شيوعًا في قادة الأعمال مما كانت عليه فيما يسمى بالمجرمين المضطربين نفسيًا - سمات مثل الفتنة السطحية، والأنانية، والقدرة على الإقناع، وانعدام التعاطف، والاستقلالية، والتركيز - وأن الفرق الرئيسي بين المجموعات كان أكثر في الجوانب

---

(55) - بليندا بورد Belinda Board: أستاذة في علم النفس في جامعة سري Surrey وهي جامعة بريطانية في مدينة سري جنوب لندن. كاترينا فريتزون Katarina Fritzon: باحثة بريطانية متخصصة في علم النفس الإكلينيكي والشرعي (المترجم).

(56) - اختبار التنميط النفسي psychological profiling test: اختبار لتحليل الخصائص النفسية والسلوكية للشخص، وذلك لتقييم قدراته في مجال معين أو للمساعدة في تحديد مجموعة فرعية معينة من الأشخاص (المترجم).

«**المضادة للمجتمع**» من المتلازمة: كان مستوى انتهاك المجرمين للقانون، والعدوان الجسدي، وتشغيل أقراص الاندفاع (بالعودة إلى التشابه الذي ذكرناه من قبل).

يبدو أن هناك دراسات أخرى تؤكد صورة «وحدة الدمج»: لا يعتمد الحد الفاصل بين السيكوباتية الوظيفية وتلك التي تتسم بالخلل الوظيفي على وجود السمات السيكوباتية بحد ذاتها، بل على مستوياتها والطريقة التي تتحد بها. أظهر **محمد محمود** وزملاؤه في جامعة ماكواري[57] مؤخرًا أن أنماط الخلل في الدماغ (على وجه التحديد، فيما يتعلق بالقشرة الأمامية المدارية- orbital frontal cortex، وهي منطقة في الدماغ مهمتها تنظيم إدخال الانفعالات في صنع القرار) التي تلاحظ في كل من الأشخاص السيكوباتيين المجرمين والسيكوباتيين غير المجرمين تظهر اختلافات تتعلق بالأبعاد بدلًا من اختلافات تتعلق بالتمييز بين المجموعتين. يقترح الدكتور **محمد محمود** أن هذا يعني أنه لا ينبغي النظر إلى المجموعتين على أنهما تضمان أناسًا متميزين تميزًا نوعيًا، بل على أنهم يحتلون مواقع مختلفة في نفس السلسلة العصبية السيكولوجية.

وفي سياق مماثل (وإن كانت التقنية أقل تطورًا إلى حد ما)، طلبْتُ من فئة من الطلاب الجامعيين في السنة الأولى أن يتخيلوا أنهم مديرون في شركة توظيف. قلت لهم «لنفترض أن هناك شخصًا لا يعرف الرحمة، ولا يعرف الخوف، وفاتنًا، وغير أخلاقي، ويتمتع بالقدرة على التركيز. ولنفترض أن لديك عميلًا يتمتع بهذا النوع من السمات. أي نوع من العمل تعتقد أنه قد يكون مناسبًا له؟».

كانت إجاباتهم، كما سوف نرى لاحقًا في الكتاب، ثاقبة إلى أقصى حد. برز الرئيس التنفيذي والجاسوس والجراح والسياسي والعسكري... برزوا جميعًا في هذا المزيج. جنبًا إلى جنب مع السفاح والمغتال وسارق البنوك.

قال لي أحد المديرين التنفيذيين الناجحين: «**إنّ القدرة الفكرية بمفردها مجرد طريقة**

---

(57) - محمد محمود: محاضر أول في قسم علم النفس، حصل على الدكتوراه في 2008 من جامعة ماكواري Macquarie وهي جامعة في أستراليا تأسست سنة 1924 (المترجم).

أنيقة للوصول إلى المركز الثاني. تذكر أنهم لا يسمون العمود الدهني[58] **بهذا الاسم من فراغ. إن الطريق إلى القمة صعب. ولكن من الأسهل التسلق إذا صعدت على أكتاف الآخرين. ويكون أكثر سهولة إذا اعتقدوا أن فيها شيئًا ما من أجلهم**».

يوافق **جون مولتون**،[59] أحد أنجح الرأسماليين المغامرين في لندن، على ذلك. في مقابلة نشرت مؤخرًا مع صحيفة فايننشال تايمز، حيث يسرد قائمة بالعزم والفضول وانعدام الحساسية على أنها أكثر سمات الشخصية قيمة.

من السهل جدًّا تخمين ما يجعل العزم والفضول في المرتبة الأولى. لكن ماذا عن انعدام الحساسية؟ يوضح مولتون: «**إن الشيء الرائع في انعدام الحساسية هو أنه يتيح لك النوم حين لا يستطيع الآخرون النوم**».

إذا كانت فكرة أن الصفات السيكوباتية تمد لك يد العون في العمل الحر لا تأتي باعتبارها مفاجأة كبيرة جدًّا، فماذا عن الفضاء؟ أنا متأكد من أن إطلاق الأشخاص السيكوباتيين في أعماق الكون، نظرًا لسمعتهم الأرضية، لا يبعث على الثقة بشكل خاص - وقد تعتقد أن الصفات السيكوباتية قد لا تكون في المقام الأول من بين المعايير الحصرية لوكالة ناسا لاختيار رواد الفضاء. لكن هناك قصة سمعتها ذات يوم تقدم توضيحًا بيانيًّا يوضح كيف يمكن أن يمنح علم أعصاب «**الأعضاء المحفوظة- Refrigerated Neurology**» الذي اتضح في الفحوصات التي أجراها **روبرت هير** على الدماغ، في حالات معينة، فوائد حقيقية؛ كيف يمكن للتركيز الذي يشبه تركيز الزواحف والانفصال التام لجراح الأعصاب جيمس جيرتي في بعض الأحيان أن يرمز إلى العظمة ليس فقط في غرفة الاجتماعات، وقاعة المحكمة، وغرفة العمليات، ولكن

---

(58) - العمود الدهني greasy pole: عمود مغطى بمادة زيتية لجعل تسلقه أكثر صعوبة ويستخدم بشكل خاص كشكل من أشكال الزينة.

(59) - جون مولتون Jon Moulton (1950 -): رجل أعمال رأسمالي بريطاني مغامر، المؤسس والشريك الإداري لشركة الأسهم الخاصة Better Capital، والشريك الإداري السابق لشركة الأسهم الخاصة Alchemy Partners. بالإضافة إلى أنه مدير للعديد من الشركات العامة والخاصة. جون يكتب ويذيع ويتحدث بانتظام عن تمويل الشركات والمسائل المالية (المترجم).

في عالم آخر يختلف اختلافًا تامًّا.

وتُروَى القصة على النحو التالي: في 20 يوليو 1969، بينما كان نيل أرمسترونج وشريكه باز ألدرين[60] يتجهان عبر المشهد القمري بحثًا عن مكان لوضع الوحدة الخاصة بهما، وقد كانا على وشك ثوان من الهبوط. وكانت المشكلة تكمن في الجيولوجيا. كانت التضاريس متنوعة للغاية. والوقود قليل جدًّا. وكانت الصخور الضخمة والصغيرة تنتشر في كل مكان، مما يجعل من المستحيل اتباع نهج آمن. مسح ألدرين جبينه. وبإحدى عينيه نظر على مقياس الغاز وبالعين الأخرى على التضاريس، وجه لأرمسترونج إنذارًا صارخًا: أنزل هذا الشيء - وبسرعة!

ذومع ذلك، كان أرمسترونج أكثر برودًا بالتأكيد. ربما - من يدري؟ - لم يكن لديه وقت قط لسائقي المقعد الخلفي[61] القلقين. ولكن مع مرور الوقت، ونفاد الوقود، واحتمال الموت بسبب الجاذبية، وهو احتمال يتزايد باستمرار، توصل ببرود إلى خطة اللعبة. وأصدر تعليماته، كان على ألدرين أن يحول كمية الوقود المتبقية إلى ثوانٍ، وأن يبدأ العد التنازلي. بصوت مرتفع.

وقد فعل ألدرين ما طلب منه. سبعون... ستون... خمسون...

وبينما كان يحسب، قام أرمسترونج بالتدقيق في تضاريس القمر الصعبة.

أربعون... ثلاثون... عشرون...

وكان المشهد الطبيعي لا يزال يرفض أن يقدم لهما أي شيء.

ثم، ولم يتبق سوى عشر ثوانٍ فقط، اكتشف أرمسترونج فرصته: واحة فضية من العدم أسفل الأفق. فجأة، وبشكل غير محسوس، مثل حيوان مفترس يقترب من فريسته، ضيق دماغه مجال تركيزه. كما لو كان في جولة تمرين، قام بمناورة بالمركبة

(60) - باز ألدرين Buzz Aldrin (1930 -): رائد فضاء أمريكي وطيار سابق، كان هو وقائد المهمة نيل أرمسترونج أول شخصين يهبطان على القمر (المترجم).

(61) - سائق المقعد الخلفي backseat driver: الراكب الذي يجلس في المقعد الخلفي للسيارة ويزعج السائق بتوجيهاته (المترجم).

الفضائية ببراعة نحو منطقة الهبوط ونفذ، في المنطقة الخالية الوحيدة لأميال، الهبوط المثالي كما تنص عليه الكتب الدراسية. كانت قفزة عملاقة للبشرية. ولكنه كانت قريبة جدًّا من أن تكون فشلًا عالميًّا هائلًا.

خبراء التخلص من القنابل – ما الذي يحفزهم؟

هذه الحكاية الاستثنائية عن اللامبالاة التي لا تصدق بين الكواكب تجسد الحياة على آفاق الاحتمال، حيث توجد حدود مشتركة بين **الانتصار والكارثة**، وهي حدود متوترة وهشة، وحركة المرور عبر الحدود بين الانتصار والكارثة تتدفق بحرية. ومع ذلك، في هذه المرة، تم إغلاق الطريق إلى الكارثة وتفاديها. إن برود أعصاب نيل أرمسترونج تحت النار أنقذ مأثرة من أعظم المآثر على الإطلاق في تاريخ الإنجاز البشري من كارثة عالمية.

ولكن كان هناك المزيد. وكشفت التقارير لاحقًا أن معدل ضربات قلبه لم يرتفع أدنى ارتفاع. وكأنه كان من المحتمل أن ينجح أرمسترونج في الحصول على محطة بنزين والسفينة الفضائية على القمر. هل توجد مثل هذه السلالة الغريبة من عبقرية القلب والأوعية الدموية؟ لكن العلم يوحي بأنها لا توجد.

بالعودة إلى ثمانينيات القرن العشرين، وجد **ستانلي ركمان**،[62] وهو باحث في جامعة هارفارد، شيئًا مشابهًا مع العاملين في مجال التخلص من القنابل. أراد ركمان أن يعرف ما يفصل الرجال ذوي الخبرة عن الأولاد المغمورين في هذه المهنة عالية الخطورة التي تشبه السير على حبال مشدودة؟ جميع العاملين في مجال التخلص من القنابل جيدون. وإلا لكانوا قد ماتوا. ولكن ما الذي كان يتمتع به النجوم ولا يتمتع به من هم أقل نجومية؟

---

(62) - ستانلي ركمان Stanley Rachman (1934 -): طبيب نفسي وأستاذ فخري في قسم علم النفس بجامعة كولومبيا البريطانية في فانكوفر، كولومبيا البريطانية، كندا (المترجم).

لمعرفة ذلك، أخذ ستانلي ركمان مجموعة من العاملين ذوي الخبرة في مجال التخلص من القنابل - أولئك الذين لديهم عشر سنوات أو أكثر في هذا العمل - وقسمهم إلى مجموعتين: أولئك الذين منحوا أوسمة لعملهم، والذين لم يمنحوا. ثم قارن معدل ضربات قلوبهم في الميدان في المهام التي تتطلب مستويات تركيز عالية جدًّا.

ما اكتشفه ستانلي ركمان كان مذهلًا. في حين أن معدل ضربات قلوب جميع العاملين ظل ثابتًا، حدث شيء لا يصدق تمامًا مع أولئك الذين منحوا أوسمة. حدث انخفاض في معدل ضربات قلوبهم بالفعل. بمجرد دخولهم منطقة الخطر (أو «منصة الإطلاق»، كما عبر رجل تحدثْتُ معه)، افترضوا حالة من التركيز التأملي البارد: مستوى إثارة الوعي الذي أصبحوا فيه متحدين مع الجهاز الذي كانوا يعملون عليه.

وبحث ستانلي ركمان تحليل المتابعة بشكل أعمق وكشف عن سبب التفاوت: **الثقة**. فقد حصل العاملون الذين منحوا أوسمة على درجات في اختبارات الإيمان الجوهري بالذات أعلى من تلك التي حصل عليها زملاؤهم الذين لم يمنحوا أوسمة.

كان الاقتناع هو الدافع الذي حفزهم.

يعرف ستانلي ركمان كل شيء عن علم **أعصاب السيكوباتي** الذي لا يعرف الخوف والبارد كالجليد. ومن المؤكد أن النتائج التي توصل إليها كانت مدوية. لدرجة أنه طرح السؤال بنفسه: **هل يجب أن نراقب عن كثب العاملين في مجال التخلص من القنابل في بلادنا؟** يبدو استنتاجه شديد الوضوح، حيث يذكر: «العاملون الذين حصلوا على جوائز عن التصرف بشجاعة / أولئك الذين لا يعرفون الخوف، لم تكن لديهم تشوهات نفسية أو يسلكون سلوكًا معاديًا للمجتمع». وعلى النقيض من ذلك، يشير إلى أن «معظم الأوصاف السيكوباتية تشمل صفات مثل '**انعدام المسؤولية**' و '**التهور**' - وهما صفتان لم تتلاءما، في تجربته، مع أيٍّ من الحالات التي قام بدراساتها.

ومع ذلك، في ضوء المسح الذي أجرته بليندا بورد وكاترينا فريتزون عام 2005 - المسح الذي أظهر، إذا كنت تتذكر، أن عددًا من السمات السيكوباتية بين قادة رجال

الأعمال أكثر انتشارًا من انتشاره بين السيكوباتيين المجرمين الذي تم تشخيصهم – تتهرب تعليقات ستانلي ركمان من السؤال عما نعنيه، على وجه التحديد، حين نستخدم كلمة «سيكوباتي». ليس كل السيكوباتيين غير مستأنسين تمامًا، وليسوا جميعًا متوحشين اجتماعيًا، كما قد يجعلنا نعتقد. وفي الواقع، إن التأثير البارز لدراسة بورد وفريتزون هو الإيحاء بأن هذا الجناح «المعادي للمجتمع» من هذا الاضطراب على وجه التحديد، وهو الجناح الذي يتكون من عنصري الاندفاع وعدم المسئولية، إما أن «يبني» السيكوباتيين «أو يكسرهم» – السيكوباتيين الذي يرمز لهم، اعتمادًا على مدى الارتفاع، الذي يصل إليه تشغيل هذه الأقراص الشخصية، سواء في الخلل الوظيفي أو النجاح.

لوضع مفتاح منهجي آخر في الأعمال، اتضح أن العاملين في مجال التخلص من القنابل ليسوا الوحيدين الذين يحدث لهم انخفاض في معدل ضربات القلب حين يبدأون في العمل. وقد لاحظ خبيرا العلاقات نيل جاكوبسون وجون جوتمان، وهما مؤلفا الكتاب الشهير **حين يضرب الرجال النساء**،[63] صورًا للقلب والأوعية الدموية متطابقة في أنواع معينة من المسيئين– **Abusers**، الذين أظهرت الأبحاث أنهم أصبحوا في الواقع أكثر استرخاء عند ضرب الشريك مما كانوا عليه وهم يجلسون في استرخاء على كرسي وثير وأعينهم مغلقة.

يشير نيل جاكوبسون وجون جوتمان في التصنيف الذي قدماه للمسيئين، وهو تصنيف يتم الاستشهاد به على نطاق واسع، إلى الأفراد الذين يظهرون بهذه الصورة باسم «أفاعي الكوبرا». وأفاعي الكوبرا، على عكس نظرائهم في المجموعات المقابلة

---

(63) - نيل جاكوبسون Neil Jacobson (1949 - 1999): كاتب أمريكي متخصص في علم النفس؛ جون جوتمان John Gottman (1942 -): أستاذ فخري في علم النفس وطبيب أمريكي، تركز أعماله على مدى أربعة عقود حول التنبؤ بالطلاق والاستقرار الزوجي؛ **حين يضرب الرجال النساء** *When Men Batter Women*: كتاب صدرت طبعته الأولى في عام 1998 (المترجم).

لهم، أي «كلاب البيتبول»،[64] تهاجم بسرعة وشراسة، وتبقى مسيطرة. إنها تمتلك إحساسًا بالاستحقاق يتسم بالعظمة في كل ما تشعر بأنها ترغب فيه، كلما شعرت به. بالإضافة إلى ذلك، كما يوحي اسمهم، يصبحون هادئين ومركزين قبل شن هجوم. وكلاب البيتبول، من ناحية أخرى، أكثر تقلبًا انفعاليًّا وأكثر عرضة لترك الأمور تتفاقم - ثم تفقد السيطرة على الأمور. المزيد من المقارنات بين هاتين المجموعتين تجعل القراءة مثيرة:

أفعى الكوبرا	كلب البيتبول
يظهر العنف تجاه الآخرين[65]	يكون عادة عنيفًا تجاه الشريك
يشعر بقدر ضئيل من الندم	يظهر مستوى ما من الشعور بالذنب
تحفزه الرغبة في الإشباع الفوري	يحفزه الخوف من الهجر
يقدر على نسيان ما حدث ويمضي قدمًا	حذر؛ يطارد الضحية خلسة في معظم الأحيان
يشعر بالتفوق على الآخرين	يتبنى دور «الضحية»
يحتال؛ يكذب على السلطات	يتقلب انفعاليًّا بشكل أكبر
فاتن وصاحب كاريزما	مكتئب وانطوائي
التحكم بالنسبة إليه يعني عدم البوح بما يجب فعله	التحكم بالنسبة إليه يعني المراقبة المستمرة للرفيق
تنشئة صادمة؛ العنف سائد في الأسرة	درجة ما من العنف في الخلفية العائلية
لا يسمح بالتدخل العلاجي	يستفيد من برامج العلاج أحيانًا

الجدول 1-1: *الاختلافات بين أفاعي الكوبرا وكلاب البيتبول*

قد ينحدر عدم الخوف المدمر من الشجاعة، كما يقترح ستانلي ركمان في حديثه عن التخلص من القنابل. قد يكتسب على أنه عادة بشكل جيد من خلال التعرض المتكرر

(64) - كلاب البيتبول Pit Bulls: نوع هجين من الكلاب الأمريكية مشهور ببنائه العضلي ويرتبط بالوحشية غالبًا (المترجم).

(65) - أستخدم صيغة المذكر لأن المقصود هو الشخص الذي بمثابة أفعى الكوبرا، وليس الأفعى نفسها (المترجم).

للخطر. ولكن هناك بعض الأفراد الذين يدعون أنه حق أصيل لهم بالميلاد، وأن بنيتهم البيولوجية الأساسية تختلف اختلافًا جوهريًّا عن بقية الناس بحيث تظل، سواء عن وعي أو غير وعي، لا تسمح تمامًا بنفاذ حتى أصغر أثر لمولدات مضادات Antigens القلق. أعرف ذلك، لأنني اختبرتهم.

رائحة الخوف:

إذا كنت قد شعرت في أي وقت من الأوقات بالهلع من اضطراب في الرحلات الجوية، أو شعرْتَ بعدم الارتياح بعض الشيء حين توقف القطار في نفق، أو شعرت ببساطة بهذا الشعور بالرعب الذي لا يمكن تحديده بأن «شيئًا ما ليس على ما يرام تمامًا»، ربما كنت تستجيب للمخاوف من حولك بقدر ما تستجيب لأي شيء آخر. عام 2009، **جمعت ليليان موخيكا بارودي**،[66] المتخصصة في علم الأعصاب المعرفي في جامعة ستوني بروك في نيويورك، العرق من تحت إبطي الذين يقفزون بالمظلات لأول مرة في أثناء اندفاعهم نحو الأرض بسرعة فائقة. حين عادت إلى المعمل، قامت بعد ذلك بنقل العرق - من حفاضات قطنية ماصة مثبتة بشكل جيد تحت أذرع المتطوعين - بالإضافة إلى عينات من العرق الروتيني العادي نتيجة «الخوف المعتاد» على جهاز المشي في صندوق البخاخات المدَّرج بشكل خاص، ومرت به تحت أنوف مجموعة ثانية من المتطوعين في أثناء جلوسهم في جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي - fMRI Scanner.

ماذا تخمن؟ على الرغم من أن أيا من المتطوعين لم يكن لديه أي فكرة عما يستنشق، إلا أن أولئك الذين تعرضوا لعرق الخوف أظهروا نشاطًا أكبر بكثير في المناطق المعنية بمعالجة الخوف في أدمغتهم (لوزة الدماغ وتحت المهاد)[67] من أولئك الذين شموا

---

(66) - ليليان موخيكا بارودي Lilianne Mujica-Parodi: مديرة مختبر التشخيص العصبي بالكمبيوتر، يركز أبحاثها على تطبيق هندسة أنظمة التحكم والأنظمة الديناميكية على السلاسل الزمنية لتصوير الجهاز العصبي للإنسان، التصوير بالرنين المغناطيس الوظيفي، على سبل المثال، مع استخدام التطبيقات في تشخيص الاضطرابات العصبية والنفسية (المترجم).

(67) - تحت المهاد hypothalamus: مركز تحكم عصبي في قاعدة الدماغ، يعنى بالجوع والعطش والشبع والوظائف اللاإرادية الأخرى (المترجم).

عرق التمرين. بالإضافة إلى ذلك، في مهمة التعرف على الانفعال، كان المتطوعون الذين استنشقوا عرق الخوف أكثر دقة بنسبة 43 في المائة في الحكم على ما إذا كان الوجه يحمل تعبيرًا مهدِّدًا أو محايدًا من أولئك الذين استنشقوا عرق التمرين.

وكل هذا يثير سؤالًا مهمًّا إلى حد ما: هل يمكن أن «تنتقل إلينا عدوى» الخوف بالطريقة نفسها التي تنتقل بها إلينا نزلة البرد؟ يبدو من المؤكد أن موخيكا بارودي وفريقها يعتقدون ذلك. وفي ضوء النتائج التي توصلوا إليها، يلمِّحون إلى احتمال أنه «قد يكون هناك مكون بيولوجي خفي للديناميات الاجتماعية البشرية، حيث يكون الضغط الانفعالي«معديًا»».

وهذا يثير بالطبع سؤالًا أكثر أهمية: ماذا عن المناعة؟ هل بعضنا أكثر عرضة للإصابة بجرثومة الخوف من الآخرين؟ هل لدى بعضنا «أنف» يشم الخوف؟

لمعرفة ذلك، أجريْتُ دراسة شبيهة بدراسة موخيكا بارودي. أولًا، عرضْتُ على مجموعة من المتطوعين فيلمًا من أفلام الرعب (كانديمان)[68] وكانت هناك مجموعة ثانية على جهاز المشي. بعد ذلك، جمعت عرق أفراد المجموعتين. ثالثًا، قمت بتعبئته (إذا جاز التعبير)، أخيرًا، وقمت برشه في أنوف مجموعة ثانية من المتطوعين في أثناء لعبهم لعبة تشبه لعبة من ألعاب القمار.

كانت اللعبة قيد البحث **مهمة كمبردج جامبل**- Cambridge Gamble Task، وهي اختبار على الكمبيوتر لاتخاذ القرار في ظل الخطر. يتضمن الاختبار سلسلة من التجارب يتم فيها تقديم مجموعة من عشرة صناديق (إما حمراء اللون أو زرقاء اللون) للمشاركين وينبغي عليهم أن يخمنوا، في كل تجربة، أي من هذه الصناديق يخبأ فيه رمز أصفر. تختلف نسبة الصناديق الملونة من محاولة إلى أخرى (على سبيل المثال، ستة

---

(68) - **كانديمان** *Candyman*: فيلم رعب أمريكي، عرض أول مرة في عام 1992. من إخراج برنارد روز وبطولة فيرجينيا مادسن وتوني تود. والفيلم عن قصة قصيرة بعنوان "المحظور The Forbidden" للكاتب الإنجليزي كليف باركر Clive Barker (1952 -)، وهو عن طالبة دراسات عليا من شيكاجو كانت تكمل أطروحة حول الأساطير قادتها إلى أسطورة "كانديمان"، شبح فنان وابن عبد قُتل في أواخر القرن التاسع عشر (المترجم).

صناديق باللون الأحمر وأربعة باللون الزرق؛ صندوق باللون الأزرق وتسعة صناديق باللون الحمر)، ويبدأ المشاركون بإجمالي 100 نقطة – وينبغي أن يراهنوا على نسبة ثابتة من هذه النقاط (5 أو 25 أو 50 أو 75 أو أو 95 في المائة) في النتيجة من المحاولة الأولى. وما يحدث بعد ذلك يتوقف على النتيجة. اعتمادًا على ما إن كانوا قد فازوا أو خسروا، إما أن يضاف المبلغ الذي يتم الرهان عليه أو يطرح من حسابهم الأولي، ويتم تكرار البروتوكول، مع الإجمالي المتداول،[69] في جميع المحاولات اللاحقة. وترتبط الرهانات الأعلى بمخاطر أعلى.

إذا كانت نظرية موخيكا بارودي تحمل أي معقولية، فإن التنبؤ كان واضحًا جدًّا. المتطوعون الذين استنشقوا العرق الناتج في أثناء مشاهدة فيلم كانديمان سوف يمارسون قدرًا أكبر من الحذر ويقامرون بشكل أكثر تحفظًا من أولئك الذين استنشقوا العرق الناتج عن السير على جهاز المشي.

ولكن كانت هناك عدوى. كان نصف المتطوعين من السيكوباتيين. هل يكون الأشخاص السيكوباتيون، نظرًا لبرودهم تحت الضغط، محصنين ضد توتر الآخرين؟ مثل الصيادين ذوي الخبرة ومقتفي الأثر، هل يمكن أن يكونوا مفرطين في الحذر من الإشارات البصرية إلى الهشاشة - كما اكتشفت أنجيلا بوك – لكنهم مع ذلك محصنون كيميائيًّا ضد الإشارات المتعلقة بالشم؟

لا يمكن أن تكون نتائج التجربة أكثر وضوحًا مما كانت. تمامًا كما تنبأت نتائج موخيكا بارودي، لعب المتطوعون غير السيكوباتيين بحذر شديد جدًّا عند تعرضهم للعرق الناتج عن الخوف، مع الرهان على نسب أقل للنتائج. لكن المتطوعين السيكوباتيين ظلوا غير منزعجين. لم يقتصر الأمر على أنهم كانوا أكثر جرأة في البداية فقط، بل كانوا أكثر جرأة في النهاية أيضًا، واستمروا في المخاطرة حتى حين كانوا

---

(69) - الإجمالي المتداول rolling total: أو الإجمالي الجاري، ملخص لتسلسل الأرقام الذي يتم تحديثه في كل مرة يتم فيها إضافة رقم جديد إلى التسلسل، وذلك بإضافة قيمة الرقم الجديد إلى الإجمالي السابق (المترجم).

مفعمين «بالخوف». وبدا أن أجهزتهم المناعية العصبية تقضي على الفور على «الفيروس»، وتبنوا سياسة عدم التسامح مطلقًا مع القلق، بينما يسمح بقية الناس له بالانتشار.

سيف بحدين:

بإلقاء نظرة في أثناء المرور عبر واجهة متجر، أو على الأرجح، في هذه الأيام، على أمازون، قد يبدو كتاب «**حكمة السيكوباتيين**» خليطًا غريبًا من الكلمات تظهر على الغلاف الأمامي لكتاب. ربما يكون لافتًا للنظر. لكنه غريب بكل تأكيد. إن التجاور المتنافر بشكل صارخ بين هاتين الوحدتين الوجوديتين المتراصتين، بين «الحكمة» و«السيكوباتيين»، يرسب، كما قد يعتقد المرء، تسوية دلالية ضئيلة، ضئيلة في طريق الحوار البناء الهادف حول طاولة المفاوضات العلمية التي تحقق نتائج منطقية.

ومع ذلك، فإن الفرضية الجوهرية القائلة بأن الأشخاص السيكوباتيين يمتلكون الحكمة فرضية جادة. لا، ربما لا تكون الحكمة بالمعنى التقليدي لتلك الكلمة: الحكمة باعتبارها خاصية تنشأ مع التقدم في العمر نتيجة لتراكم خبرات الحياة. لكنها الحكمة باعتبارها وظيفة فطرية، لا يمكن التعبير عنها، من وظائف كينونتهم.

ضع في اعتبارك، على سبيل المثال، التشابه الجزئي التالي عن شخص سوف نلتقي به في وقت لاحق.

سيكوباتي.

ويجب أن أضيف أنه، ضمن، الحدود الصارمة، الانعزالية لوحدة من وحدات اضطراب شخصية التي تتمتع بالحد الأقصى من التأمين:

إن السيارة الرياضية القوية من الطراز الأول ليست شيئًا جيدًا ولا شيئًا سيئًا في ذاته، لكن الأمر يعتمد على الشخص الذي يجلس خلف عجلة القيادة. قد تتيح، على سبيل المثال، لسائق ماهر وصاحب خبرة بأن يصل بزوجته إلى المستشفى في الوقت

المناسب لتلد طفلها. أو، في عالم مواز، قد تسقط بشاب عمره ثمانية عشر عامًا وصديقته في منحدر.

«بشكل جوهري، يظهر كل شيء في طريقة التعامل مع السيارة. إنه يعتمد، بكل بساطة، على مهارة السائق ...»

إنه على حق. ولعل السمة الوحيدة المميزة للشخص السيكوباتي، التي تمثل الاختلاف النهائي «للقاتل»، الاختلاف الذي يميز الشخصية السيكوباتية عن شخصيات معظم السكان «الطبيعيين»، هي أن الشخص السيكوباتي لا يهتم بما يعتقده مواطنوه بشأنه. إنه ببساطة لا يمكن أن يبالي بالطريقة التي يفكر بها المجتمع ككل في أفعالهم. في عالم أصبحت فيه الصورة والعلامة التجارية والسمعة الشخصية أكثر حرمة مما كانت عليه في أي وقت - ما الذي نحن عليه الآن: 500 مليون على الفيسبوك؟ 200 مليون مقطع فيديو على موقع يوتيوب؟ كاميرا تلفزيونية في دائرة مغلقة لكل 20 شخصًا في المملكة المتحدة؟ يشكل هذا، بلا شك، أحد الأسباب الأساسية التي تجعلهم يواجهون الكثير من المشاكل.

وبالطبع، لماذا نجد السيكوباتيين مخادعين بهذا الشكل.

ومع ذلك، فإن الشخصية السيكوباتية قد تؤهل أيضًا للبطولة والصلابة العقلية، للسمات الجديرة بالتقدير مثل الشجاعة والنزاهة والفضيلة: القدرة، على سبيل المثال، على الاندفاع إلى المباني التي تشتعل فيها النيران لإنقاذ حياة من بداخلها. أو لدفع الرجال البدينين من فوق الجسور ووقف القطارات التي تخرج عن مساراتها.

تشبه السيكوباتية حقًّا سيارة رياضية عالية الأداء. إنها سيف ذو حدين يقطع حتمًا في الاتجاهين كليهما.

في الفصول التالية، سوف أروي بالتفاصيل العلمية والاجتماعية والفلسفية قصة

هذا السيف ذي الحدين والصورة النفسية الفريدة للأفراد الذين يستخدمونه ببراعة. نبدأ بالنظر إلى من هو، على وجه التحديد، الشخص السيكوباتي حقًّا (إذا لم يكن الوحش الذي نفكر فيه عادةً). ونسافر عبر كل من المناطق الداخلية والخارجية للعاصمة السيكوباتية، حيث ننطلق إلى الأحياء الفقيرة العنيفة للغاية في وسط المدينة وإلى الضواحي الأخف وطأة والأكثر ملاءمة للزوار.

كما هي الحال على أي مقياس أو طيف، يكون للطرفين كليهما قاعة بها ملصقات بصور المشاهير في الطرفين. في أحد الطرفين لدينا أمثال **دهمر وليكتر وبندي**[70] – **السفاحون**- Rippers و**المشرِّحون**- Slashers و**الخانقون**- Stranglers. وفي الطرف الآخر لدينا **نقيض السيكوباتيين**- *Antipsychopaths*: نخبة الرياضيين الروحيين مثل الرهبان البوذيين في التبت، الذين، من خلال سنوات من التأمل في أسمى أشكاله في أديرة الهيمالايا البعيدة، لا يشعرون بأي شيء إلا بالتعاطف. في الواقع، تشير أحدث الأبحاث من مجال علم الأعصاب المعرفي إلى أن الطيف قد يكون دائريًّا . . . يعبر حدود التوقيت العصبي للعقل والجنون، يجلس الأشخاص السيكوباتيون ونقيض السيكوباتيين على مسافة قريبة من بعضهم البعض. إنهم قريبون جدًّا ومع ذلك بعيدون جدًّا.

من حدود التوقيت العصبي المنعزلة، سوف نحول تركيزنا إلى علم الآثار المعرفي،[71] وبعد أن قمنا برسم أنساق السيكوباتية في العصر الحديث، سوف نبحث عن أصولها. باستخدام أدوات نظرية اللعب وعلم النفس التطوري المتطور، سوف نعيد بناء الظروف، بعمق في ماضي أسلافنا، التي ربما يكون قد ظهر الأشخاص السيكوباتيون في ظلها. وسوف نستكشف - على الرغم من أنها عميقة بقدر ما هي

(70) - دهمر وليكتر وبندي: سفاحون، انظر هوامش سابقة للمترجم.

(71) - علم الآثار المعرفي Cognitive Archaeology: أو علم آثار العقل، هو دراسة طرق التفكير في الماضي من خلال دراسة المواد التي يتم اكتشافها. وهو لا يحاول تحديد ما يعتقده الناس، بل يحاول تحديد كيفية تنفيذ تفكيرهم بالتفاعل مع الآخرين والعالم المادي (المترجم).

مقلقة - احتمالات أن يكونوا في مجتمع القرن الحادي والعشرين يواصلون التطور، وأن الاضطراب يتكيف.

سوف ننظر، بعمق، في مزايا أن يكون المرء سيكوباتيًّا - أو بالأحرى، في بعض المواقف على الأقل، بتشغيل تلك الأقراص أعلى قليلًا من المعتاد. سوف نلقي نظرة على عدم الخوف. وعلى عدم الرحمة. «الوجود» (يميل الأشخاص السيكوباتيون إلى أن تطرف عيونهم أقل بقليل من بقية الناس، وهو **انحراف فسيولوجي** غالبًا ما يساعد على منحهم هواء مهدئًا ومنومًا).[72] إنهم مدمرون، مبهرون، واثقون ثقة مفرطة، هذه هي الصفات التي يسمعها المرء في كثير من الأحيان عنهم. ولا يسمعها منهم، كما قد يتوقع المرء. ولكن يسمعها من ضحاياهم! السخرية واضحة وضوح الشمس. يبدو أن السيكوباتيين، من خلال بعض النكات العملية الداروينية، يتمتعون بالسمات الشخصية الحقيقية التي قد يموت الكثير منا من أجل أن يتمتع بها. في الواقع، مات الكثير من أجل الحصول على هذه السمات - السبب، بالطبع، لماذا واجه صديقنا القديم فابريزيو روسي صعوبة في الاعتقاد بأن أي شيء جيد يمكن أن يخرج من البدروم.

سوف نذهب وراء كواليس واحدة من أكثر وحدات السيكوباتيين شهرة في العالم ونتعرف على طريقة تناول الشخص السيكوباتي للمشاكل والمعضلات والتحديات التي يواجهها كل منا في الحياة اليومية. سوف نلتحق بسرعة مع عالم الأعصاب وصياد السيكوباتيين كينت كيل[73] في أثناء قيامه بجولة في شاحنة ذات ثماني عشرة عجلة،

---

(72) - يعلق العديد من الأشخاص الذين يتعاملون مع الأشخاص السيكوباتيين بعد ذلك على عيونهم الخارقة بشكل غير عادي - وهي حقيقة لم تغب عن أذهان العديد من كتاب السيناريو في هوليوود. والسبب الدقيق وراء ذلك غير واضح. من ناحية، يعد معدل رجفة العين مؤشرا موثوقا به لمستويات القلق في أثناء الراحة. وهكذا، كما ذكرنا، فإن الأشخاص السيكوباتيين، في المتوسط، ترتجف عيونهم أقل قليلًا من بقية الناس - وهذا نتاج تلقائي قد يساهم في هالتهم "الزاحفة reptilian" المكثفة. من ناحية أخرى، مع ذلك، فقد تم التكهن أيضًا بأن النظرة الشديدة للسيكوباتيين قد تعكس مستويات التركيز المفترسة المعززة: مثل أفضل لاعبي البوكر في العالم، فإنهم "يفتشون" نفسيًّا باستمرار في "خصومهم" لمعرفة مفاتيحهم الانفعالية الرئيسية (المؤلف).

(73) - كينت كيل Kent Kiehl: عالم أعصاب له اهتمامات بحثية في علم الأعصاب الإدراكي، والسيكوباتية، وتفاعل علم الأعصاب والقانون، والتنبؤ السلوكي. وهو أستاذ بقسم علم النفس بجامعة نيو مكسيكو. حصل على الدكتوراه في

وتضم جهازًا للتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي حول السجون الأمريكية.

وفي تجربة رائدة لا تتكرر، أخضعتُ نفسي مؤخّرًا «**لتحوّل سيكوباتي كامل**» باعتباري خبيرًا مشهورًا عالميًّا في محاكاة التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة، بمساعدة بعض إجراءات جراحة الأعصاب البعيدة وغير التدخلية، يتم غرس دماغ سيكوباتي داخل رأسي (إنه بالٍ).

وكتاب **حكمة السيكوباتيين** يتكشف،حيث تبدأ الحقيقة، مثل المفترس الذي لا يرحم نفسه، في الوضوح ببطء. فقد يلدغنا هؤلاء الرجال. لكنهم قد ينقذون حياتنا أيضًا. وفي الحالتين، لديهم ما يعلموننا إياه بالتأكيد.

عام 2000 من جامعة كولومبيا البريطانية تحت إشراف روبرت هير وبيتر ليدل. نشر أكثر من 200 بحث وحصل على العديد من الجوائز (المترجم).

الفصل الثاني

هل يستأذن السيكوباتي الحقيقي ليقف؟

*من يستطيع أن يرسم الخط الذي ينتهي عنده اللون البنفسجي ويبدأ اللون البرتقالي في قوس قزح؟ نرى بوضوح اختلاف الألوان، ولكن أين بالضبط يدخل اللون الأول ممتزجًا في اللون الآخر؟ وهذا هو الحال مع **العقل والجنون**.*

-هرمان ملفيل[74]



ما دوافع المجرم؟[75]

هناك قصة تنتشر على الإنترنت، وتجري أحداثها على النحو التالي. تلتقي امرأة في أثناء حضورها جنازة والدتها، برجل لم تره من قبل قط. تعتقد أنه شخص خارق. تعتقد أنه رفيق روحها وتقع في حبه على الفور. لكنها لم تطلب منه قط رقم تليفونه، وحين تنتهي الجنازة، لا تستطيع أن تتعقبه. بعد أيام قليلة تقتل أختها. **ما الدافع وراء ارتكاب الجريمة؟**

خذ بعض الوقت للتفكير في الإجابة قبل أن ترد. على ما يبدو، يمكن لهذا الاختبار

(74) - هرمان ملفيل Herman Melville (1819 – 1891): روائي أمريكي، مؤلف رواية "موبي ديك"؛ والاقتباس من رواية **بيلي باد البحار** *Billy Budd, Sailor* وهي رواية قصيرة نشرت بعد وفاته في عام 1924 (المترجم).

(75) - دوافع المجرم Whydunnit: تشير الكلمة إلى نوع من القصص البوليسية أو الأفلام التي لا يكون التركيز فيها على من ارتكب الجريمة ولكن على دوافعه لارتكابها (المترجم).

البسيط تحديد ما إن كنت تفكر كما يفكر شخص سيكوباتي أم لا. ما الدافع الذي يمكن أن يكون لدى المرأة لتقوم بقتل أختها؟ هل هي الغيرة؟ هل وجدت أختها بعد ذلك في الفراش مع ذلك الرجل؟ هل هو الانتقام؟ الغيرة والانتقام مقبولان كلاهما. لكنهما خطأ. الجواب، على افتراض أنك تفكر كما يفكر شخص سيكوباتي، هو التالي: لأنها كانت تأمل أن يأتي الرجل مرة أخرى ليحضر جنازة **أختها**.

إذا كان هذا هو الحل الذي توصلت إليه... فلا داعي للذعر. في الواقع، لقد كذبْتُ. بالطبع هذا لا يعني أنك تفكر كما يفكر شخص سيكوباتي. مثل العديد من الأشياء التي تعثر عليها صدفة على الإنترنت، تحتوي هذه القصة على قدر من الحقيقة مثل حساب برني مادوف عن الربح والخسارة.[76] من المؤكد أن استراتيجية المرأة، في مواجهة هذه المشكلة، استراتيجية سيكوباتية، ولا يوجد خلاف حول ذلك: البرود، والقسوة، وعدم الانفعال، والمصلحة الذاتية بشكل ينم عن قصر النظر. ولكن للأسف، هناك مشكلة. حين أجريت هذا الاختبار على بعض الأشخاص السيكوباتيين الحقيقيين – من المغتصبين والقتلة وذوي الميول الجنسيّة تجاه الأطفال واللصوص المسلحين – الذين تم تشخيصهم بشكل صحيح باستخدام الإجراءات الإكلينيكية المعيارية، خمن ما حدث؟ لم يتوصل أحد منهم إلى دافع «متابعة الجنازة». وبدلًا من ذلك، توصلوا جميعًا تقريبًا إلى أن المبرر هو «**التنافس الرومانسي**».

وعلق أحدهم قائلًا: «قد أكون مجنونًا. لكن من المؤكد أنني لسْتُ غبيًّا».

سكوت ليلينفيلد،[77] وهو أستاذ علم النفس في جامعة إيموري في أتلانتا، وأحد الخبراء البارزين في العالم في دراسة السيكوباتيين – أو، كما يقول، في السيكوباتيين الناجحين: أولئك الذين من المرجح أن يحققوا مكاسب كبيرة في سوق الأسهم أكثر

---

(76) - برني مادوف Bernie Madoff (1938 -): رجل أعمال ومصرفي أمريكي والرئيس المؤسس لإحدى الشركات الاستثمارية الرائدة في وول ستريت (المترجم).

(77) - سكوت ليلينفيلد Scott Lilienfeld (1960 -): أستاذ أمريكي في علم النفس من أشهر كتبه **50 أسطورة كبيرة في علم النفس الشعبي** *50 Great Myths of Popular Psychology* (2009) **ومغسولو الدماغ** *Brainwashed* (2015) (المترجم).

من أن يحققوا مكاسب في زقاق مظلم تتناثر فيه سلال القمامة. وبينما كنا نأكل بنهم تاكو التمساح[78] مقليًّا بشدة في عشاء جنوبي، على بعد ميل أو اثنين من مكتبه، أسألُه عن لغز الجنازة. ماذا يجري هنا؟ ما هذا النوع من الأمور التي تجعلنا متحمسين للغاية؟ كان السؤال في الصميم.

يقول: «أعتقد أن جاذبية مثل هذه المواد تكمن في نظافتها. هناك شيء ما يبعث على الاطمئنان في فكرة أنه من خلال طرح سؤال واحد فقط، يمكننا بطريقة ما أن نكشف عن الأشخاص السيكوباتيين الموجودين بيننا وأن نكون قادرين على حماية أنفسنا منهم. لكن الأمر، لسوء الحظ، ليس بهذه البساطة. من المؤكد أننا نستطيع أن نكتشف من هم. لكن الأمر يتطلب أكثر من مجرد سؤال واحد. إنه يتطلب عددًا ليس بالقليل من الأسئلة».

إنه على حق. إن أسئلة «**الرصاصة الفضية**»،[79] تلك الأسئلة التي يمكنها، من خلال حيلة شيطانية من حيل العقل، أن تكشف بطريقة ما عن ألواننا النفسية الحقيقية، أسئلة لا وجود لها في عالم الواقع. إن الشخصية معقدة للغاية بحيث لا يمكن أن تتخلى عن أسرارها تمامًا على أساس لعبة من ألعاب الصالون لمرة واحدة ومن محاولة واحدة. في الواقع، توصل الخبراء في الميدان إلى مهمة تتمثل في إطلاق عدد ليس بالقليل من الرصاصات على مر السنين. ومؤخرًا نسبيًا فقط فكروا في الدعوة إلى هدنة.

صيادو الشخصية:

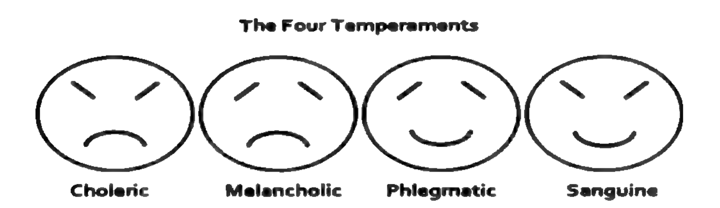
إن الشخصية لها تاريخ طويل، أو بالأحرى، تاريخ طويل لقياسها. بدأ الأمر في

---

(78) - تاكو التمساح alligator tacos: التاكو طبق مكسيكي يتكون من تورتيلا مقلية، وهو طبق يتمتع بشعبية واسعة في البلدان الناطقة باللغة الإسبانية، وتتكون في إسبانيا من عجة بيض مستديرة الشكل مع الحشوات، مطوية بشكل جيد، مليئة بمزيج مختلف، مثل اللحم المتبل والفاصوليا والخس والطماطم (المترجم).

(79) - أسئلة "الرصاصة الفضية" "Silver bullet" questions: أو الأسئلة السحرية، أسئلة تتضمن حلًّا مباشرًا وسهلًا لمشكلة صعبة ومعقدة (المترجم).

اليونان القديمة، مع أبقراط (460 - 377 قبل الميلاد)، أبي الطب الغربي. معتمدًا على حكمة التقاليد القديمة التي كانت لا تزال قائمة (الحساب السماوي لعلم التنجيم البابلي، على سبيل المثال) التي انتهت إليهم عبر بلاد الشام من حكماء مصر القديمة والصوفية في بلاد ما بين النهرين، وقد ميز أبقراط بين أربعة أمزجة متميزة في لائحة الانفعالات البشرية: الدموي Sanguine، والصفراوي Choleric، والسوداوي Melancholic، والبلغمي Phlegmatic *(انظر الشكل 2 - 1)*.

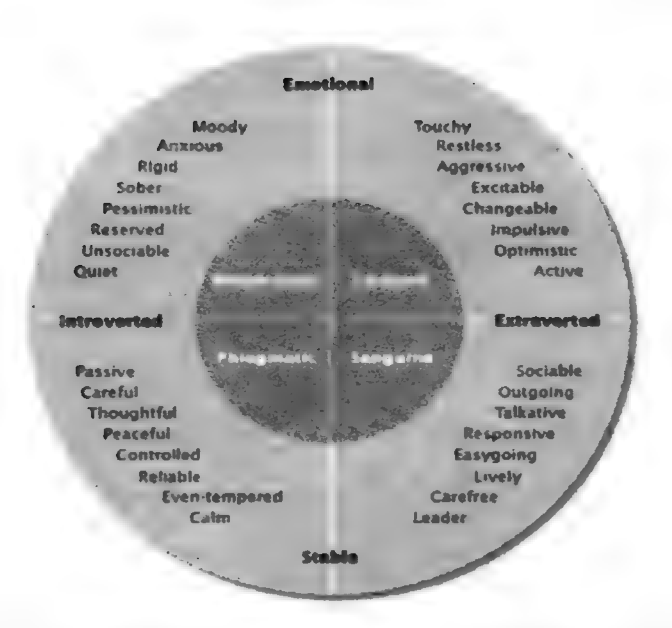


الشكل 2 - 1: الأمزجة الأربعة عند أبقراط

بعد أبقراط، لم يحدث الكثير منذ ألفي وخمسمائة عام. ثم عام 1952، منح عالم النفس البريطاني هانز أيزنك[80] أبقراط، أبا التصنيف الثنائي القديم للطب الغربي، فرصة جديدة للحياة. بعد تحليل الاستبيان الشامل والمقابلات الإكلينيكية المتعمقة، اقترح أيزنك أن شخصية الإنسان تتكون من بعدين أساسيين: **الانطواء / الانبساط** و**العصبية / الاستقرار** (تمت إضافة بعد ثالث، الذهانية، التي تتميز بالعدوان والاندفاع والأنانية، في وقت لاحق). ويجسد هذان البعدان تجسيدًا تامًّا، حين يتم تحديدهما بشكل متعامد، الأمزجة الكلاسيكية الأربعة التي حددها أبقراط في الأصل

(80) - هانز أيزنك Hans Eysenck (1916 - 1997): عالم نفسي ألماني - بريطاني قضى معظم حياته المهنية في بريطانيا. اشتهر بأعماله في مجال الذكاء ومجال الشخصية (المترجم).

(انظر الشكل 2 - 2).



الشكل 2 - 2: نموذج أيزنك للشخصية يتضمن الأمزجة الأربعة لأبقراط (من Eysenck and Eysenck, 1958)

الشخصية الصفراوية (قلق؛ متوتر) تم رسمها على الانبساط العصابي لدى أيزنك؛ *الشخصية السوداوية* (مكتئب؛ استبطاني) على الانطواء العصابي. *الشخصية الدموية* (دافئ؛ ديناميكي) على الانبساط المستقر انفعاليًا؛ *والشخصية البلغمية* (الهدوء؛ التميز بضبط النفس) على الانطواء المستقر انفعاليًا. وبدا أن أبقراط لم يكن أبا الطب الغربي فحسب، بل كان أبا الطبيعة الإنسانية أيضًا.

كان النموذج الذي قدمه أيزنك للشخصية على بعدين وكان نموذج مختصر بشكل إيجابي مقارنة بالمجموعة الضخمة للسمات التي اكتشفها عالم النفس الأمريكي

جوردون ألبورت[81] قبل ذلك بعشرين عامًا تقريبًا. تماشيًا مع ما يسمى الفرضية «المعجمية» للشخصية 'lexical' hypothesis of personality،[82] وهي فرضية تنص على أن جميع المصطلحات المهمة ذات الصلة بالشخصية سوف يتم ترميزها حرفيًّا بحكم التعريف في اللغة، أبحر ألبورت في المياه العميقة للكلمات في **قاموس وبستر الدولي الجديد** *Webster's New International Dictionary* في رحلة صيد. تساءل: كم عدد الصفات المتعلقة بالشخصية في القاموس؟ وكان الجواب، كما اتضح، عددًا ليس بالقليل – وعاد إلى الظهور في الأراضي الجافة مع ما يقرب من 18000 صفة من هذه الصفات. وبعد التخلص من الأوصاف المتعلقة بالسمات المؤقتة، والإبقاء على السمات الدائمة، (على سبيل المثال، مبتهج، خجول)، قلص ألبورت هذه القائمة إلى 4500 سمة أكثر قابلية للتتبع.

ولكن لم يكن الأمر كذلك حتى تناول عالم النفس في جامعة إلينوي ريمون كاتل[83] على قائمة جوردون ألبورت عام 1946، في الوقت نفسه الذي كان يعمل فيه أيزنك على نموذجه، كان لدى منظري الشخصية الكثير مما يقومون به. بالقضاء على المرادفات، وإدخال بعض العناصر الإضافية التي تم الحصول عليها من بحوث مختبرية، وصل كاتل بعدد الكلمات إلى 171. ثم انتقل إلى العمل. وباستخدام هذه الأوصاف لإنشاء مقاييس للتصنيف، سلمها للمتطوعين. كانت المهمة بسيطة بشكل مريح: تقييم معارفهم بناءً على البطاقات المقدمة.

كشف التحليل عن بنية شخصية تشبه بنية المجرة galactic، وتتكون هذه البنية

---

(81) - جوردون أولبورت Gordon Allport (1897 - 1967): عالم نفس أمريكي، من أوائل علماء النفس الذين اهتموا بدراسة الشخصية، ودائمًا ما يشار إليه بأنه أحد من وضعوا أساس علم نفس الشخصية (المترجم).

(82) - الفرضية "المعجمية" للشخصية 'lexical' hypothesis of personality: مفهوم في علم نفس الشخصية والقياسات النفسية يقترح أن سمات الشخصية والاختلافات الأكثر أهمية في الشخصية تتحول في النهاية إلى جزء من اللغة. ويقترح أن أهم المفاهيم في الشخصية تصبح كلمات وصفية في اللغة. وباستخدام اللغة باعتبارها مصدرًا لسمات الشخصية، يمكن تجميع مجموعة كاملة من هذه السمات وتصنيفها (المترجم).

(83) - ريمون كاتل Raymond Cattell (1905 - 1998): عالم نفس أمريكي من أصل بريطاني، معروف بأبحاثه في الشخصية (المترجم).

بشكل شيطاني من خمس وثلاثين مجموعة من السمات الرئيسية التي أشار إليها كاتل باعتبارها «مجال الشخصية» إلى حد ما. وعلى مدى العقد التالي، أدى مزيد من التنقيح، بمساعدة أجهزة كمبيوتر الجيل الأول والسحر الجنيني لتحليل العوامل،[84] إلى تقليلها أكثر إلى 16 عاملًا أساسيًّا فقط. وحينها استراح كاتل.

درجات منخفضة	العامل	درجات مرتفعة
متحفظ	الدفء	غير متحفظ
أقل ذكاء	العقل	أكثر ذكاء
متفاعل انفعاليًّا	الثبات الانفعالي	ثابت انفعاليًّا
منقاد	السيادة	حازم
جاد	الحيوية	لا يحمل همًّا
غير متوافق	الوعي بالقواعد	يتصرف وفقًا لضميره
خجول	الجرأة الاجتماعية	منطلق
عنيد	الحساسية	رقيق
واثق	اليقظة	متشكك
عملي	التجريد	خيالي
صريح	الخصوصية	كتوم
واثق من نفسه	التوجس	متوجس
محافظ	الانفتاح على التغير	تجريبي
يميل إلى الجماعة	الاعتماد على الذات	مكتف بذاته
غير دقيق	الدقة	دقيق
مسترخ	التوتر	متوتر

الشكل 2 - 3: العوامل الستة عشر الأساسية للشخصية عند كاتل (مقتبسة من Cattell, 1957)

(84) - تحليل العوامل primary factors تقنية إحصائية تستخدم لاكتشاف الأنماط البسيطة في العلاقات بين متغيرات مختلفة. وتسعى، على وجه الخصوص، إلى اكتشاف ما إذا كان يمكن تفسير المتغيرات الملحوظة فيما يتعلق بعدد أقل بكثير من المتغيرات، تسمى العوامل. على سبيل المثال، في نموذج كاتل Cattell، تم تقطير العامل الفائق "الدفء" من السمات التكوينية المحددة مثل "بودّ"، "تعاطف"، و"ترحيب". (المؤلف).

ومع ذلك لحسن حظ المتخصصين في علم النفس المهني، وأولئك الذين يعملون الآن في مجال الموارد البشرية، واصل المنظرون اللاحقون التقدم بسرعة. عام 1961، نجح باحثان من الباحثين في سلاح الجو الأمريكي، وهما إرنست توبس- Ernest Tupes وريموند كريستال- Raymond Christal، في تقطير السمات التي حددها كاتل في خمسة عوامل متكررة فقط. وقد سموا هذه العوامل الفاعلية[85] والقابلية للتوافق- Agreeableness والاعتمادية- Dependability والثبات الانفعالي Emotional Stability والتهذيب Culture. في الآونة الأخيرة، على مدار العشرين عامًا الماضية أو نحو ذلك، أدى عمل بول كوستا وروبرت ماكري[86] في المعاهد الوطنية للصحة إلى تطوير اختبار قياسي للشخصية يدعى استبيان الشخصية Personality Inventory.

لا يوجد إجماع حقيقي بين المتخصصين في علم النفس بشأن إن كان من الممكن أن يتوقفوا عند نقطة معينة. ولكن من الصعب تجنب الأمر في هذه الحالة. إن الانفتاح على الخبرة Openness to Experience، والضمير Conscientiousness، والانبساط Extraversion، والقابلية للتوافق Agreeableness، والعصابية Neuroticism – فكر في OCEAN[87] – تشكل جينوم شخصية الإنسان. ونحن جميعًا مجموع أجزائنا. نحن لسنا أرقامًا، كما قال باتريك ماكجوهان في **السجين**.[88] لكننا، بدلًا من ذلك، مجموعة من الأرقام. كل واحد منا، في السماء اللوغاريتمية اللامتناهية لفضاء الشخصية، له أنساقه الفريدة اعتمادًا على المكان الذي يقع فيه بدقة على كل من هذه

---

(85) - الفاعلية Surgency: سمة من سمات التفاعل الانفعالي حيث يميل الشخص نحو مستويات عالية من التأثير الإيجابي، ويتميز بالسرعة والذكاء (المترجم).

(86) - بول كوستا Paul Costa (1942 -) وروبرت ماكري Robert McCrae (1949 -): باحثان أمريكيان، شكلا فريق عمل غزير الإنتاج، وقد عملا معًا منذ أن التقيا أول مرة في بوسطن في عام 1975، ونشرا أكثر من 250 بحثًا حول سمات الشخصية وارتبط اسماهما بنموذج العوامل الخمسة الكبرى وهو نموذج له تأثير عميق على تقييم الشخصية والنظرية والبحث في مجال الشخصية (المترجم).

(87) - OCEAN: الحروف الأولى من السمات الخمس (المترجم).

(88) - باتريك ماكجوهان Patrick McGoohan (1928 - 2009): كاتب سيناريو ومخرج وممثل أمريكي؛ **السجين** *The Prisoner*: مسلسل تليفزيوني بريطاني عن الخيال العلمي عرض في عام 1967 (المترجم).

الأبعاد الخمسة.[89] أو كما يُشار إليها عادةً باسم «الخمسة الكبار – Big Five».

أعطني خمسة:

بالنسبة إلى المراقب العادي، بالطبع، تبدو الشخصية مستمرة وموحدة. فقط حين يتم فحصها من خلال منظور التدقيق الرياضي، فإنها تتحلل بشكل منهجي إلى مكوناتها البنيوية الخمسة. ويمكن القول إن الخمسة الكبار تتوافق مع «الألوان الأساسية» للشخصية، تلك الألوان غير القابلة للتجزئة نفسيًّا، التي تثبت في كل طرف بسمات شخصية نقيضة إلى أقصى حد: طيف من الهوية نتزود به جميعًا.

تم توضيح هذه السمات، مع وصف موجز لمجموعة السمات الشخصية المرتبطة بكل بُعد، في *الشكل 2 - 4*.

العامل	الوصف
الانفتاح على الخبرة	خيالي . . . . عملي يحب التنوع . . . . . . يحب الروتين مستقل . . . . . . مطيع
الضمير	منظم . . . . مضطرب حريص . . . . مهمل منضبط ذاتيًّا . . . . . . اندفاعي
الانبساط	اجتماعي . . . . انعزالي يحب المتعة . . . . حذر عاطفي . . . . متحفظ
القابلية للتوافق	رقيق . . . . قاسٍ واثق . . . . متشكك متعاون . . . . . . غير متعاون
العصابية	قلق . . . . هادئ آمن . . . . غير آمن الشفقة على الذات . . . . . . الرضا عن الذات

(89) - إذا كنت ترغب في معرفة من أنت من شخصيتك، فقد ترغب في تجربة نسخة مختصرة من اختبار الخمسة الكبار، ويمكنك العثور عليها على www.wisdom of psychopaths.com (المؤلف).

الشكل 2 - 4: نموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية
(McCrae and Costa, 1999, 1990)

وربما لا يكون من غير المستغرب أن المتخصصين في علم النفس المهني حققوا الكثير من الإنجازات من استبيان نيو[90] (وغيره من اختبارات الشخصية الخمسة الكبار بالمثل). لقد قاموا بتوزيعه على الموظفين في كل مهنة تقريبًا يمكنك التفكير فيها لفهم العلاقة الدقيقة بين التركيب النفسي والنجاح في مجال العمل. من خلال لقيام بذلك، وجدوا علاقة مذهلة بين المزاج ونوع الوظيفة. بين الكيفية التي نتشكل بها والمكان الذي يتم توظيفنا فيه.

لقد ثبت أن الانفتاح على الخبرة يلعب دورًا مهمًا في المهن التي يكون فيها التفكير الأصيل أو الذكاء الانفعالي هو السمة الرئيسية للعمل - مهن مثل الاستشارات والتحكيم والإعلان - بينما يميل الأفراد الذين يحصلون على درجات أقل في هذا البعد إلى أداء أفضل في التصنيع أو الوظائف الآلية. ويميل الموظفون الذين يسجلون درجات متوسطة إلى عالية في الضمير (مرتفعة جدًّا وأنت تمر عبر الحدود إلى الوسواس والإكراه والكمال) إلى التفوق في جميع المجالات، والعكس صحيح بالنسبة لأولئك الذين يحرزون درجات أقل. ويؤدي الانبساطيون أداء جيدًا في الوظائف التي تتطلب تفاعلًا اجتماعيًّا، في حين يجيد الانطوائيون العمل في المهن «الفردية» أو «التأملية»، مثل التصميم الجرافيكي والمحاسبة. مثل الضمير إلى حد ما، القابلية للتوافق يمكن أن تسهل الأداء إلى حد كبير، ولكن ذلك يظهر بشكل بارز جدًّا في المهن التي تحتاج إلى التركيز على العمل الجماعي أو خدمة العملاء، مثل التمريض والعمل في القوات المسلحة، على سبيل المثال. ولكن على عكس الضمير، فإن الحصول على مستويات أقل في هذه السمة يمكن أن يكون مفيدًا أيضًا - في ساحات الصراع الشرس، مثل وسائل الإعلام، على سبيل المثال، حيث تتصارع الأنا egos

---

(90) - استبيان نيو NEO: استبيان للشخصية يفحص العوامل الخمسة الكبرى، وقد ظهر أول مرة في عام 1978 على يد كوستا وماكري، وقد نشرا ثلاث نسخ محدثة من هذا الاستبيان في 1985، 1992، 2005، ويعرف باستبيان الشخصية نيو المنقح (NEO PI, NEO PI-R (or Revised NEO PI (المترجم).

بشراسة ويكون التنافس على الموارد (الأفكار والقصص واللجان) تنافسًا شرسًا في كثير من الأحيان.

أخيرًا، لدينا العصابية Neuroticism، يمكن القول إنها الأكثر خطورة في الأبعاد الخمسة لاستبيان نيو NEO. ومع ذلك بينما لا يوجد، من ناحية، شك في أن الثبات الانفعالي والبرود تحت الضغط يمكن في بعض الأحيان أن يغيرا الوضع في المهن التي تكون الكلمة فيها للتركيز والرزانة (في قمرة القيادة وغرفة العمليات مكتفين بمثالين اثنين فقط)، يجب أيضًا أن نتذكر أن الزواج بين العصابية والإبداع زواج دائم. تم استخراج بعض أعظم العروض الفنية والأدبية على مر العصور، ليس من المياه الضحلة للمحيط الساحلي للدماغ، ولكن من المتاهات العميقة غير المرسومة للروح.

ولكن إذا كان المتخصصون في علم النفس المهني قد اكتشفوا الفروق الفردية في المزاج بناءً على نماذج الأداء الوظيفي – أي محاور الشخصية التي ترمز للنجاح في مجال العمل - فكيف يتقدم الشخص السيكوباتي؟ عام 2001، أجرى دونالد لينام[91] وزملاؤه في جامعة كنتاكي دراسة لمعرفة ذلك، واكتشفوا أن البنية الشخصية الفريدة من نوعها للسيكوباتيين تخفي مجموعة دالة من السمات؛ إنهم قساة بقدر ما هم فاتنون. طلب لينام من مجموعة من أفضل الخبراء قس الشخصية السيكوباتية في العالم (زملاء أكاديميين لديهم سجل حافل في هذا المجال) أن يقيموا، على مقياس من 1 إلى 5 (1 منخفض للغاية، 5 مرتفع للغاية) ما يعتقدونه بشأن قياس الأشخاص السيكوباتيين على سلسلة من ثلاثين سمة فرعية – وهي العناصر المكونة لكل من الأبعاد الأساسية التي تشكل الخمسة الكبار. وتظهر النتائج في الشكل 2 – 5.

(91) - دونالد لينام Donald Lynam (1967 -): عالم نفس أمريكي وأستاذ متميز في علم النفس السريري في كلية الصحة والعلوم الإنسانية بجامعة بوردو. وهو أيضًا مدير مختبر علم النفس التنموي للأمراض النفسية في جامعة بوردو ومعالجة الأمراض النفسية والشخصية؛ وكان يُدرِّس من قبل في جامعة كنتاكي (المترجم).

الانفتاح على الخبرة	الضمير	الانبساط	القابلية للتوافق	العصابية
الفانتازيا 3,1	الكفاءة 4,2	الدفء 1,7	الثقة 1,7	القلق 1,5
الجماليات 2,3	النظام 2,6	العِشْرة 3,7	الاستقامة 1,1	العداء بغضب 3,9
المشاعر 1,8	التفاني 1,2	الإصرار 4,5	الإيثار 1,3	الاكتئاب 1,4
الأفعال 4,3	السعي لتحقيق الإنجاز 3,1	النشاط 3,7	الالتزام 1,3	الوعي الذاتي 1,1
الأفكار 3,5	الانضباط الذاتي 1,9	البحث عن الإثارة 4,7	التواضع 1	الاندفاع 4,5
القيم 2,9	التشاور 1,6	الانفعالات الإيجابية 2,5	الرقة 1,3	الهشاشة 1,5

الشكل 2 - 5: تقييمات الخبراء لبروفايل الشخصية السيكوباتية كما يتضح من الأداء على الخمسة الكبار
(Miller et al., 2001)

إن الخبراء، كما يمكن أن نرى، وجدوا أن الأشخاص السيكوباتيين حول الخطوط المستوية فقط حين يتعلق الأمر بالقابلية للتوافق، وهو أمر ليس مفاجئًا نظرًا لأن الكذب والتلاعب والقسوة والغطرسة يعتبرها معظم الإكلينيكيين إلى حد كبير المعيار الذهبي للسمات السيكوباتية. وليس هناك أيضًا ما يدعو للدهشة بشأن تقييمات الضمير. وهناك درجة عالية من الاندفاع، والافتقار إلى الأهداف طويلة المدى، والفشل في تحمل المسئولية، كما نتوقع. لكن لاحظ كيف تعزز الكفاءة هذه النزعة - وهي مقياس لثقة الشخص السيكوباتي في نفسه، وهي ثقة لا تتزعزع، وتتجاهل المحن بشكل يتسم بالتهور واللامبالاة - وكيف يستمر هذا النمط مع العصابية: القلق والاكتئاب والوعي الذاتي والهشاشة لا تكاد تظهر على الرادار، التي تظهر، حين تتحد مع المخرجات القوية على الانبساط (الحزم والبحث عن الإثارة) والانفتاح على الخبرة (الأعمال)، وهذا الشعور بالكاريزما الأولية الخام.

الصورة التي تظهر صورة شخصية قوية للغاية، لكنها زئبقية بشكل قاتم. مبهرة وعديمة الرحمة من ناحية. جليدية ولا يمكن توقع ما تقوم به من ناحية أخرى.

هل الصورة لرئيس أمريكي؟ في البداية قد يعتقد المرء ذلك، وقد لا يعتقد ذلك. ولكن عام 2010، تعاون سكوت ليلينفيلد مع المتخصص في علم النفس الشرعي ستيفن روبنزر Steven Rubenzer ومع توماس فاشينجباور Thomas Faschingbauer، أستاذ علم النفس في «مؤسسة دراسة الشخصية في التاريخ»، في هيوستن، في ولاية تكساس، وساعدهما في تحليل بعض البيانات المثيرة للاهتمام إلى حد ما. وكان روبنزر وفاشينجباور قد أرسلا، عام 2000، استبيان الشخصية نيو NEO Personality Inventory إلى كتاب السيرة الذاتية لكل رئيس أمريكي في التاريخ.[92] وكانت الأسئلة تتضمن أسئلة من قبيل «يجب أن تستفيد من الآخرين قبل أن يقدموا الفائدة لك». و«لم أشعر قط بالذنب على إيذاء الناس». في المجموع، كان هناك 240 عنصرًا من هذه العناصر. بالإضافة إلى شيء مذهل. لم يكن كتاب السيرة هم الذين يتم اختبارهم. لكن كان يتم اختبار الرؤساء الذين يكتبون عنهم. كان على كتاب السيرة الذاتية، بناءً على معرفتهم بهم، أن يجيبوا نيابة عمن يكتبون عنهم.

كانت النتائج مثيرة. أظهر عدد من الرؤساء الأمريكيين سمات نفسية مميزة، مع عدم وجود أحد في الخطوط الأمامية سوى **جون ف. كينيدي وبيل كلينتون**.[93] ليس هذا فحسب، بل انظر فقط إلى كيفية أداء روزفلت. إن بعض الأولاد الذهبيين في التاريخ موجودون هناك في هذا المزيج.

وبالتالي هل يجب أن نقلق بشكل مفرط؟ هل يجب أن يكون اشتراك رئيس أقوى

---

(92) - في الواقع الفعلي، شكل استبيان نيو NEO جزءًا من استبيان أكبر من 592 عنصرًا وقد قيم مجموعة واسعة من المتغيرات بما في ذلك الشخصية والذكاء والسلوك. ومع ذلك، فإن التقنيات الإحصائية تجعل من الممكن استقراء بروفايل الشخصية السيكوباتية من الأداء العام للفرد على استبيان نيو NEO (المؤلف).

(93) - يظهر الجدول في www.wisdomofpsychopaths.com (المؤلف).

دولة على وجه الأرض، كما لاحظ جيم كوري، في نسبة كبيرة من السمات الجوهرية لشخصيته مع شخصية السفاحين سببًا للقلق؟

ربما.

ولكن لنرى من أين يأتي **ليلينفيلد وروبنزر وفاشينجباور** بصور شخصياتهم السياسية، نحتاج إلى التعمق فيما يعنيه بالضبط أن يكون المرء سيكوباتيًّا.

حين تصاب الشخصية بخلل:

يجب على المرء أن يكون حذرًا للغاية عند التحدث عن اضطراب الشخصية. لأن كل فرد منا عانى من اضطراب، أليس كذلك؟ لذا دعنا نوضح الأمر مباشرة من البداية: إن اضطرابات الشخصية ليست حكرًا على من يزعجك (وهو مفهوم خاطئ يشيع بين النرجسيين). وهو بدلًا من ذلك، كما يعرفه الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية،[94] فهي «نمط دائم من الخبرة الداخلية[95] والسلوك الذي ينحرف بشكل ملحوظ عن توقعات ثقافة الفرد التي يظهر فيها هذا النمط».

الكلمة الرئيسية في هذا التعريف هي دائم *enduring*. إن اضطراب الشخصية لا يظهر فقط في الكريسماس (على الرغم من أن الكريسماس يبرز، بالطبع، أفضل ما في الناس). لا، إن اضطرابات الشخصية تتميز بأنماط من التفكير أو الشعور مرتبطة بعمق وغير مرنة، أو بعدم القدرة على التحكم في الاندفاعات التي تسبب الكرب أو ضعف الأداء أو تنظيمه. قد لا تكون هذه الأنماط قاصرة على أولئك الذين

---

(94) - يوفر **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders* (DSM)، الذي نشرته جمعية الطب النفسي الأمريكية، لغة مشتركة ومعايير قياسية لتصنيف الاضطرابات النفسية. يتم استخدامه في الولايات المتحدة، وبدرجات متفاوتة حول العالم، من قبل الأطباء والباحثين على حد سواء - وكذلك من قبل شركات الأدوية والتأمين الصحي، ووكالات تنظيم الأدوية النفسية. تم نشر الدليل لأول مرة في عام 1952. تم نشر أحدث إصدار، الإصدار الرابع المنقح DSM-IV-TR، في عام 2000. ومن المقرر نشر الإصدار الخامس DSM-V في مايو 2013 (المؤلف).

(95) - الخبرة الداخلية inner experience: تتضمن الخبرة الداخلية الأفكار والمشاعر والأحاسيس. وهي تشكل وجود الإنسان وتتشكل به (المترجم).

يزعجونك. ولكن إذا كان شخص ما مصابًا باضطراب في الشخصية، فسوف يزعجك.

يصنف **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM) اضطرابات الشخصية إلى ثلاث مجموعات مميزة.[96] هناك **الغريب / غريب الأطوار، الدراماتيكي / لا يمكن التنبؤ بتصرفاته، والقلق / المثبط**. وصدقوني، إنهم جميعًا هناك. العمة التي تحدق في القطط بانزعاج، وهي تضع على رأسها قبعة الشاي السميكة والأقراط الكبيرة تتدلى من أذنيها، وتعتقد أن غرفة نومها تعج ب «الأشباح» وأن الاثنين اللذين يعبران الطريق من الأجانب (الشخصية الفصامية- schizotypal)؛ ذلك الشخص الذي يلازم حمام السباحة وقد صُبِغتْ بشرته صبغة دائمة، وحقن الكثير من البوتكس مما يجعل حتى **ميكي رورك**[97] يبدو طبيعيًّا بالنسبة له (الشخصية النرجسية)؛ وسيدة تعمل في التنظيف وقد استأجرتها ذات مرة، وكانت لا تزال تعمل، بعد ثلاث ساعات مروعة، في الحمام اللعين من أجل المسيح (شخصية الوسواس القهري). (كنت أدفع لها بالساعة. أتساءل، إذن، من منا كان المجنون؟)

لكن اضطرابات الشخصية لا تسبب مشاكل في الحياة اليومية فقط. إنها تسبب أيضً قدرًا كبيرًا من الخلافات والانتقادات داخل علم النفس الإكلينيكي. تدور النقطة المحورية في الخلاف حول كلمة «اضطراب- disorder». مع تشخيص ما يقدر بنحو 14 في المائة من عامة السكان باضطراب من هذه الاضطرابات، يثار الشك بشأن ما إن كان علينا في الواقع أن نسميها عمومًا «اضطرابات». ألا يمكن، في الواقع، أن تكون كلمة «الشخصيات» وصفًا أفضل من كلمة «اضطرابات»؟ حسنًا، ربما. ولكن ربما يجب أن نسأل عن حقيقة اضطرابات الشخصية بالضبط. هل تشمل، على سبيل المثال، مجموعة جزر منفصلة في علم الأمراض، وتنحرف وبائيًّا بعيدًا عن ساحل الشخصية الرئيسية؟ أم أنها، على النقيض من ذلك، تشكل جزءًا من شبه جزيرة

---

(96) - للحصول على قائمة كاملة بالاضطرابات انظر www.wisdomofpsychopaths.com (المؤلف).

(97) - ميكي رورك Mickey Rourke (1952 -): ممثل أمريكي وكاتب سيناريو وملاكم سابق (المترجم).

العوامل الخمسة الكبار: بؤر المزاج، تلك البؤر الاستيطانية البعيدة، في أحلك أطراف المزاج وأكثرها تعرضًا لهبوب العواصف؟

يأتي دعم هذه النظرة الأخيرة المناهضة للانفصال من مسح على نطاق أوسع أجرته ليزا سولسمان وأندرو بيج[98] عام 2004. قامت ليزا سولسمان وأندرو بيج بجولة في الأدبيات الإكلينيكية - وهي دراسات نظرت بدورها في العلاقة بين كل اضطراب من اضطرابات الشخصية العشرة المدرجة في **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM) من ناحية، وكل من أبعاد الشخصية الخمسة الكبار من ناحية أخرى – وقد قاما بجمع ما وجدوه في وعاء انصهار كبير للبيانات. وقد كشف التحليل عن أنه يمكن تناول جميع اضطرابات الشخصية العشرة في إطار نموذج الخمسة الكبار. ولكن، بشكل حاسم، كان «الاثنان الكبيران» المهيمنان اللذان قاما بمعظم الأعمال الثقيلة هما: العصابية والقابلية للتوافق.

للتوضيح، وجدت ليزا سولسمان وأندرو بيج أن الاضطرابات التي تتميز بشكل خاص بالكرب الانفعالي- emotional distress (على سبيل المثال، الشخصية الارتيابية- Paranoid، والشخصية الفصامية- Schizotypal، والشخصية البينية- Borderline، والشخصية الاجتنابية- Avoidant، والشخصية الاعتمادية- Dependent) تُظهر ارتباطات قوية مع العصابية، في حين أن تلك التي تتميز بصعوبات في التعامل مع الآخرين (على سبيل المثال، الشخصية الارتيابية، والشخصية الفصامية، والشخصية المعادية للمجتمع Antisocial، والشخصية البينية، والشخصية النرجسية- Narcissistic)، لا تتوافق، ربما بشكل لا يثير الدهشة، مع القابلية للتوافق. وتتورط أيضًا، ولكن بدرجة أقل إلى حد ما، مع بعدي الانبساط والضمير. والاضطرابات على أي من جانبي ما قد نسميه الانقسام بين الاجتماعي

---

(98) - ليزا سولسمان Lisa Saulsman: أخصائية نفسية إكلينيكية في مركز التدخلات السريرية بوزارة الصحة بغرب أستراليا؛ أندرو بيج Andrew Page: أستاذ العلوم النفسية بجامعة غرب أستراليا وعميد البحوث المشارك بكلية العلوم. وله دور فعال في تطوير برامج العلاج الفردي والجماعي (المترجم).

والناسك (الشخصية الهستيرية والشخصية النرجسية، على جانب؛ والشخصية شبه الفصامية Schizoid، والشخصية الفصامية، والشخصية الاجتنابية على الجانب الآخر)، وضعت على التوالي، في بطاقات الأداء العالية والمنخفضة على الانبساط. وكان كل من جانبي حدود المتقلب والمهووس بالسيطرة (الشخصية المعادية للمجتمع والشخصية البينية في معسكر مقابل شخصية الوسواس القهري في المعسكر الآخر) ثنائية القطب بالمثل حين يتعلق الأمر بالضمير.

تبدو القضية مقنعة للغاية. إذا كانت العوامل الخمسة الكبار القادرة على كل شيء تشكل نظامنا الشمسي الشخصي، فإن كوكبة الاضطرابات المارقة تشكل بالتأكيد جزءًا من السماء.

ولكن أين، مرة أخرى، لا يشمل ذلك الأشخاص السيكوباتيين؟

قناع العقل:

تظهر السيكوباتية - مثل الشخصية نفسها - لأول مرة على الرادار، في شكل مؤذ تمامًا على الرغم من أنه لا لبس فيه تمامًا، وسط تأملات الإغريق القدماء. يرسم الفيلسوف **ثاوفرسطس**- Theophrastus (371 - 287 قبل الميلاد)، خليفة أرسطو في رئاسة مدرسة المشائين في أثينا، في كتابه، **الشخصيات**،[99] مجموعة من 30 مزاجًا أخلاقيًا. واحدة من الرنات المجمعة لعدة أجراس متنافرة.

يندب ثاوفرسطس: «الرجل المجرد من المبادئ سوف يذهب ويقترض المزيد من المال من دائن لن يسدد له أبدًا... وهو يتسوق يذكّر الجزار ببعض الخدمات التي قدمها له، ويقف بالقرب من الميزان، ويلقي فيه ببعض اللحم، إذا استطاع، وعظمة للحساء. إذا نجح، كان ذلك أفضل بكثير؛ وإذا لم ينجح في ذلك، فسوف ينتزع قطعة

(99) - **الشخصيات** *The Characters*: عبارة عن مجموعة من 30 رسمًا تخطيطيًا قصيرًا للشخصيات، لأنواع مختلفة من الأفراد الذين ربما قابلهم ثاوفرسطس Theophrastus في شوارع أثينا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. وهو عمل كان له تأثير عميق على الأدب الأوروبي (المترجم).

من الكرشة وينصرف وهو يضحك».

ينصرف وهو يضحك على ما فعله.

لكن الزمن يتقدم بسرعة ألفي عام، إلى أوائل القرن التاسع عشر، ويعود الرجل المجرد من المبادئ، هذه المرة على أنه أحد اللاعبين الميتافيزيقيين الرئيسيين في النقاش حول الإرادة الحرة. هل يمكن أن يكون الأمر، كما خمن الفلاسفة والأطباء، أن بعض المخالفين الأخلاقيين، والكسالى عديمي الضمير، لم يكونوا مجرد أشخاص «سيئين»، لكنهم، في الواقع، على النقيض من الأوغاد الآخرين، لم يفهموا إلا القليل أو لم يفهموا أي شيء على الإطلاق من عواقب أفعالهم؟ ومن المؤكد أن أحدهم يعتقد ذلك.

عام 1801، كتب طبيب فرنسي اسمه **فيليب بينل** في دفتر ملاحظاته الكلمات **الجنون دون تشوش العقل**[100] بعد أن نظر في رعب إلى رجل كان يركل ببرود وهدوء كلبًا أمامه حتى الموت. في وقت لاحق من العام نفسه، كان على بينل أن يكتب تقريرًا دقيقًا وشاملًا - وحتى يومنا هذا – يبقى دقيقًا للغاية - للمتلازمة. لم يقتصر الأمر على أن الرجل المعني لم يظهر أدنى ومضة من الندم على أفعاله، بل ظهر أيضًا في معظم النواحي الأخرى عاقلًا تمامًا. وبدا أنه صاغ عبارة يتفق معها العديد من الذين اتصلوا مع الأشخاص السيكوباتيين منذ ذلك الحين، على أنهم «مجانين دون جنون». إنه **الجنون دون تشوش العقل**.

اتضح أن الفرنسي لم يكن وحيدا في تفكيره. يقدم الطبيب **بنيامين راش**،[101] الذي كان يمارس الطب في أمريكا في أوائل القرن التاسع عشر، تقارير مشابهة لتقرير بينل،

---

(100) - فيليب بينل Philippe Pinel (1745 - 1826): طبيب نفسي فرنسي له دور أساسي في تطوير نهج أكثر إنسانية في استضافة المرضى النفسيين ورعايتهم، كما قدم إسهامات ملحوظة في مجال تصنيف الاضطرابات النفسية، وقد وصفه البعض بأنه "أبو الطب النفسي الحديث"؛ **الجنون دون تشوش العقل** *manie sans délire*: المصطلح بالفرنسية في الأصل، ويعرف أيضًا "بالجنون الأخلاقي Moral insanity" (المترجم).

(101) - بنيامين راش Benjamin Rush (1746 - 1813): طبيب وسياسي ومصلح اجتماعي أمريكي، وقائد مدني في فيلادلفيا، وأحد الموقعين على وثيقة إعلان الاستقلال (المترجم).

عن سلوكيات بغيضة بالقدر نفسه وعمليات التفكير غير المضطربة بالقدر نفسه. ويمنح بنيامين راش مرتكبي مثل هذه الأفعال وصف «ساد أخلاقي فطري خارق»، حيث «ربما يكون هناك تنظيم مختل من الأصل في تلك الأجزاء من الجسد، التي تشغلها القدرات الأخلاقية للعقل».

ويواصل القول بأنه قد يتم تشويه الإرادة حتى في «العديد من الحالات التي يكون فيها الأشخاص من ذوي الفهم السليم... وسوف تصبح الإرادة وسيلة لا إرادية للأعمال الوحشية، من خلال آلية الأهواء».

لقد سبق علم الأعصاب الحديث بمائتي سنة. وبتعبير آخر، لا يحتاج التسونامي العصبي للجنون إلى أن يندفع بشكل يوحي بنهاية العالم ويجرف الشواطئ البلورية للمنطق. يمكنك أن تكون سليم العقل وتكون «غير سليم» في الوقت نفسه.

نتقدم إلى الأمام قرنًا ونصفًا، وعبر المحيط الأطلسي، في كلية الطب في جورجيا، يقدم الطبيب الأمريكي هيرفي كليكلي قائمة أكثر تفصيلًا **للجنون المنطقي**. في كتابه **قناع العقل**،[102] المنشور عام 1941، يجمع كليكلي الملامح التالية الانتقائية إلى حد ما للشخصية السيكوباتي. ويلاحظ أن السيكوباتي شخص ذكي يتميز بفقر الانفعالات، وغياب الشعور بالخجل، والأنانية، والفتنة السطحية، وعدم الشعور بالذنب، وعدم الشعور بالقلق، والحصانة ضد العقاب، وعدم القدرة على التنبؤ، وعدم المسئولية والتلاعب، وأسلوب حياة عابر في التعامل مع الآخرين – وهي، إلى حد كبير، الصورة التي يعرفها الأطباء في القرن الحادي والعشرين عن الاضطراب اليوم (على الرغم من ذلك بمساعدة برامج الأبحاث المختبرية، وتطوير تقنيات مثل تخطيط الدماغ الكهربائي (EEG) والرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، بدأنا الآن في

---

(102) - هيرفي كليكلي Hervey Cleckley (1903 - 1984): طبيب نفسي أمريكي ورائد في مجال السيكوباتية. **الجنون المنطقي** *la folie raisonnante*: بالفرنسية في الأصل. ألف هيرفي كتابه، **قناع العقل** *The Mask of Sanity*، الذي نشر ونُقح في طبعات جديدة حتى ثمانينيات القرن العشرين، ويمثل الوصف الإكلينيكي الأكثر تأثيرًا للشخصية السيكوباتية في القرن العشرين (المترجم).

التوصل إلى فهم أفضل للأسباب). لكن تتخلل الصورة التي رسمها هيرفي كليكلي للاضطراب ضربات فرشاة لما يبدو أنها عبقرية. يوصف السيكوباتي بأنه يتمتع «بدهاء ورشاقة... العقل»، وأنه «يتحدث بشكل ممتع» ويتمتع «بفتنة غير عادية».

في مقطع لا ينسى، يصف كليكلي أعمق أعمال عقول هذه الحرابي [جمع حرباء] الاجتماعية، الحياة اليومية خلف الستارة الجليدية لانعدام الشعور:

[إن الشخص السيكوباتي] غير مطلع على الحقائق أو البيانات الأولية لما يمكن أن نسميه القيم الشخصية، وهو غير قادر تمامًا على فهم مثل هذه الأمور. ومن المستحيل عليه أن يهتم، حتى ولو أدنى اهتمام، بمأساة البشرية أو بهجتها أو كفاحها، كما يقدم في الأدب الجاد أو الفن الجاد. كما أنه لا يبالي بكل هذه الأمور في الحياة نفسها. إن الجمال والقبح، باستثناء المعنى السطحي للغاية، والخير والشر والحب والرعب والفكاهة ليس لها معنى فعلي، ولا قوة تؤثر فيه.

وهو، بالإضافة إلى ذلك، يفتقر إلى القدرة على رؤية تأثر الآخرين. إنه يبدو كما لو كان مصابًا بعمى الألوان، على الرغم من ذكائه الحاد، فيما يتعلق بهذا الجانب من الوجود البشري. ولا يمكن أن نفسر له الأمر، لأنه لا يوجد في مدار إدراكه شيء يمكن أن يسد الفجوة بالمقارنة. يمكنه أن يكرر الكلمات ويقول بجلاء أنه يفهم، ولا توجد طريقة يدرك بها أنه لا يفهم.

قيل إن الشخص السيكوباتي يفهم كلمات الانفعال ولا يفهم موسيقى الانفعال.

لقد شعرْتُ بطعم مميز لما كان يقدمه هيرفي كليكلي في إحدى مواجهاتي الأولى جدًّا مع شخص سيكوباتي. كان جوي- Joe في الثامنة والعشرين من عمره، وكان يبدو أجمل من براد بيت،[103] وكان معدل ذكائه 160. ولا يمكن فهم السبب الذي جعله يشعر بأنه في حاجة إلى أن يتغلب على تلك الفتاة بشكل أخرق في موقف السيارات،

(103) - براد بيت Brad Pitt (1963 -): ممثل ومنتج أفلام أمريكي؛ حصل على العديد من الجوائز. منها جائزة الكرة الذهبية، وقد حصل عليها مرتين، وجائزة الأوسكار (المترجم).

ويقودها إلى الظلام على حافة تلك المدينة الشمالية، ويغتصبها عدة مرات بحد السكين، ثم يشقّ حلقها ويلقي بوجهها في برميل قمامة في منطقة صناعية مهجورة. تم العثور على أجزاء من جسمها في وقت لاحق في الدرج المخصص لقفازاته.

في مقابلة خانقة وبلا روح في جناح تفوح منه رائحة شاحبة لمطهر، جلست على الطرف الآخر من طاولة مع جوي - مليون ميل، وخمس سنوات، من ميدانه المحلي لعملية القتل الوضيعة التي ارتكبها. لقد كنت مهتمًا بالطريقة التي اتخذ بها القرارات، والإعدادات العشوائية على البوصلة الأخلاقية في دماغه - وكان لدي سلاح سري، خدعة نفسية خبيثة في جعبتي، لمعرفة ذلك. طرحت عليه المعضلة التالية:

هناك جراح زراعة أعضاء رائع لديه خمسة مرضى. يحتاج كل مريض منهم إلى عضو مختلف، ويموت كل منهم دون هذا العضو. لسوء الحظ، لا توجد أعضاء متاحة حاليًا لإجراء أية عملية من عمليات زراعة الأعضاء. يأتي مسافر شاب سليم، ويمر للتو على عيادة الطبيب لإجراء فحص روتيني. وفي أثناء إجراء الفحص، يكتشف الطبيب أن أعضاء الشاب متوافقة مع جميع مرضاه الخمسة المعرضين للموت. وافترض، بالإضافة إلى ذلك، أنه إذا اختفى الشاب فلن يشك أحد في الطبيب. هل يكون الطبيب على حق في قتل الشاب لإنقاذ مرضاه الخمسة؟

طرحت هذا اللغز الأخلاقي لأول مرة جوديث جارفيس طومسون، مؤلفة تجربة الرجل السمين والعربة التي ناقشناها في الفصل الأول. وعلى الرغم من أنه من المؤكد أن هذه النقطة مثيرة للجدل، إلا أنه يمكن لمعظم الناس أن يحلوها بسهولة. من المؤسف أخلاقياً أن يقضي الطبيب على حياة الشاب - لا يحق لطبيب أن يقتل مريضًا، بغض النظر عن الكيفية الإنسانية أو الرأفة التي قد يبدو عليها التبرير في ذلك الوقت. وسوف يكون القتل سهلًا وبسيطًا. ولكن ما القرار الذي قد يتخذه شخص مثل جوي؟

وعلق مباشرة ببرود حين عرضت عليه المشكلة: «أستطيع أن أرى أين تكمن

المشكلة. إذا كان كل ما تفعله هو مجرد أن تلعب لعبة الأرقام، فلا داعي للعقل على الإطلاق، أليس كذلك؟ تقوم بقتل الشاب وتنقذ الخمسة الآخرين. إنها النفعية الصادمة... الخدعة هي ألا تفكر في الأمر كثيرًا... إذا كنْتُ طبيبًا، فلن أفكر في الأمر مرتين. إنهم خمسة مقابل واحد، أليس كذلك؟ خمسة أخبار جيدة - أعني، ماذا عن عائلات هؤلاء الرجال؟ - مقابل خبر واحد سيء. يجب أن تكون صفقة. أليس كذلك؟».

قال لي طبيب نفسي شرعي كبير ونحن نجلس في مكتبه نتحدث عن الأشخاص السيكوباتيين «إنهم ينفعلون بالأرقام».

وفي حالة جوي، يبدو ذلك واضحًا بكل معنى الكلمة.

أزمة الهوية:

قوى الإقناع التي يتمتع بها الأشخاص السيكوباتيون لا تضاهى؛ فقدراتهم على التكسير النفسي الآمن قدرات أسطورية. ومن المؤكد أن جوي، القاتل، المغتصب، بنظرته الجليدية الزرقاء ومعدل الذكاء الذي يضعه في صف العباقرة، لم يكن استثناء للقاعدة. في الواقع، حين تتحدث في بعض الأحيان، إلى شخص سيكوباتي في مقابلة، قد يكون من الصعب تصديق أن هناك أي خطأ على الإطلاق - إذا كنت لا تعرف ما يجعلك تتصرف بشكل أفضل. وهو مجرد سبب من الأسباب التي جعلت التوصل إلى تصنيف دقيق للاضطراب الذي اتفق عليه الجميع يثبت أنه صعب للغاية على مر السنين.

لقد مرت ثلاثة عقود حتى الآن على حصول الشخصية السيكوباتية على تصريح الإقامة في المجال الإكلينيكي. عام 1980، كشف روبرت هير (الذي التقينا به في الفصل الأول) النقاب عن قائمة فحص الشخصية السيكوباتية، وهو الاختبار الافتتاحي (وما زال الأفضل بالنسبة للكثيرين) للكشف عن وجود الاضطراب.

وقائمة الفحص - التي خضعت للتعديل عام 1991: وتمت إعادة تسميتها منذ ذلك الحين بالقائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية Psychopathy Checklist– Revised (PCL-R) - وتتضمن استبيانًا مكونًا من عشرين عنصرًا يحتوي على درجة قصوى تبلغ 40 (في كل عنصر، يمكن للفرد تسجيل إما 0 ويعني أنه «لا ينطبق»؛ أو 1 ويعني أنه «ينطبق إلى حد ما»؛ أو 2 ويعني أنه «ينطبق تمامًا»)، وقد طوره هير بناء على كلٍّ من ملاحظاته الإكلينيكية الخاصة، وتلك الملاحظات التي حددها هيرفي كليكلي قبل ذلك في ولاية جورجيا.

معظمنا يسجل 2 تقريبًا. مستوى دخول الأشخاص السيكوباتيين 27.[104]

ربما لا يكون من المستغرب، بالنظر إلى الطريقة التي يحبها المنظرون في مجال الشخصية في تناول الأمور، فإن العناصر العشرين التي تتكون منها القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية PCL-R، في مناسبات عديدة، تمامًا مثل ال 240 عنصرًا تشكل استبيان نيو NEO، قد خضعت للعبة خلط البطاقات الإحصائية أي تحليل العوامل. وقد تباينت نتائج اللعبة على مر السنين، ولكن النشاط الأخير لعدد من المتخصصين في علم النفس الإكلينيكي يشير إلى أنه، تمامًا بالطريقة نفسها التي توجد بها خمسة أبعاد رئيسية لفضاء الشخصية بشكل عام، هناك أربعة أبعاد رئيسية في السديم السيكوباتي الطيفي متداخلة فيها *(انظر الجدول 2 - 6)*.

عناصر العلاقة مع الآخرين	العناصر الوجدانية	عناصر أسلوب الحياة	العناصر المضادة للمجتمع
طلاقة اللسان/ الفتنة السطحية	عدم الشعور بالندم أو الذنب	الحاجة إلى التنبيه/ الميل إلى السأم	سوء السيطرة على التصرفات
الإحساس المتعاظم بقيمة الذات	وجدان ضحل	أسلوب حياة طفيلية	مشاكل سلوكية مبكرة
الكذب المرضي	قاسٍ/ عدم القدرة على	الافتقار إلى أهداف واقعية	جنوح الأحداث

(104) - يتم إصدار القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية PCL-R في الإعدادات الإكلينيكية، من قبل أشخاص مؤهلين، ويتم التسجيل على أساس مراجعة ملف مكثف ومقابلة شبه منظمة. لا تحاول استخدامه على مدير بنكك. (المؤلف).

	التعاطف	طويلة المدى	
الخداع/ التلاعب	الفشل في قبول المسؤولية عن تصرفاته	الاندفاع	فسخ الإفراج المشروط
		انعدام المسئولية	التنوع الإجرامي

الجدول 2 - 6: نموذج العوامل الأربعة القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية PCL-R (from Hare, 2003)

بعبارة أخرى، الشخصية السيكوباتية اضطراب مركب يتكون من مكونات متعددة مترابطة تتراوح بشكل منفصل ومستقل على طول عدد من الأطياف المختلفة: ما يتعلق بالعلاقة مع الآخرين، والانفعال، ونمط الحياة، ومعاداة المجتمع – خمر السَّحَرة من قِطَع الشخصية.

ولكن أي طيف من هذه الأطياف هو الأكثر أهمية؟ هل الشخص الذي حصل على درجات عالية في العناصر المعادية للمجتمع في قائمة الفحص، على سبيل المثال، وأقل، على سبيل المثال، في عنصر العلاقة مع الآخرين، سيكوباتي أكثر أو أقل من شخص يحصل على درجات عكسه تمامًا؟

تظهر أسئلة من هذا القبيل بشكل منتظم في المعركة من أجل النفسية السيكوباتية psychopath psyche، في مناطق القتال التجريبية والتشخيصية للتعريف الإكلينيكي. خذ، على سبيل المثال، قائمة **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM) لاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع- Antisocial Personality Disorder (ASPD)، وهي منطقة ذات أهمية استراتيجية خاصة في الصراعات المرتبطة بعلم الأوبئة. الخط الرسمي، كما تحدده الجمعية الأمريكية للطب النفسي- American Psychiatric Association، هو أن اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع واضطراب الشخصية السيكوباتية مترادفان في الحقيقة. يُعرّف اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع على أنه «نمط منتشر من التجاهل والانتهاك لحقوق الآخرين يبدأ في مرحلة الطفولة أو المراهقة المبكرة ويستمر حتى مرحلة البلوغ». ويجب أن يكون عمر الفرد

ثمانية عشر عامًا[105] أو أكثر، وأن يظهر دليلاً على اضطراب السلوك[106] قبل سن الخامسة عشر، وأن يفي بثلاثة معايير على الأقل من المعايير التالية:

1 - عدم التقيد بالمعايير الاجتماعية فيما يتعلق بالسلوكيات القانونية، كما يتضح من القيام بأفعال متكررة تكون سببًا للتوقيف

2 - الخداع، كما يتضح من الكذب المتكرر، أو استخدام الأسماء المستعارة، أو خداع الآخرين لتحقيق الربح أو المتعة الشخصية

3 - الاندفاع، أو الفشل في التخطيط للمستقبل

4 - التوتر والعدوانية، كما يتضح من المعارك أو الاعتداءات الجسدية المتكررة

5 - تجاهل متهور لسلامة الذات أو سلامة الآخرين

6 - انعدام دائم للمسئولية، كما يتضح من الفشل المتكرر في الحفاظ على السلوك في العمل بشكل دائم أو احترام الالتزامات المالية

7 - عدم الشعور الندم، كما يتضح من عدم المبالاة أو التبرير أو الأذى أو سوء المعاملة أو السرقة من شخص آخر.

ولكن هل هذا الاضطراب هو نفسه اضطراب الشخصية السيكوباتية؟ يجادل العديد من المنظرين بأنه ليس كذلك - وعلى الرغم من وجود تداخل بالتأكيد بين الاثنين، فإن الاختلاف الأساسي يكمن في التقلبات الخبيثة في الأهمية الخاصة للسمات: في الاختلال الواضح بين مزيج العناصر السلوكية لمعايير **«الانحراف**

---

(105) - هذا الشرط المتعلق بالعمر لتشخيص اضطراب الشخصية شرط ضروري في كل اضطرابات الشخصية ولا يقتصر على الشخصية المعادية للمجتمع (المترجم).

(106) - يتميز اضطراب السلوك Conduct disorder (CD)، وفقًا **للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM)، ب "نمط متكرر ومستمر من السلوك ينتهك الشخص فيه الحقوق الأساسية للآخرين أو المعايير أو القواعد المجتمعية الرئيسية المناسبة للعمر ... ويتجلى ذلك من خلال وجود ثلاثة معايير (أو أكثر) من المعايير التالية في الأشهر الاثني عشر الماضية، مع وجود معيار واحد على الأقل في الأشهر الستة الماضية: الاعتداء على الناس والحيوانات ... تدمير الممتلكات ... الخداع أو السرقة ... انتهاك خطير للقواعد." بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يؤدي اضطراب السلوك إلى "ضعف كبير إكلينيكيًا في الأداء الاجتماعي أو الأكاديمي أو المهني". تم تحديد نوعين من اضطراب السلوك: الاضطراب الذي يبدأ في الطفولة childhood-onset (حيث يجب أن يتوفر معيار واحد على الأقل من الاضطراب في الدليل قبل سن العاشرة)؛ والاضطراب الذي يبدأ ظهوره في فترة المراهقة adolescent-onset (حيث لا ينبغي أن تكون هناك معايير قبل سن العاشرة) (المؤلف).

الاجتماعي» الذي يميز المصاب باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع والخلل الوجداني الأساسي، الشفق الانفعالي الغامض، الذي يفوح من الشخص السيكوباتي.

إن التشعب، سواء الإحصائي أو غير الإحصائي، لا يكون دون نتائج. في نزلاء السجون، يعتبر اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع هو المعادل في الطب النفسي لنزلات البرد، مع ما يصل من 80 إلى 85 في المائة من المجرمين المسجونين، ووفقًا لما يقوله روبرت هير، لديهم أعراض تفي بمتطلبات تشخيص اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع. قارن هذا بمعدل إصابة 20٪ فقط بالنسبة للسيكوباتيين. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأقلية التي تمثل 20 في المائة يبدو أن تأثيرها أعلى بكثير من حجمها. حوالي 50 في المائة من أخطر الجرائم المسجلة - جرائم مثل القتل والاغتصاب المتكرر، على سبيل المثال - يرتكبها أشخاص سيكوباتيون.

ويستمر في ارتكابها أشخاص سيكوباتيون.

تكشف الدراسات التي تقارن معدلات العودة بين السجناء السيكوباتيين والسجناء غير السيكوباتيين أن احتمال عودة السيكوباتيين إلى السجن ثلاث أضعاف عودة غير السيكوباتيين خلال عام واحد فقط. إذا أدخلنا العنف في المعادلة، يصبح المنحنى أكثر حدة. يظهر الشخص السيكوباتي في طريقه إلى خلف القضبان باحتمال يزيد خمس أضعاف نتيجة للضرب أو الاغتصاب أو القتل أو التشويه. والأكثر دقة أن نقول إن العلاقة بين اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع والسيكوباتية غير متماثلة. مقابل كل أربعة أشخاص يتم تشخيص إصابتهم باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، قد يكون لديك أيضًا سيكوباتي واحد. لكن كل شخص يعاني من السيكوباتية سوف يكون أيضًا، بشكل افتراضي، مصابًا باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

اختلاف القتلة:

ربما لمزيد من توضيح الفرق بين المتلازمتين، ضع في الاعتبار تاريخي الحالتين

التاليتين:

الحالة الأولى:

جيمي يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا وقد صدر ضده حكم بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل. كان سريع الغضب وسهل الاستثارة دائمًا، وقد تورط في مشاجرة في حانة انتهت بإصابة قاتلة في رأس الشخص الذي كان يتشاجر معه. بشكل عام، يتمتع جيمي بشعبية في السجن، ويتجنب الدخول في مشاكل ويحافظ على التصرف بهدوء. والانطباعات الأولى عنه انطباعات عن نوع من الرجال غير ناضج ومرح ولا يحمل همًّا ويجيد التعامل مع العاملين في السجن ومع وزملائه السجناء على حد سواء.

بدأ سجل جيمي الإجرامي (الذي يتكون من حوالي ست جرائم) في سن السابعة عشرة حين تم القبض عليه بتهمة سرقة متجر – وكانت الأمور، على الرغم من ذلك، وفقًا لما يقوله والداه، تسير بالفعل إلى الأسوأ. قبل ذلك بعامين، حين كان جيمي في الخامسة عشرة من عمره، بدأ في الانجراف إلى المشاكل في كل من البيت والمدرسة. بدأ في البقاء خارج البيت إلى وقت متأخر من الليل، وانضم إلى عصابة محلية سيئة السمعة، وكان يكذب عادة، ويدخل في مشاجرات، ويسرق السيارات، ويخرب الممتلكات. وحين بلغ جيمي السادسة عشرة من العمر، ترك المدرسة وبدأ في العمل في متجر معروف، في تحميل الشاحنات. كما بدأ يشرب الخمر بكثرة، ويسرق أحيانًا من المستودع «ليواصل الانغماس في الشرب». كان يعاني من مشكلة في الحفاظ على نقوده، وكثيرًا ما كان تغطية نفقاته تمثل تحدِّيًا، لذلك بدأ في تجارة الماريجوانا. وبعد ذلك بسنتين، بعد ثلاثة أشهر من عيد ميلاده الثامن عشر، انتهى به الأمر إلى وضعه تحت المراقبة وانتقل إلى مكان آخر مع صديقته.

بعد أن فقد جيمي وظيفته، وفقد بعد ذلك عدة وظائف أخرى، وجد عملًا في مرآب. وعلى الرغم من الجدل المستمر مع صديقته حول شربه وتجارة المخدرات وعادات الإنفاق، ظلت علاقته معها على ما يرام لفترة من الوقت. دخل جيمي في

علاقتين، لكنه أنهى العلاقتين كلتيهما. قال إنه شعر بالذنب. كما كان يشعر بالقلق من أن صديقته قد تكتشف أمره وتتركه.

ثم بدأ الشرب يخرج عن نطاق السيطرة. وذات ليلة، في الحانة المحلية التي يشرب فيها، دخل جيمي في مشاجرة. تدخل العاملون في الحانة بسرعة وطلبوا من جيمي مغادرة المكان. كان يذهب عادة في هدوء. ولكنه هذه المرة، لسبب ما، لم يستطع «أن يبالي بالأمر». لذا، قام بالتقاط عصا بلياردو وحطمها – تهشمت بقوة كبيرة جدًّا – على رأس الرجل الآخر من الخلف: ضربة، للأسف، تسببت في نزيف حاد في الدماغ. وصلت الشرطة. واعترف جيمي على الفور. وفي محاكمته، اعترف بأنه مذنب.

الحالة الثانية:

إيان Ian يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا ويقضي عقوبة السجن مدى الحياة بتهمة القتل. في إحدى الليالي، اندفع إلى فندق صغير ليحصل على شيء يأكله وانتهى به الأمر بإطلاق النار على موظفة الاستقبال من مسافة قريبة من أجل سرقة المال من الدرج الذي تضع فيه النقود. ومن المعروف في السجن أنه متورط بشكل كبير في تناول المخدرات والتجارة فيها - بالإضافة إلى عدد آخر غير قليل من أشكال الابتزاز. إنه فاتن والحديث معه ممتع - على الأقل ممتع في البداية. لكن المحادثات تنتهي عادة إلى اتخاذ منعطف عنيف أو جنسي، وهي حقيقة لا تغيب عن الإناث العاملات. قام بعدد من الوظائف في الجناح منذ دخل إلى السجن، لكن عدم مصداقيته، إلى جانب سلوكه العدواني المتفجر (غالبًا حين يفشل في الحصول على ما يريد)، مما أدى إلى تاريخ عمل متقلب. بسؤال زملائه السجناء عن رأيهم فيه يعترف معظمهم بمزيج من الخوف والاحترام. وهي سمعة يستمتع بها.

يبدأ سجل إيان الإجرامي في سن التاسعة من عمره، حين سرق بعض معدات الكمبيوتر من نادي الشباب المحلي. تصاعد الأمر بسرعة إلى محاولة قتل زميل له حين كان في الحادية عشرة من العمر. رفض الصبي، حين واجهه إيان في مراحيض

المدرسة، أن يعطيه النقود التي سوف يتناول بها العشاء - لذا وضع إيان كيسًا بلاستيكيًا على رأسه وحاول خنقه في إحدى الزوايا. ولكن لولا تدخل مدرس، كما يقول إيان، لكان «من المؤكد أن اللقيط البدين ما كان ليحتاج إلى نقود للعشاء مرة أخرى». وهو يتذكر الحادث، يهز رأسه ويبتسم.

حين ترك إيان المدرسة، قضى معظم وقته في تسجيل الدخول والخروج من مختلف الوحدات المخصصة للسجناء الخطرين. كانت ميوله الإجرامية متنوعة، على أقل تقدير: الخداع؛ سرقة المحلات؛ السطو؛ سرقة الشوارع؛ إحداث أذى خطير بالجسد؛ حريق متعمد؛ تجارة المخدرات؛ القوادة. ولأنه لم يكن قادرًا على الاحتفاظ بوظيفة لأكثر من أسبوعين في كل مرة، لم يكن أمامه إلا أن يتطفل على الأصدقاء أو يعيش من عائدات جرائمه. كان يتمتع بوجود عابر، يندفع من أريكة إلى أريكة ومن نُزُل إلى نُزُل، مفضلًا التنقل على الاستقرار. ونظرًا لأنه ظهر بشخصية شخص يبدو مصدرًا للثقة وجذابًا وواثقًا من نفسه، كان هناك دائمًا شخص على استعداد لتوفير مكان له يقيم فيه - عادة «بعض النساء» اللائي كان يتحدث معهن في حانة. لكن الأمر كان ينتهي حتمًا بالدموع.

لم يسبق لإيان أن تزوج، ولكن كان لديه سلسلة من الصديقات اللائي يعشن معه. لم تستمر أطول علاقة له أكثر من ستة أشهر، ومثل كل العلاقات الأخرى، كانت مليئة بمواقف عنيفة. في كل مناسبة، كان إيان هو الذي ينتقل إلى مكان شريكته، وليس العكس. وفي كل مناسبة، «كان يجذبهن إليه». كانت علاقاته الغرامية شائعة. في الواقع، يواجه إيان صعوبة في تذكر أي وقت لم يكن فيه، كما قال، «مستحوذًا على أكثر من كتكوت» - على الرغم من أنه يدعي أنه لم يكن مخلصًا أبدًا. يقول: «في معظم الأحيان كنت أعود إليها في الليل. ماذا يردن أكثر من ذلك؟»

في محاكمته، كانت الأدلة ضد إيان صارخة. ومع ذلك، قدم التماسًا بأنه غير مذنب، ولا يزال حتى يومنا هذا يصر على براءته. حين قُرِئ الحكم في المحكمة، ابتسم في اتجاه

عائلة الضحية وأظهر غضبه للقاضي في أثناء خروجه من قفص الاتهام.

منذ وجوده في السجن، قدم إيان طعنين ضد الحكم الذي صدر ضده. إنه واثق للغاية، على الرغم من الاحتجاجات المتكررة على عكس ذلك من محاميه، أن قضيته سوف تتم مراجعتها وأن الحكم سوف يتم إلغاؤه.

يقول إن الأمر مؤجل.

إذن أنت الطبيب، وإيان وجيمي زميلان في الزنزانة. إنهما يجلسان في الممر بانتظار التشاور. هل تعتقد أنه يمكنك تحديد الشخص السيكوباتي بين الاثنين؟ على السطح، قد يكون الأمر صعبًا. ولكن دعنا ننظر مرة أخرى إلى معايير اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع. إنهما كليهما يظهران فشلًا في الامتثال للمعايير الاجتماعية. ولدى الاثنين كليهما لديهما ميول نحو الهيمنة السلوكية السيئة - نحو الاندفاع والعدوانية وعدم المسئولية. سوف أقترح تشخيصًا واضحًا.

ولكن الآن دعنا نفحص الرواية السيكوباتية. الحاجة إلى التحفيز ونمط حياة طفيلية؟ أود أن أقول إن ما في حقيبة إيان أكثر مما في حقيبة جيمي. ومع ذلك، حين نأتي إلى الانفعال، أو بشكل أكثر تحديدًا إلى عدم الانفعال، يبدأ «قناع عقل» إيان في الانزلاق. فاتن، متعاظم، متلاعب، ولديه نقص في التعاطف والشعور بالذنب: إيان جيد جدًا في الشخصية السيكوباتية، يبدو غالبًا وكأنه يتدرب عليها. كما لو أنه تخرج مؤخرًا في مدرسة سرية للسيكوباتيين.

مع مرتبة الشرف.

إن اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع شخصية سيكوباتية مع إضافة الانفعال. والشخصية السيكوباتية خواء انفعالي.

الإهمال الجنائي:

إن مسألة أن الشخصية السيكوباتية لا تفي بالمعايير التي يضعها حراس **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM) إهمال من نوع غريب. السبب الأكثر ذكرًا لاستبعاده الغريب والجلي هو التعقيد التجريبي - ذلك، وترادفه المفترض مع اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع (ASPD). إن الإحساس بالذنب والندم والتعاطف، ربما، لا تكون أكثر السمات التي يمكن تناولها بشكل كمِّيٍّ. لذا من الأفضل، بدلًا من ذلك، التمسك بالسلوك الذي يمكن ملاحظته، خشية أن يطل شبح الذاتية برأسه.

إنها إشكالية، على أقل تقدير. بدايةً، تكشف الدراسات أن معدلات التوافق بين الأطباء مرتفعة جدًّا بالفعل حين يتعلق الأمر بالقائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R). المقياس، باستخدام المصطلح المناسب، يتمتع بقدر جيد من «الموثوقية بين المقيمين». بالإضافة إلى ذلك، كما أخبرني طبيب نفسي كبير، «يمكنك شم رائحة الشخص السيكوباتي في غضون ثوانٍ من مروره من الباب».

لكن هذه النقطة ليست النقطة الرئيسية الوحيدة محل الخلاف. إن لغز هوية الشخص السيكوباتي، وعلى وجه التحديد لغز ما يخفيه قناع العقل، يمنح منعطفًا ظاهريًّا آخر من خلال ملاحظة أكثر إزعاجًا إلى حد ما. ليس كل الأشخاص السيكوباتيين وراء القضبان. يبدو أن الغالبية موجودة في أماكن العمل. وبعضهم، في الواقع، يبلي بلاءً حسنًا. ويسمى هؤلاء الأشخاص السيكوباتيين الناجحين - مثل الذين يدرسهم سكوت ليلينفيلد - يطرحون مشكلة أمام اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، وبالمناسبة، أمام مؤيدي القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية. قدمت دراسة حديثة أجرتها **ستيفاني مولينز سويت** Stephanie Mullins-Sweatt في جامعة ولاية أوكلاهوما للمحامين والمتخصصين في علم النفس الإكلينيكي وصفًا أوليًّا لشخص سيكوباتي. بعد قراءة البروفايل، تم وضع مجموعتي المحترفين في المواجهة على الفور. هل كانوا، كما أرادت ستيفاني مولينز سويت أن

تعرف، قادرين على تذكر أي شخص كانوا يعرفونه، في الماضي أو الحاضر، وكان، في رأيهم الشخصي، مناسبًا لمثل هذا الوصف (ولسنا في حاجة إلى قول من نجحوا في مسار مهني معين)؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكنهم تقييم شخصية ذلك الشخص على اختبار العوامل الخمسة الكبار؟

كانت قراءة النتائج مثيرة. تماشيًا مع التوقعات، ظهر السيكوباتيون الناجحون – ظهروا بشكل سحري، من بين أمور أخرى، من عوالم الأعمال والأوساط الأكاديمية وتطبيق القانون(107) – بشكل شائن وخسيس كما كانوا دائمًا. تمامًا مثل نظرائهم غير الناجحين، تم وصفهم بعبارات عامة بأنهم «غير أمناء، واستغلاليون، الشعور بالندم منخفض لديهم، ويشعرون بأقل قدر من اللوم الذاتي، ويتسمون بالغطرسة والسطحية».

لا مفاجآت هناك.

ولكن حين وصل الأمر إلى العوامل الخمسة الكبار، استمر التشابه. كما هو الحال في دراسة **دونالد لينام**، حيث قام الخبراء بتقييم أنفسهم، تم تصوير السيكوباتيين الناجحين، مثل أناهم المتغيرة بشكل نموذجي، (بشكل افتراضي) بأنها مرتفعة في أبعاد الحزم، والبحث عن الإثارة، والنشاط... ومنخفضة في أبعاد التوافق، مثل الإيثار والامتثال والتواضع. بالإضافة إلى ذلك، باستثناء الانضباط الذاتي (الذي فشل فيه السيكوباتيون الفاشلون وتفوق فيه السيكوباتيون الناجحون)، وتبين أيضًا أن صور الضمير تتقارب، حيث تتفوق المجموعتان كلتاهما في الكفاءة والنظام والسعي لتحقيق الإنجاز.

وكل ذلك يطرح السؤال: أين يكمن الاختلاف الحاسم؟ هل محور التفاوت بين السيكوباتيين الناجحين والسيكوباتيين غير الناجحين، بين الرؤساء والأشخاص

---

(107) - "أفضل محقق شرطة"؛ "عميد من إحدى الجامعات الكبرى"؛ "تاجر تجزئة ناجح"؛ "شخص كسب مبلغًا كبيرًا من المال وكان عمدة لمدة ثلاث سنوات"؛ "شخص شغل منصبًا إداريًا في مؤسسة حكومية"؛ "أستاذ موهوب منح العديد من المنح الفيدرالية" - هذه ليست سوى بعض مؤشرات النجاح التي ظهرت في الدراسة (المؤلف).

الذين ينجذبون جنسيًا للأطفال، يدور حول الانضباط الذاتي فقط؟ وكل شيء آخر متساوٍ. إن مثل هذا الاحتمال قد ينطوي على بعض المنطق. إن القدرة على تأخير الإشباع، وتأجيل الرغبة في الخطف والجري (وأيضًا، وغني عن القول، الجري والخطف)، قد ينقلب التوازن بعيدًا عن النشاط الإجرامي باتجاه نمط حياة أكثر تنظيمًا وأقل اندفاعًا وأقل عداء للمجتمع .

إلا أن مسألة النشاط الإجرامي تثير قضايا خاصة بها. في كل من القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R) ومعايير اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع المنصوص عليها في **الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية** (DSM)، «التنوع الإجرامي» و«أداء الأعمال بشكل متكرر التي تكون سببًا للتوقيف» تشكل، على التوالي، المحددات التشخيصية الأساسية للشخصية السيكوباتية. أي الأعراض، بتعبير آخر. ومع ذلك، كما توضح دراسة ستيفاني مولينز سويت، لا يحتاج الأمر إلى تطبيق أي عنصر من هذه العناصر بالضرورة على الشعبة الناجحة من هذه الأنواع. من الممكن أن تكون سيكوباتيًا ولا تكون مجرمًا.

إذن، هل الأشخاص السيكوباتيون الناجحون لا يرقون إلى المواصفات الحقيقية للشخصية السيكوباتية؟ هل هم خلية عصبية ينقصها مشبك- Synapse مقارنة بمن يحملون الصفة نفسها من أصحاب السمعة السيئة؟ من الصعب معرفة ذلك. ولكن قبل خمسة عشر عامًا، في محاولة للقيام بذلك، قام رجل بإجراء صعب - وانتهى به الأمر إلى حالة غضب شديد مني ومن جبل من تاكو التمساح في مطعم في وسط مدينة أتلانتا.

الطريق المنحط عبر السيكوباتية:

عام 1996، كان **سكوت ليلينفيلد** ومساعده بريان **أندروز** في صراع مع هذه المعضلة بالضبط. وقد توصل سكوت ليلينفيلد، بصفته باحثًا ذا خبرة في هذا المجال،

يتمتع بمعرفة كبيرة وخبرة بعدد ليس بالقليل من الأشخاص السيكوباتيين، إلى استنتاج نهائي، وإن كان مربكًا. بقدر ما يتعلق الأمر بالتكوين الافتتاحي للاضطراب - المفهوم التقليدي لما يعنيه حقًّا أن يكون المرء سيكوباتيًّا، كما حدده الأب المؤسس هيرفي كليكلي - كانت القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R)، والتدابير الإكلينيكية الأخرى، تؤدي هي نفسها إلى نتائج غريبة إلى حد ما. وعلى مر السنين، أدرك سكوت ليلينفيلد، أن الأضواء المسلطة على التشخيص قد اتسع مجالها. وقد ركز في البداية على السمات الشخصية التي تعزز الاضطراب، وبدا أن التركيز الآن ينصب، إن لم يكن بشكل أكبر، على الأفعال المعادية للمجتمع. كان سيرك السيكوباتيين مغروسًا في مستنقع الطب الشرعي.

على سبيل المثال، استشهد سكوت ليلينفيلد وبريان أندروز بانعدام الخوف. في بيانه الأصلي الذي يرجع إلى عام 1941، جادل هيرفي كليكلي بأن المستويات المنخفضة من القلق شكلت واحدة من البطاقات التي تقدم وصفًا حقيقيًّا لخصائص السيكوباتي: إنها سمة أساسية من سمات المتلازمة. ومع ذلك، أين ظهر ذلك بالضبط في نسيج القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R)؟ وراء هذا الإهمال، اكتشف سكوت ليلينفيلد صدعًا نظريًّا كبيرًا يتطور بين الطرق التي كانت مختلف قطاعات المجموعات الإكلينيكيّة والبحثية تعرض بها السيكوباتية: تقسيم المدرسة القديمة بين نوعين من التقاليد التحليلية - بين الوسائل النفسية النوعية والأهداف السلوكية الكمية.

وبدا أن هناك معسكرين تسللا من الأشغال الخشبية المعرفية. في أحدهما أتباع هيرفي كليكلي، الذين كان مجال اهتمامهم الرئيسي يكمن في الطبقة السفلية للشخصية؛ وفي المعسكر الآخر كان يستقر أتباع المدرسة السلوكية، المدينون بالفضل للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM) وإنجيل اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع (ASPD)، الذين يميلون، على النقيض من ذلك، إلى التركيز على

السجل الإجرامي. وغني عن القول أن مثل هذا الانقسام لم يفض إلى بحث تجريبي متماسك أو إجماع على التشخيص. إن الفرد الذي تتوفر لديه، من جهة، كل المتطلبات الضرورية للشخصية السيكوباتية، لكنه لم يشارك، من ناحية أخرى، في السلوك المعادي للمجتمع بشكل متكرر - أحد التنوعات «تحت الإكلينيكية» عند ستيفاني مولينز سويت، على سبيل المثال - أقر المدافعون عن المقاربة المبنية على الشخصية أنه سيكوباتي، لكن، كان ليلينفيلد وأندروز، أن يميزاه، وكان على صاحب المقاربة السلوكية أن يستبعده بذكاء عند الباب، حيث تكون التصرفات، في الجهة المقابلة، أوضح من الكلمات.

وكان لأتباع المدرسة الديناميكية تأثير في الاتجاهين كليهما. وكما رأينا مع إيان وجيمي، ليس كل من يشارك في نشاط إجرامي معتاد سيكوباتيًا. إنهم ليسوا إلا أقلية صغيرة، في الواقع. يجب القيام بشيء ما لاستيعاب الأطر المتنافسة، لجعل هذه المنظورات، المختلفة إلى حد كبير، متوافقة.

وكان الجواب لدى سكوت ليلينفيلد وبريان أندروز.

يتكون استبيان الشخصية السيكوباتية- Sychopathic Personality Inventory (PPI باختصار) من 187 سؤالًا. إنه ليس الاستبيان الأكثر دقة في العالم. ولكن مرة أخرى، طبيعة الموضوع ليست دقيقة أيضًا. تتلاقى ثمانية أبعاد شخصية منفصلة في عملاق القياس النفسي، مما يجعله أحد أكثر اختبارات الشخصية السيكوباتية، التي تم ابتكارها حتى الآن، شمولًا. ومن المثير للاهتمام أن تحليل عامل صديقنا القديم يكشف عن نمط مألوف. هذه الحالات التابعة **الثمانية** المستقلة للشخصية السيكوباتية - ***الأنانية المكيافيلية*** Machiavellian Egocentricity (ME)؛ عدم الامتثال الاندفاعي Impulsive Nonconformity (IN)؛ إلقاء اللوم على العوامل الخارجية Blame Externalization (BE)؛ عدم التخطيط المتسم براحة البال Carefree Nonplanfulness (CN)؛ عدم الخوف Fearlessness (F)؛ القوة الاجتماعية Social

(SOP) Potency؛ الحصانة ضد التوتر (STI) Stress Immunity؛ وقسوة القلب (C) Coldheartedness - تنقسم وتتشكل مرة أخرى على ثلاثة محاور خارقة . . .

1 - الاندفاع المتمركز حول الذات (ME + IN + BE + CN)

2 - الهيمنة التي لا تعرف الخوف (SOP + F + STI)

3 - قسوة القلب (C)

للكشف، في البقايا الإحصائية، بمجرد أن تستقر سحب الغبار الحسابي، عن الحمض النووي (DNA) البنيوي للشخصية السيكوباتية النقية الصرفة. كان هذا هو الجينوم الذي كان هيرفي كليكلي قد وضح تسلسله في الأصل، دون تشويه في ذلك الوقت، ودون أن يلطخ بتهم التعدي. ويمكن لأي شخص، إلى حد كبير، أن يبرهن على وجود تماثل إيجابي.

التيكيلا تتدفق. وهكذا، ونحن نلتهم أطباق التاكو،[108] هل يعتبر سكوت ليلينفيلد، وهو يشرح ما يعنيه حقًا، فيما يتعلق بنوى الشخصية الجوهرية، شخصًا سيكوباتيًا.

يحكي ليلينفيلد الأساس المنطقي التجريبي وراء تطوير استبيان الشخصية السيكوباتية (PPI) على النحو التالي: «كانت المشكلة في ذلك الوقت مع المقاييس الموجودة للمتلازمة أن معظمها تم تطويره على المجرمين أو الجانحين. لكننا نعلم أن الأشخاص الذين يتسمون بسمات سيكوباتية يعملون بشكل جيد تمامًا في «الخارج» - وأن بعضهم ناجحون إلى أبعد الحدود. إن القسوة والصلابة الذهنية والكاريزما والتركيز والقدرة على الإقناع والهدوء تحت الضغط صفات، إذا جاز التعبير، تفصل الرجال عن الصبية، إلى حد كبير في جميع المجالات. لذا كان علينا بطريقة أو بأخرى سد الفجوة بين الأشخاص السيكوباتيين من المساجين الذين يقعون تحت مظلة «الطب الشرعي» المسجونين وبين نظرائهم السيكوباتيين من النخب عالية الأداء. كان

(108) - التيكيلا tequila: نوع من الخمور المكسيكية، يصنع من الصبار؛ التاكو tacos: طبق مكسيكي، انظر هامشًا سابقًا (المترجم).

الطريق الأخلاقي النزيه راسخًا عبر السيكوباتية. ولكن ماذا عن الطريق غير الأخلاقي المنحط . . . ؟»

لقد اعتقدنا أن الشخصية السيكوباتية كانت على امتداد طيف. وغني عن القول إن البعض منا سوف يتسم بقدر كبير ببعض الصفات، ولكنه لن يتسم بقدر كبير ببعض الصفات الأخرى. يمكن لنا أنا وأنت أن نحقق النتيجة الإجمالية نفسها على استبيان الشخصية السيكوباتية. ومع ذلك، يمكن أن يكون بروفايل شخصية كل منا فيما يتعلق بالأبعاد الثمانية المكونة للاستبيان مختلفًا تمامًا. قد تتسم بقدر كبير من عدم التخطيط الخالي المتسم براحة البال ولكنك في المقابل تتسم بقدر ضئيل من قسوة القلب، في حين أن الوضع قد يكون العكس بالنسبة إلي».

فكرة سكوت ليلينفيلد عن أن الشخصية السيكوباتية تمتد على طيف تبدو منطقية إلى حد كبير. إذا وُضِع تصور للشخصية السيكوباتية على أنها امتداد للشخصية الطبيعية، يتبع ذلك منطقيًّا أن الشخصية السيكوباتية نفسها يجب أن تكون متدرجة، وأن قدرًا أكثر أو أقل منها في أي سياق معين قد يمنح مزايا كبيرة. مثل هذه الفرضية لا تخلو من سابقة في سجلات الخلل الذهني الوظيفي (إذا كانت الشخصية السيكوباتية في الواقع تمثل خللًا وظيفيًّا، واضعين في الاعتبار فوائدها في ظل ظروف معينة). يشير طيف التوحد، على سبيل المثال، إلى سلسلة متصلة من الشذوذ في التفاعل الاجتماعي والتواصل تتراوح بين الإعاقات الشديدة في «الطرف العميق» – أولئك الصامتون والمعاقون ذهنيًّا والمحبوسون في سلوكيات نمطية مثل لف الرأس أو هز الجسم، على سبيل المثال – إلى التشوش المعتدل في «الطرف الضحل»: أي الأفراد ذوو الأداء العالي الذين لديهم استراتيجيات شخصية نشطة، ولكنها غريبة بشكل واضح، ومصالح مركزة على نطاق ضيق، وانشغال غير مبرر بقواعد «التشابه»، والطقوس».

ربما يكون طيف الفصام مألوفًا بشكل أقل، ولكنه وثيق الصلة بالقدر نفسه. توحي

الأبحاث عن **تكوين الفصامي**[109] بأن الخبرات الذهانية بشكل أو بآخر (عادة ما تكون من النوع غير المؤذي وغير المسيء) شائعة نسبيًّا بين عامة السكان، وأنه بدلًا من النظر إليها على أنها حالة تشكل حالة واحدة - إما أن تكون مصابًا بها أو لا تكون مصابًا - يجب النظر إلى الفصام على أنه اضطراب ذو أبعاد، مع وجود قطع تعسفي بين العادي والغريب والمريض. في هذا الإطار، تُفسَّر أعراض اضطراب الشخصية الفصامية Schizotypal Personality Disorder **(اضطراب يتميز بوجود معتقدات غريبة؛ وأنماط كلام غريبة؛ وأسلوب غريب في التعامل مع الآخرين)** إلى حد كبير على أنها منحدرات تدريجية سهلة في الكتلة المركزية في الفصام. تمامًا كما هو الحال مع الشخصية السيكوباتية، على ارتفاعات منخفضة إلى متوسطة يمكن التحكم في «الاضطراب» - بشكل مفيد، حتى في بعض السياقات (العلاقة بين الشخصية الفصامية والإبداع راسخة بشكل جيد). ولكن فوق خط الجليد[110] وما بعده، تزداد الحالات خطورة.

مثل هذه المقاربة في معضلة الاضطراب العقلي لها جاذبية بديهية ومنطقية. من الصعب تجاهل الفرضية المزعجة بأننا جميعًا لسنا إلا مجانين إلى حد ما. ومع ذلك، حين يتعلق الأمر بالشخصية السيكوباتية وحل العقد متعدد الأبعاد للطيف السيكوباتي، فإن سكوت ليلينفيلد بالتأكيد لم يتناول الأمور بطريقته الخاصة تمامًا. هناك من يعترض على حله المنزلق ولديه أدلة خاصة بهم في هذا الحل. من بينهم رجل يدعى جوزيف نيومان.[111]

ما لا تعرفه لا يمكن أن يؤذيك:

جوزيف نيومان أستاذ علم النفس في جامعة ويسكونسن ماديسون، وقضاء ساعة

---

(109) - الفصامي schizotypy: مفهوم نظري يطرح سلسلة متصلة من الخصائص والخبرات الشخصية، تتراوح من الحالات الانفصالية العادية والخيالية إلى الحالات العقلية المتطرفة المتعلقة بالذهان، وخاصة الفصام (المترجم).

(110) - خط الجليد snow line: هو الحد الفاصل بين السطح المغطى بالجليد والسطح الخالي من الجليد (المترجم).

(111) - جوزيف نيومان Joseph Newman: أستاذ علم النفس بجامعة ويسكونسن ماديسون، وكان سابقًا رئيس قسم التدريب الإكلينيكي. ويشتهر نيومان دوليًا بإسهاماته النظرية والتجريبية في تحديد الآليات النفسية للتثبيط السلوكي والانعكاسية والتنظيم الذاتي وآثار هذه الآليات على الشخصية السيكوباتية (المترجم).

زمن في مكتبه تشبه الجلوس في نفق رياح نفسية - مثل نزهة على عوامة في مياه ضحلة وسريعة عبر منحدرات العلوم المعرفية. على مدى جزء كبير من ثلاثين عامًا حتى الآن، كان نيومان يدخل ويخرج من بعض أصعب السجون في الغرب الأوسط. لا، بالطبع، باعتباره سجينًا، ولكن باعتباره واحدًا من أكثر الباحثين جرأة في العالم، يعمل مع الأشخاص السيكوباتيين فوق خط جليد الخلل الوظيفي. وعلى الرغم من التأقلم منذ فترة طويلة مع الظروف القاسية التي لا ترحم، إلا أنه يعترف بأن هناك أوقاتًا، حتى الآن، يصبح فيها كل شيء صعبًا إلى حد ما.

يتذكر، على سبيل المثال، حادثة وقعت قبل بضع سنوات مع رجل حقق 40 نقطة على القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R). وهذا، إذا كنت تتذكر، هو الحد الأقصى للنقاط التي يمكن الحصول عليها. وهو نادر. لقد كان الرجل شخصًا سيكوباتيًا «خالصًا».

يقول لي جوزيف نيومان: «عادة ما تكون هناك نقطة في المقابلة نحب عندها أن ندفع الناس إلى حد ما. تعرف، أن نتحداهم. أن نقيس ردود أفعالهم. ولكن حين فعلنا ذلك مع هذا الشخص - وكان رجلًا لطيفًا حقًا حتى ذلك الحين: كان شخصية ساحرة ومرحة ورائعة – وكان يتسم بهذا النوع من البرود، بنظرة غائرة في عينيه، نظرة من الصعب وصفها، لكنك تعرفها حين تراها، وقد بدت وكأنها تقول، 'تراجع!' وأنت تعرف ماذا يعني ذلك؟ وقد تراجعنا! لقد أثار خوفنا بشدة».

إن نيومان يرى، باعترافه الخاص، أحيانًا هذه النظرة في عينيه. وحينها يقرر نيومان أن يتوقف عن الكلام عن انتقاد الآخرين على عيوب يتسم بها هو نفسه. ولكن وقد نشأ وهو طفل في شوارع نيويورك المتوسطة، كانت لديه سكاكين وبنادق، وفعل كل شيء. ويقول، دون أي أثر للسخرية، إنه يشعر بالامتنان. كان ذلك أول شيء سوف تتبعه أشياء مماثلة. في الأوساط الأكاديمية.

إن جوزيف نيومان أكثر اعتدالًا من معظمنا، حين يتعلق الأمر بمعايير اختيار

الشخص السيكوباتي. إنه يصرخ بنبرة ناعمة، تكاد تكون اعتذارية: «إن قلقي الرئيسي هو أن تحديد [الشخص السيكوباتي] يتم تطبيقه بشكل ليبرالي للغاية، ودون فهم كافٍ للعناصر الرئيسية، ونتيجة لذلك، تفتح الأبواب على مصراعيها أمام أي شخص تقريبًا، وغالبًا ما يتم تطبيق المصطلح على المجرمين العاديين ومرتكبي الجرائم الجنسية الذين قد يعكس سلوكهم بالأساس عوامل اجتماعية أو مشاكل انفعالية أخرى تكون أكثر استجابة للعلاج من الشخصية السيكوباتية».

وجوزيف نيومان، بالمثل، أكثر من مجرد شخص يقبل فكرة التعايش مع الأشخاص السيكوباتيين خارج فضاء الإجرام، وغالبًا ما يكون أداؤهم جيدًا لأنفسهم في المهن التي قد تكون مفاجأة لأولئك الأقل خبرة في اللبنات البنائية للشخصية السيكوباتية: مثل الجراحين والمحامين، وكبار المسئولين في الشركات، على سبيل المثال. ويوضح أن «الجمع بين انخفاض النفور من المخاطر وعدم الشعور بالذنب أو الندم، وهما الركيزتان الأساسيتان للشخصية السيكوباتية، قد يؤديان، وفقًا للظروف، إلى مسار مهني ناجح سواء في الجريمة أو العمل. وفي بعض الأحيان في الجريمة والعمل كليهما».

لذا لا توجد مشاكل. ولكن أين يتعارض موقف جوزيف نيومان مع الموقف المألوف حين يتعلق الأمر بالسبب أو الأسباب الأساسية للاضطراب. تقول الحكمة النظرية التقليدية إن الأشخاص السيكوباتيين غير قادرين على الشعور بالخوف والتعاطف ومجموعة من الانفعالات الأخرى، مما يخدر إدراكهم الاجتماعي، الذي بدوره يجعلهم غير قادرين على قبول هذه المشاعر على نحو مناسب في أولئك الذين يتواصلون معهم. هذا الموقف، الذي اتخذه، من بين آخرين، زميل السيكوباتيين القيصر جيمس بلير[112] في المعهد الوطني للصحة العقلية في بيثيسدا في ولاية

(112) - جيمس بلير James Blair: مدير مركز أبحاث السلوك العصبي. وهو خبير في البيولوجيا العصبية للانفعال والعدوانية والسلوك المعادي للمجتمع وقد نشر أكثر من 200 مخطوطة علمية حول هذا الموضوع والموضوعات ذات الصلة. وهو حاليًا رئيس جمعية الدراسة العلمية للاضطرابات النفسية وكذلك نائب رئيس مجلس المستشارين

ماريلاند، يشير إلى خلل وظيفي عصبي، خاصة فيما يتعلق بلوزة الدماغ، الرئيس التنفيذي للانفعال في الدماغ، بالإضافة إلى عدد من البنى ذات الصلة الوثيقة بها – قرن آمون، والتلم الصدغي العلوي، القشرة المغزلية fusiform cortex، والقشرة الحزامية الأمامية anterior cingulate، والقشرة الجبهية المدارية، على سبيل المثال – على أنه السبب الأساسي للمتلازمة، على أنه الأساس البيولوجي الجوهري وراء العنصرين السيكوباتيين لمعايير الصناعة: ما يرافق الخلل الانفعالي العميق من السلوكيات والتصرفات المعادية للمجتمع بشكل متكرر.

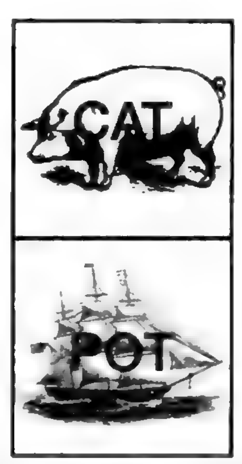
لكن نيومان لديه أفكار أخرى. بعيدًا عن الاعتقاد بأن الأشخاص السيكوباتيين غير قادرين على الخوف - إنهم الخواء عديم الانفعال كما يصورهم الأدب بشكل تقليدي - ويقترح بدلًا من ذلك أنهم في الواقع لا يلاحظون ذلك. تخيل، على سبيل المثال، أنك تعاني من رهاب العناكب وأن مجرد التفكير في أي شيء له ثماني أرجل يجعلك تتصبب عرقًا باردًا. في هذه الحالة، قد يتدلى العنكبوت الذئبي،[113] حسب معلوماتك، فوق رأسك ببضعة سنتيمترات في هذه اللحظة. ولكن إذا كنت لا تعرف أنه موجود، فلن تخاف منه، أليس كذلك؟ لا وجود له في دماغك.

في تجربة بارعة، وضح نيومان أن هذه قد تكون القصة نفسها مع الأشخاص السيكوباتيين. وفي هذه الحالة لا يقتصر الأمر على العناكب فقط، ولكنه يمتد ليشمل معظم الأشياء. إنهم لا يشعرون بالكرب أو يلاحظون مثل هذا الانفعال في الآخرين، لأنهم حين يركزون على مهمة تعد بمكافأة فورية، فإنهم يستبعدون كل ما هو «غير ذي صلة بالمهمة». إنهم يتمتعون «برؤية مركزة» انفعاليًا، تركز على المهمة وتتجاهل ما يحيط بها.

العلميين بالإنابة للمعهد الوطني للمحاكم والعلوم، وهو لمعهد يقوم بتثقيف القضاة حول الموضوعات العلمية ذات الصلة بقاعة المحكمة) (المترجم).

(113) - العنكبوت الذئبي tarantula: أو الرتيلاء، مجموعة من العناكب كبيرة الحجم ذات الشعر. توجد في الأجواء الدافئة وفي المناطق الاستوائية. وبعضها يعيش أكثر من عشرين عامًا. وقد أخذت الرتيلاء اسمها من عنكبوت ذئبي ضخم يوجد في جنوب إيطاليا (المترجم).

وقد عرض جوزيف نيومان وزملاؤه على مجموعة من الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين سلسلة من الصور ذات التسميات الخاطئة، مثل تلك الموضحة في *الشكل 2 - 7*.



الشكل 2 - 7: مهمة ستروب للكلمة والصورة (مقتبسة من ***Rosinski, Golinkoff, and (Kukish, 1975***

تبدو مهمتهم، وهي مهمة مفضلة لدى المتخصصين في علم النفس المعرفي، وخاصة المهتمين بالآليات الكامنة وراء الانتباه، بسيطة بما يكفي: اذكر اسم الصورة وأنت تتجاهل الكلمة المتناقضة – بسرعة كبيرة، عبر سلسلة من التجارب المتتالية.

في الواقع، يجد معظم الناس أنها مهمة مخادعة. تتعارض التعليمات الصريحة بذكر اسم الصورة موضع التركيز مع الرغبة في قراءة الكلمة المتعارضة، وهو أمر مزعج يؤدي إلى التردد. هذا التردد، أو «تدخل ستروب»، كما هو معروف (على اسم ج. ر. ستروب،[114] الرجل الذي ابتكر النموذج الأصلي عام 1935)، وهو مقياس للتركيز

(114) - تدخل ستروب Stroop interference: أو تأثير ستروب، هو التأخير في وقت رد الفعل بين المنبهات المتوافقة والمنبهات غير المتوافقة. وينسب إلى جون ريدلي ستروب J. R. Stroop (1897 - 1973): وهو عالم نفس أمريكي لا تزال أبحاثه في الإدراك والتدخل يعتبر المعيار الذهبي في دراسات الانتباه وأبحاثه عميقة بما يكفي لمواصلة الاستشهاد بأهميتها في القرن الحادي والعشرين (المترجم).

المتعمد. كلما كنْتَ أسرع، كانت بؤرة انتباهك أضيق. كلما كنت أبطأ، كان مجال الانتباه أوسع.

إذا كان لنظرية جوزيف نيومان أي تأثير على الإطلاق وكان الأشخاص السيكوباتيون يعانون حقًّا من عجز ما (أو موهبة) في معالجة المعلومات، العجز الذي كان يتحدث عنه، فعندئذ لا يكون من الصعب معرفة ما ينبغي أن يحدث. يجب أن يكون الأشخاص السيكوباتيون أسرع في تسمية الصور من الأشخاص غير السيكوباتيين. يجب أن يركزوا بشكل قاطع على المهمة المعينة التي يقومون بها.

لم يكن من الممكن أن تكون نتائج الدراسة أفضل. مرارًا وتكرارًا، وجد جوزيف نيومان أنه في حين أن المتطوعين غير السيكوباتيين لم ينجزوا تمامًا نتيجة التزاوج المتضارب بين الكلمات والصور - وقد استغرق الأمر منهم وقتًا أطول لتسمية الصور - فإن الأشخاص السيكوباتيين، في المقابل، أبحروا في المهمة، غافلين إلى حد كبير عن التناقضات الوخيمة.

ما هو أكثر من ذلك - وهذا هو المكان الذي تبدأ فيه الأمور تصبح أكثر لزوجة بالنسبة لسكوت ليلينفيلد والطيف السيكوباتي - اكتشف جوزيف نيومان شذوذًا في البيانات: اكتشف انقطاعًا مفاجئًا في أنماط الاستجابة بمجرد الوصول إلى عتبة حرجة.[115] الجميع يؤدون الشيء نفسه تقريبًا، ويواجهون الدرجة نفسها من الصعوبة في مثل هذه المهام، على المنحدرات السفلية للقائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R). ولكن بمجرد أن يصلوا إلى معسكر الأساس الإكلينيكي للشخصية السيكوباتية، حيث الدرجة من 28 إلى 30، تتغير الديناميكية بشكل كبير. إن السكان الأصليين، عند هذه الارتفاعات النادرة، يجدون الأمور سهلة فجأة. لا يبدو أنهم يعالجون الإشارات المحيطية الصارخة التي تبدو واضحة للجميع.

---

(115) - عتبة حرجة critical threshold: مجال انتقالي عنده تؤدي التغيرات الصغيرة إلى تحولات مفاجئة في الاستجابة (المترجم).

ولا يرجع الأمر إلى أنهم محصنون ضد هذه الإشارات المحيطية. إنهم أبعد ما يكونون عن ذلك. في دراسة منفصلة، عرض جوزيف نيومان وزملاؤه على الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين سلسلة من سلاسل الحروف على شاشة الكمبيوتر. كان بعضها باللون الأحمر. وكان بعضها باللون الأخضر. وكان بعضها مؤلمًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى: قيل للمتطوعين إنه بعد العرض العشوائي لعدد اعتباطي باللون الأحمر، سوف يتعرضون لصدمة كهربائية. وكما هو متوقع، حين تم توجيه انتباههم بعيدًا عن احتمالية الصدمة (أي حين طُلب منهم تحديد ما إذا كانت الحروف تظهر على هيئة حروف كبيرة أو حروف صغيرة)، أظهر الأشخاص السيكوباتيون قلقًا أقل بكثير من الأشخاص غير السيكوباتيين. ولكن بشكل لا يصدق، حين أصبح توقع الصدمة كبيرًا (أي حين طُلب من المتطوعين صراحة تحديد الألوان التي ظهرت بها الحروف، باللون الأحمر أو باللون الأخضر)، انعكس الاتجاه، كما تنبأ جوزيف نيومان وزملاؤه. وفي هذه المرة كان الأشخاص السيكوباتيون هم الأكثر انفعالًا.

يقول جوزيف نيومان: «يعتقد الناس أن [الأشخاص السيكوباتيين] مجرد قساة لا يعرفون الخوف. ولكن هناك بالتأكيد شيء آخر يحدث. حين تكون الانفعالات البؤرة الأساسية لتركيزهم، رأينا أن الأفراد السيكوباتيين يظهرون استجابة [انفعالية] طبيعية. ولكن حين ركزوا على شيء آخر، أصبحوا غير حساسين للانفعالات تمامًا».

مع قطع الاتصال في مجموعات الاستجابة التي تظهر بالضبط النقطة التي تبدأ فيها الأمور تكون إكلينيكية على القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R)، فإن غموض ما تكون عليه الشخصية السيكوباتية، بالضبط، حقًّا - سواء كانت على سلسلة متصلة أو كان اضطرابًا منفصلًا تمامًا - يتعمق فجأة.

هل السيكوباتية مسألة درجة فقط؟ أم أن الأولاد الكبار يحتلون منزلة خاصة بهم؟

خطوة صغيرة، قفزة هائلة:

من المنطقي أن نفترض أن الإجابة عن هذا السؤال يجب أن تكون بطبيعتها بالأبيض والأسود. أي أنه إذا كانت الشخصية السيكوباتية على سلسلة متصلة، فإن المسار من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى، أي من الأم تيريزا إلى جون واين جسي، يجب أن يكون خطيًّا، ويكون الطريق إلى انعدام القيمة الأخلاقية سلسًا. وإذا لم يكن الأمر بهذا الشكل، فلن تحصل على نوع الزيادات الكبيرة في أنماط البيانات التي لاحظها جوزيف نيومان. ولكن الأمر، في الواقع، كما قد يقول لك أي شخص لعب اليانصيب باستمرار، ليس بهذه البساطة. إن الأرقام الستة الفائزة بالتأكيد على سلسلة متصلة: سلسلة متصلة من 1 إلى 6. ولكن حجم أرباحك، من ألف دولار إلى مليون دولار، قصة مختلفة تمامًا. إن الدالة أسية،[116] والعلاقة بين الأرقام على سلسلة متصلة من جهة، وكيفية تحويلها (حرفيًّا في هذه الحالة) إلى عملة «حقيقية» من ناحية أخرى، تدور حول الاحتمالات. إن فرص كسب جميع الأرقام الستة (1 في 13983816) لا تبتعد عن فرص كسب خمسة أرقام (1 في 55492) بالدرجة نفسها التي تبتعد بها خمسة أرقام عن أربعة أرقام (1 في 1033). إنها لا تبتعد مسافة بعيدة. وهكذا، بينما تتقدم الأشياء بشكل متوقع على مستوى واحد، فإن ما «يلخصونه باعتباره البعد الأكثر أهمية»، في عالم رياضي موازٍ، لا يتقدم بهذا الشكل. إن ما يرسمون عليه يتخذ حياة خاصة به.

بالعودة إلى المطعم، أعرض نظريتي على سكوت ليلينفيلد: إنه في الواقع قد يكون هو وجوزيف نيومان على حق. قد تكون الشخصية السيكوباتية على طيف. ولكن في الطرف الحاد للعمل السيكوباتي، يبدو أن هناك أمرًا صارخًا يحدث بشكل لا يمكن

(116) - الدالة الأسية exponential function: دالة من أهم الدوال في الرياضيات. تُستخدم للدلالة على علاقةٍ يتغير وفقها متغيرٌ مستقلٌ بطريقةٍ ثابتةٍ، كما التغير النسبي للمتغير التابع. ويعتمد عليها في الفيزياء والكيمياء والهندسة والبيولوجيا الرياضية والاقتصاد والرياضيات. تتميز الدوال الاسية عن بقية الدوال بوجود الأس وهو المتغير ذاته، وهذا ما يخالف بقية الدوال، حيث يكون المتغير هو الأساس ويكون الأس رقمًا (المترجم).

وصفه. يبدو أن المفتاح ينقلب.

يفكر قائلًا: «إنني أعتقد بالتأكيد أن هذه هي إحدى الطرق للتوفيق بين المنظورين، ومما لا شك فيه أن أولئك الذين هم في أقصى طرف العديد من التوزيعات يبدو أنهم يعملون على نوع من الغاز يختلف عما يعمل عليه أي شخص آخر. لكن الأمر يعتمد أيضًا على نقطة البداية: سواء كنت تنظر إلى الشخصية السيكوباتية غالبًا على أنها استعداد شخصي أو على أنها اضطراب في معالجة المعلومات. هل كنت ترغب في التعامل مع العجز المعرفي أو مع الاختلافات في المزاج. ويمكنك أن ترى ذلك في اللغة، في المصطلحات المستخدمة: اضطراب؛ عجز؛ استعداد؛ تنوع . . . وسوف يكون من المثير للاهتمام سماع ما يقوله جوزيف نيومان. هل أوحيت له بأن الأمر صحيح؟».

لم أوحِ له. ولكن فعلت ذلك بعد وقت ليس طويلًا.

سألت جوزيف نيومان: «هل من الممكن، أنه كلما طال الطيف السيكوباتي - بافتراض وجود مثل هذا الشيء - بدأتَ، من ناحية طب الأعصاب، في رؤية تغييرات تدريجية تحدث؟ على سبيل المثال، الاختلافات في آليات الانتباه أو أنظمة المكافأة في الدماغ، التي، كلما كان الفرد سيكوباتيًّا أكثر، أصبح أشبه بالليزر بشكل متزايد في تركيزه، واستعد بشكل متزايد للإشباع الفوري؟ وعلى الرغم من أن الأداء على استبيان الشخصية السيكوباتية (PPI) أو القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R) قد يكون خطيًّا، إلا أن الطريقة التي يتجلى بها الأداء في نشاط منخفض المستوى في الدماغ، خاصةً في حالة تحقيق درجات مرتفعة جدًّا، قد تكون بالأحرى مختلفة؟ أي أنها قد تكون في الواقع أسية، أي متسارعة، بشكل مذهل؟».

ضاقت عيناه. لم يكن حامل السلاح العجوز المخادع في حالة مزاجية مناسبة للعب. قال: «بالتأكيد. من الممكن. لكن الحد الإكلينيكي [على القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية] هو 30. وهذه النقطة، في هذا في المختبر، سواء كانت مصادفة

أو لم تكن، هي أيضًا النقطة التي يصل فيها معظم هذا الهراء التجريبي إلى هواة المعرفة ذوي المستوى المنخفض».

ابتسم وصب بعض القهوة.

قال: «على أية حال، إن الطريقة التي تفهم بها الأمر لا تهم حقًّا. إن الشخص السيكوباتي على المستوى الإكلينيكي عينة متميزة إلى حد ما. إنهم مختلفون في كل الأحوال. أليس كذلك؟».

الفصل الثالث

اغتنام الليل[117]

لقد أرضعت طفلي وأعرف الآن

معنى أن أحبّ الرضيع الذي يرضع مني:

غير أني على استعداد حتى إن كان يبتسم في وجهي

لأن أنزع حلمة ثديي من فمه الخالي من الأسنان

بل وأهشم رأسه لو أني أقسمت

على أن أفعل ذلك.

– ليدي ماكبث (حين سمعت أن زوجها يخطط لعدم المضي قدمًا في قتل الملك دنكان)[118]

الشيطان والبحر الأزرق العميق:

في 13 مارس 1841، أبحرت السفينة **وليم براون**[119] من ليفربول متجهة إلى فيلادلفيا. بعد خمسة أسابيع من الرحلة، في ليلة 19 أبريل، اصطدمت السفينة في جبل جليدي على بعد 250 ميلًا قبالة ساحل نيوفندلاند[120] وبدأت تغرق بسرعة. أكثر من ثلاثين راكبًا وطاقمها، لا يزالون يرتدون ملابسهم الليلية، قادوا زورقًا طويلًا تم

---

(117) - **اغتنام الليل** *Carpe Noctem*: باللاتينية في الأصل (المترجم).

(118) - الاقتباس من وليم شكسبير، مسرحية ماكبث، الفصل الأول، المشهد الرابع (المترجم).

(119) - **وليم براون** *William Brown*: سفينة أمريكية غرقت في عام 1841، وكانت تحمل معها 31 راكبًا. وقد تم إجبار 16 مسافرًا آخرين على الخروج من قارب نجاة يحمل حمولة زائدة قبل أن يتم إنقاذ الناجين؛ وفي قضية في الولايات المتحدة، اتُهم أحد أفراد الطاقم، وهو ألكسندر هولمز، بالقتل وأدين بالقتل الخطأ (المترجم).

(120) - نيوفندلاند Newfoundland: جزيرة كبيرة على الساحل الشرقي لكندا في المحيط الأطلسي عند مصب نهر لورنس (المترجم).

بناؤه لاستيعاب سبعة فقط. وكانت هناك عاصفة تلوح في الأفق وبدأت الأمطار الأطلسية الجليدية في الانهيار بالفعل، وسرعان ما أصبح واضحًا للمساعد الأول للقبطان، واسمه فرنسيس رودس Francis Rhodes، أن القارب الطويل[121] كان يجب أن تخف حمولته إذا كان أي شخص يريدُ البقاء على قيد الحياة. وجالت الفكرة نفسها في ذهن القبطان، **جورج ل. هاريس** George L. Harris، الذي كان في زورق مرافق للسفينة مع حفنة من الآخرين. لكنه صلى من أجل أن يأتي الخلاص بطريقة أخرى أكثر استساغة.

قال لرودس: «أنا أعرف ما عليك القيام به، لا تتحدث عن ذلك الآن. فليكن الملاذ الأخير. في صباح اليوم التالي أبحر في اتجاه **نوفا سكوشيا**،[122] تاركا القارب الطويل التعس الذي يغرق، يواجه مصيره.»

في يوم العشرين من أبريل، وفي الليل، ساءت الظروف وبدأت الأمواج تعلو وتشتد. وحدث شرخ في القارب، وعلى الرغم من محاول الإنقاذ المحمومة، بدأ الماء يتسرب إلى القارب. كان الوضع يدعو إلى اليأس. وهكذا في تمام الساعة العاشرة من مساء يوم 20 أبريل، تم اتخاذ قرار مهم: يجب التخلص من بعض الأفراد. مثل هذا العمل، كما قال رودس، لن يكون ظالمًا في نظر أولئك الذين تبنوا هذا الرأي، لأنهم كانوا بالتأكيد سيهلكون على أي حال. ولكن من ناحية أخرى، إذا قرر عدم اتخاذ أي إجراء، فسوف يكون مسئولًا عن وفاة أولئك الذين كان يمكن أن ينقذهم.

بشكل غير مفاجئ، لم يوافق جميع أفراد المجموعة على استنتاجات رودس. جادل المعارضون بأنه إذا لم يتم اتخاذ أي إجراء وغرق الجميع نتيجة لذلك، فلن يكون هناك شخص مسؤول عن الوفيات. على النقيض من ذلك، جادلوا، إذا سعى لإنقاذ بعض أفراد المجموعة على حساب الآخرين، فلن يتمكن من القيام بذلك إلا من خلال

---

(121) - القارب الطويل longboat: قارب كبير مجوف كان يحمل عادة في السفن الشراعية التجارية (المترجم).

(122) - نوفا سكوشيا Nova Scotia: شبه جزيرة على الساحل الجنوبي الشرقي لكندا، تمتد في المحيط الأطلسي وتفصل خليج فندي عن خليج سانت لورنس (المترجم).

القيام بعمل للقضاء على حياتهم، وسوف ينهي أيامه، وربما أيام كل شخص آخر، بصفته قاتلًا. وسوف يشكل هذا، إلى حد بعيد، شرًّا أكبر.

أمسك رودس، غير متأثر بهذه التهمة، بنادقه. ورد رودس، بما أن أملهم الوحيد في البقاء على قيد الحياة يعتمد على بقاء القارب طافيًا، وناهيك، بالإضافة إلى ذلك، عن العمل الشاق في مجال التجديف، فإن الوضع كما هو كان لا يمكن أن يستمر. يجب تقديم شيء ما، أو شخص ما. «ساعدني يا رب! أيها الرجال، اذهبوا إلى العمل!» صرخ رودس في طاقم السفينة بينما كان هو وزميله في الطاقم ألكسندر هولمز يشرعان في المهمة المروعة المتمثلة في إلقاء الناس في المرجل المضطرب المظلم في شمال الأطلسي. في البداية، لم يفعل البحارة الآخرون شيئًا، مما دفع رودس إلى أن يحثهم مرة ثانية:

«أيها الرجال! يجب أن تبدأوا، هيا إلى العمل وإلا هلكنا جميعًا!».

بدأت حصيلة الموت في الارتفاع. وتم التضحية بأربعة عشر راكبًا من الذكور، بما في ذلك اثنان وُجِدا مختبئين. أولئك الذين بقوا كانوا مجرد رجلين متزوجين وصبي، بالإضافة إلى جميع النساء باستثناء اثنتين: أختا رجل كان تمت التضحية به من قبل، واختارتا، طوعًا، أن تنضما إليه.

في نهاية المطاف، لاح الخلاص وتم إنقاذ الناجين بواسطة سفينة صيد متجهة إلى لوهافر.[123] وحين وصلوا في النهاية إلى فيلادلفيا، رفعت دعوى قضائية مع المدعي العام للمقاطعة. في 13 أبريل 1842، بعد عام تقريبًا على النجاة من المحيط الأطلسي الجليدي، خضع الملاح القدير ألكسندر هولمز للمحاكمة بتهمة القتل. كان هو عضو الطاقم الوحيد الذي يمكن العثور عليه في فيلادلفيا، وكان الوحيد الذي وجهت إليه اتهامات على أفعاله.

سؤال: إذا كنت أنت في هيئة المحلفين، كيف كنت ترى القضية؟

---

(123) - لوهافر Le Havre: ميناء في شمال فرنسا على القنال الإنجليزي عند مصب نهر السين (المترجم).

قبل أن تجيب، دعني أخبرك عن السبب الذي يجعلني أسأل. قبل بضع سنوات، قدمت هذه المعضلة لمجموعة من الطلاب الجامعيين الذكور، وكان نصفهم قد سجلوا درجات عالية على استبيان الشخصية السيكوباتية وسجل النصف الآخر درجات منخفضة عليه. تم منح كل منهم ثلاث دقائق من الوقت للتداول للنظر في المشكلة؛ ثم قدم كل طالب حكمه، دون الكشف عن اسمه، في مظروف مغلق. كنت أرغب في معرفة ما إذا كان الفرق في درجات استبيان الشخصية السيكوباتية سوف يكون له تأثير على القرار الذي يتخذونه.

لم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لمعرفة ذلك.

من بين العشرين متطوعًا الذين سجلوا درجات منخفضة على استبيان الشخصية السيكوباتية، توصل واحد فقط إلى الحكم في الوقت المحدد. وكان الآخرون لا يزالون يتداولون في الأمر. ولكن من بين العشرين متطوعًا في الطرف الآخر من المقياس، كانت القصة مختلفة تمامًا. دون استثناء، اتخذوا جميعًا قراراتهم، وكانت النتائج بالإجماع. كان هولمز حرًّا في أن يعود إلى بيته.

التفكير خارج المجموعة:

إذا كنت تحاول أن تدلي برأيك داخل قاعة المرايا[124] الأخلاقية هذه، فلا داعي للذعر. إن الخبر السار هو أنه من الواضح أنك لست شخصًا سيكوباتيًا. في الواقع، في 23 أبريل عام 1842، بعد عشرة أيام من بدء المحاكمة لأول مرة، استغرق الأمر 16 ساعة حتى تقوم هيئة المحلفين بإصدار الحكم – وهي تقريبًا المدة التي قضاها هولمز في الماء. قد يكون مذنبًا – بالقتل الخطأ، أي أنه ليس قاتلًا – ولكن في ظل قوة الجاذبية g-force النفسية انهار الصواب والخطأ إلى الداخل تحت الضغط، وأصبح لا يمكن التمييز بينهما أخلاقيًا. أصدر القاضي على ألكسندر هولمز حكمًا بالسجن لمدة ستة

---

(124) - قاعة المرايا hall of mirrors: أو بيت المرايا، إشارة إلى موقف مربك يصعب فيه التمييز بين الحقيقة والوهم أو بين الآراء المتنافسة من الواقع (المترجم).

أشهر مع إيقاف التنفيذ، بالإضافة إلى غرامة قدرها عشرون دولارا.[125]

في المقابل، ضع في اعتبارك الحالة التالية كما وردت في صحيفة الديلي تليجراف عام 200‾:

قال ضابط شرطة رفيع المستوى اليوم إن ضابطين من ضباط دعم المجتمع بالشرطة لم يتدخلا لمنع صبي عمره 10 سنوات من الغرق لأنهما «لم يكونا مدربين» على التعامل مع الحادث. وقف [الضابطان] على حافة البركة في بقعة بالغة الجمال والجاذبية في ويجان[126] حيث واجه جوردون ليون مشكلة أثناء محاولته إنقاذ ابنة زوج أمه البالغة من العمر ثماني سنوات. قفز صيادان في الستينيات من عمرهما وتمكنا من إنقاذ الفتاة، لكن الضابطين، اللذين وصلا إلى الموقع بعد ذلك بوقت قصير، لم يحاولا إنقاذ الصبي، وقررا الانتظار حتى وصل الضباط المدربون. في التحقيق في وفاته، طلب والدا الطفل المضطربان معرفة سبب عدم بذل المزيد من الجهد لإنقاذ ابنهما. قال زوج أمه: «... ليس عليك أن تتدرب على القفز في الماء لتقفز وراء طفل يغرق».

للوهلة الأولى، يبدو أنه لا يوجد الكثير من العناصر المشتركة بين هذه الحالة وحالة البحار القدير ألكسندر هولمز. في الواقع، يبدو أنهما متضادان تضادًّا تامًّا. تدور الأولى حول عدم الرغبة في القيام بعمل من أجل الحفاظ على الحياة؛ وتدور الثانية حول تردد غريب تجاه الحفاظ عليها. ومع ذلك، انظر نظرة أكثر دقة وسوف تظهر أوجه التشابه اللافتة. في كل سيناريو من الاثنين، على سبيل المثال، تتمثل المشكلة في كسر القواعد. في قضية جوردون ليون، أصابت القواعد السلوكية الضابطين بالشلل: مطلب مسيطر على الذهن تمامًا للالتزام بما تتوقع السلطات منك أن تقوم به. مثل من يلتزمون التزامًا حرفيًّا بالتعليمات، تم تدريبهما بما يتجاوز غرائزهما. يمكن أن تقول إنهما قد تدربا على

(125) - نص حكم ألكسندر هولمز على أن البحارة لديهم واجب تجاه ركابهم يفوق حتى واجبهم تجاه حياتهم. بالإضافة إلى ذلك، نص على أن الدفاع التقليدي عن الحفاظ على الذات لم يكن كافيًا دائمًا في قضية قتل إذا كان المتهم ملتزمًا التزامًا خاصًا تجاه المتوفى (المؤلف).

(126) - ويجان Wigan: مدينة كبيرة في مانشستر الكبرى في إنجلترا (المترجم).

أن يتجنبا أي عمل لم يتدربا عليه. في مأساة السفينة **وليم براون**، كانت «القواعد» مشفرة تشفيرًا أكثر عمقًا - كانت أكثر وظيفية، وأكثر «نظافة أخلاقيًّا». ومع ذلك، يمكن للمرء أن يجادل - كما فعل البعض بحماس - بأنها لا تقل ضررًا بالنسبة لمتطلبات اللحظة. كان البحارة، إذا جاز التعبير، بالضبط في القارب نفسه الذي كان فيه ضابطا الشرطة. حين تم القبض عليهم في تقاطعات أخلاقية على حافة سكين إنسانية باردة، كان عليهم أن يتصرفوا بسرعة وحزم، مع تجاهل واضح لعواقب أفعالهم. وقد فعلها البعض بشكل أفضل من الآخرين.

ولكن إلى جانب التحدي الذي يواجه مناطق راحتنا الوجودية، تخفي هاتان القصتان أيضًا، في عمق مآسيهما، مفارقة غريبة نوعًا ما. إن حقيقة أن الامتثال مدمج في أدمغتنا تدور حول اليقين التطوري الذي يمكنك أن تصل إليه. حين يهدد حيوان مفترس حيوانًا في قطيع، ماذا يفعل؟ إنه يركض بالقرب من المجموعة. ومع انخفاض بروز الفرد، تزداد فرص البقاء على قيد الحياة. يصح هذا تمامًا في البشر كما يصح في الأنواع الأخرى. تتدفق خلف أدمغتنا الأسرع من الصوت والمشحونة بشواحن توربينية،[127] مسارات بخار داروينية قديمة تمتد بالكامل إلى مجالات القتل الوحشي المغمور في الدم من عصور ما قبل التاريخ. في تجربة، على سبيل المثال، ربطت أحدث ما في الشبكات الاجتماعية بأصولها البيولوجية المبكرة، اكتشف عالم النفس الاجتماعي فلادس جريسكفيشيوس،[128] وكان حينذاك في جامعة ولاية أريزونا، هو وزملاؤه، أنه حين يتم جعل مستخدمي غرفة الدردشة على الإنترنت يشعرون بالتهديد، تظهر عليهم علامات «الالتصاق معا». تظهر وجهات نظرهم التقارب، ويزداد احتمال توافقهم مع مواقف الآخرين وآرائهم في المنتدى.

---

(127) - الشاحن التوربيني turbocharger: جهاز حث مدفوع بالتوربينات يزيد من كفاءة محرك الاحتراق الداخلي وإنتاج الطاقة عن طريق دفع الهواء المضغوط الإضافي إلى غرفة الاحتراق (المترجم).

(128) - فلادس جريسكفيشيوس Vladas Griskevicius: يشغل منصب رئيس قسم التسويق ومحرر مشارك لمجلة أبحاث التسويق. لديه خلفية واسعة في علم النفس وهو خبير في الإقناع والتأثير الاجتماعي، والتواصل والجذور التطورية للسلوك الحديث. نشر أكثر من 75 عملاً علميًا وهو مؤلف مشارك لكتاب *The Rational Animal* - وهو كتاب عن كيفية تشكيل ماضي أجدادنا للقرارات اليومية (المترجم).

ولكن من الواضح أن هناك أوقاتًا يكون فيها العكس صحيحًا: حين تكون القدرة على التحرر من الأعراف الاجتماعية، «التفكير خارج المجموعة»، يمكن أيضًا أن تكون منقذًا للحياة – على المستوى الحرفي والمستوى المجازي. عام 1952، صاغ عالم الاجتماع **وليم وايت**[129] مصطلح «**التفكير الجماعي**- Groupthink» ليصور الآلية التي من خلالها تتقارب المجموعات المتماسكة بإحكام، منفصلة عن التأثير الخارجي، بسرعة في المواقف «الصحيحة» المعيارية، وتصبح، وهي تفعل ذلك، محصنة مؤسسيًّا ضد النقد: لا تبالي بالمعارضة التي تأتي من خارج المجموعة، وتنفر من الانشقاق داخل المجموعة، وتكون دائمًا أكثر ثقة في استقامتها التي لا يرقى إليها الشك. ويصف عالم النفس إرفينج جنيس،[130] الذي أجرى الكثير من العمل التجريبي حول هذه الظاهرة، العملية بأنها «طريقة تفكير ينخرط فيها الناس حين يشاركون بعمق في مجموعة متماسكة، حين يتجاوز كفاح الأعضاء من أجل الإجماع الدافع للتقييم الواقعي لمسارات العمل البديلة».

إنها طريقة لا تؤدي بشكل دقيق إلى اتخاذ قرارات جيدة.

على سبيل المثال، خذ فشل مكوك الفضاء **تشالنجر**.[131] تحت ضغط سياسي كبير لبدء الأمور (كان الكونجرس، في ذلك الوقت، يبحث عن شريحة كبيرة من الإيرادات لتعزيز برنامج الفضاء، وقد أدت سلسلة من المشاكل بالفعل إلى تأخير الإطلاق)، بدا أن العلماء والمهندسين في وكالة ناسا محصنون بشكل منهجي ضد المخاوف التي أثارها أحد زملائهم في العمل، قبل 24 ساعة فقط من الإقلاع، بشأن

---

(129) - وليم هـ. وايت William H. Whyte (1927 - 1999): عالم اجتماع وكاتب وصحفي أمريكي (المترجم).

(130) - إرفينج جنيس Irving Janis (1918 - 1990): باحث أمريكي في علم النفس في جامعة ييل. وأستاذ فخري في جامعة كاليفورنيا (المترجم).

(131) - تحطم مكوك الفضاء تشالنجر Challenger في 28 يناير 1986، حين أطلقت ناسا مكوك تشالنجر انفجر المكوك بعد إطلاقه ب 73 ثانية، مما أدى إلى مقتل جميع أفراد طاقمه السبعة وتدمير المكوك فوق المحيط الأطلسي قبالة ساحل ولاية فلوريدا جنوب شرق الولايات المتحدة (المترجم)

الحلقات O[132] في الصواريخ الداعمة. وعلى الرغم من إجراء سلسلة من المكالمات الجماعية على وجه التحديد لمناقشة المشكلة بالتفصيل، تم اتخاذ القرار، الذي عرف فيما بعد أنه قرار غير مفهوم، للمضي قدمًا. وكان الهدف، على الرغم من كل شيء، هو أن يبدأ المشروع على الفور.

في هذه الحالة، ثبت أن الأمر كارثي. كشفت الاستفسارات أن السبب لا يعود فقط إلى الحلقات O، باعتبارها المسئولة عن كل المشاكل، ولكن كان هناك مجرم آخر ينتشر أسرع كالفيروسات، وسرطاني أكثر بشكل غادر: إنه علم نفس متعفن وخانق. أكدت لجنة روجرز، وهي فرقة عمل مخصصة أنشأها الرئيس آنذاك رونالد ريجان للتحقيق في الحادث، المخاوف المزعجة وغير المعلنة للمتخصصين في علم النفس الاجتماعي في جميع أنحاء العالم: إن الثقافة التنظيمية لوكالة ناسا وعمليات صنع القرار قد لعبت دورًا مهمًا في التسبب في المأساة. وكانت تتمثل في الضغط من أجل التوافق، والتقليل من قيمة التحذيرات، والإحساس بالحصانة. وكان كل شيء واضحًا وضوح النهار.[133]

إذن، هل قدرة المرء على الوقوف بمفرده، واللعب وفقًا لقواعده خارج الملاذ الآمن المعياري للمجتمع، متأصلة أيضًا؟ وهناك أدلة تشير إلى أنها كذلك - وأن أقلية لا تهاب ولا تعرف القلق قد تطورت في وسطنا.

رياضيات الجنون:

---

(132) - الحلقة O-ring O: حشية ميكانيكية على شكل نتوء، عبارة عن حلقة من المطاط الصناعي من مقطع عرضي مستدير، مصممة لتوضع في أخدود وتضغط في أثناء تجميع جزءين أو أكثر (المترجم).

(133) - يعمل الاستبيان الكامل لأعراض التفكير الجماعي على النحو التالي: الشعور بالحصانة يخلق تفاؤلًا مفرطًا ويشجع على المخاطرة؛ واستبعاد التحذيرات التي قد تتحدى الافتراضات؛ والاعتقاد اعتقادًا لا جدال فيه في أخلاق الجماعة، مما يجعل الأعضاء يتجاهلون عواقب أفعالهم؛ وتبني آراء النمطية عن قادة العدو؛ والضغط من أجل التوافق مع أعضاء المجموعة الذين يختلفون معها؛ وغلق الأبواب في وجه الأفكار التي تنحرف عن الإجماع الواضح للمجموعة؛ وَهْم الإجماع؛ "حراس العقل" - الأعضاء المعينون ذاتيًا والذين يحمون المجموعة من الآراء المخالفة (Janis, 1972) (المؤلف).

إن السؤال عن كيفية حصول الشخصية السيكوباتية على موطئ قدم في تجمع الجينات[134] سؤال مهم. إذا كان «الاضطراب» يتّسم بعدم القدرة على التأقلم مع المجتمع، فلماذا يبقى معدل حدوثه مستقرًا بمرور الوقت، مع ما يقدر بنحو 1 إلى 2 في المائة من السكان يمكن تشخيصهم بأنهم سيكوباتيون؟ لدى أندرو كولمان،[135] أستاذ علم النفس في جامعة ليستر، إجابة مثيرة بالقدر نفسه، إجابة سوف تكون، على ما أظن، قريبة من قلبي إلى الأبد بعد ورطة حديثي معه في تقاطع مطار نيوارك.[136]

عام 1955، ظهر فيلم **التمرد بلا سبب**[137] لأول مرة في السينما. لم يسبق من قبل أن تم تصوير الشباب المتمرد الذي يُساء فهمه بشكل متعاطف على الشاشة الفضية. ولكن كان هناك ما يكفي من النقد الذي يصدر من أناس يجلسون في مقاعد مريحة. بالنسبة إلى منظري اللعب على الأقل، يوجد مشهد يعتبر أفضل من بقية المشاهد إلى حد كبير: المشهد الذي يندفع فيه جيم ستارك (الذي يلعب دوره جيمس دين) وبوز جندرسون (الذي يلعب دوره كوري ألن)، في سيارتين مسروقتين، لا محالة نحو حافة الجرف في لعبة الدجاج[138] القاتلة.

يقول أندرو كولمان، دعونا نفكر في هذا المشهد للحظة من وجهة نظر السائقين. أو بالأحرى، دعونا نفكر في نسخة مألوفة أكثر من اللعبة حيث يسرع فيها الطرفان بشكل مباشر تجاه بعضهما البعض في تصادم وشيك. ويكون لدى كل واحد منهما

---

(134) - تجمع الجينات gene pool: جميع جينات مجموعة معينة من الناس أو الحيوانات (المترجم).

(135) - أندرو كولمان Andrew Colman (1944 -): عالم نفس بريطاني، ولد في جوهانسبرج في جنوب أفريقيا، معروف بأبحاثه حول صنع القرار ونظرية اللعب. وهو زميل في الجمعية البريطانية لعلم النفس منذ عام 1984 (المترجم).

(136) - تقاطع مطار نيوارك Newark Airport interchange: تقاطع هائل على الطرف الشمالي من مطار نيوارك لبرتي الدولي في نيوارك، نيو جيرسي (المترجم).

(137) - **التمرد بلا سبب** *Rebel Without a Cause*: فيلم درامي أمريكي عن مراهقين من الطبقة الوسطى يعانون من ارتباك عاطفي؛ والفيلم بطولة الممثلون الأمريكيون جيمس دين James Dean (1931 - 1955) وسال مينو Sal Mineo (1939 - 1976) والممثلة الأمريكية ناتالي وود Natalie Wood (1938 - 1981) وكوري ألن Corey Allen (1934 - 2010) (المترجم).

(138) - لعبة الدجاج game of chicken: نظرية من نظريات اللعب تصف لاعبين يتجه كل منهما باتجاه الآخر، وإذا استمر اللاعبان في المسار نفسه فإنهما يصطدمان، وإذا انحرف أحدهما عن المسار ولم ينحرف الآخر فإن المنحرف يخسر ويسمى الدجاجة بينما يفوز الآخر (المترجم).

اختيار: أن يتبنى استراتيجية معقولة «غير سيكوباتية» لتغيير الاتجاه لتجنب التصادم، أو أن يتبنى اختيارًا «سيكوباتيًّا» محفوفًا بالمخاطر بأن يظل يدوس بالقدم على الغاز. ويشكل هذان الاختياران، مع «نقاط النتيجة payoff points» التفاضلية، سيناريو كلاسيكيًّا يتمثل في أنك تخدش ظهري وسوف أخدش ظهرك، أو مرة أخرى، ربما، لن أتمكن من وضع سيناريو بأننا يمكن أن نعدل استخدام نظرية اللعب – وهي فرع من الرياضيات التطبيقية التي تسعى إلى تحديد العمليات المثلى لصنع القرار في المواقف التي لا تعتمد فيها النتائج على تصرفات الأطراف الفردية المعنية، بل على التفاعل بينها *(انظر الجدول 3 – 1)*:

	(بوز) غير سيكوباتي	(بوز) سيكوباتي
(جيم) غير سيكوباتي	يحصل جيم على 3 نقاط يحصل بوز على 3 نقاط	يحصل جيم على نقطتين يحصل بوز على 4 نقاط
(جيم) سيكوباتي	يحصل جيم على 4 نقاط يحصل بوز على نقطتين	يحصل جيم على نقطة يحصل بوز على نقطة

الجدول 3 – 1: نموذج لتطور الشخصية السيكوباتية طبقًا لنظرية اللعب

إذا ذهب كل من جيم وبوز إلى الخيار المعقول وانحرفا عن بعضهما البعض، فإن النتيجة هي التعادل مع ثاني أفضل النتائج لكل منهما (3). وعلى النقيض من ذلك، إذا كانا كلاهما سيكوباتيين وقررا الاستمرار حتى النهاية، فإن كل منهما يواجه خطر الموت - أو، في أحسن الأحوال، خطر التعرض لإصابة خطيرة. وبالتالي يحصل كل واحد على أسوأ نتيجة (1).

ومع ذلك، كما يوضح أندرو كولمان، إذا اختار أحد السائقين - لنقل إنه جيم - توخّي الحذر، في حين تبين أن بوز «مجنون»، يظهر الفرق بشكل مفاجئ. يسقط جيم النقاط ويحصل على نتيجة «الدجاج» (2)، في حين أن بوز يحالفه الحظ، مع أقصى حد

للمكسب (4).

إنه عالم مصغر لرياضيات ما يشبه بالفعل حك الأكتاف مع الأشخاص السيكوباتيين (وتقاطع مطار نيوارك). والأمر مؤثر بيولوجيًا: حين تُلعَب اللعبة بشكل متكرر في المختبر، عن طريق برامج الكمبيوتر المشفرة تشفيرًا خاصًا باستراتيجيات استجابة محددة مسبقًا، يحدث شيء مثير جدًا. حين يتم تحويل النتائج إلى وحدات اللياقة البدنية الداروينية وتوضع فرضية أن هؤلاء اللاعبين الذين يحصلون على نتائج أكبر ينتجون عددًا أكبر من الأبناء التي تعتمد بعد ذلك بالضبط الاستراتيجية نفسها التي اعتمدها أسلافهم، يتطور السكان في توازن مستقر، فيه تعكس بالفعل نسبة الأفراد الذين يتصرفون بشكل سيكوباتي باستمرار المعدل المعروف لوجود السيكوباتية في الواقع (حوالي 1 إلى 2 في المائة).

من يبقي قدمه ضاغطة على الغاز - من يحافظ على هدوء أعصابه – يفوز دائمًا: بشرط أن يكون الشخص المقابل له عاقلًا. وأحيانًا قد يكون التصرف «غير العقلاني» عقلانيًا.

عام 2010، تحقق **هديكي أوهيرا** Hideki Ohira، وهو متخصص في علم النفس في جامعة ناجويا،[139] وتلميذه طالب الدكتوراه **تاكاهيرو أوسومي** Takahiro Osumi، من صحة نظرية أندرو كولمان. وقد اكتشف الاثنان أنّ الأشخاص السيكوباتيين، في ظل ظروف استثنائية معينة، يتخذون قرارات مالية أفضل من بقية الناس، على وجه التحديد للسبب الذي أظهره أندرو كولمان ببراعة. إنهم يتصرفون بطريقة قد تبدو من منظور آخر غير عقلانية.

---

(139) - جامعة ناجويا Nagoya University: إحدى أشهر الجامعات في اليابان. تأسست جامعة ناجويا عام 1871 حيث بدأت مدرسة طبية مؤقتة، وفي عام 1939 أصبح اسمها جامعة ناجويا الإمبراطورية، ثم غيرت تسميتها إلى جامعة ناجويا في عام 1947 (المترجم).

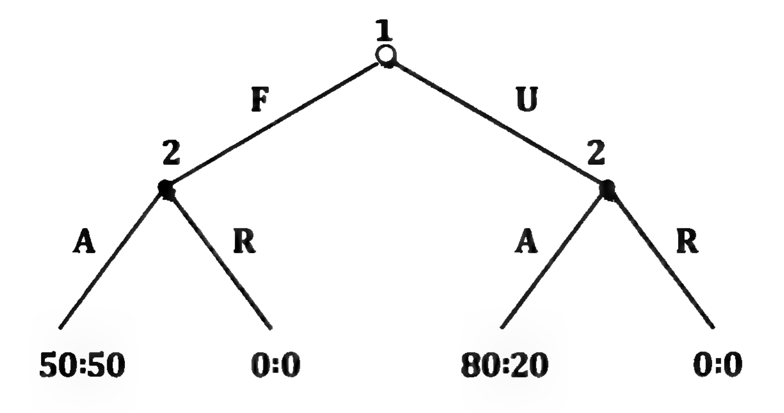
ولتوضيح ذلك، نشر أوهيرا وأوسومي **لعبة الإنذار الأخير**[140] – وهو نموذج يستخدم على نطاق واسع في مجال الاقتصاد العصبي، ويستكشف، على نطاق واسع، الطريقة التي نقيم بها ما يتعلق بالعملة في المقام الأول، ونقيم بها أيضًا أنواعًا أخرى معينة من المكاسب. تتضمن اللعبة تفاعل لاعبين ليقررا كيفية تقسيم مبلغ من المال يتم إعطاؤه لهما. يقترح اللاعب الأول حلًّا. ويقرر اللاعب الثاني قبول العرض أو عدم قبوله. إذا قرر اللاعب الثاني رفضه، فلن يحصل أي من بطلي اللعبة على أي شيء. ولكن إذا قرر اللاعب الثاني القبول، فسوف يتم تقسيم المبلغ وفقًا لذلك.

ألق نظرة على *الشكل (3 – 2)* وسوف تلاحظ شيئًا مثيرًا بشأن اللعبة. يمكن أن يكون العرض الذي يقدمه اللاعب 1 على الطاولة إما منصفًا أو غير منصف. يمكن أن يقترحا تقسيم المبلغ، على سبيل المثال، 50 – 50. أو بدلًا من ذلك، على سبيل المثال، 80 – 20. والآن، ما يحدث عادة ما يلي: حين تبدأ الاقتراحات في الاقتراب من علامة 70 – 30 (لصالح اللاعب 1)، يدخل اللاعب 2 في وضع الرفض.[141] وعلى الرغم من كل شيء، لا يتعلق الأمر بالمال فقط. يوجد هنا مبدأ على المحك أيضًا!

---

(140) - **لعبة الإنذار الأخير** *ultimatum game*: لعبة اقتصادية تجريبية يتفاعل فيها طرفان لمرة واحدة فقط، لذا فإن المعاملة بالمثل لا تمثل مشكلة. يقترح اللاعب الأول كيفية تقسيم مبلغ من المال مع الطرف الثاني. إذا رفض اللاعب الثاني، فلن يحصل أي منهما على أي شيء (المترجم).

(141) - وقد أظهرت الأبحاث السابقة أن العروض التي تقل عن 20 إلى 30 في المائة من الحصة عرضة لأن ترفض بنسبة 50 في المائة تقريبًا. (انظر Werner Güth, Rolf Schmittberger, and Bernd Schwarze، "تحليل تجريبي للمساومة على الإنذار النهائي An Experimental Analysis of Ultimatum Bargaining"، **مجلة السلوك الاقتصادي والتنظيم** *Journal of Economic Behavior and Organization* 3، رقم 4 (1982): 367-88) (المؤلف).



الشكل 3 – 2: لعبة الإنذار الأخير (1 = اللاعب 1 ؛ 2 = اللاعب 2 ؛ F = عرض عادل ؛ U = عرض غير عادل ؛ A = عرض مقبول ؛ R = عرض مرفوض)

لكن الأشخاص السيكوباتيين، كما اكتشف أوهيرا وأوسومي، يلعبون اللعبة بشكل مختلف إلى حد ما. إنهم لا يُظهرون فقط رغبة أكبر في قبول العروض غير العادلة، مفضلين منفعة اقتصادية بسيطة على مقتضيات العقوبة والحفاظ على الأنا، إنهم أقل انزعاجًا بكثير أمام عدم المساواة. فيما يتعلق بقياسات النشاط الكهربائي في الجلد Electrodermal Activity (وهو مؤشر موثوق للتوتر يعتمد على الاستجابة الذاتية للغدد العرقية)، كان الفرق بين الأشخاص السيكوباتيين والمتطوعين الآخرين مذهلًا، وهو أقل ما يقال. كان الأشخاص السيكوباتيون أقل انزعاجًا من الضوابط حين انتشوا بما يقدمه نظراؤهم – وفي خلاصة الدراسة، كان لديهم مبالغ أكبر في البنك يمكن أن يتباهوا بها. لقد أكسبهم الجلد الأكثر سمكًا محافظَ أكثر سمكًا.

وقد استنتج أوهيرا وأوسومي أنه من المفيد، في بعض الأحيان، أن يكون المرء سيكوباتيًا – ولكن بطريقة مختلفة عن تلك التي استنتج بها أندرو كولمان ذلك. لئن أثبت كولمان أنه من المفيد أن تهاجم بقسوة (أو في حالته، أو تسحق بقسوة)، اكتشف أوهيرا وأوسومي العكس تمامًا. إن هناك أمورًا تستحق أن يتقبلها المرء بشجاعة.

إذا كنت بحاجة إلى أي إقناع بقيمة أي إستراتيجية من الإستراتيجيتين، فاسألْ فقط شخصًا ما عمن أكمل المهمة بنجاح.

للوصول إلى القمة، أرسلْ سُمْعتَك قبلك:

وقد وصفهم محقق خاص على النحو التالي: «إنهم مثل شعاع لامع وعنيف عبر سماء السجن». وليس هناك الكثير جدًّا، على جانبي القضبان، الذين قد يختلفون مع هذا المحقق. جماعة الإخوة الآرية،[142] والمعروفة أيضًا باسم «**الصخرة**- The Rock»، وهي عصابة من أكثر العصابات التي يخشى ظهورها على الإطلاق داخل نظام السجون الفدرالية الأمريكية. وهي مسئولة، وفقًا لأرقام مكتب التحقيقات الفدرالي، عن 21 في المائة من جرائم القتل داخل السجون الأمريكية (على الرغم من أن أعضاءها يمثلون 1 في المائة فقط من السجناء)، ولا يمكن أن تخطئهم أبدًا. يبدو الأعضاء بشوارب تشبه حصان البحر بشكل يناسب براري الغرب أكثر مما يناسب الخارجين على القانون في العصر الحديث، والوشم الذي يصور الشمروك منصهرًا مع صليب معقوف،[143] مع شعار «666» مزخرف على أوراق الشمروك. ضع هذا الشعار دون إذن وسوف يطلب منك إزالته في كل الأحوال. ويزال عادة بشفرة الحلاقة.

إن النخبة الوحشية، **الصخرة**، هي القوات الخاصة في عالم السجون. وقد تأسست في منشأة سان كوينتين «سوبر ماكس»[144] المشددة في الإجراءات الأمنية عام 1964

---

(142) - جماعة الإخوة الآرية Aryan Brotherhood: أقدم العصابات العنصرية في السجون الأمريكية، بعد أن بدأت في كاليفورنيا في ستينيات القرن العشرين. وهي موجودة بشكل أساسي في أنظمة السجون في كاليفورنيا والسجون الفيدرالية (المترجم).

(143) - الشمروك shamrock: نبات يشبه البرسيم يستخدم رمزًا وطنيًّا لأيرلندا، ويقال إن القديس باتريك، شفيع أيرلندا، استخدمه استعارة للثالوث المسيحي المقدس؛ صليب معقوف swastika: رمز قديم استخدمه الحزب النازي في ألمانيا شعارا له (المترجم).

(144) - سوبر ماكس Supermax: كلمة تشير إلى سجن شديد الحراسة أو جزء من سجن مخصص للسجناء الأكثر خطورة (المترجم).

على أيدي مجموعة من المؤمنين بتفوق العرق الأبيض، كانت جماعة **الإخوة** أصغر من حيث العدد من عصابات السجون الأخرى، ولكن في غضون بضعة أشهر فقط من الدماء التي تناثرت ارتفعت بشكل كبير إلى وضع الزعامة والسيطرة. كيف تمكنت الجماعة من تحقيق ذلك؟ حسنًا، لا ضرر من أن تكون ذكيًّا، هذا أمر مؤكد. وعلى الرغم من حقيقة أن العديد من أعضاء العصابة كانوا مسجونين في وحدات سوبر ماكس أخرى، غالبًا في ظل ظروف إغلاق تمتد لمدة ثلاث وعشرين ساعة في اليوم، تمكنوا من تنسيق أنشطتهم من خلال عدد من الطرق العبقرية: الحبر السري المصنوع من البول وأربعمائة عام من نظام التشفير الثنائي– Binary Code System الذي ابتكره فيلسوف عصر النهضة السير **فرنسيس بيكون**،[145] لا أقل من ذلك، مثالان بارزان.

لكنهم كانوا أيضًا لا يعرفون الندم على الإطلاق، وعاشوا (كما لا يزالون يعيشون اليوم) بقانون واحد شرير وبسيط: «بالدم تدخل، بالدم تخرج». بالدم تدخل: يتم قبول كل عضو محتمل على أساس أنه قتل بالفعل عضوًا في عصابة منافسة، وعلى أساس فهم أنه سوف يقوم بتنفيذ المزيد من عمليات الإعدام حسب الطلب. بالدم تخرج: بطاقتهم الوحيدة للخروج هي مصرعهم، الذي يتم التعجيل به في كثير من الأحيان، سواء من خلال حدث غير محتمل بدرجة لا تذكر مثل الأسباب الطبيعية أو، كما هو محتمل إلى حد غير محدود (وفي كثير من الحالات، مفضل أكثر)، من خلال وسائل عنيفة مماثلة.

كما يعترف الأعضاء، إنها فلسفة بالغة البساطة ولا تعرف الرحمة. لا توجد أنصاف حلول ولا تطرح أسئلة. والشعار هو «**لا تخف من شيء ولا تخف من أحد**». وما تفتقر إليه جماعة **الصخرة** في الأعداد، تعوضه بالضراوة التي تخلو من المشاعر. ناهيك عن التفاني القاسي في أداء هذه المهمة، التفاني الشائع في الأشخاص السيكوباتيين من ذوي

---

(145) - فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561 - 1626): فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب": نظام التشفير الثنائي binary code system: نظام ابتكره بيكون في عام 1605 حيث يتم إخفاء الرسالة في عرض presentation النص بدلًا من محتواه (المترجم).

الدوافع العالية.

من خلال الوصول إلى **مكتبات السجون** (بالإضافة إلى مواد القراءة التكميلية من مصادر أخرى رسمية بدرجة أقل)، يتعامل الأعضاء مع القتل مثل وحدة العلوم الجامعية، ويتأملون في نصوص تشريح الإنسان (إلى جانب **نيتشه ومكيافيلي وتولكين**[146] **وهتلر**) للعثور على أجزاء الجسم الأكثر عرضة للصدمة المفاجئة. في السلسلة المتصلة والمشوّهة، سلسلة الزمان والمكان التي توجد داخل سجن سوبر ماكس، النافذة التي تفتح لمدة عشر ثوانٍ تشبه ثقبًا دوديًا[147] إلى الأبدية - والقتال بهذا الحجم في داخل السجن يساوي منافسة من اثنتي عشرة جولة في المدار النسبي الممتد في الحياة اليومية. والسرعة هي الجوهر. في غمضة عين، يمكن تحقيق الكثير: قطع القصبات الهوائية. تمزيق الأعناق. اختراق الحبال الشوكية. ثقب الطحال والكبد. من المهم أن تعرف ما تفعله إذا كانت الفرصة مواتية.

ومع ذلك، كما أشار لي باري Barry، أحد الأعضاء السابقين في جماعة **الصخرة**، في الشقوق الأخلاقية التي لا يمكن اختراقها، الشقوق التي تكمن، غير مرئية ولا يمكن التحكم فيها، في زوايا الخوف المظلمة من سجن فيدرالي، قد تُفسر مثل هذه الاستراتيجية بالفعل على أنها فعلية على أنها تكيفية - مثل **مكافحة** الحرائق بدلًا من **إشعال** الحرائق. وقد تحتوي المشكلة، على المدى الطويل، بدلًا من أن تشعلها.

يوضح باري أن «السجن بيئة معادية. فيه مجموعة من القواعد المختلفة عن قواعد العالم الخارجي. إنه مجتمع داخل مجتمع. إذا لم تعلن عن أفكارك على الملأ بشجاعة، يمكن لشخص ما أن يهاجمك في أي وقت يريد. لذا عليك أن تفعل شيئًا حيال ذلك. ليس عليك الاستمرار في التخلص من الناس. إن هذه الطريقة ليست الطريقة التي

---

(146) - جون رونالد رويل تولكين Tolkien (1892 - 1973): كاتب وشاعر وفقيه لغوي وأكاديمي إنجليزي، اشتهر بأعماله الكلاسيكية الخيالية (المترجم).

(147) - الثقب الدودي wormhole: بنية افتراضية للزمان والمكان ترى مثل نفق يربط نقاطًا منفصلة في الزمان والمكان (المترجم).

تسير بها الأمور. عادة ما تكون مرة كافية أو مرتين. حين تفعل ذلك مرة أو مرتين وبسرعة تنتشر الكلمة: لا تعبث مع هؤلاء الرجال. إن الوقاية، هذا ما أقوله، أفضل من العلاج. اغتنم الليل».[148]

إن وجهة نظر باري بشأن حل النزاعات مثيرة للاهتمام، ويردد صداها، في كلمات ليست كثيرة، منتج التسجيلات المحبوس فيل سبكتور.[149] كما وضح شخص أحمق يحمل مسدسًا ماغنوم- Magnum ذات مرة: «أن يكون لديك مسدس ولا تحتاج إليه أفضل من أن تحتاج إلى مسدس ولا يكون لديك» (على الرغم مما إن كان لا يزال يعتقد بأن أحدًا يؤمن بهذا في هذه الأيام). وقد اتخذ الإستراتيجي العسكري الصيني في القرن السادس قبل الميلاد، **صن تزو** Sun Tzu موقفًا أكثر دقة. كتب صن: «**أبرع مهارة أن تخضع العدو دون قتال**» - وهي مهارة، كما رأيناها قبل لحظة أو نحو ذلك مع جيم وبوز، من الصعب تزويرها وتتجذر في الثقة التي لا لبس فيها. وليس في الثقة الزائفة المبنية على التبجح. بل في الثقة الحقيقية المبنية على الإيمان.

وها هو **دين بترسين** Dean Petersen، جندي سابق في القوات الخاصة وقد تحول إلى مدرب فنون قتالية: «في بعض الأحيان، حين تكون في وضع عدائي، فإن أفضل خيار لك هو مواجهة النوايا العدوانية لشخص من المحتمل أن يكون عنيفًا. ثم انتقل خطوة واحدة وراءه. ارفع الرهان، بتعبير آخر، باستخدام التشبيه بالبوكر. حينها فقط، بمجرد أن تكسب الهيمنة النفسية، أن تظهر له . . . أن تلمح له . . . من هو الرئيس، يمكنك البدء في التحدث إليه».

ما مدى أفضلية أن تؤكد سلطتك في إقناع المنافسين المحتملين بأنهم يتعرضون للهزيمة قبل أن يبدأوا؟

---

(148) - اغتنم الليل *Carpe noctem* : باللاتينية في الأصل، والمقصود "استمتع بملذات الليل" (المترجم).

(149) - فيل سبكتور Phil Spector (1939 -): منتج تسجيلات أمريكي وموسيقار ومؤلف أغانٍ ويعتبر أحد أكثر الشخصيات تأثيراً في تاريخ موسيقى البوب. بعد السبعينيات اعتزل الحياة العامة. في عام 2009، أدين بجريمة قتل من الدرجة الثانية وما زال مسجونا منذ ذلك الحين (المترجم).

حجة باري لها آثار أوسع أيضًا - بالنسبة إلى الاختيار، ليس فقط على القسوة، ولكن أيضًا على الخصائص السيكوباتية الأخرى مثل عدم الخوف والفتنة السطحية. **إن الصراع، كما يتبين، ليس الوسيلة الوحيدة لإثبات الهيمنة في العالم الطبيعي**. بالعودة إلى أيام أجدادنا، لم يكن البقاء على قيد الحياة، كما هو الحال الآن في السجن، رخيصًا. على الرغم من أن عضوية المجموعة كانت تشكل جزءًا كبيرًا من بطاقة الأسعار، أي أهمية العضو، إلا أن المجتمعات اعتبرت أيضًا الأشخاص المخاطِرين بالغي الأهمية بشكل مدهش.

ولا يزال المرء يلاحظ ديناميكية مماثلة في القرود حتى اليوم. سوف يتنافس ذكور الشمبانزي (أقرب الأقرباء الأحياء لنا، الذين نشترك معهم 96 بالمائة من حمضنا النووي DNA) من خلال «**الشهامة**»: من خلال اتجاه الإيثار غير المرغوب فيه تجاه المرؤوسين. وعادة ما تكون مثل هذه الشهامة في طبيعتها ذات ذائقة جيدة: التعرض للخطر الدائم من أجل تزويد القوات بالطعام، وتقاسم عائدات انتحار مخاطرة المرء بحياته بإحسان، ومصادرة تلك التي تعود للآخرين بهدف إعادة التخصيص.

وكما يشير عالم الرئيسيات **فرانس دي فال**:[150] «**بدلًا من أن يبرز المهيمنون بسبب ما يأخذونه، فإنهم يؤكدون موقفهم بما يقدمونه من عطاء**».

ومن الجدير بالملاحظة بالقدر نفسه أن الرئيسيات التي تتنافس مع بعضها البعض للحصول على مكانة من خلال «الخدمة العامة» أو «القيادة» - أي من خلال تسهيل التعاون داخل المجموعة، أو، إذا كنت تفضل ذلك، من خلال الكاريزما والإقناع والسحر. تتنافس حيوانات الشمبانزي السائدة والقرود ذات الذيل المجدوع[151] والغوريلا بالتدخل في النزاعات بين المرؤوسين. ومع ذلك، على عكس التوقعات، فإن مثل هذا التدخل، بشكل افتراضي، لا يكون تلقائيًا في صالح العائلة والأصدقاء.

---

(150) - فرانس دي فال Frans de Waal (1948 -): عالم هولندي متخصص في الرئيسيات primatologist وعلم السلوك الحيواني. يعمل أستاذًا لعلم سلوك الرئيسيات، في قسم علم النفس بجامعة إيموري في أتلانتا (المترجم).

(151) - القرود ذات الذيل المجدوع stump-tailed monkeys: : أو قردة المكاك macaque ذات اللون البني المحمر الغامق والذيل القصير، وتعيش في جنوب آسيا وفي الجزء الشمالي الشرقي من الهند (المترجم).

يتم تنفيذه، كما يلاحظ دو فال، «على أساس أفضل السبل لاستعادة السلام».

وبالتالي، كما يلاحظ فرانس دي فال، بدلًا من اللامركزية في حل النزاعات، «تبحث المجموعة عن المحكم الأكثر فعالية في وسطها، ثم تلقي بثقلها وراء هذا الفرد لمنحه قاعدة واسعة من الدعم لضمان السلام والنظام».

إن القسوة وعدم الخوف والإقناع والسحر مزيج مميت - ولكنه في بعض الأحيان، مزيج منقذ للحياة. هل استمتع قتلة اليوم بحمل عبء تطوري مخادع على مروءة صانعي السلام أمس؟ قد لا يكون ذلك خارج حدود الاحتمال - على الرغم من أن العنف، بالطبع، ليس جديدًا تمامًا.

السيكوباتيون الأوائل:

عام 1979، في موقع بعيد بالقرب من قرية **سان سيسير**[152] في جنوب غرب فرنسا، قام **كريستوف زوليكوفر**[153] من جامعة زيورخ ومجموعة مشتركة من الباحثين الفرنسيين والإيطاليين باكتشاف مثير. يعود تاريخه إلى «الفترة الانتقالية- Transitional Period»، حين كان الأوروبيون ذوو الفك البارز والحاجب المرتفع يتعرضون للنزوح بسبب تدفق حديث تشريحيًا من إفريقيا، وقد بقيت بقايا هيكل عظمي عمره حوالي ستة وثلاثين ألف عام في غيبوبة أنثروبولوجية منذ العصر الجليدي. وقد تم التأكيد على أن البقايا كانت **لإنسان نياندرتال**. ولكن كان هناك شيء غريب في الجمجمة. كانت بها ندبة. كانت الندبة المعنية على جزء من العظم يبلغ طولها أربعة سنتيمترات تقريبًا، وكانت تقع في أعلى اليمين. لم يكن من غير المألوف، بالطبع،

---

(152) - سان سيسير Saint-Césaire: كوميونة في قسم شارينت ماريتيم Charente-Maritime في جنوب غرب فرنسا. حيث تم، في سبعينيات القرن الماضي، العثور على هيكل عظمي للإنسان النياندرتال؛ وإنسان نياندرتال Neanderthal: أو الإنسان البدائي هو أحد أنواع الإنسان العاقل البدائي *Homo sapiens* الذي استوطن أوروبا وأجزاء من غرب آسيا وآسيا الوسطى. تعود آثار نياندرتال البيئية التي وجدت في أوروبا إلى حوالي ثلاثمائة وخمسين ألف سنة. انقرض إنسان نياندرتال في أوروبا قبل حوالي 24,000 سنة (المترجم).

(153) - كريستوف زوليكوفر Christoph Zollikofer: بروفيسور في معهد الأنثروبولوجيا في جامعة زيورخ (المترجم).

بالنسبة إلى الحفريات في الميدان أن تدفع بأقل القليل من العينات في حالة مثالية. في الواقع، كان ذلك متوقعًا. ولكن كان هناك شيء، بطريقة أو بأخرى، مختلف قليلًا في هذه العينة. كانت نفحة من سبق الإصرار بشأنها هي التي أوحت بوجود لعبة غير نزيه؛ كانت تلمح بشكل أقل إلى تقلبات **الضمور الجيوفيزيائي** Geophysical Atrophy وبشكل أكبر إلى إلحاح لحظة ما من لحظات ما قبل التاريخ، وقد فقدت عميقًا في بطانة الماضي المظلم لأسلافنا. لم تكن هذه حكاية عادية عن سوء الحظ، بل عن تلف ناتج عن العنف. أو، بشكل أكثر تحديدًا، من خلال حركة القطع أو القرصنة التي تشير إلى تنفيذه بشفرة حادة.

بوضع اثنين واثنين معًا - موضع الندبة؛ شكل الجرح؛ وحقيقة أن بقية الجمجمة لم تبد مكسورة ولا مشوهة - توصل زوليكوفر إلى استنتاج صارخ. كان للعدوان بين البشر سلالة أطول مما كان يشتبه به سابقًا. جاء إلحاق الأذى بالآخرين، على ما يبدو، بشكل طبيعي للغاية.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ الأشخاص السيكوباتيين من النياندرتال الرحل كانوا يقومون بجولات في أوروبا ما قبل التاريخ منذ حوالي أربعين ألف سنة فكرة مثيرة للفضول. لكن الأمر ليس مفاجئًا. ففي الواقع، على عكس حجة «حمل العبء» التي أوجزت للتو، فإن التناول التقليدي لتطور الشخصية السيكوباتية يركز، كما رأينا في الفصل السابق، في الغالب على جوانب الافتراس والعدوان في الاضطراب. في أحد الاستبيانات القياسية لتقييم الشخصية السيكوباتية، وهو **مقياس ليفنسون للتقرير الذاتي**– Levenson Self-Report Scale، يأتي عنصر اختبار نموذجي على النحو التالي:

«**إن النجاح يعتمد على البقاء للأصلح. وأنا لست قلقا بشأن الخاسرين**». على مقياس من 1 إلى 4، حيث يمثل 1 «**لا أوافق بشدة**» وتمثل 4 «**أوافق بشدة**»، صنف شعورك تجاه هذا البيان.

يميل معظم الأشخاص السيكوباتيين إلى تسجيل موافقة قوية مع مثل هذا الشعور

- وهو ليس بالأمر السيء دائمًا.

يقول **ليوناردو دي كابريو**، الذي يلعب دور **فرانك أباجنيل**، أحد أشهر المحتالين في العالم، في فيلم **أمسكني إن استطعْتَ**:[154] «**سقط فأران صغيران في سطل من الكريمة. سرعان ما استسلم الفأر الأول وغرق. لم يستسلم الفأر الثاني. كافح بشدة حتى أنه قام في النهاية بتحويل هذا الكريمة إلى زبدة وزحف خارجًا. . ... أنا ذلك الفأر الثاني**».[155]

ومع ذلك، في الطرف الآخر من الطيف، نواجه نوعًا مختلفًا تمامًا من النصائح، مثل تلك التي يتم تبنيها في النصوص الدينية والروحية والفلسفية. نجد إشارات إلى الاعتدال والتسامح والودعاء الذي يرثون الأرض.

إذن من أنت: هل أنت سيكوباتي، أم قديس، أم في مكان ما بينهما؟ من المحتمل أن تكون الأخير – وقد اتضح أن هناك أسبابًا بيولوجية سليمة لذلك.

أن تلتمس أو لا تلتمس:

لقد رأينا بالفعل **نظرية اللعب** قيد التنفيذ في وقت سابق من هذا الفصل. إنه فرع من الرياضيات التطبيقية المكرس لدراسة المواقف الاستراتيجية، لاختيار الاستراتيجيات السلوكية المثلى في الظروف التي لا يكون فيها تحديد التكاليف والفوائد المترتبة على خيار أو قرار معين لا يمكن تغييره، ولكنه، على النقيض من ذلك، متغير، تقدم **نظرية اللعب** سيناريوهات ديناميكية بشكل جوهري. ومن غير المستغرب، نظرًا لتركيز **نظرية اللعب** المتأصل على العلاقة بين الوكالة الفردية والمجموعة الاجتماعية الأوسع، ليس من غير الشائع العثور على طبقات خارجية غنية

---

(154) - ليوناردو دي كابريو Leonardo DiCaprio (1974 -): ممثل ومنتج أمريكي. فرانك أباجنيل Frank Abagnale (1948 -): مزور أمريكي اشتهر في الستينيات، وأمسكني إن استطعت *Catch Me If You Can* فيلم أمريكي عن قصة حياته عرض أول مرة في عام 2002 (المترجم).

(155) - لم أقم بتقييم فرانك أباجنيل، ولكن في أوج فترة ظهوره، بدا بالتأكيد أنه يظهر العديد من السمات المميزة للسيكوباتي. لا يهم. حتى لو قمت بتقييمه، فربما نجح في تزوير نتائج اختباره على أي حال! (المؤلف).

لهذا النتوء الرياضي شبه الثمين المتضمن في فروع الانتقاء الطبيعي - ضمن النماذج والنظريات التي تتناول الكيفية التي ربما تطورت بها السلوكيات المختلفة أو استراتيجيات الحياة. والشخصية السيكوباتية، كما أظهر لنا عمل أندرو كولمان، ليست استثناء.

من أجل المتابعة من حيث توقف أندرو كولمان واستكشاف الديناميكيات التطورية للشخصية السيكوباتية أكثر، دعنا نتناول موقفًا مشابهًا للوضع الذي وجده كل من جيم وبوز نفسيهما فيه على المنحدرات - هذه المرة فقط، اجعل الأمر شخصيًّا أكثر إلى حد ما. تخيل أنك أنت وشريك يشتبه في ارتكابكما جريمة كبرى. وقد ألقت الشرطة القبض عليك وأخذتك لاستجوابك.

في قسم الشرطة، يُجري ضابط التحقيق مقابلة مع كل منكما بشكل منفصل، ولكن ليس لديه أدلة كافية لتوجيه الاتهامات، لذا يلجأ إلى أسلوب قديم يتمثل في جعل كل منكما يلعب ضد الآخر. يضع أوراقه على الطاولة ويعرض عليك صفقة. إذا اعترفت، فسوف يستخدم اعترافك دليلًا ضد شريكك ويسجنه لمدة عشر سنوات. ومع ذلك، سوف يتم إسقاط التهم الموجهة إليك، ويُسمح لك بالرحيل دون اتخاذ أي إجراء آخر ضدك.

ألا يبدو الأمر جيدًا جدًّا بشكل لا يصدق؟ إنه كذلك. هناك مفاجأة. **يخبرك الضابط بأنه سوف يعرض أيضًا الصفقة نفسها على شريكك.**

تترك وحدك للتفكير في هذا العرض. ولكن خلال ذلك الوقت تتبادر فكرة إلى ذهنك فجأة. وتسأل نفسك: ماذا لو اعترف كلانا؟ ماذا يحدث بعد ذلك؟ هل نذهب إلى السجن لمدة عشر سنوات؟ أم يكون لنا كلينا الحرية في المغادرة؟ يبتسم الضابط. إذا اعترفتما كلاكما، فسوف يرسل كل منكما إلى السجن - ولكن بحكم مخفف لمدة خمس سنوات. وإذا لم يعترف أي منكما؟ سوف تذهبان إلى السجن مرة أخرى، ولكن هذه المرة لمدة عام واحد فقط. *(انظر الجدول 3 - 2)*.

	الشريك لا يعترف	الشريك يعترف
أنت لا تعترف.	يسجن الشريك لمدة عام وتسجن لمدة عام	الشريك إفراج وأنت تسجن لمدة عشر سنوات
أنت تعترف	والشريك يسجن لمدة عشر سنوات وأنت إفراج	يسجن الشريك لمدة خمس سنوات وأنت تسجن لمدة خمس سنوات

الجدول 3 - 2: معضلة السجين

هذا الضابط ذكي. فكر في الأمر. لقد قدم لك بالفعل عرضًا لا يمكن أن ترفضه. حقيقة الأمر بسيطة. مهما اختار شريكك القيام به، تكون دائمًا في وضع أفضل إذا لم تعترف. إذا قرر شريكك إبقاء فمه مغلقًا، فأنت إما تواجه عامًا في السجن لفعل الشيء نفسه أو تبدأ حياة جديدة من خلال الإبلاغ عنه. وبالمثل، إذا قرر شريكك الإبلاغ ضدك، فأنت إما أن تقضي فترة العقوبة كاملة لأنك قررت ألا تعترف أو تخفيض العقوبة إلى النصف عن طريق تبادل الخيانة. إن واقع معضلتيكما متناقض بشكل غريب. منطقيًا، يملي الحفاظ على الذات أن المسار المعقول الوحيد للعمل هو الاعتراف. ومع ذلك، فإن هذا المنطق المشلول نفسه هو الذي يحرمكما من فرصة تقليل عقوبتكما المشتركة من خلال التزام الصمت.

وتجدر الإشارة إلى أن مسألة الصدق - ببقاء المرء صامتًا تمامًا لأنه الشيء «الصحيح» الذي يجب القيام به - لا تدخل في الأمر. وبغض النظر عن القيمة الأخلاقية المريبة المتمثلة في وضع المرء نفسه في موقف يكون فيه عرضة للاستغلال بشكل واضح، فإن الغرض الكامل من معضلة السجين هو التأكد من الاستراتيجيات السلوكية المثلى ليس في أطر الأخلاق، حيث يعمل المنفذون في مجال الفلسفة على الأبواب، ولكن داخل فراغ نفسي لصفر الجاذبية الأخلاقية . . . مثل ذلك الذي يشكل العالم الطبيعي بشكل عام.

فهل يمكن أن يكون الأشخاص السيكوباتيون على حق؟ هل يمكن أن يكون البقاء للأصلح موجودًا حقًّا؟ قد تبدو هذه الاستراتيجية منطقية بالتأكيد. في لقاء لمرة واحدة فقط مثل معضلة السجين، قد تجادل في أن الكلاب تأكل الكلاب (أو استراتيجية الانشقاق، باستخدام المصطلحات الرسمية) تشكل اليد التي تمسك بالأوراق الرابحة. فلمَ لا تمضي، في هذه الحالة، قدمًا وتلعبها؟

والسبب بسيط بطبيعة الحال. إن الحياة، في تعقيدها اللامتناهي، لا تؤيد أن الأشياء تحدث مرة واحدة فقط. إذا كان الأمر كذلك، وكان مجموع الوجود البشري سلسلة متتالية من السفن التي تمر في الليل، فعندئذ نعم، سوف يصبح الأشخاص السيكوباتيون الذين يعيشون بيننا على حق، وسوف يرثون الأرض بسرعة. لكنها ليست كذلك. ولن يرثوا الأرض بسرعة. بدلًا من ذلك، يتم ملء شاشة الحياة بكثافة بملايين وملايين من وحدات البكسل الفردية المتناهية الصغر، التي يؤدي تفاعلها المتكرر، والعلاقات بينها، إلى ظهور الصورة الأكبر. إن لدينا تاريخًا – أو تواريخ اجتماعية - مع بعضنا البعض. ونحن قادرون، على عكس الشخصيات الموجودة في **معضلة السجين**، على التواصل.

أي فرق كان يمكن أن يحدث!

لكن لا بأس - تمامًا كما نتمكن من لعب معضلة السجين مرة واحدة، بالتالي يمكن أن نلعبها عدة مرات. مرة بعد أخرى. بأن نستبدل أحكام السجن بنظام المكافأة والعقاب الذي يتم فيه كسب أو فقدان النقاط (انظر الجدول 3 - 3)، يمكننا بمساعدة بعض الرياضيات البسيطة محاكاة الحياة الواقعية، بالطريقة نفسها تمامًا مثل فعلنا مع جيم وبوز.

	الشريك يتعاون	**الشريك يتنافس**
أنت تتعاون	يكسب الشريك خمس نقاط وتكسب أنت خمس نقاط	يكسب الشريك عشر نقاط ولا تكسب أنت أي نقاط
أنت تتنافس	لا يكسب الشريك أي نقاط وتكسب أنت عشر نقاط	يكسب الشريك نقطة وتكسب أنت نقطة

ماذا يحدث بعد ذلك؟ هل يحققها الأشخاص السيكوباتيون في عالم من المواجهات المتكررة؟ أم أن استراتيجيتها أن تلعب الورقة الرابحة بواسطة الفرضية البسيطة عن «السلامة في الأعداد؟»[156]

القديسون ضد المحتالين:

للإجابة عن هذا السؤال، دعونا نتخيل مجتمعًا مختلفًا بعض الشيء عن المجتمع الذي نعيش فيه حاليًا: مجتمعًا مثل مجتمع الأيام الماضية، حيث كان يتم الدفع للقوة العاملة نقدًا في نهاية كل أسبوع، في مظاريف بنية صغيرة محددة لكل شخص. تخيل الآن أنه يمكننا تقسيم هذه القوة العاملة إلى نوعين مختلفين من الناس. النوع الأول صادق وجاد ويبذل الجهد المطلوب في العمل طول الأسبوع. دعونا نطلق على أفراد هذا النوع لقب **القديسين** *Saints*. والنوع الآخر غير شريف، وكسول، ويفترس نظراءه الدؤوبين وهم يشقون طريقهم إلى المنزل يوم الجمعة، يستلقي أفراد هذا النوع منتظرين خارج أبواب المصنع ويستولون على أجور أفراد النوع الأول، الأجور التي حصلوا عليها بشق الأنفس لأنفسهم. دعونا نطلق عليهم لقب **المخادعين** *Shysters*.[157]

---

(156) - السلامة في الأعداد safety in numbers: الفرضية القائلة بأنه من خلال أن يكون المرء جزءًا من مجموعة أو كتلة كبيرة، فإن احتمال أن يكون ضحية لسوء الحظ أو حادث أو هجوم أو أي حدث سيء آخر (المترجم).

(157) - توجد ديناميكية مماثلة للواقعية في تربية النحل. خلال أوقات الندرة، سوف يهاجم ما يسمى بالنحل السارق خلايا النحل الأخرى، ويقتل كل ما في طريقه، بما في ذلك ، في بعض الحالات، الملكة. من أجل تخصيص الاستيلاء على عسله. تحمي خلايا النحل نفسها من اللصوص من خلال تعيين نحل حراسة للقيام بواجب الحراسة عند مدخل الخلية، ليكون على اطلاع على النحل المغير - ويقاتله حتى الموت، في حالة وقوع هجوم. في دراسة رأت النور للتو، اكتشف فريق مشترك من الباحثين من جامعة ساسكس Sussex في المملكة المتحدة وجامعة ساو باولو في البرازيل للتو أول نحلة "جندي" في العالم. هذه الطبقة الفرعية من نحل جاتاي (**تتراجونيسكا أنجوستولا**). [جاتاي Jatai: بلدية في ولاية جوياس الجنوبية في البرازيل؛ **تتراجونيسكا أنجوستولا** *Tetragonisca angustula*: نحلة صغيرة تعيش حياة اجتماعية منظمة بشكل متطور، وتوجد في المكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية. وتعرف بمجموعة متنوعة من الأسماء في مناطق مختلفة - المترجم] على عكس النحل الحارس الطبيعي في مستعمرات نحل العسل. متخصصة جسديًا لأداء مهمة

في البداية، يبدو الأمر كما لو أن المخادعين قد تأكدوا من تحقيق النجاح وحياة الرخاء: إن هذه الجريمة تحقق المكسب. وهي، بالفعل، تحققه على المدى القصير على الأقل. يبدأ القديسون العمل ليظل المجتمع يتقدم، بينما يجني المخادعون فائدة مزدوجة. فهم لا يتمتعون فقط بمزايا العيش في مجتمع مزدهر، ولكن أيضًا، من خلال سرقة أجور القديسين، «يحصلون على أموال» مقابل عدم القيام بأي شيء.

إنه عمل رائع إن استطعْتَ الحصول عليه.

لكن لاحظ ما يحدث إذا استمر هذا النمط من السلوك. يبدأ القديسون في الشعور بالتعب والمرض. ومع وجود دخل أقل ومحدود لا يكفيهم للاعتناء بأنفسهم، يبدأون في الموت. وتدريجيًّا، تبدأ نسبة السكان «العاملين» في التحول لصالح المخادعين.

لكن هذا هو ما لا يريده المخادعون بالضبط! مع تناقص عدد القديسين في كل أسبوع، يزداد احتمال أن يواجه المخادعون بعضهم البعض. بالإضافة إلى ذلك، حتى لو واجهوا قديسًا، فهناك فرصة أكبر بأنهم سوف يرحلون بأيدٍ خاوية. ربما يكون مخادع آخر قد سبقهم إليه.

في النهاية، إذا تم السماح بأن تسير الأمور بشكل طبيعي، فإن دائرة توازن الطاقة تكتمل. يتأرجح البندول مرة أخرى إلى الخلف لصالح القديسين، ويعود المجتمع إلى العمل من أجل لقمة العيش. لكن لاحظ كيف تمت برمجة التاريخ ليكرر نفسه. يسيطر القديسون على القرارات المؤثرة فقط في الوقت الذي يكون فيه الاقتصاد في حالة ركود، ويترأس المخادعون الأمر فقط طالما يمكن للقديسين إبقاءهم في حالة رخاء. إنها آلة دوارة كئيبة لتناوب حالات الازدهار والكساد.

حماية الخلية. إنها أثقل بنسبة 30 في المائة من رفاقها المكلفين بالحصول على الطعام، ولها أرجل أكبر ورأس أصغر. ربما ينبغي أن يطلق عليها اسم "النحلة الهائجة". انظر

Christoph Grüter Cristiano Menezes, Vera L. Imperatriz-Fonseca and Francis L. W. Ratnieks, 'A morphologically specialized soldier caste improves colony defense in a neotropical eusocial bee' *PNAS*, 109(4) (2012): 1182–6.

(المؤلف).

هذا الرسم التخطيطي المختصر لنوعين مختلفين تمامًا من أخلاقيات العمل هو، على أقل تقدير، تمثيل مبسط لمجموعة ديناميكية أكثر تعقيدًا بشكل لا نهاية له. ومع ذلك، فإن هذا التبسيط بالتحديد، هذا الاستقطاب السلوكي، هو الذي يضفي على هذا النموذج قوته. إن العدوان الخالص غير المشروط والاستسلام الخالص غير المشروط محكوم عليهما بالفشل باعتبارهما إستراتيجيتين للتبادل الاجتماعي في مجتمع التفاعل المتعدد والاعتماد المتبادل. فيما يعادل إلى حد كبير تأثيرًا متأرجحًا متجولًا، تكون كل إستراتيجية عرضة للاستغلال من قبل الأخرى بمجرد أن تحقق إحداهما الصعود: بمجرد أن يصبح مؤيدو إحدى الإستراتيجيتين عددًا كافيًا من الجماهير يكفي ليتطفل عليهم أولئك الذين يؤيدون الاستراتيجية المنافسة. لصياغة تعبير من قاموس علم الأحياء الاجتماعي: باعتبارهما استراتيجيتين للبقاء، لا يمكن اعتبار التعاون غير المؤهل أو المنافسة غير المؤهلة **مستقرًا تطوريًا** *Evolutionary Stable*.[158] يمكن التغلب عليهما كليهما عن طريق غزو الاستراتيجيات المضادة أو تحويرها.

ولكن هل يمكننا أن نلاحظ هذه العملية المتكررة في الواقع، هذا الكشف المتكرر لديناميكية **معضلة السجين**؟ إننا هنا، على الرغم من كل شيء، في عالم تجربة فكرية بشكل صارم. هل تنجح هذه الملاحظات المجردة في الحياة الواقعية؟

تعتمد الإجابة على ما نعنيه بكلمة «**الواقعية**». إذا كان مستعدين لأن نضع «**الافتراضي**– Virtual» ضمن «**الواقعية**»، فقد يتبين أننا قد نكون محظوظين.

الأخلاق الافتراضية:

لنفترض أنني كنت أجري تجربة على استجابات الأشخاص على ما هو غير متوقع، وعرضت عليك الفرصة التالية: مقابل ألف دولار، يجب أن تخلع كل ملابسك

(158) - قدم هذا المصطلح لأول مرة الراحل جون ماينارد سميث John Maynard Smith [(1920 - 2004)، عالم أحياء بريطاني - المترجم] من مركز دراسة التطور، جامعة ساسكس (المؤلف).

وتسير، عاريًا تمامًا، إلى حانة للانضمام إلى مجموعة من الأصدقاء. وينبغي عليك أن تجلس إلى طاولة وتتحدث إليهم لمدة خمس دقائق (أي مائتي دولار في الدقيقة!)، وخلال هذه الفترة سوف تشعر بالقوة الكاملة للإحراج الاجتماعي المؤلم الذي سوف يصاحب المغامرة بلا شك. ومع ذلك، بعد انقضاء الدقائق الخمس، سوف تترك البار دون أن تصاب بأذى، وسوف أضمن لك ألا تتذكر أنت أو أي شخص آخر كان حاضرًا أي شيء عن الحدث. سوف أمسح كل شيء. بصرف النظر عن رزمة الدولارات النضرة التي تحرق حفرة في جيبك، سوف يكون الأمر كما لو أنه لم يحدث أي شيء على الإطلاق.

هل تفعلها؟ في الواقع، كيف تعرف أنك لم تفعلها بالفعل؟

أنا متأكد من أن هناك بعض الأشخاص الذين قد يُعرُّون كل شيء بكل سرور من أجل التقدم العلمي. كيف يكون الشعور بالتحرر إذا استطعنا بطريقة أو بأخرى، في مكان ما، في شرفات الزمن وفي غرفه، تسجيل الدخول والخروج من عالم مؤقت ومغلف حيث يتم تأجير التجارب بالساعة. كان هذا بالطبع موضوع **ذا ماتركس**:[159] البشر الذين يسكنون عالمًا افتراضيًا، وهو عالم ظهر في ذلك الوقت واقعيًا بشكل يستحوذ على الاهتمام استحواذًا لا يمكن مقاومته. ولكن ماذا عن الجانب الآخر؟ ماذا عن أجهزة الكمبيوتر التي تسكن عالمًا بشريًا؟

في أواخر سبعينيات القرن العشرين، طرح عالم السياسة **روبرت أكسلرود**[160] هذا السؤال بالتحديد فيما يتعلق **بمعضلة السجين** - واكتشف طريقة لتحويل النموذج إلى شكل رقمي، لتحديد استراتيجية، مع مرور الوقت والتفاعل المتكرر، حددت كل مربعات الاستقرار التطوري. وقام بوضع تسلسل لجينوم التبادل الاجتماعي اليومي.

---

(159) - ذا ماتركس *The Matrix*: فيلم سينمائي تم إنتاجه في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1999، من تأليف وإخراج الأختين وتشاوسكي Wachowski، وبطولة كيانو ريفز Reeves ولورنس فيشبورن Fishburne وكاري آن موس Moss (المترجم).

(160) - روبرت مارشال أكسلرود Robert Axelrod (1943 -): أستاذ أمريكي في العلوم السياسية والسياسة العامة في جامعة متشجن حيث يعمل منذ عام 1974 (المترجم).

أولًا، لفت أكسلرود انتباه عدد من رواد منظري اللعب في العالم حول فكرة إقامة مسابقة **معضلة السجين** حيث كان المشاركون الوحيدون فيها برامج كمبيوتر. ثانيًا، حث كل منظِّر على تقديم برنامج للمشاركة في المسابقة التي تضمنت مجموعة محددة سلفًا من الاستجابات التعاونية والتنافسية. ثالثًا، بمجرد استلام جميع الطلبات (كان هناك أربعة عشر طلبًا على وجه العموم)، قام بإعداد جولة تمهيدية قبل بدء الحدث الرئيسي للمنافسة، حيث تنافس كل برنامج ضد البرامج الأخرى للحصول على نقاط. في ختام هذه الجولة، جمع عدد النقاط التي حصل عليها كل برنامج، ثم بدأ المسابقة الفعلية، مع نسبة من البرامج الممثلة طبقًا لعدد النقاط التي جمعها كل منها في الجولة السابقة – على وجه التحديد تمشيًا مع قيود الانتقاء الطبيعي. ثم جلس وشاهد ما حدث.

ما حدث كان واضحًا جدًّا. وكان البرنامج الأكثر نجاحًا، حتى الآن، هو الأكثر بساطة، حتى الآن أيضًا. **العين بالعين**، الذي صممه عالم الرياضيات وعالم الأحياء الروسي المولد أناتول رابوبورت،[161] الذي تم تطبيق عمله الرائد في التفاعل الاجتماعي ونظرية النظم العامة على قضايا حل النزاعات ونزع السلاح ليس فقط في المختبر ولكن على المسرح السياسي بشكل عام، وهو بالضبط ما قيل على ملصق العمل. لقد بدأ بالتعاون، ومن ثم عكس بالضبط الاستجابة الأخيرة لمنافسه. إذا تعاون، في التجربة الأولى، على سبيل المثال، ذلك البرنامج المنافس أيضًا، فإن إستراتيجية **العين بالعين** قد تستمر ليحذو البرنامج المنافس حذوه. ومن ناحية أخرى، إذا تنافس البرنامج المنافس، فعندئذ في التجارب اللاحقة، يكون قد ذاق طعم دوائه الخاص به . . . حتى الوقت الذي تحول فيه إلى التعاون.

---

(161) - **العين بالعين** TIT FOR TAT: أو إستراتيجية "واحدة بواحدة" أي المعاملة بالمثل. وهو تعبير استخدم أول مرة في عام 1558، ويعتبر إستراتيجية فعالة في نظرية اللعب. أناتول رابوبورت Anatol Rapoport (1911 - 2007): عالم في مجال علم النفس الحسابي، وهو أمريكي من أصل أوكراني. ساهم في نظرية الأنظمة، وفي علم الأحياء الرياضي والنمذجة الرياضية للتفاعل الاجتماعي (المترجم).

سرعان ما أصبحت السمة العملية اللطيفة والأناقة المرنة لإستراتيجية **العين بالعين** واضحة. لم يتطلب الأمر عبقرية لمعرفة ما وصلت إليه. لقد تجسدت، بشكل مرعب، بلا روح، في غياب الأنسجة والمشابك العصبية، وتلك السمات الأساسية التي تتمثل في الامتنان والغضب والتسامح التي تجعلنا - نحن البشر - ما نحن عليه. كافأت التعاون بالتعاون - ثم جنت الفوائد الجماعية. وفرضت عقوبات فورية ضد المنافسة الأولية، متجنبة بالتالي السمعة القائلة بأنها مهمة سهلة. وفي أعقاب هذا الحقد، كانت قادرة على العودة، دون أي اتهام يوجه إليها، إلى نمط من الخدمات المتبادلة، مما أدى إلى توقف نمو أي إمكانات متأصلة في مرحلة مبكرة من أجل نوبات القنص المطولة والمدمرة بأثر رجعي. إن انتقاء المجموعة، ذلك الكستناء التطوري القديم الجيد بالنسبة إلى المجموعة، الذي يتم الحفاظ عليه في الفرد، لم يؤثر فيها. إذا أظهرت لنا تجربة أكسلرود أي شيء على الإطلاق، فقد كان ما يلي: إن الإيثار، على الرغم من أنه بلا شك أحد عناصر تماسك المجموعة الأساسية، قادر تمامًا على الظهور، ليس من بعض أشكال التفاضل رفيع المستوى من قبيل خير النوع أو حتى خير القبيلة، ولكن من تفاضل البقاء على قيد الحياة، الموجود بشكل نقي بين الأفراد.

وظهر أن الانسجام الواضح، الذي يمكن رؤيته بالعين المجردة، والنزعة الفردية المجهرية وجهان لعملة تطورية واحدة. أضاع الصوفيون الفرصة. لم يكن العطاء أفضل من الأخذ. إن الحقيقة، بحسب الإنجيل الجديد الراديكالي للمعلوماتية الاجتماعية الذي وضعه روبرت أكسلرود، هي أن العطاء **كان** أخْذًا.

وما هو أكثر من ذلك، لم يكن هناك ترياق معروف.

على عكس مثالنا السابق عن القديسين والمخادعين، حيث بدأت «نقطة التحول» في فرضيّة التأثير بمجرد أن افترضت نهاية عالية من تأرجح السكان عند مستوى معين من الصعود، استمرت إستراتيجية **العين بالعين** في التدحرج. كانت قادرة، بمرور الوقت، على التخلص من جميع الإستراتيجيات المتنافسة خارج الملعب بشكل دائم.

إن إستراتيجية **العين بالعين** لم تكن مجرد فائز. كان الفوز للإستراتيجيات المبتدئة فقط. بمجرد أن بدأت، لم يكن من الممكن، إلى حد كبير، أن تقهر.

أفضل ما في العالمين كليهما:

أثارت مغامرات **روبرت أكسلرود** في عالم «**علم الأخلاق السيبرانية**»[162] بالتأكيد بعض علامات الدهشة. ليس فقط بين علماء الأحياء، ولكن أيضًا في الأوساط الفلسفية. لتوضح بشكل مقنع أن «الخير» كان متأصلًا بطريقة ما في النظام الطبيعي، وأنه كان خاصية بارزة، إذا جاز التعبير، من خصائص التفاعل الاجتماعي، لم تنجح إلا في ضرب إسفين أكبر بين أولئك الذين إلى جانب الرب وأولئك الذين وضعوا الرب على جانب. ماذا لو لم تكن طبيعتنا «الأفضل» أفضل، على الرغم من كل شيء؟ ولكن، هل كانت، بدلًا من ذلك . . . حسنًا، مجرد طبيعة؟

حدث مثل هذا العمل البغيض بالفعل، قبل عقد من الزمان أو نحو ذلك من مساعي **روبرت أكسلرود**، لعالم أحياء شاب في جامعة هارفارد اسمه **روبرت تريفرز**،[163] وقد تكهن ببصيرة ثاقبة إلى حد ما أنه ربما لهذا السبب بالتحديد تطورت سمات بشرية معينة في المقام الأول: أن ترش طلاء على جانب الوعي يمثل تأكيدًا وجدانيًا لمثل هذه المخطط البسيط ببراعة، مثل هذه التعويذة الحسابية الأنيقة، مثل إستراتيجية **العين بالعين** – وهي تعويذة خدمت بلا شك التلمذة في صفوف الحيوانات الدنيا قبل أن ننجح في وضع أيدينا عليها. ربما، فكر روبرت تريفرز في أننا شعرنا، لهذا السبب بالذات، لأول مرة في أعماق تاريخنا التطوري، بتلك الخلجات

---

(162) - علم الأخلاق السيبرانية cybernethics: هكذا في الأصل. ولعل الصواب cyber-ethics. أي الأخلاقيات الإلكترونية أو السيبرانية وهي الدراسة الفلسفية للأخلاقيات المتعلقة بأجهزة الكمبيوتر. وتشمل سلوك المستخدم وما تبرمج أجهزة الكمبيوتر للقيام به، وكيف يؤثر ذلك على الأفراد والمجتمع (المترجم).

(163) - روبرت تريفرز Robert Trivers (1943 -): عالم أمريكي متخصص في الأحياء التطوري وعلم الأحياء الاجتماعي. اقترح نظريات الإيثار المتبادل (1971)، والاستثمار الأبوي (1972). وتحديد نسبة الجنس الاختيارية (1973)، والصراع بين الآباء والأبناء (1974). وساهم أيضًا في شرح خداع الذات باعتباره استراتيجية تطورية تكيفية (تم وصفها لأول مرة في عام 1976) ومناقشة الصراع الداخلي (المترجم).

الأولية للصداقة والعداء، والمودة والكراهية، والثقة والخيانة، تلك الخلجات جعلتنا الآن، بعد مرور ملايين السنين، ما نحن عليه.

كان من شبه المؤكد أن يوافق على ذلك الفيلسوف البريطاني **توماس هوبز**[164] في القرن السابع عشر. قبل نحو ثلاثمائة سنة، في **اللفياثان**،[165] كان توماس هوبز يتوقع مثل هذه الفكرة بالتحديد بمفهومه عن «**القوة والاحتيال**- force and fraud»: فكرة أن العنف والدهاء يشكلان المحرضين الأساسيين، بل والوحيدين في الحقيقة، على النتائج. وأن «المسكِّن الوحيد للخوف المستمر وخطر الموت العنيف؛ وحياة الإنسان، المنعزل والفقير والشرير والوحشي والقصير موجودة في جوهر الاتفاق». أي تشكيل التحالفات مع الآخرين.

من المؤكد أن ظروف مسابقة روبرت أكسلرود تعكس بالتأكيد ظروف التطور البشري، وما قبل البشري. كان عشرات الأفراد الذين يتفاعلون بشكل منتظم حول العدد الصحيح بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمعات المبكرة. وبشكل مماثل، مُنِح كل برنامج القدرةَ ليس فقط على تذكر المواجهات السابقة، ولكن أيضًا على تعديل سلوكه وفقًا لذلك. لذلك كانت هذه النظرية عن التطور الأخلاقي فكرة مثيرة للاهتمام. وكانت، في الحقيقة، أكثر من ذلك. وكان ذلك، بالنظر إلى ما حدث في البداية في آلة السجق[166] الحسابية عند **روبرت أكسلرود** وما خرج من الطرف الآخر، احتمالًا بارزًا. وقد بدا الآن أن «**البقاء للأصلح**» لا يكافئ، كما كان يُعتقد من قبل، التنافس دون تمييز. لكنه بالأحرى، يكافئه بتمييز. في ظل مجموعات معينة من الظروف، نعم، قد يفتح العداء الأبواب (يفكر المرء في جيم وبوز). ولكن في ظل ظروف أخرى، على

---

(164) - توماس هوبز Thomas Hobbes (1588 – 1679): عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي. ويعد أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر في إنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني (المترجم).

(165) - **اللفياثان** *Leviathan*: كتاب نُشر في عام 1651. يدور العمل حول شرح بنية المجتمع وشرعية الحكومة، ويُعتبر واحدًا من أوائل الأمثلة المؤثرة على نظرية العقد الاجتماعي (المترجم).

(166) - آلة السجق sausage machine: تعبير يشير إلى نظام يتعامل مع الأشياء أو الأشخاص كما لو كانوا متشابهين (المترجم).

النقيض من ذلك، قد يغلقها بسهولة - كما رأينا مع القديسين والمخادعين.

وهكذا يتضح أن السيكوباتيين ليسوا محقين تمامًا. ليس هناك من ينكر قسوة الوجود، وهي الحقيقة الوحشية، المنقوصة التي يمكن أن تكون، في بعض الأحيان، البقاء للأصلح. ولكن هذا لا يعني أنه يجب أن يكون الأمر على هذا النحو. لقد تبين أن الودعاء يرثون الأرض حقًّا.(167) فقط سوف يكون هناك دائمًا، على طول الطريق، خسائر. كان تعبير «فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ»(168) نصيحة جيدة دائمًا. ولكن الآن، بعد حوالي ألفي عام، بفضل روبرت أكسلرود وأناتول رابوبورت، أثبتنا ذلك في النهاية بالرياضيات.

بالطبع، هناك بلا شك جزء ضئيل من السيكوباتي فينا جميعًا – شارد بيولوجي طيفي من رياضيات السلام- Algebra Of Peace والحب – حيث قام كبار ساداتنا من مكتب الانتقاء الطبيعي بمنح السيكوباتيين الملاذ التطوري المستمر عبر السنوات. ومن المؤكد أن أخلاقيات القديسين والمخادعين قد تكون موجودة في النواة الداروينية- Darwinian stone: إذا قام الجميع بالتخلص منها، فلن يتبقى أحد في النهاية. لكن بالقدر نفسه، هناك أوقات في حياتنا اليومية نحتاج فيها جميعًا إلى أن نتزود بالوقود. حين نحتاج جميعًا، بعقلانية وشرعية، من أجل الحفاظ على الذات، «أن نسرع» بهدوء.

دعونا نرجع مرة أخيرة إلى لعبة البهجة الافتراضية التي قدمها روبرت أكسلرود. إن السبب في صعود إستراتيجية العين بالعين إلى قمة الكومة بأسلوب لا يعرف الرحمة ولا يمكن إيقافه هو أن تحت سطحها الخارجي المبتسم كان يكمن صلب داخلي مخفي. لم تكن هناك أقل درجة من الحساسية بشأن ركل المنافس بحذاء من السيليكون بعد أن يسقط على الأرض حين كان الأمر يتطلب ذلك. وقد حدث عكس ذلك تماما،

---

(167) - الإشارة إلى إنجيل متى، 5 -5. "طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض" (المترجم).

(168) - إنجيل متى، 7 - 12، عن الترجمة العربية للكتاب المقدس (المترجم).

في الواقع. كانت هذه الإستراتيجية تعادل النتيجة بمجرد أن تسنح لها الفرصة. ويكمن سر نجاح إستراتيجية **العين بالعين** في جانبها المظلم الذي لا يعرف الرحمة كما كان يكمن في جانبها المشرق الافتراضي؛ فقد كانت في الواقع – حين أصبحت الأمور صعبة– قادرة على أن تتقدم وتتحمل المسؤولية وتتخذ إجراء بشكل جيد مثل أي إستراتيجية أخرى.

الاستنتاجات واضحة بقدر ما هي محبطة. ومن المؤكد أن في مخطط إستراتيجية **العين بالعين** من أجل النجاح عناصر سيكوباتية. هناك الفتنة السطحية من جهة. والسعي الذي لا يعرف الرحمة إلى الانتقام من الجهة الأخرى. ثم، بالطبع، هناك ضمان ذاتي فاتر للعودة إلى الحالة الطبيعية كما لو أنه لم يحدث أي شيء على الإطلاق.

إن البرنامج ليس برنامج جماعة الأخوة الآرية، وهو أمر مؤكد. ولكن بين التحولات والتحولات المتشابكة بلا روح تكمن أصداء عقيدتهم (تحدّثْ بهدوء واحملْ عصا غليظة) [169]، هكذا تقول العبارة. إنها نصيحة جيدة، إذا كنت تريد أن تمضي قدمًا – في العالم الافتراضي والعالم الحقيقي. ولهذا السبب، بالعودة إلى سؤالنا السابق، لا يزال الأشخاص السيكوباتيون يمشون على الأرض، ولا يغرقون دون أن يتركوا أثرًا تحت التيارات الداروينية القاتلة التي ترعب تجمّع الجينات.

سوف تكون هناك دائمًا حاجة إلى المخاطرين في المجتمع، كما سوف تكون هناك حاجة إلى من يخرقون القواعد ويحطمون القلوب. إذا لم يكونوا هناك، فإن أولادًا في العاشرة من العمر سوف يقعون في البرك ويغرقون في كل مكان.

ومن يدري ماذا قد يحدث في البحر؟

إذا لم يكرس الشريك الأول فرنسيس رودس والبحار القادر ألكسندر هولمز الشجاعة لبدء القيام بما لا يمكن تصوره، يتساءل المرء عما إذا كان سيكون هناك

(169) - تنسب العبارة إلى الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت (1858 – 1919)، تعبيرًا عن رأيه في السياسة الخارجية، وربما تكون ذات أصول أقدم (المترجم).

ناجين من مأساة السفينة **وليم براون** في تلك الليلة المشؤومة عام 1841، على بعد 250 ميلًا قبالة الساحل الجليدي لنيوفندلاند، في شمال الأطلسي الهائج.

الفصل الرابع

حكمة السيكوباتيين

فقط لمجرد أنني لا أهتم لا يعني أنني لا أفهم.

- هومر سيمبسون[170]



القرار الحازم في السنة الجديدة:

هل تعلم؟ إنّ أقدم أصدقائي شخص سيكوباتي. نعود تمامًا إلى الوراء كل هذه الفترة، تحديدًا إلى فترة الحضانة في المدرسة. أتذكر أن أحد المعلمين أخذني إلى لعبة **ساند بوكس** sandbox وقدمني إلى هذا الطفل الأشقر البائس الذي كان يلعب بأحد تلك الألغاز حيث يكون على المرء أن يدخل الشكل المناسب في الفتحة المناسبة. على أي حال، لقد التقطت نجمة، وحاولت دفعها من خلال الثقب الذي أستطيع، وبفضل الإدراك المتأخر، أستطيع أن أرى بوضوح أن الثقب كان مخصصًا للببغاء. لم يكن من الممكن أن أدفعها فيه. والأسوأ من ذلك أن النجمة علقت في الفتحة. أمضى جوني عشرين ثانية أو نحو ذلك (تعادل الأبدية في حياة طفل عمره خمس سنوات) يعمل بهدوء لتخليصها. ثم نخسني في العين بهذه النجمة الملعونة. وكان ذلك الهجوم

(170) - هومر سيمبسون Homer Simpson: شخصية خيالية تظهر في مسلسل الرسوم المتحركة للكبار "عائلة سمبسون" ويسمى أيضاً بطربرك الأسرة. يجسد صوت الشخصية الممثل الأمريكي دانيل كاستلانيتا Dan Castellaneta (1957 -). وظهر للمرة الأولى على شاشة التلفزيون في عام 1987. ومصمم الشخصية رسام الكاريكاتير الأمريكي مات جرونينج Matt Groening (1954 -) (المترجم).

الفظيع غير المبرر، بصراحة، هجومًا بكل ما تحملهُ الكلمة من معنى، وبمثابة علامة بارزة على صداقتنا.

بعد مرور عشر سنوات، أو نحو ذلك، كنا أنا وجوني في المدرسة الثانوية معًا. كنا في فترة راحة، ويأتي جوني إلي ويسأل عما إذا كان من الممكن أن يستعير بحث التاريخ الذي أعددته. لقد «ترك بحثه في بيته». هل تخمن أي حصة هي التالية؟ يقول جوني:

يقول: «لا تقلق. لن تكون هناك طريقة يمكن أن يعرف بها أحد. سوف أجعله يبدو مختلفًا اختلافًا تامًّا».

أعطيته البحث والتقيت به مرة أخرى في بداية الحصة. همستُ له: «لقد أخذت بحثي يا جوني؟».

جوني يهز رأسه ويقول: «آسف. لا يمكن أن أفعل ذلك».

بدأت أشعر بالذعر. هذا المدرس بالذات ليس من النوع الذي يمكن أن تعبث معه – عدم وجود بحث سوف يعني عدم وجود درجة. بالإضافة إلى ما قد يكلّفهُ التأخير.

أهمس لجوني: «ماذا تقصد بأن لا يمكن أن أفعل ذلك؟ أين البحث؟».

بهدوء إلى أقصى درجة، وكأنه يروي قصة قبل النوم، يكشف جوني السر. يشرح قائلًا: «حسنا، يا كيف، الأمر على النحو التالي، كما ترى، لم يكن لدي الوقت لإعادة كتابته، كما قلت. لذا قمت بنسخه حرفيًّا».

بينما كان المدرس، غير المعروف بالضبط بالتعامل بود مع تلاميذه، يدخل إلى الفصل، صرختُ قائلًا: «ولكن هذا لا يفسر أين يوجد بحثي، أليس كذلك؟»

ينظر جوني إلي كما لو كنت مجنونًا بكل ما في الكلمة من معنى. قال: «حسنًا، لا يمكن أن يسلم كل منا العمل نفسه، أليس كذلك؟».

صرختُ، ومن الواضح أنني ما زلت لا أفهم ما يرمي إليه: «لا! لا يمكننا! وبالتالي أين بحثي بحق الجحيم؟»

يهز جوني كتفيه. ويخرج العمل الذي ينسبه لنفسه ليقدمه.

يقول لي بشكل عارض: «إنه في سلة المهملات. خلف مبنى الموسيقى».

بشكل غريزي، خرجتُ من مقعدي. ربما يكون هناك وقت لاسترجاع البحث قبل أن تبدأ الحصة.

أقول له وأنا أزمجر بصوت مكتوم: «أنت أحمق، سوف أقتلك».

يمسك جوني بذراعي ويشدني إلى أسفل من الكم. يقول بابتسامة أبوية حانية، وهو يشير إلى النافذة: «أنظر، إن المطر ينهمر هناك، وسوف تنقع فيه. ألا تريد أن تدمر فرصك لتحطيم الرقم القياسي للأميال في المدرسة الأسبوع المقبل بالخروج بشيء، أليس كذلك؟».

لم تكن هناك أية مسحة سخرية في لهجة جوني. لقد عرفته فترة طويلة تكفي لأن أدرك أنه، في الواقع، يعتقد بصدق أنه يهتم بي. إنه يعتقد حقًا أنه يكنُّ لي في قلبهِ أفضل الأمنيات. بشكل مثير للغضب، في هذه الحالة، يجب أن أتفق معه. كان الوغد لديه هدف. لقد توقف الرقم القياسي منذ أوائل الستينيات. وكان التدريب يسير على ما يرام. وكان يقصد أن من العار أن تفسد كل العمل الشاق الذي قمت به من خلال القيام بشيء غبي في الدقيقة الأخيرة.

استلقيت في مقعدي واستسلمْتُ لقدري.

يقول لي جوني: «أيها الرجل الطيّب. إنه، على الرغم من كل شيء، ليس إلا بحثًا. إن الحياة قصيرة جدًا».

لا أصغي إليه. بالفعل، أحاول التوصل إلى تفسير معقول لسبب عدم وجود البحث لتسليمه. وكيف، إذا لم يكن الضرر الناتج عن المطر هائلًا جدًا، يمكنني تجفيفه - أو إذا فشلْتُ في ذلك أنسخه وأسلمه في وقت لاحق.

ليس لدي وقت طويل لأصمم قصة تخفي الحقيقة. شبح الموت يقوم بجولاته

بالفعل، وهو الآن أمامنا على بعد صفين فقط، كومة كبيرة من الحماقة عن الحرب الفرنسية البروسية[171] تحرق حفرة صغيرة كاملة في قبضته.

يقوم جوني بإخراج مساهمته ويلقي نظرة إعجاب عليها. ثم يربت على ظهري، ويلقي نظرة خاطفة من النافذة، ويرفع وجهه تحت المطر.

ويضيف قائلًا: «إلى جانب ذلك، لقد فات الأوان على أي حال يا كيف. أعتقد أنه ينبغي أن أوضح ما قلته للتو. ما تبقى منه ملقى في سلة المهملات. في الواقع، لقد أحرقته، يا صديقي».

قد تتساءل لماذا بحق الجحيم بقيت أنا وجوني صديقين طوال هذه السنوات. وأحيانًا، في اللحظات التي أتأمل فيها أكثر، أتساءل أنا نفسي عن الشيء نفسه. لكن لا تنس أن جوني شخص سيكوباتي.[172] وكما نعلم، غالبًا ما يكون لديهم القدرة على التعويض عن الخبرات السيئة. وإحدى قدرات جوني هي قدرته الخارقة على تحويل أي موقف تقريبًا لمصلحته الخاصة – وهذا ليس من غير المألوف بين الأعضاء الأذكياء جدًّا من نوعه. إنه بلا شك واحد من أكثر الأشخاص الذين عرفتهم على الإطلاق قدرة على الإقناع (وأدرج في ذلك أخوة عدد من أفضل المحتالين في العالم). ليس هذا فقط، ولكن، يمكن القول إنه يملكُ معجزة من معجزات الإقناع.

حين كنا في الخامسة أو السادسة تقريبًا، كان على أهل جوني أن يحضروا جنازة في كندا. بقي جوني في البيت وقضى ليلة رأس السنة في منزلي. وصلت الساعة إلى التاسعة

---

(171) - من الواضح أن الحرب الفرنسية البروسية إشارة موضوع البحث وهي حرب في أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر بين الإمبراطورية الفرنسية الثانية بقيادة نابليون الثالث والولايات الألمانية للاتحاد الألماني الشمالي بقيادة مملكة بروسيا (المترجم).

(172) - في أثناء فترة وجودنا في الكلية، أعطيته استبيان الشخصية السيكوباتية (PPI)، ذلك الاستبيان، إذا تذكرت من الفصل السابق، الذي طوره خصيصًا سكوت ليلينفيلد وبريان أندروز لتقييم الصفات السيكوباتية، ليس في المجرمين المسجونين، ولكن في عموم السكان. وليس من المستغرب أنه سجل درجات عالية للغاية، لا سيما في الأنانية المكيافيلية، واللامبالاة، والفاعلية الاجتماعية، والمناعة ضد التوتر، وعدم الخوف، وبرودة القلب (ستة من ثمانية مقاييس فرعية تشكل هذا الاستبيان، والاثنان الآخران هما إلقاء اللوم على العوامل الخارجية Blame Externalization وعدم التوافق الاندفاعي Impulsive Nonconformity) (المؤلف).

تقريبًا، وبدأ والداي يلمّحانِ بأنه حان الوقت للذهاب إلى الفراش. تلميحات من قبيل «حان وقت النوم». مثل أي طفل في السادسة من عمره يحترم نفسه، رفضت قبول الأمر دون مقاومة.

قلت وأنا أنتحب: «ولكن، يا أمي. أنا وجوني نريد أن نبقى مستيقظين حتى منتصف الليل. من فضلك . . . !».

لم تقبل أي شيء من هذا. لكن، لا داعي للقول بأن هذا لم يمنعني من التفكير في قائمة حقيقية من الظروف المخففة، تتراوح من حقيقة أنه تم السماح لجميع أصدقائنا بالبقاء حتى وقت متأخر في ليلة رأس السنة الجديدة (الأصلية، أليس كذلك؟) إلى الملاحظة العميقة إلى حد ما وهي أن السنة الجديدة تأتي بالفعل مرة واحدة فقط في السنة. ومع ذلك، ظل جوني في حالة صمت تام. جلس هناك، على ما أذكر، وهو يستمع إلى أحداث دراميّة. وكان يستوعب كل شيء مثل بعض كبار محامي الدفاع في المدينة في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض.

أخيرا، كان لدى أمي ما يكفي. قالت: «هيا! انتهى الأمر! أنت تعرف ما يحدث لك حين تسهر إلى وقت متأخر. تشعر بالغضب وتتعمّقُ درجة انفعالك، وفي اليوم التالي لا تخرج من السرير حتى الظهر».

على مضض، وببطء، وبشعور زاحف بالاستسلام في نهاية الأمر، نظرت إلى جوني. انتهى اللعب. حان الوقت لنقول تصبح على خير. ولكن لم يتوقع أحد ما حدث بعد ذلك. في توقيت مثالي، تمامًا وأنا على وشك رمي المنشفة والبدء في الصعود إلى الطابق العلوي، خرج جوني عن صمته.

قال: «لكن يا سيدة داتون أنت لا تريدين أن نتسكع عند بزوغ الفجر صباح الغد وأنت مستلقية في الفراش تعانين من صداع، أليس كذلك؟».

ذهبنا إلى الفراش في الثالثة فجرًا.

الثالوث المظلم[173] وعلم نفس جيمس بوند:

إن قدرة جوني على تحقيق مكاسب في اللحظات الفارقة في الحياة، لتحقيق أقصى استفادة من أي موقف يجد نفسه فيه، جعلته في النهاية في وضع جيد. التحق بالعمل في دائرة التحقيقات السرية.

قد يقول: «ليست الكريمة فقط هي التي ترتفع إلى القمة يا كيفن. الغثاء يرتفع إليها أيضًا. وتعرف أيضًا؟ أنا الكريمة والغثاء كلاهما. يعتمد الأمر على ما يستهويني». من الصعب انتقاد مثل هذه البصيرة المتألقة.

وغني عن القول، إن حقيقة أن جوني ذهب وحصل على وظيفة مع المخابرات العسكرية[174] - المعادل البريطاني لمكتب التحقيقات الفدرالي - لم تفاجئ أيًّا منا. وهو، بغض النظر عما يفعله من أجلهم، مفيد تمامًا في هذا العمل. بمثل برودته وجاذبيته وقوته الشيطانية في الإقناع، أخبرني أحد زملائه ذات مرة في إحدى الحفلات، بأنه حتى لو كان لديه سلك تليفون ملفوف حول رقبتك، فإنه قد يفعل لك شيئًا مثيرًا للإعجاب.

قال لي الرجل: «قد يخنقك بهالته. ثم يعيد الأمر إلى ما كان عليه كما لو أنه لم يحدث أي شيء على الإطلاق».

لم أكن بحاجة إلى أحد يقنعني بهذا.

بالطبع، إذا كان جوني يبدأ في تذكيرك في هذه المرحلة بقليل من جيمس بوند، فإن هذا ليس من قبيل المصادفة. من السهل أن تتخيل كيف أن هذا الموظف البارز الآخر في التحقيقات السرية لجلالة الملكة قد يكون شخصًا سيكوباتيًّا؛ كيف يمكن للعالم الغامض من الأشباح والمراقبة المضادة والتجسس أن يكون بعيدًا تمامًا عن انتباه

---

(173) - الثالوث المظلم *The Dark Triad*: موضوع في علم النفس يركز على ثلاث سمات شخصية: النرجسية والمكيافيلية والسيكوباتية (المترجم).

(174) - المخابرات العسكرية: في الأصل MI5، اختصار المخابرات العسكرية، القسم الخامس Military Intelligence, Section 5 (المترجم).

السفاحين، مع ترخيص بالقتل بدلًا من بعض الإكراه العميق الذي لا يسبر غوره؛ وكيف، لو كان العميل السري الذي **يحمل مسدس الشرطة**- Walther PPK الذي نعرفه جميعًا ونحب أن نبادل مسدس الشرطة PPK مقابل نسخة من استبيان الشخصية السيكوباتية (PPI)، فقد يكون هذا العميل السري مرتفعًا جدًا على طيف السيكوباتية.

ولكن هل هناك أي أساس وراء هذه التكهن؟ إن قبول صحة الصورة النمطية شيء؛ ورؤية كيف يلعب الخيال في الواقع، شيء آخر تمامًا. هل هي فرصة نقية وخالصة أن يكون جوني شخصًا سيكوباتيًا - وهكذا من قبيل الصدفة تمامًا أنه يعمل في مجال المخابرات العسكرية؟

إن الرجل الذي طرح هذه الأسئلة، ثم شرع في العثور على الإجابات، هو عالم النفس **بيتر جونسون**.[175] عام 2010، نشر بيتر جونسون (وكان يعمل حينذاك في جامعة ولاية نيو مكسيكو) وزملاؤه بحثًا بعنوان «من هو جيمس بوند؟ الثالوث المظلم بوصفهِ أسلوبًا للتحكم الاجتماعي»،[176] حيث أظهروا أن الرجال الذين لديهم ثلاثية محددة من سمات الشخصية - احترام الذات بشكل كبير الذي يميز الشخصية النرجسية؛ عدم الخوف والقسوة والاندفاع والسعي للتشويق الذي يميز الشخصية السيكوباتية؛ والخداع والاستغلال اللذين يميزان المكيافيلية - يمكن أن يعملوا بشكل جيد لأنفسهم في أنساق معينة من المجتمع. ليس هذا فقط، لكنهم أيضًا، بالإضافة إلى ذلك، أكثر ميلًا إلى أن يكون لديهم عدد أكبر من الشركاء الجنسيين وميل أقوى نحو العلاقات العرضية قصيرة المدى من الرجال الذين تظهر لديهم هذه السمات بدرجة منخفضة. ويؤكد جونسون أنه بعيدًا عن الثالوث المظلم

---

(175) - بيتر جونسون Peter Jonason: عالم نفس في جامعة بادوفا Padova، في إيطاليا. في قسم علم النفس العام، اشتهر بالبحث المشار إليه، والمقصود بالثالوث المظلم السيكوباتية والنرجسية والمكيافيلية. ودرس مجموعة واسعة من المتغيرات المرتبطة بهذه السمات بما في ذلك الإبداع والتعاطف وتوقعات السعادة (المترجم).

(176) - العنوان الأصلي Who Is James Bond? The Dark Triad as an Agentic Social Style، وتوجد نسخة كاملة من الدراسة على الإنترنت، انظر https://www.researchgate.net/ (المترجم).

الذي يشكل عائقًا حين يتعلق الأمر بالتعامل مع الجنس الآخر، فقد يسرّعُ، على النقيض من ذلك، نبضات الإناث، وبالتالي، من خلال إمكانية محسنة لانتشار الجينات، قد يمثل في الواقع استراتيجية إنجابية ناجحة.

بمجرّدِ أن تأخذَ نظرة خاطفة وسريعة على عناوين الصحف الشعبية ومساحات أعمدة القيل والقال سوف تزودك بحقيقة أن النظرية قد تكون صحيحة. وهناك الكثير منها، في الواقع. لكن أحد أفضل الأمثلة على الإطلاق، وفقًا لبيتر جونسون، هو جيمس بوند.

ويشير إلى أنّهُ «من الواضح أنه سيئ الطباع، ومنفتح للغاية، ويحب تجربة أشياء جديدة. بما في ذلك قتل الناس. والنساء الجديدات».

تناولت دراسة بيتر جونسون مائتي طالب جامعي يملؤون استبيانات شخصية مصممة خصيصًا لتقييم وجود سمات **الثالوث المظلم**. كما سُئل الطلاب عن علاقاتهم الجنسية، بما في ذلك مواقفهم تجاه العلاقات الغرامية العارضة ومواقفهم من علاقات الليلة الواحدة. ومما يثير الدهشة أن النتيجة البارزة كانت أن أولئك الذين سجلوا أعلى درجات في الثالوث يميلون إلى الحصول على درجات في أعمدتهم المتداعية والمنهكة من المعارك أعلى من درجات أولئك الذين حصلوا على نقاط أقل، مما يشير إلى أن العناصر **الثلاثة لأنماط الشخصية - النرجسية والمكيافيلية والسيكوباتية** - تعجِّل باستراتيجية مزدوجة لتزاوج الذكر المهيمن بهدف مضاعفة القدرة الإنجابية:

1 - تلقيح أكبر عدد ممكن من الإناث.

2 - مغادرة المكان على الفور قبل أن يصفك أي شخص بأنك أبوه.

ويبدو أن كل ذلك قد نجح على مر السنين. ودون ذلك، كما يشير بيتر جونسون، لماذا لا تزال هذه الصفات تتسكع حولنا؟[177]

---

(177) - على الرغم من أن جونسون وجد أيضًا أن الفتيات السيئات يوقعن بالأولاد، إلا أن العلاقة بين سمات الثالوث المظلم Dark Triad وعدد العلاقات قصيرة المدى كانت بالنسبة للرجال أقوى من النساء. بطبيعة الحال، إن الأسباب

نهاية عمل الطيف السيكوباتي:

الغريب، أن الأمر لا ينتهي بالأشخاص السيكوباتيين في القمة فيما يتعلق بالتكاثر فقط. تضيف مآثر المتخصصين في علم النفس التطوري[(178)] مثل بيتر جونسون دعمًا لمزاعم **نظرية المندرين- Game Theory Mandarins** مثل لعبة **أندرو كولمان**، التي تعرّضنا لها في الفصل السابق، بأن هناك مجالات أخرى من الحياة، ومجالات أخرى من المساعي، تدفع المرء إلى أن يكون شخصًا سيكوباتيًّا. إن الاستراتيجية السيكوباتية لا تكفي فقط لتحقيق نجاح أكبر في غرفة النوم. إنها مفيدة أيضًا في غرفة الاجتماعات.

توضح دراسة أجراها عام 2005 فريق مشترك من علماء النفس وعلماء **الاقتصاد العصبي-** Neuro-Economists من جامعة ستانفورد- Stanford، وجامعة كارنيجي ميلون- Carnegie Mellon، وجامعة أيوا- Iowa، هذا الأمر بشكل جميل. أخذت الدراسة شكل لعبة قمار تتكون من عشرين جولة. تم تقسيم المشاركين إلى **ثلاث مجموعات: الأشخاص العاديين، والمرضى الذين يعانون من آفات في مناطق الانفعال في الدماغ** (لوزة الدماغ، والقشرة الجبهية المدارية، والقشرة الجزرية الحسية أو الحسية الجسدية)، **والمرضى الذين يعانون من آفات في مناطق في الدماغ لا علاقة لها بالانفعال.** في بداية اللعبة، تم تسليم كل مشارك مبلغ 20 دولارًا، وفي بداية كل جولة جديدة، سُئلوا عما إذا كانوا على استعداد للمخاطرة بدولار واحد برمي قطعة عملة معدنية. في حين تستوجب الخسارة عقوبة 1 دولار، تضخم الفوز الخزائن بمقدار دولارين ونصف دولار.

التي قد تجعل الأولاد السيئين يحصلون على الفتيات مسألة أخرى. ترتبط الشخصية السيكوباتية بنقص الميول العصابية neuroticism والقلق، الأمر الذي قد يعوض المخاوف من الرفض ويفرض جوًا من الهيمنة؛ وترتبط النرجسية بالترويج الذاتي وعروض النجاح والتباهي؛ وتتماشى المكيافيلية مع التلاعب الاجتماعي. قد تعطي هذه السمات الثلاث مجتمعة، على المدى القصير، انطباعًا عن شخص رائع، واثق من نفسه، يتمتع بجاذبية. من الممتع أن تكون معه وهو "يتسكع هنا وهناك". لكن الأمور، على المدى الطويل، تتحول بشكل مختلف (المؤلف).

(178) - يسعى المتخصصون في علم النفس التطوري إلى تقديم تفسير للسمات والسلوكيات البشرية - مثل استراتيجيات الشخصية والتزاوج – باعتبارها منتجات وظيفية للانتقاء الطبيعي: مثل التأقلم النفسي الذي تطورت لحل المشاكل المتكررة في بيئات الأجداد (المؤلف).

لا يتطلب الأمر عبقرية لمعرفة الصيغة الفائزة. يقول **بابا شيف**– Baba Shiv، وهو بروفيسور التسويق في كلية ستانفورد للدراسات العليا في الأعمال: «من المنطقي أن يكون الشيء الصحيح الذي يجب القيام به هو الاستثمار في كل جولة».

لكن المنطق، كما لاحظت الناشطة السياسية **جلوريا ستاينم**(179) ذات مرة، غالبًا ما يكون من منظور الشخص المنطقي. وخاصة حين يتعلق الأمر بالمال.

وغني عن القول إنّ التنبؤ لم يكن من الممكن أن يكون أبسط من ذلك. إذا كانت هناك، كما تتنبأ نظرية اللعب، أوقات تدفع فعلًا لإبقاء قدمنا على الغاز - ولدى الأشخاص السيكوباتيين أحذية أثقل - فعندئذٍ، وفقًا لديناميكيات اللعبة، فإن هؤلاء المشاركين الذين لديهم خلل مرضي ذو صلة (عجز في معالجة الانفعالات) يجب أن يحققوا ربحًا هائلًا. يجب أن يتفوقوا على أولئك الذين ليس لديهم مثل هذا الخلل (أي أفراد المجموعتين الأخريين كلتيهما).

هذا بالضبط ما توصلت إليه الدراسة. تكشفت اللعبة حين بدأ المشاركون الذين لديهم مراكز انفعال طبيعية في الدماغ (سواء كان لديهم تلف بسيط في مكان آخر أو لم يكن لديهم) في التراجع تدريجيًا عن فرصة المقامرة، واختاروا، بدلًا من ذلك، البديل المحافظ المذهل: التمسك بمكاسبهم. وعلى النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين لم تكن أدمغتهم مجهزة بأحزمة الأمان الانفعالية اليومية التي يحافظ معظمنا على ربطها بإحكام استمروا في اللعب، وأنهوا اللعبة بهامش ربح أعلى بكثير من نظرائهم على الجانب الآخر.

يعلق **جورج لوينستاين**،(180) وهو بروفيسور الاقتصاد وعلم النفس في جامعة

---

(179) - جلوريا ستاينم Gloria Steinem (1934 -): ناشطة نسائية أمريكية وصحفية. صارت معروفة وطنيًا بكونها قائدة ومتحدثة رسمية عن الحركة النسائية في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات .كانت كاتبة عمود في مجلة "نيويورك"، وهي مؤسسة مجلة "مِس" (المترجم).

(180) - جورج لوينستاين George Loewenstein (1955 -): اقتصادي أمريكي، وهو أستاذ في قسم العلوم الاجتماعية وعلوم القرار بجامعة كارنيجي ميلون ومدير مركز أبحاث القرار السلوكي. وهو رائد في مجالات الاقتصاد السلوكي والاقتصاد العصبي (المترجم).

كارنيجي ميلون قائلًا: «قد تكون هذه هي الدراسة الأولى، التي توثق الموقف الذي يتخذ فيه الأشخاص الذين يعانون من تلف في الدماغ قرارات مالية أفضل من تلك التي يتخذها الأشخاص الطبيعيون».

أنطوان بشارة، وهو الآن أستاذ علم النفس وعلم الأعصاب في جامعة جنوب كاليفورنيا، يخطو خطوة أفضل إلى الأمام. ويشير إلى أن «البحث يحتاج إلى تحديد الظروف التي يمكن أن تكون فيها الانفعالات مفيدة أو مدمرة، [حيث يمكن أن تكون] دليلاً للسلوك البشري. فقد يُطلق على أنجح سماسرة الأوراق المالية على نحو معقول لقب «**سيكوباتيين وظيفيين**» – أي الأفراد الذين هم من ناحية إما أكثر مهارة في التحكم في انفعالاتهم أو الذين، من ناحية أخرى، لا يشعرون بها بالدرجة نفسها من الشدة التي يشعر بها الآخرون».

ويوافق بابا شيف. ويضيف بتردد إلى حد ما، قائلًا: «قد يشارك العديد من الرؤساء التنفيذيين والعديد من كبار المحامين في هذه السمة أيضًا».

وهناك دراسة أجراها الاقتصادي **كاري فريدمان**[181] وزملاؤه في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا تضفي مصداقية على ملاحظات شيف. سلم فريدمان المتطوعين مبلغ 25 دولارًا، ثم قدم لهم سلسلة من المعضلات المالية الصعبة. في غضون فترة زمنية قصيرة ومحددة، كان على المتطوعين أن يقرروا ما إذا كانوا سوف يلعبون بها بأمان ويقبلون شيئًا مؤكدًا – مثلًا، يتلقون دولارين – أو ما إذا كانوا سوف يراهنون ويذهبون إلى خيار أكثر خطورة، ولكن الاحتمال أكثر ربحًا: فرصة 50–50 كسب 10 دولارات أو خسارة 5 دولارات، على سبيل المثال. من الذي يحقق المكسب ومن يفلس؟

بعيدًا عن أن المسألة هي مجرّدُ مسألة فرصة عشوائية، اتضح أن مجموعة فرعية من المتطوعين تفوقت على البقية تمامًا، مما جعل الخيارات المثلى باستمرار معرضة للخطر.

---

(181) - كاري فريدمان Cary Frydman: خبير اقتصادي لدي اهتمامات بحثية في التمويل السلوكي والاقتصاد السلوكي والاقتصاد التجريبي. وهو الآن أستاذ مشارك في المالية واقتصاديات الأعمال، مدرسة مارشال للأعمال، جامعة جنوب كاليفورنيا (المترجم).

إن هؤلاء الأفراد لم يكونوا أطفالًا ماهرين في الأمور المالية. كما أنهم لم يكونوا اقتصاديين، أو علماء رياضيات، أو حتى أبطال في بطولة العالم للبوكر. وبدلًا من ذلك، كانوا يحملون «جين المحارب- Warrior Gene» - وهو أوكسيد أحادي الأمين أ متعدد الأشكال[182] Monoamine Oxidase A Polymorphism ويسمى MAOA-L، والذي كان مرتبطًا سابقًا (وإن كان أمرًا مثيرًا للجدل) بسلوك «سيكوباتي» خطير.

كتب فريق فريدمان: «على عكس المناقشة السابقة في الأدبيات، تظهر نتائجنا أن هذه الأنماط السلوكية لا تؤدي بالضرورة إلى نتائج عكسية، حيث إن هؤلاء الأشخاص، في حالة الاختيار المالي، لا ينخرطون في سلوك أكثر خطورة إلا حين يكون من المفيد لهم القيام بذلك».

وقد جعل فريدمان الأمر أكثر وضوحًا. ولاحظ أنه «إذا كان هناك مقامران يحسبان بطاقات وأحدهما يراهن كثيرًا، فقد يبدو وكأنه أكثر عدوانية أو اندفاعية. لكنك لا تعرف البطاقات التي يحسبها - ربما يستجيب فقط للفرص الجيدة».

يأتي الدعم الإضافي من العمل الذي قام به بوب هير[183] وزملاؤه عام 2010. قام هير بتوزيع القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R) على أكثر من مائتي مدير تنفيذي للأعمال في الولايات المتحدة، وقارن انتشار سمات الشخصية السيكوباتية في عالم الشركات مع تلك الموجودة بشكل عام بين عموم السكان. لم يقتصر الأمر على تقدم التنفيذيين في مجال الأعمال فحسب، بل ارتبطت الشخصية السيكوباتية ارتباطًا إيجابيًا بالتصنيفات الداخلية للكاريزما وأسلوب العرض: الإبداع

---

(182) - أوكسيديز أحادي الأمين أ MAOA: أو Monoamine oxidase A، إنزيم يتم تشفيره في البشر بواسطة جين MAOA. هذا الجين واحد من جينين من أفراد عائلة الجينات المجاورة التي تقوم بتشفير إنزيمات الميتوكوندريا التي تحفز الإزالة التأكسدية بنزع مجموعة الأمين من الأمينات oxidative deamination of amines، مثل الدوبامين والنور أدرينالين والسيروتونين. وينتج عن تحور هذا الجين متلازمة برونر Brunner syndrome التي تتميز بانخفاض معدل الذكاء والسلوك الاندفاعي. وارتبط هذا الجين أيضًا بمجموعة متنوعة من الاضطرابات النفسية الأخرى، بما في ذلك السلوك المعادي للمجتمع (المترجم).

(183) - بوب هير Bob Hare (1934 -): روبرت د. هير هو طبيب وكاتب وعالم نفس وأستاذ جامعي كندي؛ طور القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية؛ وهو أستاذ فخري بجامعة كولومبيا البريطانية (المترجم).

والتفكير الاستراتيجي الجيد ومهارات الاتصال الممتازة.

ثم، بالطبع، كان هناك الاستطلاع الذي أجرته بليندا بورد وكاترينا فريتزون التي ناقشناه في الفصل الأول. حرضت بورد وفريتزون المديرين التنفيذيين للشركة ضد نزلاء مستشفى برودمور- Broadmoor، وهي مؤسسة للطب الشرعي ذات إجراءات أمنية عالية في المملكة المتحدة (التي سوف ننهمك فيها، بشكل حرفي تمامًا، بمزيد من التفصيل لاحقًا)، في **اختبار تنميط نفسي** Psychological Profiling Test. مرة أخرى، حين يتعلق الأمر بسمات الشخصية السيكوباتية، انتصر الرؤساء التنفيذيون – الذين حققوا الكثير بالفعل ، واضعين في الاعتبار أن برودمور تضم بعض أخطر المجرمين في بريطانيا.

لقد وضحْتُ لبوب هير أنه في السنوات الأخيرة، أصبحت بيئة الشركات، مع تقليص حجمها وإعادة هيكلتها واندماجها وعمليات الاستحواذ، في الواقع مكانًا مناسبًا للأشخاص السيكوباتيين. تمامًا كما يمكن للاضطراب السياسي وعدم اليقين أن يصنعا لطبق بتري[184] جيد جدًّا يمكن فيه زراعة الشخصية السيكوباتية، كذلك أيضًا، كما رأيت، يمكن لأعالي بحار التجارة والصناعة أن تفعل ذلك.

أومأ بوب هير برأسه موافقًا.

وقال متحمسًا: «لقد كنت أردد دائمًا أنني إن لم أكن أدرس الأشخاص السيكوباتيين في السجن، فسوف أدرسهم في البورصة. إن نسبة الناجحين الكبار من الأشخاص السيكوباتيين في عالم الشركات أكبر، بلا شك، من نسبتهم في عموم السكان. سوف تجدهم في أي منظمة حيث يمنح المركز والمنصب للمرء السلطة على الآخرين والتحكم فيهم، وفرصة لتحقيق الكسب المادي».

يوافق المؤلف المشارك معه في بحث الشخصية السيكوباتية في الشركات،

---

(184) - طبق بتري petri dish: طبق ضحل دائري شفاف ذو غطاء مسطح يستخدم في استزراع الكائنات الحية الدقيقة (المترجم).

المتخصص في علم النفس الصناعي والتنظيمي في نيويورك بول بابياك،[185] على ذلك.

يوضح: «لا يجد الشخص السيكوباتي صعوبة في التعامل مع عواقب التغيير السريع. في الواقع، إنه يزدهر عليها. توفر الفوضى التنظيمية كلًّا من التحفيز اللازم للبحث عن الإثارة النفسية والغطاء الكافي للتلاعب السيكوباتي والسلوك المؤذي».

ومن المفارقات، أن الأفراد الذين ينحرفون عن القواعد، ويخاطرون، ويبحثون عن الإثارة والذين كانوا مسؤولين عن دفع الاقتصاد العالمي إلى الحافة هم بالضبط الأشخاص أنفسهم الذين سوف يصلون إلى الصدارة في وقت الخراب. تمامًا مثل فرانك أباجنيل، إنهم الفئران التي تقع في الكريمة، تكافح وتكافح، وتحول هذا الكريمة إلى زبدة.

شامبانيا على الجليد:

إن تصريحات بول بابياك وبوب هير – مثل برود وفريتزون، ديموغرافية واجتماعية في طبيعتها – توفر الكثير من الغذاء للتفكير. وحين يتم وضعها جنبًا إلى جنب مع الملاحظات المستمدة بشكل تجريبي، فإن **الفندانجو**[186] المالية التي يؤديها المتخصصون في علم الاقتصاد العصبي مثل بابا شيف وزملائه، والارتباطات الجَماعية لصياد الثالوث المظلم بيتر جونسون، والمكائد الرياضية لأصحاب نظرية اللعب مثل أندرو كولمان، على سبيل المثال، تظهر، دون شك، أن هناك بالتأكيد مكانًا للشخص السيكوباتي في المجتمع.

وهذا يفسر، جزئيًّا، سبب استمرار وجود الأشخاص السيكوباتيين حولنا – المثابرة العنيدة لتدفقاتهم الجينية المظلمة والثابتة. كما يفسر السبب وراء استمرار سعر السهم

---

(185) - بول بابياك Paul Babiak: عالم النفس الصناعي والتنظيمي الرائد والمؤلف المشارك لكتاب **ثعابين في بدل – حين يذهب السيكوباتيون إلى العمل** *Snakes in Suits – When Psychopaths Go to Work* (2006) (المترجم).

(186) - الفندانجو fandangos: رقصة إسبانية سريعة يؤديها رجل وامرأة يرقصان عن قرب، وتكون مصحوبة عادة بالصنج أو الدف (المترجم).

التطوري في هذه المجموعة الشخصية الخاصة مستقرًا ومزدهرًا بمرور الوقت. هناك مناصب في المجتمع، ووظائف وأدوار يتعين إنجازها، وهي تتطلب، من خلال طبيعتها التنافسية أو الدموية أو القسرية المرعبة، الوصول إلى مكان مناسب في فضاء مكتب في هذا النوع من العقارات النفسية التي يمتلك الأشخاص السيكوباتيون مفاتيح لها، جاهزة للاستخدام في محافظهم العصبية البراقة. ونظرًا إلى أن مثل هذه الأدوار - في الغالب بحكم توترها والخطر المتأصل فيها - غالبًا ما تمنح ثروة كبيرة ووضعًا ومكانة للأفراد الذين يتولون القيام بها، ويبدو، كما أظهر لنا بيتر جونسون، أن الأولاد السيئين لديهم طريقة للتقرب من بعض الفتيات، وبالتالي لا يكون من المستغرب حقًّا أن تتسكع جينات هؤلاء الأولاد السيئين هنا وهناك. ومن الناحية البيولوجية، قد تقول، إنهم يقيمون علاقات عاطفية مع أشخاص أكثر جاذبية منهم.

بالطبع، يمكن العثور على كاريزما مماثلة وبرود مماثل تحت الضغط بين أولئك الذين يستغلون المجتمع — مثل كبار المحتالين في العالم. **وحين تقترن الكاريزما والبرود بعبقرية الخداع، يمكن أن يكون هذا البروفايل المذهل للغاية مدمرًا.**

لنأخذ **جريج مورانت**- Greg Morant مثالًا. مورانت هو واحد من أنجح المحتالين في أمريكا وأكثرهم مراوغة، وحين يتعلق الأمر بالأشخاص السيكوباتيين، يكون من بين أعلى أكثر خمسة سحرًا وأعلى أكثر خمسة قسوة من بين السيكوباتيين الذين حظيت بمتعة لقائهم على الإطلاق. التقيت به في حانة فندق خمس نجوم في نيو أورلينز. لم يعد لي محفظتي إلا بعد أن اشترى زجاجة من الشمبانيا كريستال مقابل 400 دولار.

ووضح **جريج مورانت** في تعليق يذكر بأعمال عالمة النفس **أنجيلا بوك**: «إن أحد أهم الأشياء التي يجب أن يمتلكها النصاب رادار جيد . . . يرصد **«الهشاشة»**. (إذا كنت تتذكر من الفصل الأول، فقد وجدت أنجيلا بوك أن الأشخاص السيكوباتيين كانوا أفضل من الأشخاص غير السيكوباتيين في تمييز ضحايا اعتداء عنيف سابق

ببساطة من الطريقة التي كان يسير بها هؤلاء الضحايا.) «إن معظم الناس الذين تصادفهم لا ينتبهون لما يقولونه حين يتحدثون إليك. تتلاشى الكلمات بمجرد أن تخرج من أفواههم. لكن النصاب سوف يركز على كل شيء . . . كما في العلاج النفسي، يحاول النصاب أن يدخل إلى أعماق الناس. أن يكتشف حقيقتهم من الأشياء الصغيرة. والأشياء الصغيرة هي المهمة دائمًا. إن الشيطان يكمن في التفاصيل . . . التي تجعل الناس يكشفون خبايا نفوسهم. عادة يخبرهم النصاب بشيء ما عن نفسه أولًا – **والنصاب الجيد لديه ما يرويه دائمًا**. ثم يقوم بتغيير الموضوع على الفور. بشكل عشوائي. بشكل مفاجئ. يمكن أن يكون الموضوع أي شيء . . . يعتقد البعض أن ذلك حدث لك بشكل مفاجئ وغير متوقع أو أيا كان . . . أي شيء يقطع تدفق المحادثة. تسع مرات من أصل عشر مرات ينسى الناس تمامًا ما قالوه للتو.

«ثم يمكن للنصاب أن يبدأ العمل – ليس على الفور، عليه أن يتحلى بالصبر. ولكن بعد شهر أو شهرين. يقوم بتعديله مهما يكن، مهما يكن الجحيم الذي أخبروه به – وهو يميل إلى معرفة موضع نقاط الضغط على الفور – ثم يعيد رواية القصة كما لو كانت قصته. آه! وانطلاقًا من تلك النقطة، يمكن للنصاب أن يأخذ ما تريد.

«سوف أقدم لك مثالًا . . . [هناك شخص] غني، ناجح، يعمل بدأب شديد... حين كان طفلًا، عاد إلى المنزل من المدرسة ليجد مجموعة تسجيلاته وقد ضاعت. تفاجأ بأن والده السكير قد باعها ليملأ خزانة المشروبات الكحولية. وقد كان يجمع هذه التسجيلات لسنوات.

«وبالتالي انتظرْ، على ما أعتقد. سوف تحكي لي هذه الحكاية بعد ثلاث ساعات أو أربع ساعات في الحانة؟ هناك شيء يستقبل بطريقة معينة. بعد ذلك أفهمه. وبالتالي ولهذا السبب تعمل بجد شديد، على ما أعتقد. تعمل بهذا الشكل بسبب والدك. أنت في حالة ذعر. لقد كانت حياتك معلقة طوال هذه السنوات. أنت لست الرئيس التنفيذي. أنت ذلك الطفل الصغير المصاب بالذعر. الشخص الذي سوف يعود إلى

المنزل من المدرسة ذات يوم ليجد مجموعة تسجيلاته وقد صارت في ذمة التاريخ.

«يا إلهي، أفكر في الأمر! إنه أمر مضحك للغاية! لذا خمن ما هو؟ بعد أسبوعين أخبرته بما حدث لي. كيف وصلت إلى البيت عائدًا من العمل ذات ليلة لأجد زوجتي في السرير مع الرئيس. كيف تعد الزوجة العدة للطلاق. وتستنفذ أموالي».

يتوقف جريج مورانت ويصب لنا بعض الشمبانيا.

يقول وهو يضحك: «هراء تمامًا! ولكن هل تعلم ماذا حدث؟ لقد قدمْتُ معروفًا لهذا الرجل. لقد أخرجته من بؤسه. ماذا يقولون - أفضل طريقة للتغلب على مخاوفك هي مواجهتها؟ حسنًا، كان لا بد أن يكون شخص ما أبًا».

كلمات جريج مورانت مخيفة. وهي مخيفة أكثر حين تسمعها مباشرة. عن قرب. أتذكر بوضوح لقاءنا في نيو أورلينز، وما شعرت به في ذلك الوقت. شعرت بالانتهاك، لكني فتنْتُ. شعرت بالإثارة، لكني فزعْتُ - إلى حد بعيد مثل الأطباء والمسؤولين عن تطبيق القانون الذين قابلهم ريد ميلوي، في الفصل الأول. كنت تحت تأثير بعض الأوهام الثمينة بشأن نوع الإنسان الذي كنت أتعامل معه، على الرغم من أسلوبه وشعوره الذي يشبه شعور المليونير صاحب اليخت. إنه، بكل مجده، كان شخصًا سيكوباتيًا. حرباء اجتماعية مفترسة. حين كانت الشمبانيا تتدفق، والشفق الجنوبي البطيء يلمع على ساعته الرولكس، قد يستعمر مشبك Synapse دماغك بمشبك دون حتى أن يفرز نقطة من العرق. وحتى دون أن تعرف.

ومع ذلك، بصفتي متخصصًا في علم النفس، رأيت العبقرية البسيطة والقاسية فيما كان يقوله جريج مورانت. إن طريقة عمله تلتزم بمبادئ علمية صارمة. تظهر الأبحاث أن إحدى أفضل الطرق لجعل الناس يتحدثون معك عن أنفسهم أن تحدثهم بشيء ما عن نفسك. إن الإفصاح عن الذات يقابل بالمثل. وتظهر الأبحاث أيضًا أنه إذا كنت ترغب في منع شخص من أن يتذكر شيئًا ما، فإن المفتاح هو استخدام

التشتيت. وقبل كل شيء، أن تستخدمه بسرعة.[187] وفي علم النفس الإكلينيكي، تأتي نقطة في كل تدخل علاجي تقريبًا يحقق عندها المعالج نجاحًا مذهلًا: يكشف عن وقت، عن لحظة أو حادثة محددة، إما أنها تتسبب في حدوث المشكلة الأساسية أو تغلفها، أو تتسبب فيها وتغلفها. وهذا لا ينطبق فقط على الخلل الوظيفي. البنى الشخصية الجوهرية وأنماط التعامل مع الآخرين والقيم الشخصية - غالبًا ما يتم الكشف عن كل هذه الأشياء بشكل أفضل في التفاصيل الصغيرة في حياة الناس.

يقول **ستيفن جوزيف**- Stephen Joseph، بروفيسور علم النفس والصحة والرعاية الاجتماعية **في مركز الرض والمرونة والنمو** Centre for Trauma, Resilience and Growth في جامعة نوتنجهام: «حين تجري مقابلة مع شخص ما، فإنك تبحث دائمًا عما يبدو غير مهم. اندلاع الغضب في المكتب قبل عشر سنوات مع شخص ما من قسم الحسابات. الوقت الذي قال فيه المدرس إنك تأخرت ولا يمكنك الانضمام إلى الدرس. أو حين قمت بكل العمل وأي شيء يستحق الإطراء. إنك تبحث عن الإبر لا عن أكوام القش. عن شظايا الحياة المحاصرة بعمق في مصيدة الدماغ».

هل كان هذا الكلام يدور حول قيام المرء بكل العمل وحصول شخص آخر على الإطراء؟ بالتأكيد لا.

الحقيقة بشأن الكذب:

---

(187) - في خمسينيات القرن الماضي، أجرى الباحثون الأمريكيون في مجال الذاكرة جون براون John Brown ولويد Lloyd ومارجريت بترسون Margaret Peterson دراسات قدموا فيها للمشاركين مجموعات من الحروف لتذكرها، وفي الوقت نفسه أو بعد ذلك مباشرة، تم تقديمهم بإلهاء رقمي. على سبيل المثال، تم إخبار الأشخاص الذين يتذكرون مقطعًا مكونًا من ثلاثة أحرف، وسرعان ما تم تشتيت انتباههم بعرض أرقام عليهم. على سبيل المثال، الأشخاص الذين طلب منهم أن يتذكروا مقطعًا مكونًا من ثلاثة أحرف سرعان ما عرض عليهم رقم عشوائي مكون من ثلاثة أرقام (على سبيل المثال، 806) وطُلب منهم العد إلى الوراء بطرح ثلاثة منه في كل مرة. ثم، على فترات مختلفة، طُلب منهم تذكر الحروف التي قدمت لهم. وقد عرضت على مجموعة التحكم الحروف دون مهمة التشتيت. أي مجموعة كان أداؤها أفضل في التذكر؟ صحيح: المجموعة التي لم يتشتت انتباهها. في الواقع، بالنسبة إلى المجموعة التي كانت مشتتة الانتباه، تم مسح الذاكرة تمامًا بعد 18 ثانية فقط. (Peterson and Peterson, 1959 ؛Brown, 1958) (المؤلف).

إن المحتال والعميل السري يمثلان وجهين لعملة واحدة، إذا كانت آراء أحد كبار الشخصيات في الأمن الداخلي في المملكة المتحدة، الذي تحدثت معه شيئًا جديرًا بأن نتوقف أمامه. لقد وضحت هذه السيدة أنهما كليهما يعتمدان على القدرة على محاولة جعل الآخرين يعتقدون أن كلًّا منهما ليس بخلاف ما هو عليه، بالإضافة إلى أنهما يتمتعان بالقدرة على الرد واتخاذ القرارات بسرعة، والقدرة على التنقل عبر شبكات الخداع بنشوة.

وكنت أفاجأ لو اختلف **إيال أهاروني**[188] مع هذا الرأي. عام 2011، طرح أهاروني، وهو باحث ما بعد الدكتوراه في علم النفس في جامعة نيو مكسيكو، سؤالًا لم يطرحه أحد من قبل ومن الصعب تصديقه. إذا كانت الشخصية السيكوباتية مفيدة حقًّا في ظل ظروف معينة، فهل تجعل المجرم مجرمًا أفضل؟

لمعرفة ذلك، أرسل مسحًا لأكثر من ثلاثمائة سجين في مجموعة من السجون ذات الإجراءات الأمنية المتوسطة في جميع أنحاء الدولة. باحتساب درجة «**الكفاءة الإجرامية**» لكل نزيل من خلال مقارنة عدد الجرائم المرتكبة مع إجمالي عدد حالات عدم الإدانة (على سبيل المثال، 7 حالات عدم إدانة من إجمالي 10 جرائم = 70٪ نسبة نجاح)، كشف أهاروني عن شيء مثير للاهتمام: إن الشخصية السيكوباتية تتنبأ بالفعل بنجاح المجرم في ارتكاب جريمته دون أن ينال عقوبة.

وعلى الرغم مما قاله، هناك حد. إن جرعة عالية جدًا من الشخصية السيكوباتية (حين تم تشغيل جميع الأقراص إلى أقصى حد) تكون سيئة بقدر سوء جرعة منخفضة جدًّا. إن المستويات المعتدلة هي، بالأحرى، التي ترمز إلى «إنجاز» أكبر.

بالتحديد إن **الكيفية** التي تحول بها الشخصيةُ السيكوباتيةُ المرءَ إلى مجرم أفضل تبقى موضوعًا مفتوحًا للنقاش. إن الأشخاص السيكوباتيين، من ناحية، سادة في الحفاظ

---

(188) - إيال أهاروني Eyal Aharoni: حصل إيال أهاروني على درجة الدكتوراه في علم النفس التطوري من جامعة كاليفورنيا، سانتا بربارا في عام 2009 (المترجم).

على هدوئهم تحت الضغط، مما قد يمنحهم مزية في سيارة الترحيل أو غرفة التحقيق. وهم أيضًا، من ناحية أخرى، لا يعرفون الرحمة، وقد يخيفون الشهود فلا يأتون لتقديم الأدلة. ولكن من المقبول بالقدر نفسه – والملائم بالقدر نفسه للجواسيس والنصابين على حد سواء – هو أنه بالإضافة إلى أن الأشخاص السيكوباتيين لا يعرفون الرحمة ولا يعرفون الخوف، فإنهم يتمتعون بموهبة امتلاكهم لشخصية أخرى أكثر دقة. تمامًا مثل أفضل لاعبي البوكر في العالم، قد يكونون أيضًا أفضل في التحكم في انفعالاتهم من الآخرين حين تكون الرهانات عالية والظَّهْر إلى الحائط، مما يمنحهم مزية ليس فقط خارج قاعة المحكمة، عند تخطيط مخططاتهم وأنشطتهم البشعة وعند تنفيذها. بل وفي داخل قاعة المحكمة أيضًا.

حتى عام 2011، كان الدليل على ذلك غير مباشر إلى حد كبير. حين لاحظت هيلينا هاكنين نيولم،[189] وهي متخصصة في علم النفس في جامعة هلسنكي، بالاشتراك مع بوب هير، أن الجناة السيكوباتيين يدون أكثر قدرة على الإقناع من الجناة غير السيكوباتيين حين يتعلق الأمر بالتعبير عن الندم – وهو أمر غريب، على أقل تقدير، لأنه شيء لا يمكنهم الشعور به. لكن نظرة سريعة على سياق مثل هذه الملاحظات – أمام المحكمة، قبل صدور الحكم مباشرة؛ وأمام المحكمة لاستئناف الحكم؛ وأمام الأخصائيين النفسيين ومدراء السجون في جلسات استماع الإفراج المشروط – أثارت شكوك الأخصائي النفسي ستيفن بورتر.[190] كانت المسألة مسألة **«الأصالة الوجدانية»**. باستبعاد الندم جانبًا، تساءل ستيفن بورتر، هل كان الأشخاص السيكوباتيون أفضل في تزييف الندم؟

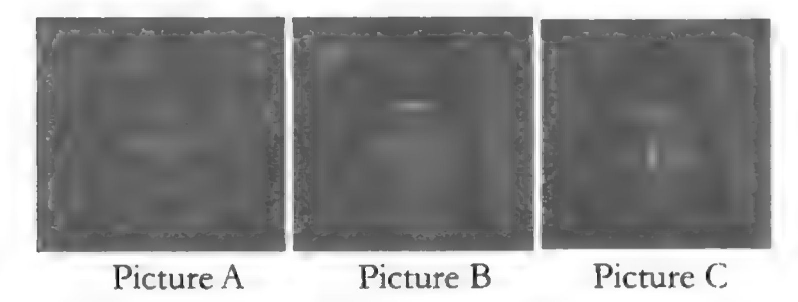
ابتكر **ستيفن بورتر** وزملاؤه تجربة بارعة. عُرِضتْ على المتطوعين سلسلة من

---

(189) - هيلينا هاكنين نيولم Helinä Häkkänen-Nyholm (1971 -): أخصائية نفسية فنلندية درست النرجسية والسيكوباتية وكتبت أول كتاب دراسي فنلندي حول الموضوع، وهي أستاذ مشارك في جامعة هلسنكي (المترجم).

(190) - ستيفن بورتر Stephen Porter: حصل على درجة الدكتوراه في علم النفس الشرعي في جامعة كولومبيا البريطانية، وهو حاليًا باحث ومستشار في مجال علم النفس والقانون. وبعد العمل أخصائيًا نفسيًا في السجن، أمضى بورتر عقدًا من الزمن أستاذًا في جامعة دالهوزي Dalhousie (المترجم).

الصور التي تم تصميمها لإثارة مختلف الانفعالات، ثم الاستجابة لكل منها إما بتعبير حقيقي أو خادع. ولكن كانت هناك مشكلة. بينما كان المشاركون يشاهدون الصور المشحونة انفعاليًّا، قام بورتر بتصويرهم فيديو بسرعة ثلاثين لقطة في الثانية ثم قام بفحص أشرطة الفيديو لقطة بعد أخرى. وقد سمح له هذا، في حالة «الخداع»، بالكشف عن وجود ضربات خاطفة كالبرق في ملامح الوجه تسمى **«التعبيرات الدقيقة** micro-expressions»: وهي مظاهر عابرة للانفعال الحقيقي غير المزيف - غير مرئية، في الوقت المناسب، بالعين المجردة لمعظم الناس - تومض، بشكل غير محسوس، من خلال نوافذ الإخفاء الواعي *(انظر الشكل 4 - 1)*



***الشكل 4 - 1**: تظهر الصورة **A** ابتسامة حقيقية، في حين تظهر الصورة **C** ابتسامة زائفة مع تسرب الحزن (خفض الحواجب والجفون وزوايا الفم). وتظهر الصورة **B** تعبيرًا محايدًا. حتى التغيرات الطفيفة - والعابرة - من هذا القبيل قادرة على تغيير تعبير الوجه بالكامل.*

أراد ستيفن بورتر أن يعرف ما إذا كان المشاركون الذين يظهرون مستويات أعلى من الشخصية السيكوباتية سوف يكونون أكثر مهارة في إخفاء الطبيعة الحقيقية لمشاعرهم من نظرائهم الذين يحققون درجات أقل.

وكان الجواب، بشكل لا لبس فيه، نعم. تنبأ وجود الصفات السيكوباتية (أو غياب) بشكل دال بدرجة الانفعال غير الملائمة التي لوحظت في حالة الخداع. كان الأشخاص السيكوباتيّون يتمتّعون بقدرة أكبر على الإقناع أكثر من قدرتهم على

التظاهر بالحزن حين تُعرَض عليهم صورة سعيدة، أو السعادة عند النظر إلى صورة حزينة، مقارنةً بالأشخاص غير السيكوباتيين.[191] ليس ذلك فحسب، بل كانوا جيدين مثل المتطوعين الذين سجلوا درجات عالية في الذكاء الانفعالي.

إذا كنت تتمتع بالقدرة على تزييف الإخلاص، كما قال أحدهم ذات مرة . . . تكون متأكدًا من النجاح في الحياة دون أي مجهود، على ما يبدو.

لقد أخذ **أحمد عبد الكريم**، وهو متخصص في **علم الأعصاب المعرفي**، الأمور إلى مرحلة أبعد من ذلك - وبمساعدة بعض السحر الكهرومغناطيسي يمكن أن يحسّن بشكل كبير من فرص العمل لكل من المحتالين والعملاء السريين. يمكن لأحمد عبد الكريم وفريقه في جامعة توبنجن Tübingen في ألمانيا أن يجعلوك تكذب بشكل أفضل. في تجربة لعب فيها المتطوعون دورًا في سرقة الأموال من أحد المكاتب وبعد ذلك استجوبهم باحث يمثل دور محقق في الشرطة (في صورة حافز لخداع المحقق، سُمح «للصوص» بأن يحتفظوا بالمال إذا نجحوا في خداعه!)، اكتشف أحمد عبد الكريم أن تطبيق تقنية تعرف باسم التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة[192] (TMS) على جزء من الدماغ متورط في صنع القرار الأخلاقي، أي قشرة الفص الجبهي الأمامي، ارتفاع معدل كذب المشاركين. وكانت النتيجة **معدل كذب** Lie Q أعلى.

بالتحديد لماذا يجب ألا يتضح هذا الحال على الفور، والباحثون يدرسون خياراتهم. لكن أحد الاحتمالات هو أن تثبيط قشرة الفص الجبهي الأمامي الناجم عن التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (TMS) يسبب تحديد منطقة حظر الطيران العصبي على الضمير، مما يجنب الكذاب التعرض لتشتيت الانتباه نتيجة الصراع الأخلاقي.

إن هذه الفرضية متسقة مع الأبحاث عن الأشخاص السيكوباتيين. إننا نعرف من

---

(191) - من المثير للاهتمام أن طالبة من طلبة ستيفن بورتر، وهي سابرينا ديميتريوف Sabrina Demetrioff، وجدت العكس أيضًا: إن الأشخاص السيكوباتيين أفضل في فك رموز التعبيرات الصغيرة في الآخرين (المؤلف).

(192) - إن التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة transcranial magnetic stimulation (TMS) طريقة غير جراحية لتحفيز الدماغ مؤقتًا من أجل تعطيل المعالجة القشرية، وبالتالي فحص تأثيرات المسارات العصبية المختارة المثيرة أو المثبِّطة (المؤلف).

الدراسات السابقة، على سبيل المثال، أن الأشخاص السيكوباتيين تقل في أدمغتهم المادة الرمادية[193] في قشرة الفص الجبهي الأمامي Anterior Prefrontal Cortex – والتحليل الأخير باستخدام التصوير الموتر المنتشر (DTI)،[194] الذي أجراه مايكل كريج وزملاؤه في معهد الطب النفسي في لندن، كشف أيضًا انخفاض سلامة الحزيمة المعقوفة Uncinate Fasciculus: القناة المحورية (وهي نوع من القنوات العصبية) التي تربط القشرة الجبهية الأمامية ولوزة الدماغ.

بعبارة أخرى، لا يتمتع الأشخاص السيكوباتيون بموهبة طبيعية للازدواجية فحسب، بل يشعرون أيضًا «**بالضغط الأخلاقي**– Moral Pinch» أقل بكثير مما يشعر به الآخرون. وهو ليس أمرًا سيئًا دائمًا تحت الضغط في المواقف الحرجة حيث يكون من الضروري اتخاذ القرارات تحت النار.

برود اللحظة:

بالطبع، ليس الكذابون فقط هم الذين يستفيدون من ندرة الأخلاق. يمكن العثور على التحديات الأخلاقية في جميع أوجه الحياة، وليس فقط في الكازينوهات وقاعات المحاكم. خذ على سبيل المثال الحوار التالي من فيلم **عاشق الحرب**[195] الذي عرض

(193) - المادة الرمادية gray matter: يتكون الجهاز العصبي المركزي من نوعين من الأنسجة: المادة الرمادية والمادة البيضاء. تتكون المادة الرمادية بشكل أساسي من أجسام الخلايا العصبية والمحاور العصبية غير المحاطة بالمايلين myelin (المترجم).

(194) - يتتبع التصوير الموتر المنتشر (DTI) diffusion tensor imaging حركة جزيئات الماء في الدماغ. في معظم أنسجة المخ، كما هو الحال في معظم أنواع الأنسجة الأخرى، يكون انتشار جزيئات الماء متعدد الاتجاهات. ومع ذلك، في مسارات tracts المادة البيضاء white matter - حزم الألياف التي توصل النبضات الكهربائية بين مناطق مختلفة من الدماغ - تميل جزيئات الماء إلى الانتشار بشكل مباشر على طول المحاور العصبية axons، الخيوط الطويلة النحيلة التي تنبثق إلى الخارج من قاعدة كل خلية عصبية، ناقلة النبضات الكهربائية بعيدًا عن جسم الخلية باتجاه المشابك synapses مع الخلايا المستقبلة. تحتوي المحاور العصبية على طبقة عازلة و"تمنع تسرب الماء" من المايلين الأبيض الدهني - وهو ما يجعل المادة البيضاء بيضاء - ويمكن أن تختلف في سمكها. وهكذا، من خلال تحليل معدل انتشار المياه واتجاهها، يمكن للباحثين إنشاء صور "افتراضية" للمحاور العصبية، والاستدلال على سمك هذه الطبقات البيضاء، وتقييم سلامتها البنيوية (المؤلف).

(195) - **عاشق الحرب** *The War Lover*: فيلم حرب بريطاني بالأبيض والأسود أخرجه فيليب لياكوك Leacock وكتبه هوارد كوش Koch استنادًا إلى رواية بالاسم نفسه لجون هيرسي Hersey، صدرت في 1959، وهو يغير أسماء

أول مرة عام 1962:

الملازم لينش: والآن، ماذا عن ريكسون؟ لا نعرف أبدًا أي حيلة سوف يمارسها بعد ذلك. هل يمكننا تحمل هذا النوع من الطيارين؟ وهل يمكن أن نتحمل عدم وجوده معنا؟ ما رأيك يا دكتور؟

الكابتن ودمان: إن ريكسون نموذج للخط الرفيع الذي يفصل البطل عن السيكوباتي.

الملازم لينش: على أي جانب من الخط تضع ريكسون؟

الكابتن ودمان: الوقت سوف يخبرنا. أفترض أننا نخاطر . . . ولكن هذه هي طبيعة الحرب.

يصور فيلم **عاشق الحرب**، الذي تدور أحداثه في أثناء الحرب العالمية الثانية، شخصية تسمى بوز ريكسون، وهو طيار طيارة بوينج بي 17[196] متغطرس ولا يعرف الخوف، الذي توفر عبقريته في القتال الجوي المنفذ المثالي لجانبه المظلم الذي يتسم بانعدام الأخلاق بشكل لا يعرف الرحمة. حين يتم إحباط مهمة قصف بسبب الظروف الجوية السيئة، ريكسون، الذي يشتكي منه طاقمه كثيرًا لمهاراته الجريئة في الطيران، يعصي أمر الالتفاف، ويغوص تحت غطاء السحاب لإسقاط حمولته المميتة. وتفشل قاذفة أخرى من القاذفات في العودة إلى القاعدة.

إن غرائز ريكسون البدائية والمفترسة تنتعش في مسرح الحرب. كلفه قائده في طلعة روتينية تسقط منشورات الدعاية، وهو يزمجر في المطار احتجاجًا، ويهيّء المشهد للحوار المذكور أعلاه بين ملاحه وجراح في سلاح الطيران.

الشخصيات والأحداث مع الاحتفاظ بإطاره الأساسي. ومن بطولة ستيف ماكوين وروبرت واجنر وشيرلي آن فيلد واد بيشوب ويضم مايكل كروفورد الشاب.

(196) - بوينج بي 17 B-17: قاذفة قنابل ثقيلة، ذات أربع محركات، صنعت بالثلاثينيات من القرن العشرين. استخدمت بي-17 اساسا من قبل القوات الجوية الأمريكية (USAAF) كقاصفة نهارية في حملة القصف الإستراتيجي ضد المراكز الصناعية والعسكرية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية.

إن هناك خطًّا رفيعًا، كما يقول الكابتن ودمان، بين البطل والشخص السيكوباتي. وغالبًا ما يعتمد الأمر على من يرسم هذا الخط.

لا توجد شخصيات مثل شخصية ريكسون في الأفلام فقط. ومن بين عدد من جنود القوات الخاصة Special Forces الذين قمت بإجراء اختبارات لهم حتى الآن، حققوا جميعًا نتائج عالية على استبيان الشخصية السيكوباتية (PPI) وهو أمر ليس مفاجئًا حقًّا بالنظر إلى بعض الأمور التي يكلفون بها. وكما قال لي أحدهم، باستهانة مميزة: «إن الفتيان الذين قاموا بقتل أسامة بن لادن لم يكونوا في عطلة نهاية الأسبوع يلعبون كرة الطلاء[197] . . .».

ويتضح مثل هذا البرود والتركيز في دراسة أجراها المتخصص في علم النفس وعلم الأعصاب، **أدريان رين**،[198] وزملاؤه في جامعة جنوب كاليفورنيا في لوس أنجلوس. وقد قارن أدريان رين أداء الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين في مهمة تعليمية بسيطة، ووجد أنه حين تمت معاقبة الأخطاء بصدمة كهربائية مؤلمة، كان الأشخاص السيكوباتيون أبطأ في استيعاب القاعدة من الأشخاص غير السيكوباتيين. ولكن هذه النتيجة لا تمثل إلا نصف الحقيقة فقط. وحين تمت مكافأة النجاح من خلال المكسب المالي، وكذلك من خلال تجنب الصدمة، انقلبت الأدوار. هذه المرة كان الأشخاص السيكوباتيون هم الأسرع في الاستيعاب.

الدليل واضح جدًّا. إذا كان يمكن للشخص السيكوباتي أن «يستوعب» موقفًا ما، إذا كان هناك أي نوع من المكافآت المعروضة، فسوف يختارها، بغض النظر عن

(197) - كرة الطلاء paintballing: لعبة يحاول فيها فريقان التقاط علم بعضهم البعض أثناء الدفاع عن علمهم باستخدام بنادق الهواء المضغوط التي تطلق كريات المليئة بالطلاء (المترجم).

(198) - أدريان رين Adrian Raine (1954 -): عالم نفسي بريطاني، يشغل حاليًا كرسي أستاذ علم الجريمة والطب النفسي بجامعة ريتشارد بيري في قسم علم الجريمة بكلية الآداب والعلوم وفي قسم الطب النفسي بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا. ويعرف بأبحاثه عن الأسباب العصبية والبيولوجية الاجتماعية للسلوك المعادي للمجتمع والعنف في الأطفال والبالغين (المترجم).

المخاطر أو العواقب السلبية المحتملة. إن الأشخاص السيكوباتيين لا يحافظون على رباطة جأشهم فقط في وجود تهديد أو محنة، بل يصبحون في ظل مثل هذا العرض أشبه بالليزر في قدرتهم على «القيام بكل ما يتطلبه إتمام المهمة».

لقد تناول الباحثون في جامعة فاندربيلت[199] الموضوع بشكل أعمق بعض الشيء، ونظروا في كيفية انعكاس التركيز الشره الذي لا يرف له جفن، التركيز الذي يظهره عادة السيكوباتيين، في أدمغتهم. ويلقي ما اكتشفوه ضوءًا مختلفًا تمامًا على ما قد يشعر به الشخص السيكوباتي، وعلى هذا النحو، يفتح منظورًا جديدًا تمامًا حول ما يحفز السيكوباتيين بالضبط. في الجزء الأول من الدراسة، تم تقسيم المتطوعين إلى مجموعتين: أولئك الذين يظهرون مستويات عالية من السمات السيكوباتية وأولئك الذين على جانب المستويات المنخفضة. ثم أعطى الباحثون المجموعتين كلتيهما جرعة السرعة (المعروفة بشكل آخر باسم الأمفيتامين)، وباستخدام التصوير المقطعي بانبعاث البوزيترون (PET)،[200] قاموا بفحص أدمغتهم ليروا ما قد يتجلى.

يوضح جوشوا بوكهولتز،[201] المؤلف الرئيسي للدراسة، أن «فرضيتنا هي أن [بعض] السمات السيكوباتية [الاندفاع، والانجذاب الشديد للمكافآت، والمجازفة] .

مرتبطة بخلل وظيفي في دائرة مكافأة الدوبامين،[202] وأنه بسبب هذه الاستجابات المبالغ فيها للدوبامين، بمجرد أن يركز الأشخاص السيكوباتيون على فرصة الحصول على مكافأة، لا يستطيعون تغيير انتباههم حتى يحصلوا على ما يسعون

---

(199) - جامعة فاندربيلت Vanderbilt: جامعة بحثية خاصة مقرها ناشفيل بولاية تينيسي الأمريكية (المترجم).

(200) - يسمح التصوير المقطعي بانبعاث البوزيترون positron emission tomography (PET) للباحثين بالحصول على صور لنشاط كيميائي عصبي منفصل في مناطق متنوعة من الدماغ حيث ينهمك الأشخاص في أنشطة أو أفكار أو انفعالات مختلفة. ويتحقق ذلك عن طريق حقن صبغة مشعة غير ضارة وقصيرة العمر في مجرى دم المتطوع، ومن ثم تتبع وجهة الصبغة عن طريق رسم خرائط لأنماط الإشعاع في شكل أشعة جاما (المؤلف).

(201) - جوشوا بوكهولتز Joshua Buckholtz: عالم نفسي تجريبي وعالم أعصاب يستخدم أساليب سلوكية ووراثية وتصوير الدماغ وتحفيز الدماغ لفهم سبب اختلاف البشر بشكل كبير في قدرتهم على ضبط النفس. وهو باحث لشبكة أبحاث القانون وعلم الأعصاب في مؤسسة ماك آرثر ويعمل في كلية مركز القانون والدماغ والسلوك في مستشفى ماساتشوستس العام (المترجم).

(202) - دائرة مكافأة الدوبامين dopamine reward circuitry: تتضمن عدة أجزاء من الدماغ تتخذ إجراءات مختلفة عند تعرضها للدوبامين، والدوبامين ناقل عصبي في الدماغ مسئول عن المشاعر الطيبة (المترجم).

عنه».

لم تكن هذه الفرضية بعيدة عن الصواب. وتماشيًا مع هذه الفرضية، أطلقت في أدمغة المتطوعين الذي يظهرون مستويات عالية من الصفات السيكوباتية كمية من الدوبامين استجابة للمحفز تبلغ أربعة أضعاف الكمية التي أطلقت في أدمغة نظرائهم من غير السيكوباتيين.

لكن هذا لم يكن كل شيء. لقد لوحظ نمط مشابه لنشاط الدماغ في الجزء الثاني من التجربة، حين تم إخبار المشاركين أنه بدلًا من إعطائهم جرعة السرعة، عند الانتهاء من مهمة بسيطة، سوف يحصلون على مكافأة مالية. (ملاحظة للباحثين: إذا كنتم في حاجة إلى المزيد من المتطوعين، فاتصلوا بي!) ومن المؤكد أن التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) كشف أن الأفراد الذين لديهم سمات سيكوباتية مرتفعة أظهروا نشاطًا أكبر بكثير في النواة المتكئة،[203] وهي منطقة مكافأة الدوبامين في الدماغ، من أولئك الذين يسجلون درجات منخفضة في السمات السيكوباتية.

يعلق **ديفيد زلد** David Zald، الأستاذ المساعد في علم النفس والطب النفسي، والمؤلف المشارك في الدراسة: «كان هناك تقليد لفترة طويلة من البحث في الشخصية السيكوباتية، يركز على عدم التأثر بالعقاب وعدم الخوف. لكن هاتين الصفتين ليستا مؤشّرين جيدين على العنف أو السلوك الإجرامي . . . يبدو أن هؤلاء الأفراد لديهم قوة انجذاب كبيرة للمكافأة - للجزرة - لدرجة أنها تطغى على الشعور بالخطر أو القلق من العصا . . . ليس فقط لأنهم لا يقدرون التهديد المحتمل، ولكن هذا التوقع أو الدافع للمكافأة يطغى على هذه المخاوف».

وتأتي الأدلة المؤيدة من **علم اللغة الجنائي**- Forensic Linguistics. وتبين أن الطريقة التي يتحدث بها القاتل عن جريمته تعتمد على أي نوع من القتلى ينتمي إليه.

---

(203) - النواة المتكئة nucleus accumbens: وتعرف اختصارًا ب NAs. منطقة في الدماغ الأمامي القاعدي basal forebrain أمام المنطقة قبل البصرية preoptic area في تحت المهاد (المترجم).

وقد قارن **جيف هانكوك** Jeff Hancock، وهو أستاذ علوم الحوسبة والمعلومات في جامعة كورنيل وزملاؤه في جامعة كولومبيا البريطانية، قصص أربعة عشر قاتلًا سيكوباتيًّا وثمانية وثلاثين قاتلًا من غير السيكوباتيين من الذكور، واكتشفوا اختلافات ملحوظة: ليس فقط فيما يتعلق بالتشوش الانفعالي (استخدم الأشخاص السيكوباتيون كلمات متعلقة بالاحتياجات الجسدية، مثل الطعام أو الجنس أو المال، ضعف عدد الكلمات التي استخدمها الأشخاص غير السيكوباتيين، الذين ركزوا على الاحتياجات الاجتماعية، مثل الأسرة والدين والأمور الروحانية)، ولكن أيضًا فيما يتعلق بالتبرير الشخصي.

كشف التحليل بالكمبيوتر للنصوص المسجلة أن القتلة السيكوباتيين استخدموا المزيد من أدوات الربط مثل «لأنه» أو «منذ» أو «لهذا» في شهاداتهم، مما يعني أن الجريمة «يجب القيام بها بطريقة أو بأخرى» من أجل تحقيق هدف معين. ومن الغريب أنهم كانوا يميلون أيضًا إلى تضمين تفاصيل حول الطعام الذي كان عليهم تناوله في يوم القتل – هل يمثل ذلك نوعًا من المكائد الطيفية ليد الضراوة البدائية؟

وليكن ما يكون، لا يوجد شك في هذا الاستنتاج. يسعى الشخص السيكوباتي إلى المكافأة بأي ثمن، مستخفًّا بالعواقب، وبدفع المخاطر جانبًا. وهذا، بالطبع، قد يفيد إلى حد ما في توضيح السبب الذي جعل **بليندا بورد** و**كاترينا فريتزون** تجدان عددًا من الصفات السيكوباتية بين عينة من الرؤساء التنفيذيين أكبر مما وجدوه بين نزلاء وحدة الطب الشرعي المؤَمَّنة. يشكل **المال والسلطة والمكانة والسيطرة** - كل منها من اختصاص مدير الشركة النموذجي، وكل منها سلعة مرغوبة في حد ذاتها – معًا جذبًا لا يقاوم بالنسبة إلى الشخص السيكوباتي الذي يرغب في أن يكون رجل أعمال وهو يغامر أكثر دائمًا ليصعد درجات سلم الشركة. تذكر، من قبل، هذا التحذير النبوي الصارخ لبوب هير: «سوف تجدهم [أي السيكوباتيين] في أي منظمة حيث يمنح المركز والمنصب للمرء السلطة على الآخرين والتحكم فيهم، وفرصة لتحقيق الكسب

المادي».

إنهم، في بعض الأحيان، يقومون بعمل جيد. وفي بعض الأحيان، من المستحيل أن يفعلوا ذلك. وإذا خرجت أخلاقيات المكافأة عن السيطرة، فإن الازدهار Boom، على نحو متوقع، يمكن أن يتحول بسرعة إلى إخفاق. يمكن العثور على أمثال بوز ريكسون المتغطرس الذي لا يعرف الخوف في كل مكان، في أي مجال يمكنك التفكير فيه. بما في ذلك المجال المصرفي بشكل يدعو إلى الغرابة.

وبوز ريكسون، في حال إن كنت تتساءل، قد انتهى به المطاف بالموت: تحطم، في كرة مغمورة من اللهب، في المنحدرات البيضاء في دوفر.[204]

القراءة الساخنة:

يُعزى عدم خوف الشخص السيكوباتي، وتركيزه بشكل تقليدي، إلى العجز في المعالجة الانفعالية، وبشكل أكثر تحديدًا إلى خلل وظيفي في لوزة الدماغ. حتى وقت قريب، دفع هذا الأمر الباحثين إلى الاعتقاد أنه بالإضافة إلى عدم «شعور» السيكوباتيين بالخوف، فإنهم لا «يشعرون» بالتعاطف أيضًا. لكن دراسة أجرتها عام 2008 شيرلي فيكتو وزملاؤها في المركز الطبي في بيت إسرائيل ديكونس[205] في بوسطن، ألقت ضوءًا مختلفًا تمامًا على هذه المسألة، مما يشير إلى أن الأشخاص السيكوباتيين ليس لديهم القدرة على التعرف على الانفعالات فحسب، بل هم في الواقع أفضل في ذلك مما نحن عليه.

استخدمت شيرلي فيكتو وزملاؤها التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (TMS) لتحفيز القشرة الحسية الجسدية (وهي جزء من الدماغ يعالج الأحاسيس الجسدية

---

(204) - دوفر Dover: بلدة ساحلية تقع في جنوب شرق إنكلترا، تطل على بحر الشمال وبحر المانش (المترجم).

(205) - شيرلي فيكتو Shirley Fecteau: أستاذ مشارك، في جامعة لافال، كيبيك، كندا، ومحاضرة في كلية الطب المتخصصة في هارفارد في التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة منذ عام 2005؛ المركز الطبي في بيت إسرائيل ديكونس Beth Israel Deaconess Medical Center: مستشفى تعليمي تابع لكلية الطب بجامعة هارفارد. تم تشكيلها من دمج مستشفى بيث إسرائيل عام 1996 ومستشفى نيو إنجلاند ديكونس (المترجم).

وينظمها) في أدمغة المتطوعين الذين يحرزون درجات عالية في استبيان الشخصية السيكوباتية. وقد أظهر بحث سابق أن ملاحظة شيء مؤلم يحدث لشخص آخر يؤدي إلى تباطؤ مؤقت في الإثارة العصبية استجابة للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة، في منطقة القشرة الحسية الجسدية المناظرة للمنطقة التي يصدر عنها الألم: وهو عمل تقوم به بنى في الدماغ متخصصة للغاية، وتسمى بشكل مناسب **الخلايا العصبية المرآوية** Mirror Neurons. وتعتقد شيرلي فيكتو أنه إذا كان الأشخاص السيكوباتيون يفتقرون إلى القدرة على التعاطف، فيجب أن يقل هذا الضعف في الاستجابة العصبية في هؤلاء الأفراد الذين يحرزون درجات عالية في استبيان الشخصية السيكوباتية، مقارنة مع أولئك الذين يحرزون درجات منخفضة إلى متوسطة - بالطريقة نفسها تمامًا التي قد يظهر بها الأشخاص السيكوباتيون بشكل جيد، مقارنة مع معظم السكان العاديين، عدوى منخفضة للتثاؤب.[206]

لكن الباحثين كانت في انتظارهم مفاجأة شديدة. ومما أثار دهشتهم، أن فيكتو وفريقها أظهروا بالفعل عكس ما كانوا يتوقعونه. في الواقع، حصل الذين حققوا درجات عالية في استبيان الشخصية السيكوباتية - وعلى وجه التحديد، أظهر أولئك الذين حققوا درجات عالية في المقياس الفرعي للاستبيان عن «قسوة القلب»، وهو المقياس الفرعي الذي يصب مباشرة في التعاطف - في الواقع ضعفًا أكبر في الاستجابة للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة من أصحاب الدرجات المنخفضة، مما يشير إلى أن الأشخاص السيكوباتيين، بدلًا من أن يكون لديهم ضعف في التعرف على انفعالات الآخرين، لديهم بالفعل موهبة في التعرف عليها. وأن المشكلة لا تكمن في التعرف على الانفعال في حد ذاته، ولكن في الانفصال بين مكوناته الحسية والوجدانية: في

---

(206) - إن عدوى التثاؤب مؤشر على وجود علاقة جسدية عميقة بين البشر، وبين الحيوانات الأخرى، وحتى في بعض الحالات بين البشر والحيوانات الأخرى! إن الكلاب "تلتقط" التثاؤب من أصحابها، وكذلك تلتقط قرود الشمبانزي التثاؤب ممن يتعاملون معها. ويتمحور الإجماع العام حول احتمالين. إما أن الأفراد الذين لديهم مشاكل في التعاطف يظهرون عدوى التثاؤب بشكل ضئيل لأنهم لا ينتبهون لتثاؤب الآخرين. أو، بدلًا من ذلك، إنهم ببساطة لا يتأثرون بها. أنا وزميلي، نيك كوبر Nick Cooper، حاليًا بصدد اختبار انعكاس التثاؤب في السيكوباتيين في دراسة ما زال العمل فيها مستمرًا في السويد (المؤلف).

الانفصال بين معرفة حقيقة الانفعال والشعور بما يبدو عليه.

وقد اكتشف أبيجيل بيرد،[207] وهي متخصصة في علم النفس، شيئًا مشابهًا. في مهمة التعرف على الانفعالات باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي، وجدت أنه بينما أظهر المتطوعون الذين حققوا نتائج عالية في استبيان الشخصية السيكوباتية انخفاضًا في نشاط لوزة الدماغ مقارنة مع من حققوا درجات منخفضة عند مطابقة الوجوه مع التعبيرات الانفعالية المماثلة (مما يتفق مع العجز في معالجة الانفعالات)، أظهروا أيضًا نشاطًا متزايدًا في كل من القشرة البصرية والقشرة الظهرية الأمامية الجبهية (dorsolateral prefrontal) مما يدل، كما تشير أبيجيل بيرد وفريقها، على أن «المشاركين الذين يحققون درجات عالية يعتمدون على المناطق المرتبطة بالإدراك والمعرفة للقيام بمهمة التعرف على الانفعال».

وقد عبر أحد السيكوباتيين الذين تحدثت معهم عن الأمر على النحو التالي، قائلًا: «حتى المصاب بعمى الألوان يعرف متى يتوقف عند إشارة مرور. قد تشعر بالدهشة. لقد أدركْتُ الأمور الضحلة الخفية».

أو، كما ذكَّرنا هومر سيمبسون في وقت سابق، إن عدم الاهتمام وعدم الفهم شيئان مختلفان تمامًا.

بالطبع، إن القدرة المعززة لدى الأشخاص السيكوباتيين على التعرف على الانفعالات في الآخرين ربما تسير بشكل ما باتجاه تفسير مهاراتهم العالية في الإقناع والتلاعب - وغني عن القول إنّ هذا يشبه ما تفعله قدرتهم المعززة على تزييف الانفعال، وهي ظاهرة تطرقنا إليها من قبل في هذا الفصل. لكن القدرة على فصل التعاطف الحسي «البارد» عن التعاطف الانفعالي «الحار» لها أيضًا مزايا أخرى - لا سيما في المجالات التي يجب الحفاظ فيها على درجة من الانفصال الوجداني بين

---

(207) - أبيجيل بيرد Abigail Baird: بروفيسور علم النفس في كلية فاسار والباحثة الرئيسية في مختبر علوم المراهقين. حصلت على شهادتها الجامعية من كلية فاسار والماجستير والدكتوراه من جامعة هارفارد (المترجم).

الممارس وما يمارسه. مثل مهنة الطب، على سبيل المثال.

إليك ما يقوله أحد أفضل جراحي الأعصاب في المملكة المتحدة حول ما يشعر به قبل الذهاب إلى غرفة العمليات: «هل أشعر بالتوتر قبل إجراء عملية جراحية كبيرة؟ لا، لن أقول ذلك. لكن أعتقد أنه مثل أي إجراء آخر. ينبغي أن تكون يقظًا. وتحتاج إلى أن تظل مركّزًا وخاصة في العمل الذي تقوم به، ولا تشتت انتباهك. عليك أن تقوم به بشكل صحيح».

كما تعلم، لقد ذكرت القوات الخاصة قبل لحظات. وفي الواقع، فإن عقلية الجراح وعقلية جندي من النخبة، على سبيل المثال، على وشك أن يقتحم مبنى أو طائرة ركاب كبيرة ربما تكونان متشابهتين تمامًا. في الحالتين كلتيهما، يشار إلى «المهمة» بأنها عملية operation. وفي الحالتين كلتيهما، 'تستعد بأداة' وتلبس قناعًا. وفي الحالتين كلتيهما، لا يمكن أبدًا لكل سنوات الممارسة والتدريب أن تُعِدَّك تمامًا لذلك العنصر من عدم اليقين في أثناء إجراء أول شق جراحي؛ وتلك البهجة التي انبعثت في لحظة 'الدخول المدوي'، حين تطوي الجلد إلى الخلف وتدرك فجأة . . . أنك في **الداخل**.

«ما الفرق بين هامش الخطأ بالمليمتر حين يتعلق الأمر بالتصويب في الرأس وهامش الخطأ بالمليمتر حين يتعلق الأمر بشق طريقك بين وعاءين من الأوعية الدموية بالغة الأهمية؟ في هاتين الحالتين تحمل الحياة والموت في يديك، وعليك أن تتخذ قرار الموت أو المجد. في الجراحة يكون المرء، بكل ما تعنيه الكلمة، على حافة السكين».

سجل هذا الرجل أعلى بكثير من المتوسط على استبيان الشخصية السيكوباتية. وإذا فاجأك ذلك من أحد كبار جراحي الأعصاب في العالم، فكر في الأمر مرة أخرى. قامت ياوي تشنج، في جامعة يانج منج الوطنية[208] في تايوان، وزملاؤها في العمل

(208) - ياوي تشنج Yawei Cheng: أستاذ متميز في معهد العلوم العصبية، في جامعة يانج منج الوطنية National Yang-Ming University، وتعمل أيضًا في قسم التأهيل في مستشفى الجامعة نفسها (المترجم).

بأخذ مجموعة من الأطباء الذين لديهم خبرة لمدة عامين على الأقل في الوخز بالإبر ومجموعة من المهنيين غير الطبيين، وباستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي، حدّقوا في أدمغتهم لمعرفة ما يحدث حين يشاهدون الإبر وهي تغرس في الأفواه والأيدي والأقدام. ما لاحظوه كان مثيرًا إلى حد ما. حين شاهد المتطوعون من مجموعة التحكم مقاطع الفيديو التي تعرض الإبر وهي تُغرس، أضاءت تلك المناطق من القشرة الحسية الجسدية المناظرة لمناطق الجسم ذات الصلة مثل أشجار عيد الميلاد، كما فعلت مناطق أخرى في الدماغ مثل المادة الرمادية المحيطة بالقناة المائية[209] (منسق استجابة الذعر) والقشرة الحزامية الأمامية (التي ترمز للخطأ والشذوذ ومعالجة الألم).

في المقابل، كان هناك بالكاد وميض من النشاط المرتبط بالألم في أدمغة الخبراء. وبدلاً من ذلك، أظهروا زيادة في نشاط القشرة الجبهية الأمامية الإنسية medial prefrontal والقشرة الجبهية الأمامية الفوقية superior، بالإضافة إلى الوصلة الصدغية الجدارية- Temporoparietal Junction: وهي مناطق الدماغ المتورطة في تنظيم الانفعال ونظرية العقل.[210]

وبالإضافة إلى ذلك، صنف الخبراء عروض الوخز بالإبر على أنها أقل إزعاجًا بشكل ملحوظ مما بدا على أفراد مجموعة التحكم – مما يذكرنا بالعديد من النتائج المختبرية التي أظهرت استجابات فسيولوجية مخففة (مثل معدل ضربات القلب، والاستجابة الجلفانية للجلد- Galvanic Skin Response (GSR) ومستويات الكورتيزول في الدم) في الأشخاص السيكوباتيين عند عرض محفزات مخيفة، أو مثيرة للاشمئزاز، أو محفزات شهوانية – وفي مواجهة اختبارات الضغط الاجتماعي الشاقة،

(209) - المادة الرمادية المحيطة بالقناة المائية periaqueductal gray: نواة تلعب دورًا حاسمًا في الوظيفة اللاإرادية والسلوك المحفز والاستجابات السلوكية للمنبهات المهددة (المترجم).

(210) : بشكل عام، تشير نظرية العقل theory of mind إلى القدرة على الرؤية، بالمعنى المعرفي والانفعالي، من "حيث يأتي" الآخرون (المؤلف)

مثل من يبذلون أقصى ما في وسعهم بصرف النظر عن اختبار ترير.[211]

ما يكتسبه الخبير من خلال الخبرة، يوجد لدى الأشخاص السيكوباتيين منذ البداية.

خفة السيكوباتيين؟

قبل مضي وقت طويل، بعد أن صادفت دراسة **ياوي تشنج**، قفزت على متن طائرة متجهة إلى واشنطن العاصمة، وذهبت إلى المعهد الوطني للصحة النفسية لكي أرى **جيمس بلير**.[212] وبلير هو أحد الخبراء البارزين في العالم في دراسة الأشخاص السيكوباتيين، وكان، مثل جوزيف نيومان، صاحب خبرة كبيرة جدًّا. وقد سألته: «هل يدفع هذا كله المرء إلى أن يكون شخصًا سيكوباتيًّا؟ حسنًا، ربما ليس طول الوقت. ولكن في بعض الأحيان – حين يتطلب الوضع ذلك؟».

كان جيمس بلير حذرًا. إن السير في هذا الطريق خطير. قال لي: «صحيح أنه إذا حدثت أشياء سيئة فإن الشخص السيكوباتي قد يكون أقل قلقا بشأنها. ومع ذلك، ليس من الواضح ما إن كانت القرارات التي يتخذها السيكوباتيون في مثل هذه المواقف سوف تكون قرارات جيدة بشكل خاص، على الرغم من ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، من خلال عدم تحليل مستويات التهديد بشكل مناسب، قد ينخرط السيكوباتيون في الخطر، بدلًا من أن يبتعدوا عنه».

بعبارة أخرى، إذا تمكنا من إسالة جليد المنطق بطريقة أو بأخرى، وأزلنا بعض البرودة من المنطق، نعم، بعد ذلك، قد تمنح الصفات السيكوباتية مزايا جيدة. وبخلاف ذلك، انسَ.

---

(211) - يتضمن اختبار ترير Trier للتوتر الاجتماعي عادةً إعطاء المتطوعين فترة وجيزة لإعداد محادثة عمل وهمية، يتم إخبارهم خلالها أنهم سوف يخضعون لأنواع مختلفة من التدقيق المهني، مثل تحليل تردد الصوت، وتقييم مهارة التواصل غير اللفظي، إلخ (المؤلف).

(212) - عن جيمس بلير، انظر هامشًا سابقًا للمترجم (المترجم).

اعتقدت أن عليَّ أن انتظر قليلًا. أليس هذا ما نجده بالضبط في أبطال هذا العالم؟ لن يتهمهم أحد بسوء اتخاذ القرار. وماذا عن أداء «السيكوباتيين الوظيفيين» عند بشارة Bechara وشيف Shiv ولوينستاين Loewenstein؟ والمحتالين البارعين عند فريدمان؟ (حسنًا، إنهم يحملون أوكسيد أحادي الأمين أ متعدد أشكال[213] الذي يرمز إلى الخطر والعدوان لا يؤهلك تلقائيًا لتكون سيكوباتيًّا، ولكن الارتباط موجود بالتأكيد.) الطريقة التي آلت إليها الأمور، والطريقة التي يتخذ بها السيكوباتيون القرارات، في ظل هذه الظروف، من المرجح أنها كانت أفضل مما كانت ستؤول إليه الأمور معك أو معي. لذلك ربما كانت هذه هي الإجابة. ربما كانت المعادلة تحتاج فقط إلى القليل من تقدير الخسارة:

السيكوباتية الوظيفية = السيكوباتية – سوء اتخاذ القرار

بحثًا عن رأي ثان، التقيت **بصياد السيكوباتيين كينت كيل**.[214] وكينت كيل أستاذ مشارك في علم النفس وعلم الأعصاب في جامعة نيومكسيكو، ومدير مركز التصوير العصبي وعلم الأعصاب الإدراكي الإكلينيكي في شبكة أبحاث العقل في ألباكركي.[215] كما تشير مسميات وظيفته، كان لديه الكثير مما يمكن أن يتحدث عنه حين التقيت به.

في الواقع، كان كينت كيل في رحلة عمل طويلة حين التقينا - ولا يزال. وهو ليس النوع المعتاد من رحلات العمل، ولكنها رحلة تشمل شاحنة بثمانية عشر عجلة: شاحنة كبيرة جدًّا لدرجة أنني كنت أشعر كلما أوقفها بالدهشة لأنه لا يحتاج إلى إذن تخطيط. من المؤكد أنه يحتاج إلى إذن بماسح ضوئي – لأنها مزودة بداخلها بجهاز للتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، وقد أعد خصيصًا بناء على طلبه،

---

(213) - أوكسيديز أحادي الأمين أ MAOA: أو Monoamine oxidase A، انظر هامشًا سابقًا للمترجم (المترجم).

(214) - كينت كيل Kent Kiehl: عالم علوم عصبية له اهتمامات بحثية في علم الأعصاب الإدراكي، والسيكوباتية، وتفاعل علم الأعصاب والقانون، والتنبؤ السلوكي. وهو الآن أستاذ في قسم علم النفس، جامعة نيومكسيكو (المترجم).

(215) - ألباكركي Albuquerque: أكبر مدن ولاية نيو مكسيكو (المترجم).

قيمته 2 مليون دولار. وكينت كيل يقوم بالتنقل بها حول نيو مكسيكو، حول عدد من سجون الولاية، في محاولة لكشف الأساس العصبي للشخصية السيكوباتية.

وقد سألته السؤال نفسه الذي طرحته على جيمس بلير. هل من الحكمة في بعض الأحيان أن يكون المرء سيكوباتيًّا؟ وكان كينت كيل، كما كان جيمس بلير، حذرًا.

قال لي: «مما له دلالة بالتأكيد أن السمات السيكوباتية توزع بشكل طبيعي على عموم السكان. لكن الاختلاف مع أولئك الذين يوجدون على الطرف الأعلى من الطيف هو أنهم لا يستطيعون التوقف [عدم الشعور بالخوف] في المواقف التي قد يكون التوقف فيها مناسبًا. قد يكون الرئيس التنفيذي لا ينفر من المخاطر في بعض مجالات العمل، ولكنه، من ناحية أخرى، ربما لا يرغب في التجول ليلًا في حي يكون المرء فيه عرضة للكثير من المشاكل. إن الشخص السيكوباتي لا يكون قادرًا على القيام بهذا التمييز. إن القاعدة، مع الشخص السيكوباتي، كل شيء أو لا شيء».

مما يضيف عاملاً ثالثًا لمعادلتنا:

السيكوباتية الوظيفية = (السيكوباتية – عدم القدرة على اتخاذ القرار)
السياق

مما يعني، باستثناء الجبر **algebra**، أن السيكوباتية الوظيفية تعتمد على السياق. إنها، في لغة نظرية الشخصية، «الحالة» مقابل «السمة». وذلك، في المجموعة المناسبة من الظروف، يمكن أن يعزز سرعة عملية صنع القرار ونوعيتها بدلًا من أن يعوقها.

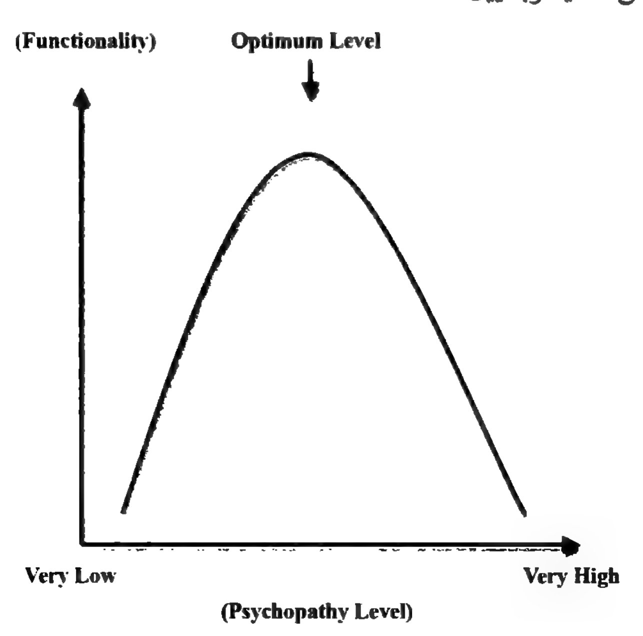
في ثمانينيات القرن العشرين، توصل عالم الاجتماع جون راي[216] إلى استنتاج مماثل. افترض جون راي دالة مقلوبة على شكل حرف U باعتبارها نموذجًا أكثر

---

(216) - جون جوزيف راي John Ray (1943 -): عالم اجتماع أسترالي كان يعمل في جامعة جنوب ويلز، وحصلت على درجة الماجستير في علم النفس من جامعة سيدني عام 1969 وحصلت على درجة الدكتوراه. في العلوم السلوكية من جامعة ماكواري عام 1974 (المترجم).

ملاءمة للعلاقة بين السيكوباتية والنجاح في الحياة *(انظر الشكل 4 - 2)*. بكلماته:

«قد يكون التكيف مع كل من المستويات المرتفعة للغاية والمنخفضة جدًّا من الشخصية السيكوباتية سيئًا، ولكن في المقابل يكون التكيف مع المستويات المتوسطة أفضل. أساس القول بأن التكيف مع المستويات العالية من السيكوباتية سيئًا، بطبيعة الحال، المشاكل التي يورط فيها السيكوباتيون السريريون أنفسهم في كثير من الأحيان. أساس القول بأن التكيف مع المستويات المنخفضة من السيكوباتية قد يكون أيضًا سيئًا وينبع ذلكَ من الملاحظة الشائعة بشأن دور القلق في الشخصية السيكوباتية: لا يبدو أن الأشخاص السيكوباتيين يظهرون أي قلق. لا يحتاج إلى التأكيد على الحاجة إلى الوظيفة المنهِكة للمستويات العالية من القلق. لذلك، في حالة السكان العاديين الذين لا يوجدون في مؤسسات، قد تمنح مناعتهم النسبية من القلق مزية للأشخاص السيكوباتيين.



الشكل 4 - 2: العلاقة بين الشخصية السيكوباتية والأداء الوظيفي

(مقتبس من Ray and Ray, 1982)

ومن المفارقات أن هذا بالضبط هو ما وجده إيال أهاروني داخل الأخوة الإجرامية. لم تكن المستويات العالية أو المنخفضة من السيكوباتية هي التي تشير إلى النجاح الإجرامي - كانت المستويات المعتدلة: إنه شيء لم يفلت انتباه بوب هير وبول بابياك وهما يواصلان أبحاثهما في مجال سيكوباتية للشركات. فقد قام كل من بوب هير وبول بابياك بتطوير أداة تسمى ماسح الشغل- Business Scan (أو الماسح بي B-Scan باختصار): وهو استبيان بالتقرير الذاتي يتكون من أربعة مقاييس فرعية (الأسلوب الشخصي؛ الأسلوب الانفعالي؛ الفعالية التنظيمية؛ والمسؤولية الاجتماعية)، وقد تمت معايرتها خصيصًا لتقييم وجود السمات السيكوباتية، ليس ضمن المجموعات الجنائية (مثل القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية)، أو داخل عامة السكان ككل (مثل قائمة فحص الشخصية السيكوباتية)، ولكن بشكل حصري ضمن **إعدادات الشركات** Corporate Settings *(انظر الجدول 4 - 1)*.

السمة القيادية	السمة السيكوباتية
الكاريزما	الفتنة السطحية
الثقة بالنفس	داء العظمة
القدرة على التأثير	التلاعب
القدرة على الإقناع	الاحتيال
التفكير الحالم	فبركة قصص معقدة
القدرة على المخاطرة	الاندفاع
يوجهه العمل	توجهه الإثارة
القدرة على اتخاذ قرارات صعبة	الفقر الانفعال

الجدول 4 - 1: الماسح بي: سمات القيادة ونظائرها السيكوباتية.

في مثل هذه الظروف، يمكن أن تتحول السمات السيكوباتية الجوهرية أحيانًا إلى صفات النجوم المميزة للقائد المؤثر، ومن أجل تقييم وجود هذه السمات - مع مراعاة السياق المناسب - يصبح من الضروري طرح الأسئلة الصحيحة، موظفين، بالطبع، العبارات واللغة الصحيحة. الهدف من الماسح بي هو القيام بذلك فقط، من خلال تصوير العناصر ضمن إطار عمل الشركات ووضعها في مصطلحات الأعمال اليومية (على سبيل المثال، «لا بأس من الكذب من أجل إبرام الصفقة» - أوافق / لا أوافق على مقياس من 1 إلى 4). وفي الوقت الحاضر، نحن بصدد طرحها على عينة مستقلة من المحامين والتجار وجنود القوات الخاصة في المملكة المتحدة، لنرى بالضبط مما يتشكلون: أي نوع من العينة النفسية لمختلف المهن رفيعة المستوى.

في مقهى في شمال ولاية نيويورك، على الطريق مباشرة من شركة بابياك للاستشارات القيادية والإدارية، أسرد محادثة أجريتها ذات مرة مع أحد كبار مستشاري الملكة البريطانية، في غرفه في وسط لندن.

قال لي الرجل: «في قاعة المحكمة، محوت الناس من على الأرض بكل معنى الكلمة، صلبتهم على منصة الشهود. ليس لدي أي مشكلة على الإطلاق في جعل ضحية الاغتصاب المزعوم تصرخ من التعاسة على المنصة. تعرف لماذا؟ لأن هذه وظيفتي. هذا هو السبب الذي يجعل موكلي يدفع لي. في نهاية اليوم، يمكنني أن أعلق شعري المستعار وعباءتي، وأن أخرج إلى مطعم مع زوجتي، ولا أهتم - على الرغم من أنني أعلم أن ما حدث في وقت سابق ربما يكون قد دمر حياة هذه الضحية.

«من ناحية أخرى، إذا اشترت زوجتي فستانًا من متجر متعدد الأقسام، على سبيل المثال، وفقدت الإيصال وطلبت مني استعادته ... فهذه قصة مختلفة تمامًا. أكره فعل أشياء من هذا القبيل. أشعر باليأس. أفشل تمامًا في القيام بهذه المهمة...»

أومأ بول بابياك بالإيجاب. إنه يعرف بالضبط ما أرمي إليه. إنه بالضبط الشيء نفسه الذي صمم الماسح بي للحصول عليه.

نرشف رشفة من كوب **لاتيه** lattes ونحدق في نهر هدسون.[217] فوق المياه الجليدية الرمادية، تضغط قارات شاسعة من السحب ببطء وبلا هوادة على سماء هائلة منخفضة.

أسألُه: «ماذا تظن؟ هل تعتقد أننا سنجد أفضل نتيجة في الماسح بي؟ هل نجد رقمًا ذهبيًّا يرتبط بأعلى أداء؟».

يهز كتفيه، ويقول: «ربما. ولكن أعتقد أنه سوف يكون على الأرجح أشبه بمجال. وقد يختلف الأمر قليلًا تبعًا للمهنة».

أوافق. لا يمكنني إلا أن أفكر في جوني Johnny، وأين قد يقع في الميزان. أخذ جيمس بوند تصريحًا بالقتل. لكنه لم يقتل بشكل عشوائي. قتل حين اضطر. ولم يهتز له جفن.

مجنون أم سيّء . . . أم عاقل أكثر من المعتاد؟

لإنهاء الأمور، أعرض نظريتي حول السيكوباتية الوظيفية المثلى على واحد من أصدقائي. إنه توم Tom، وهو عضو في القوات الخاصة البريطانية، وقد عمل بشكل سري في بعض أشدّ الأماكن حرارة، وأبعدها، وأكثرها خطورة على وجه الأرض.

وهو يحب كل دقيقة يقضيها في هذا العمل.

أحكي له عن ألعاب القمار، ومهام **التعرف الانفعالي**، ومعزز «**الكذب المغناطيسي عبر الجمجمة**- Transcranial Magnetic Lie-Enhancer» عند أحمد عبد الكريم، ومن يمارسون الوخز بالإبر. ثم أحكي له عما قاله كل من جيمس بلير، وكينت كيل، وبوب هير، وبول بابياك، وبيتر جونسون.

---

(217) - نهر هدسون Hudson River: مجرى مائي يبلغ طوله 315 ميلا ويجرى من الشمال إلى الجنوب، ويمر في شرق ولاية نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية. وينبع النهر من بحيرة هندرسن Henderson Lake في نيوكومب Newcombe، في ولاية نيويورك، ويصب في المحيط الأطلنطي (المترجم).

حين أطرح عليه في النهاية أن ارتداء نظارات للرؤية الليلية وقتال طالبان في مجمعات كهوف عميقة ومظلمة في جبال شمال أفغانستان قد لا يكون أمرًا سهلًا بالنسبة إلى كل جندي، يسألني: «ما الذي ترمي إليه بالضبط؟ هل تقصد أنني مجنون؟ أنني مجرد وغد من الأوغاد الذين يجرؤون على الاندفاع حيث يخشى الملائكة أن يخطوا؟ الأوغاد الذين يشعرون بالإثارة للقيام بذلك؟ ويدفع لهم مقابل ذلك العمل؟»

بمجرد أن خرجْتُ من المأزق، يحكي توم لي قصة: في إحدى الليالي، قبل بضع سنوات، يعود إلى شقته بعد مشاهدة فيلم سو.[218] فجأة، خارج باب، يظهر رجل وفي يده شفرة. تشعر صديقته بالذعر وتبدأ التنفس بسرعة. لكن توم، يسلك حنجرته، وينزع سلاح الرجل بهدوء ويجعل الرجل يغادر على الفور.

يقول توم: «كان الشيء المضحك هو أن الفيلم كان مخيفًا للغاية. ولكن بعد ذلك، كما تعلم، حين وجدت نفسي فجأة في موقف حقيقي، عرفت بسرعة إلى حد ما ينبغي عليَّ القيام به. لم يكن هناك شيء في ذلك. لا أعصاب. لا دراما. فقط... لا شيء».

يوافق على ذلك جراح الأعصاب الذي سمعناه من قبل. إن مقطوعة **شغف متى**[219] من تأليف باخ تجعله يبكي بانتظام. وحين يتعلق الأمر بكرة القدم والفريق الذي يدعمه منذ أن كان طفلًا . . . في بعض الأحيان لا يستطيع أن ينظر.

يقول: «أنا شخص سيكوباتي؟ لست متأكدًا من ذلك. لست متأكدًا مما قد يفكر فيه مرضاي أيضًا! لكنها كلمة جيدة. ونعم، وأنت تعقم نفسك قبل عملية صعبة، يكون هذا صحيحًا: يسري البرد في الأوردة. الطريقة الوحيدة التي يمكنني وصفها هي مقارنة الأمر بالسُّكْر. السكر وحده هو الذي يزيد حدة الحواس بدل أن يضعفها؛

---

(218) - سو *Saw*: فيلم رعب أمريكي، أنتج في 2004، من إخراج المخرج الأسترالي من أصل ماليزي جيمس وان James Wan (1977 -) (المترجم).

(219) - **شغف متى** *Matthew Passion*: مقطوعة موسيقية دينية كتبها يوهان سيباستيان باخ في عام 1727 للأصوات المنفردة والجوقة المزدوجة والأوركسترا المزدوجة، تعتبر على نطاق واسع واحدة من أعظم روائع الموسيقى الكلاسيكية المقدسة (المترجم).

حالة متغيرة من الوعي تتغذى على الدقة والوضوح، بدلًا من الغموض وعدم الاتساق . . . ربما يكون 'العاقل السوبر supersane' طريقة أفضل لوصف ذلك. طريقة أقل شرًّا. لا أعرف، وأكثر روحانية . . . »

يضحك: «ثم مرة أخرى، ربما يبدو هذا أكثر جنونًا».

الفصل الخامس

اجعلني سيكوباتيًّا

الفترات الرائعة في حياتنا هي المناسبات التي نكتسب فيها الشجاعة لإعادة تعميد صفاتنا الشريرة باعتبارها أفضل صفاتنا.

– فريدريك نيتشه



الأزمنة تتغير:[220]

حين تكون في قمة لعبتك لفترة طويلة مثل الفترة التي قضاها بوب هير، يحق لك أن تعاني من بعض الصعوبات في اختيار من تقضي وقتك معه في المؤتمرات. لذلك، عند حضور مؤتمر جمعية الدراسات العلمية للشخصية السيكوباتية الذي يعقد كل عامين في مونتريال عام 2011، وقمت بإرسال رسالة بالبريد الإلكتروني إلى الأستاذ المتميز لترتيب لقاء، وشعرت أن من الأفضل أن أحافظ على أن تبقى الأمور رسمية. لَمَّحْتُ متسائلًا إن كانت هناك فترة زمنية محددة يمكن أن يحدث فيها ذلك في أثناء سير الإجراءات، فماذا عن القهوة؟

كانت الاستجابة فورية. رد بوب هير قائلًا: «أفضل الوسكي سكوتش على القهوة. سوف تجدني في بار الفندق. سوف أشتريه».

(220) - الأزمنة تتغير The Times They Are A-Changin': أغنية كتبها الفنان الأمريكي بوب ديلان Bob Dylan (1941 -) وكانت عنوانًا لألبوم صدر في عام 1964 (المترجم).

لقد كان محقًا. في الأمور الثلاثة كلها.

قررت أن أبدأ بحذر. «إذن، بحق الجحيم ما الدرجات التي يمكن أن تسجلها على القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية (PCL-R)، يا بوب؟» ونحن نتناول شعيرًا مخمرًا[221] عمره يزيد عن عشرين عامًا.

يضحك.

يقول: «أوه، أسجل درجات منخفضة جدًا. حوالي 1 أو 2. يقول لي طلابي إنني يجب أن أعمل عليها أكثر إلى حد ما. لكنني فعلت شيئًا 'سيكوباتيًا' منذ فترة ليست طويلة. أنفقت مبلغًا كبيرًا في سيارة رياضية جديدة. سيارة بي إم دبليو».

أقول: «عظيم! ربما يكون تأثير طلابك عليك أكبر مما تدركه».

سؤالي الثاني أكثر جدية:

«حين تنظر حولك في المجتمع الحديث، هل تعتقد بشكل عام أننا سوف نصبح أكثر سيكوباتية؟».

في هذه المرة، يستغرق وقتًا أطول بعض الشيء للإجابة. يقول: «أعتقد، بشكل عام، نعم، إن المجتمع يصبح أكثر سيكوباتية، أعني أن هناك أشياء تحدث هذه الأيام لم نكن لنشاهدها قبل عشرين سنة أو حتى قبل عشر سنوات. يحدث تبلد في السلوك الجنسي الطبيعي عند الأطفال بتعرضهم مبكرًا للمواد الإباحية على الإنترنت. تزداد شعبية مواقع تأجير صديق على الشبكة العنكبوتية، لأن الأشخاص إما مشغولون للغاية أو تقنيين للغاية بشكل يحول دون إنشاء صداقات حقيقية. وقرأت تقريرًا منذ بضعة أيام يربط ارتفاعًا كبيرًا في عدد العصابات المكونة كلها من النساء بالطبيعة العنيفة المتزايدة لثقافة ألعاب الفيديو الحديثة. في الواقع، أعتقد أنك إذا كنت تبحث عن دليل على أن المجتمع أصبح أكثر سيكوباتية، فإن الارتفاع الأخير في الجرائم التي ترتكبها الإناث

(221) - شعيرًا مخمرًا single malt: نوع من الويسكي، يصنع من الشعير المقطر، ويخمر لمدة ثلاث سنوات على الأقل (المترجم).

يكشف عن هذا بشكل خاص. ولا تجعلني أبدأ من وول ستريت!».

إن موقف بوب هير له دلالة كبيرة بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بشكل عابر بما يقرؤونه في الصحف، أو يشاهدونه على شاشات التلفزيون، أو يعثرون عليه صدفة على الإنترنت. في اليابان عام 2011، تنازل صبي يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا عن إحدى كليتيه حتى يتمكن من أن يخرج ويشتري جهاز آي باد iPad. وفي الصين، في أعقاب حادثة ترك فيها طفل يبلغ من العمر عامين محصورًا في وسط السوق ودهس، ليس مرة واحدة ولكن مرتين، بينا كان المارة يمارسون أعمالهم باسترخاء، وقدم الناخبون المروعون التماسا للحكومة لتمرير قانون «**السامري الصالح**»[222] لمنع مثل هذه الأشياء من الحدوث مرة أخرى.

ومع ذلك، من ناحية أخرى، كانت الأشياء السيئة تحدث دائمًا في المجتمع. ولا شك في أنها سوف تظل تحدث دائمًا. وقد أبرز عالم النفس ستيفن بنكر، في جامعة هارفارد، مؤخرًا ذلك في كتابه **أفضل ملائكة طبيعتنا**.[223] وهو، في الواقع، يذهب خطوة أبعد من ذلك. يجادل ستيفن بنكر بأن العنف في تراجع مستمر، وهو أبعد ما يكون عن الزيادة. ويرى أن عمليات القتل الوحشية والجرائم المروعة الأخرى تملأ الصفحات الأولى من صحفنا ليس لأنها شائعة. ولكنها، بالأحرى، تملأها لأنها عكس ذلك تمامًا.

خذ القتل على سبيل المثال. من خلال استعراض سجلات المحاكم في عدد من الدول الأوروبية، حسب العلماء أن المعدلات قد انخفضت بشكل كبير على مر السنين. في أكسفورد في القرن الرابع عشر، على سبيل المثال، بدا أن الجميع، مقارنة

---

(222) - قانون "السامري الصالح Good Samaritan": أو قانون التطوع لمساعدة الغريب وإغاثته، قانون يوفر الحماية القانونية للأشخاص الذين يقدمون مساعدة معقولة لمن هم أو لمن يعتقدون أنهم جرحى أو مرضى أو معرضون للخطر أو في حالة عجز (المترجم).

(223) - ستيفن آرثر بنكر Steven Pinker (1954 -): عالم أمريكي كندي، متخصص في علم النفس المعرفي واللسانيات، ومؤلف لعدة كتب شعبية؛ **أفضل ملائكة طبيعتنا** *The Better Angels of Our Nature*: كتاب صدر في عام 2011، وفيه يرى أنّ العنف في العالم قد انخفض على المدى الطويل والقصير، ويقترح عدة أسباب وراء ذلك (المترجم).

باليوم، كانوا عرضة للقتل، حيث كان المعدل في ذلك الوقت 110 جرائم قتل لكل مائة ألف شخص في السنة، مقارنة بعملية قتل واحدة فقط لكل مائة ألف شخص في منتصف القرن العشرين في لندن. كما تم توثيق أنماط مماثلة في أماكن أخرى - في إيطاليا وألمانيا وسويسرا وهولندا والدول الاسكندنافية.

وينطبق الشيء نفسه على الحرب. يحسب ستيفن بنكر أنه حتى في القرن العشرين الذي دمره الصراع، مات حوالي 40 مليون شخص في ساحات المعارك من أصل ما يقرب من 6 مليار شخص عاشوا - وهو ما يعادل نسبة 07 في المائة فقط. وأدرج، في هذا التقدير، موت أولئك الذين لقوا حتفهم بسبب المرض والمجاعة والإبادة الجماعية بسبب الحرب، وارتفع عدد القتلى إلى 180 مليون شخص. يبدو هذا الرقم كبيرًا، ولكن الرقم، من الناحية الإحصائية، لا يزال ضئيلًا جدًّا، إنه يمثل، تقريبًا، نسبة متواضعة تبلغ 3 في المائة.

قارن ذلك بالرقم المقابل في مجتمعات ما قبل التاريخ - كانت النسبة هائلة وكانت تبلغ 15٪ - لتبدأ في التقاط الصورة. إن جمجمة النياندرتال المضروبة التي عثر عليها كريستوف زوليكوفر وزملاؤه في جنوب غرب فرنسا، إذا كنت تتذكر، ليست سوى قمة جبل الجليد.

إن الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن على الفور، بطبيعة الحال، حين يواجه المرء مثل هذه الأرقام أسئلة ذات شقين. أولًا، هل تتناسب هذه الأرقام مع فكرة أن المجتمع أصبح سيكوباتيًّا أكثر، وليس أقل؟ وثانيًا، إن كانت الإجابة هي أقل، ما الذي حدث في السنوات الفاصلة لتبقى حتى الآن، وبشكل مثير للدهشة، نبضاتنا القاتلة العنيفة؟

إذا تناولنا السؤال الأخير أولًا، فإن الإجابة الواضحة، أو على الأقل الإجابة التي ربما تخرج بسهولة من غالبية خزائن التفسير التي يقدمها الناس، هي القانون. عام 1651، في كتاب **اللفياثان**،[224] كان توماس هوبز هو أول من طرح الخلاف القائل بأنه

---

(224) - **اللفياثان** *Leviathan*: انظر هامشًا سابقًا (المترجم).

دون الضوابط التي تضعها الدولة من أعلى إلى أسفل، سوف نتحول إلى مجموعة من الهمج الوحشيين دونَ مجهودٍ يذكر. وهناك أكثر من بذرة من الحقيقة في مثل هذه الفكرة. لكن ستيفن بنكر يجادل من منظور أكثر من أسفل إلى أعلى، وعلى الرغم من أنه بالتأكيد لا ينكر أهمية القيود القانونية، فإنه يشير أيضًا إلى عملية تدريجية للنضج الثقافي والنفسي.

إنه يشير إلى أنه: «بدءًا من القرن الحادي عشر أو القرن الثاني عشر، والنضج في القرنين السابع عشر والثامن عشر، قام الأوروبيون بتثبيط دوافعهم بشكل متزايد، وتوقعوا العواقب طويلة المدى لأفعالهم، ووضعوا أفكار الآخرين ومشاعرهم في الاعتبار. إن ثقافة الشرف - الاستعداد للانتقام - قد أفسحت المجال لثقافة الكرامة - الاستعداد لسيطرة المرء على انفعالاته. وقد نشأت هذه المُثُل في تعليمات صريحة أعطاها وسطاء الثقافة للأرستقراطيين والنبلاء، مما سمح لهم لتمييز أنفسهم عن الأشرار والأوغاد. ولكن تم استيعاب هذه المثل بعد ذلك في التنشئة الاجتماعية للأطفال الأصغر والأصغر، حتى أصبحت طبيعة ثانية. وتتدرج المعايير أيضًا من الطبقات العليا إلى البرجوازية التي سعت إلى محاكاتها، ومنها إلى الطبقات الدنيا، لتصبح في النهاية جزءًا من الثقافة ككل».

إن هذا الكلام، من وجهة نظر تاريخية واجتماعية، منطقي تمامًا. ومع ذلك، تختفي في ملاحظات ستيفن بنكر بعض المبادئ الحاسمة مع بعض الآثار الأكثر مباشرة: تختفي مفاتيح اجتماعية بيولوجية دقيقة، إذا تم فحصها بمزيد من التفصيل، قد تساعد على تحقيق أمر بالغ الصعوبة في مفارقة ثقافية مثيرة للاهتمام وتحاول إلى حد ما الإجابة على السؤال الأول من السؤالين اللذين طرحناهما من قبل: إدراك أن مجتمعًا من ناحية يصبح أقل عنفًا على نحو متزايد، وأن مجتمعًا من ناحية أخرى على ما يبدو يصبح أكثر سيكوباتية.

ضع في اعتبارك، على سبيل المثال، في الشرح الرائع الذي قدمه ستيفن بنكر، أهمية

«الوسيط الثقافي» باعتباره قناة للتغيير الإيديولوجي. تقليديًّا، في سالف الأيام، كان هؤلاء الوسطاء عادة من رجال الدين. أو من الفلاسفة. أو من الشعراء. أو حتى من الملوك في بعض الحالات. ولكن اليوم، مع تزايد المجتمع العلماني أكثر من أي وقت مضى، ومع التوسع المتسارع بشدة في عالم افتراضي لا نهائي، أصبح هؤلاء الوسطاء من سلالة مختلفة تمامًا: من نجوم البوب والممثلين ووسائل الإعلام وألعاب الفيديو، الذين بدلًا من أن ينشروا إملاءات الكرامة، نقْبلهم الآن على مذبح السيكوباتية الإبداعية.

عليك فقط أن تقوم بتشغيل التلفزيون. في **عامل الخوف** على محطة إن بي سي[225] نرى المتسابقين المثيرين للاشمئزاز يلتهمون الديدان والحشرات. في **المبتدئ**[226] نسمع التحذير العرضي: «أنت مفصول». لم يكن **سيمون كويل**[227] معروفًا بالضبط بقدراته على المشي على قشر البيض، أليس كذلك؟ وأنا أرتجف حين أفكر فيها يحدث في بنطلون **آن روبنسون**[228] وهي تحدق في لاعبة خاسرة بنظرتها الفاحصة والمدققة والمعززة بعملية جراحية، وتعلن، مثل بعض المغنيات المهووسات: «أنت الحلقة الأضعف. إلى اللقاء».

لكن الانتقال الثقافي لسلالات معيارية من السلوك يشكل جانبًا واحدًا فقط من المعادلة الاجتماعية التي قدمها ستيفن بنكر. إن استيعابها في المجتمع باعتبارها قواعد تقليدية للسلوك، إلى أن «تصبح طبيعة ثانية» مسألة أخرى تمامًا.

---

(225) - عامل الخوف *Fear Factor*: عرض أمريكي جريء تم بثه أول مرة بين عام 2001 وعام 2006، عن نسخة هولندية وعرضته شركة الإذاعة الوطنية (إن بي سي NBC)، وهي شبكة إذاعية وتليفزيونية تجارية أمريكية ناطقة بالإنجليزية (المترجم).

(226) - **المبتدئ**: أو **ذا أبرينتايس** *The Apprentice* برنامج تلفزيون أمريكي واقعي، من تأليف المنتج الإنجليزي مارك بورنيت، بدأ عرضه في يناير 2004 على قناة هيئة الإذاعة الوطنية واستمر البرنامج 15 موسمًا وانتهى عرضه في سنة 2017، البرنامج يعرض قدرة الشبان على أن يصبحوا رجال أعمال محترفين وذلك من أجل أن يربحوا في النهاية مبلغ 250 ألف دولار أمريكي، وقدم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أول 14 موسمًا (المترجم).

(227) - سيمون كويل Simon Cowell (1959 -): مقدم برامج إنجليزي، ومنتج تلفزيوني، ورجل أعمال وهو مشهور في المملكة المتحدة والولايات المتحدة لدوره في منصب محكم المواهب في عروض تلفزيونية (المترجم).

(228) - آن روبنسون Ann Robinson (1944 -): مقدمة برامج تلفزيونية وصحافية إنجليزية. وهي معروفة بأسلوبها الفذ في تقديم العروض التلفزيونية الواقعية (المترجم).

لنتناول صناعة التمويل، على سبيل المثال. إن الجشع والفساد يتعديان دائمًا على هوامش الأعمال الكبرى – من الرابحين من الحرب الأهلية في الولايات المتحدة إلى فضائح التجارة الداخلية التي اشتعلت تحت سطح بريطانيا الرأسمالية في عصر مارجريت تاتشر في ثمانينيات القرن الماضي. ومع ذلك، يبدو أن الألفية الجديدة تبشر بموجة من إجرام الشركات لا مثيل لها. إن عمليات الاحتيال في الاستثمار وتضارب المصالح وهفوات الأحكام وتلك الحيل الحزبية الخارقة التي تتسم بروح المبادرة للاحتيال القديم الجيد والاختلاس توجد الآن بشكل لم يسبق لها مثيل. سواء في المدى أو في الحجم المالي.

يستشهد محللو حوكمة الشركات[229] بحشد من الأسباب بالنسبة لمناخ الأعمال الملوثة اليوم. الجشع، بالطبع – وهو العمود الفقري لمذهب جوردون جيكو[230] – واحد من هذه الأسباب. ولكن أيضا في مزيج مّا يسمّى محاسبة العصابات.[231] مع توقعات بورصة وول ستريت وبورصة لندن للأرباح استمرت المكاسب وزادت سرعة الأعمال وتعقيدها بشكل كبير، صار التحايل على القواعد والتعتيم مطلوبين فجأة.

يلاحظ سيث توب،[232] محامي التقاضي التجاري البارز: «مع الأوراق المالية الأكثر تعقيدًا والممارسات المحاسبية والمعاملات التجارية، من السهل جدًا إخفاء عمليّات التّحيّل».

---

(229) - حوكمة الشركات Corporate-governance: القوانين والمعايير التي تحدد العلاقة بين إدارة الشركة من ناحية وحملة الأسهم وأصحاب المصالح أو الأطراف المرتبطة بالشركة من ناحية أخرى (المترجم).

(230) - مذهب جوردون جيكو Gordon Gekkoism: وجوردون جيكو شخصية مركّبة في فيلم **وول ستريت** (1987) وتكملته **وول ستريت: المال لا ينام** (2010)، وكلاهما من إخراج أوليفر ستون. قام بدور جيكو مايكل دوجلاس، الذي فاز عن دوره في الفيلم الأول بجائزة أوسكار لأفضل ممثل (المترجم).

(231) - محاسبة العصابات guerrilla accounting: أو تسويق العصابات Guerrilla marketing، أسلوب تسويقي مبتكر تستخدم فيه الشركة تفاعلات مفاجئة و / أو غير تقليدية من أجل الترويج لمنتج أو خدمة (المترجم).

(232) - سيث توب Seth Taube: محام أمريكي بارز تخرج في كلية حقوق ن. كاردوزو في جامعة يشيفا في نيويورك في عام 1979 ويمارس العمل منذ عام 1980، وقد اختير ضمن قائمة المحامين المميزين من عام 2006 إلى عام 2020 (المترجم).

كلايف ر. بودي، وهو بروفيسور سابق في كلية الأعمال في نوتنجهام، يقول ذلك بصراحة تامة - وفي عدد صدر مؤخرًا من **مجلة أخلاقيات العمل**،[233] يؤكد أن الأشخاص السيكوباتيين، بوضوح وبساطة، هم أصل المشكلة كلها. ويوضح كلايف بودي، في لغة تذكرنا إلى حد ما بتلك التي استخدمها بوب هير وبول بابياك في الفصل السابق، أن الأشخاص السيكوباتيين يستفيدون من «الطبيعة الفوضوية نسبيًّا للشركات الحديثة»، بما في ذلك «التغير السريع والتجديد المستمر» وارتفاع معدل تغيير «الموظفين الرئيسيين» - وهي ظروف لا تسمح لهم فقط بشق طريقهم، من خلال مزيج من «الكاريزما الشخصية المنفتحة والسحر»، إلى المكاتب الرئيسية للمؤسسات المالية الكبرى، ولكن ذلك أيضًا يجعل «سلوكهم غير مرئي»، وحتى الأسوأ من ذلك، يجعلهم «يدون طبيعيين وحتى قادة مثاليين».

بالطبع، بمجرد أن تكون في الموقع، يكون أشباه أتيلا[234] في هذه الشركات، وفقًا لتحليل بودي، «قادرين على التأثير على المناخ الأخلاقي للمنظمة بأكملها» ويتمتعون «بقوة كبيرة».

ويختم بلائحة اتهام. ويخلص إلى أن الأشخاص السيكوباتيين هم الملومون على الأزمة المالية العالمية، لأن «سعيهم الدؤوب لإثراء أنفسهم وتعظيم ذواتهم باستبعاد جميع الاعتبارات الأخرى أدى إلى التخلي عن المفهوم القديم عن الالتزام بالنبل والمساواة والإنصاف، أو أي مفهوم حقيقي بشأن المسئولية الاجتماعية للشركات».

لا يوجد إنكار بأن ستيفن بنكر ربما يكون قد قدم بعض المعلومات المفيدة.

---

(233) - كلايف ر. بودي Clive R. Boddy: بروفيسور القيادة وتنظيم السلوك، يهتم بدراسة القيادة السامة: السيكوباتيين في الشركات، والمكيافيليين والنرجسيين. وتأثيرهم على الأعمال والمجتمع. **مجلة أخلاقيات العمل** *Journal of Business Ethics*: مجلة أكاديمية تغطي الجوانب المنهجية والتأديبية للقضايا الأخلاقية الخاصة بالعمل، بما في ذلك أنظمة الإنتاج والاستهلاك والتسويق والإعلان والمحاسبة الاجتماعية والاقتصادية وعلاقات العمل، العلاقات العامة والسلوك التنظيمي، تصدر منذ عام 1982 بمعدل 28 عددًا تقريبًا في السنة (المترجم).

(234) - أتيلا الهوني Attilas (395 - 453): آخر حكام الهون وأقواهم وأسس في إقليم روسيا وأوروبا إمبراطورية كبيرة الاتساع، عاصمتها فيما يسمى المجر اليوم. امتدت إمبراطوريته من نهر الفولغا شرقا وحتى غرب ألمانيا غربا، وقد دمر أجزاء واسعة من الإمبراطورية الرومانية (المترجم).

ومن ناحية أخرى، ومع ذلك، هناك مجتمع بشكل عام، كما يعلن تشارلز إلسون،[235] رئيس مركز وينبرج لحوكمة الشركات في جامعة ديلاوير - الذي يقترح أنه بدلًا من إلقاء اللوم فقط على باب القطط السمان للشركات، يجب، بدلًا من ذلك، أن يتم أيضًا تثبيت ثقافة المخالفات الأخلاقية، التي تمتد فيها الحقيقة على مجموعة من المصالح الذاتية الجريئة، وتعتيم الحدود الأخلاقية بشكل يتجاوز أي شيء عن الاهتمام برسم الحدود بشكل يرتبط بالضمير.

كانت نقطة التحول، في رأي إلسون، علاقة الرئيس كلينتون مع مونيكا لوينسكي، وحقيقة أن إدارته وعائلته و (إلى حد كبير) إرثه بقي على حاله نسبيًّا في أعقاب ذلك. ليكن ما يكون، يستمر الشرف والثقة في الترنح في أماكن أخرى. تتعرض الشرطة لانتقادات بسبب العنصرية المؤسسية. وتتعرض الرياضة لانتقادات بسبب الاستخدام الواسع النطاق للأدوية المنشطة. والكنيسة الكاثوليكية تتعرض لانتقادات بسبب الاعتداء الجنسي على القاصرين.

وقد ساهم القانون نفسه في الأمر. في محاكمة اختطاف **إليزابيث سمارت** Elizabeth Smart في **سولت ليك سيتي** Salt Lake City، حث المحامي الذي يمثل بريان ديفيد ميتشل – واعظ المشرّدين في الشوارع والنبي الذي أعلن نبوته بنفسه والذي اختطف واغتصب إليزابيث البالغة من العمر أربعة عشر عامًا وأبقاها في الأسر لمدة تسعة أشهر (وفقًا لشهادة إليزابيث سمارت كان يغتصبها كل يوم تقريبًا خلال تلك الفترة، بالمناسبة) - حث القاضي الذي أصدر الحكم على أن يتساهل مع موكله، على أساس أن «السيدة إليزابيث سمارت تغلبت على الأمر. ونجت منه. وانتصرت عليه».

حين يبدأ المحامون في عزف هذا النوع من الأنغام، يمكن أن ينتهي الرقص في أي مكان.

---

(235) - تشارلز ماير إلسون Charles Elson (1959 -): وهو يعمل حاليًا في مجلس إدارة Encompass Health بالإضافة إلى عمله في الجامعة (المترجم).

جيل أنا:[236]

لقد أخبرت ستيفن بنكر، خلال الغداء في نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة هارفارد، بأن لدينا لغزًا إلى حد ما في أيدينا. لدينا من ناحية أدلة على أن المجتمع أصبح أقل عنفًا، بينما من ناحية أخرى هناك أدلة على أنه يصبح أكثر سيكوباتية.

إنه يثير نقطة جيدة. يرد: «حسنا. دعنا نفترض أن المجتمع أصبح أكثر سيكوباتية. وهذا لا يعني بالضرورة أنه سيكون هناك تصاعد في العنف. إن غالبية الأشخاص السيكوباتيين، بقدر ما أفهم ذلك، لا يتسمون، في الواقع، بالعنف. إنهم يتسببون في ألم انفعالي في الغالب، وليس في ألم جسدي . . .».

بالطبع، إذا بدأت الشخصية السيكوباتية بالفعل في الحصول على موطئ قدم، فقد نشهد زيادة طفيفة في العنف مقارنة بما كان من الممكن أن نشاهده، قبل أربعين أو خمسين عامًا مثلًا. ولكن من المرجح أن نبدأ في اكتشاف اختلاف في نمط ذلك العنف. قد يصبح، على سبيل المثال، أكثر عشوائية. أو أكثر ذرائعية.

أعتقد أن المجتمع لا بد أن يصبح سيكوباتيًا للغاية بالفعل حتى نبدأ في الارتقاء إلى المستوى الذي كنا عليه، والعصور الوسطى مثال على ذلكَ. ومن وجهة نظر عملية بحتة، لا يمكن تحقيق هذا المستوى من الظهور.

«لن يدهشني على الإطلاق أن أجد أن التقلبات الدقيقة في أسلوب الشخصية أو أسلوب التعامل مع الآخرين كان يحدث على مدى العقود القليلة الماضية. لكن أعراف الحضارة الحديثة وآدابها متأصلة بعمق فينا، ومغروسة في أعماق طبيعتنا بشكل أفضل، بحيث لا يمكن تخريبها بالتأرجح، أو ما هو أكثر احتمالًا، بدفعة إلى الجانب

---

(236) - جيل أنا Generation Me: جيل "أنا" هو مصطلح يشير إلى جيل طفرة المواليد في الولايات المتحدة. وقد أطلق الكاتب توم وولف على السبعينيات من القرن الماضي وصف "عقدي أنا". وكان كريستوفر لاش قد علق على ظهور ثقافة النرجسية بين جيل الشباب في تلك الحقبة. استحوذت العبارة على عامة الناس ، في وقت أصبح فيه "تحقيق الذات" يمثل تطلعًا ثقافيًا يُفترض أن الشباب يعلقون عليها أهمية أكبر من تلك التي يعلقونها على المسؤولية الاجتماعية (المترجم).

المظلم».

إن ستيفن بنكر محق بشأن أن الشخصية السيكوباتية لا يمكن استمرارها بهذا المعدل على المدى الطويل. إنها، كما رأينا بمساعدة نظرية اللعب في الفصل السابق، ليست أمامها فرصة كبيرة للنجاح بيولوجيًّا. كما أن ستيفن بنكر محق بشأن التغييرات في الدافع للعنف. في دراسة حديثة أجراها مركز الجريمة والعدالة في كلية الملك في لندن،[237] سُئل 120 لصًّا من لصوص الشوارع المدانين، بكل بساطة، لماذا فعلوا ذلك. كشفت إجاباتهم الكثير عن الحياة الحديثة في الشوارع البريطانية. ركلات. اندفاعات وليدة اللحظة. المكانة. والمكاسب المالية. إنها بهذه الصورة مرتبة حسب الأهمية بالضبط، وبالتّحديد هي نوع الأنماط السلوكية العرضية القاسية التي يراها المرء غالبًا في الأشخاص السيكوباتيين.

فهل نشهد صعود أقلية شبه سيكوباتية لا يوجد مجتمع بالنسبة إليهم؟ سلالة جديدة من أفراد بمفهوم ضئيل أو معدوم عن المعايير الاجتماعية، ولا يعرفون احترامًا لمشاعر الآخرين، ولا ينظرون إلى عواقب أعمالهم؟ هل يمكن أن يكون ستيفن بنكر محقًّا بشأن تلك التقلبات الدقيقة في بنية الشخصية الحديثة - والاندفاع الشنيع إلى الجانب المظلم؟ إذا وضعنا نتائج الدراسة الأخيرة التي أجرتها ساره كونراث[238] وفريقها في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة متشجن في خبرتنا، فإن الإجابة عن هذه الأسئلة تكون بنعم.

في دراسة استقصت حتى الآن أربعة عشر ألف متطوع، وجدت ساره كونراث أن

---

(237) - مركز الجريمة والعدالة Crime and Justice Centre: مركز دراسات الجريمة والعدالة (CCJS) هو مؤسسة خيرية مقرها في المملكة المتحدة تركز على الجريمة ونظام العدالة الجنائية. تأسس المركز عام 1931. وكانت كلية الملك King's College في لندن، وهي جامعة بحثية عامة. تستضيفه حتى عام 2010 وهو الآن تابع للمركز الدولي للبحوث الإجرامية المقارنة في الجامعة المفتوحة (المترجم).

(238) - ساره كونراث Sara Konrath: أستاذة مشاركة في الدراسات الخيرية بكلية ليلي العائلية بجامعة إنديانا. حصلت على الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي من جامعة متشجن في عام 2007. وهي مديرة البرنامج متعدد التخصصات حول التعاطف وبحوث الإيثار، وهو معمل بحثي يركز على الدوافع والصفات والسلوكيات ذات الصلة بالعطاء الخيري والتطوع والسلوكيات الاجتماعية الأخرى (المترجم).

مستويات التعاطف بالتقرير الذاتي لطلاب الجامعات (كما تم قياسها بواسطة مؤشر التفاعل بين الأشخاص)[239] كانت في الواقع في انخفاض مطرد على مدى العقود الثلاثة الماضية - منذ بداية المقياس، في الواقع، عام 1979 - وأن التراجع الكبير بشكل خاص لوحظ على مدى السنوات العشر الماضية.

«إنّ طلاب الجامعات اليوم أقل بحوالي 40 في المائة فيما يتعلق بالتعاطف مقارنة بنظرائهم قبل عشرين عامًا أو ثلاثين عامًا»، وفقًا لتقرير ساره كونراث.

الأمر الأكثر إثارة للقلق، وفقًا لجان تونجي،[240] وهي أستاذة علم النفس في جامعة ولاية سان دييجو، أنه خلال هذه الفترة نفسها، ذهبت مستويات النرجسية المبلغ عنها ذاتيًّا للطلاب، في المقابل، في الاتجاه الآخر. لقد ارتفعت بشكل هائل وتجاوزت كل الحدود.

وتتابع ساره كونراث: «يرى كثير من الناس المجموعة الحالية من طلاب الجامعات، والتي يطلق عليها أحيانًا اسم «جيل أنا» باعتبارها واحدة من أكثر المجموعات نرجسية وتنافسية وثقة وفردية في التاريخ الحديث».

ليس من المستغرب إذن أن القائد السابق للقوات المسلحة البريطانية، اللورد دانات،[241] قد دافع مؤخرًا عن فكرة أن يخضع المجندون «للتعليم الأخلاقي» باعتباره جزءًا من تدريبهم الأساسي، لأن الكثيرين منهم يفتقرون إلى نظام للقيم الجوهرية الأساسية.

يوضح دانات: «لم يعد الناس يتعرضون للقيم التقليدية بالطريقة نفسها التي كانت

---

(239) - إن مؤشر التفاعل بين الأشخاص Interpersonal Reactivity Index (IRI) هو استبيان موحد يحتوي على عناصر مثل "غالبًا ما يكون لدي مشاعر ود وقلق بالنسبة إلى الأشخاص الأقل حظًا مني" و "أحاول النظر إلى وجهة نظر الجميع في خلاف ما قبل أن أتخذ قرارًا" (المؤلف).

(240) - جان تونجي Jean Twenge (1971 -): أستاذة أمريكية في علم النفس في جامعة سان دييجو الحكومية، تبحث في الفروق بين الأجيال، بما في ذلك قيم العمل وأهداف الحياة وسرعة التطور. وهي ومؤلفة ومستشارة ومتحدثة عامة (المترجم).

(241) - اللورد دانات Lord Dannatt (1951 -): ضابط متقاعد كبير في الجيش البريطاني وعضو في مجلس اللوردات. كان رئيس هيئة الأركان العامة من عام 2006 حتى عام 2009 (المترجم).

الأجيال السابقة تتعرض لتلك القيم، ومن ثم نشعر بأن من المهم أن يكون لدى الناس حد أدنى من الأخلاق».

زجّوا بهم في الجيش، هكذا كانوا يقولون عن الجانحين. لم يعد يقال ذلك الآن. لقد حصل الجيش على ما يكفي منهم بالفعل.

ليس من الواضح تمامًا سبب حدوث هذا التدهور في القيم الاجتماعية. إن سلسلة معقدة من البيئة، ونماذج القدوة، والتعليم، كالعادة، تنتقل من شخص إلى آخر. لكن هناك بدايات إجابة أكثر جوهرية قد تكمن في دراسة أخرى أجراها جيفري زكس[242] وفريقه في مختبر الإدراك الديناميكي، في جامعة واشنطن في سانت لويس.

بمساعدة التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، أطل جيفري زكس وزملاؤه بعمق داخل أدمغة مجموعة من المتطوعين وهم يقرأون القصص. قدّمت الأشياء التي وجدوها نظرة ثاقبة عن الطريقة التي يبني بها دماغنا إحساسنا بالذات. لقد ارتبطت التغييرات في مواقع الشخصيات (على سبيل المثال، «خرجت من المنزل إلى الشارع») بزيادة النشاط في مناطق الفصين الصدغيين المرتبطين بالتوجه المكاني والإدراك، بينما أدت التغييرات في الأشياء التي تفاعلت معها الشخصية (على سبيل المثال، «التقطت قلم رصاص») إلى زيادة مماثلة في منطقة الفصين الجبهيين المعروفين بأنها مهمان للتحكم في حركات الإمساك. والأهم من ذلك كله، أن التغييرات في هدف الشخصية أدت إلى زيادة النشاط في مناطق القشرة الجبهية الأمامية Prefrontal Cortex، التي تؤدي إصابتها بتلف إلى تدهور في المعرفة بنظام العمل المخطط المتعمد وبنيته.

إن التخيل، على ما يبدو، **يجعلها** كذلك بالفعل. كلما قرأنا قصة، يكون مستوى ارتباطنا بها بمثابة «محاكاة ذهنية لكل حالة جديدة نواجهها في السرد»، ووفقًا لدراسة

---

(242) - جيفري زكس Jeffrey Zacks: أستاذ علم النفس وعلوم الدماغ والأشعة ، جامعة واشنطن (المترجم).

الباحثة الرائدة نيكول سبير.[243] ثم تتمازج أدمغتنا مع هذه المواقف التي واجهتها مؤخرًا بالمعرفة والخبرة المستقاة من حياتنا الخاصة، لإنشاء فسيفساء عضوية لتوليفات ذهنية ديناميكية.

إن قراءة كتاب تنحت صنفًا من المسارات العصبية الجديدة في الطبقة السفلى من القشرة القديمة في أدمغتنا. إن قراءته تغير الطريقة التي نرى بها العالم. تجعلنا، كما يعبر نيكولاس كار[244] في مقاله الأخير بعنوان «أحلام القراء»: «أكثر انتباهًا للحياة الداخلية للآخرين». نصبح مصاصي دماء دون أن نُلدَغ – بعبارة أخرى، نصبح أكثر تعاطفًا. الكتب تجعلنا نرى بطريقة لا يحققها الانغماس العرضي في الإنترنت، والعالم الافتراضي السريع الذي توفره.[245]

مذنب لكنه ليس ملومًا:

مرة أخرى في مونتريال، أنا وبوب هير نتناول الويسكي مرة أخرى. فيما يتعلق بموضوع التعاطف وتبني وجهات النظر، كنا نتحدث عن ظهور قانون علم الأعصاب،[246] وهو تخصص فرعي متنام يولد من الاهتمام المتزايد الذي توليه المحاكم الآن لعلم الأعصاب الحديث.

نُشرت دراسة مثّلت نقطة تحول عام 2002، ووجدت أن تعدد الأشكال الوظيفية في

---

(243) - نيكول سبير Nicole Speer: مدير خدمات البحوث في جامعة كولورادو بولدر Colorado Boulder، في الولايات المتحدة؛ جمعية Intermountain للتصوير العصبي (المترجم).

(244) - نيكولاس ج. كار Nicholas Carr (1959 -): كاتب أمريكي، له كتب ومقالات عديدة في مجالات التقنية والأعمال والثقافة، له كتاب مهم عن تأثير الإنترنت على أدمغة البشر (المترجم).

(245) - وفقًا لمسح في عام 2011 أجرته الجمعية الخيرية في المملكة المتحدة، الصندوق الوطني لمحو الأمية National Literacy Trust، لا يملك طفل من كل ثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين الحادية عشرة والسادسة عشرة كتابًا، مقارنة بواحد من كل عشرة في عام 2005. وهذا يساوي، في بريطانيا اليوم، ما مجموعه حوالي 4 ملايين. إن ما يقرب من خمس الثمانية عشر ألف طفل الذين شملهم الاستطلاع لم يتلقوا كتابًا كهدية. وقال 12 في المائة إنهم لم يذهبوا قط إلى مكتبة لبيع الكتب (المؤلف).

(246) - قانون علم الأعصاب neurolaw: مجال متعدد التخصصات، نشأ منذ عام 1990، يربط الدماغ بالقانون ويستكشف آثار الاكتشافات في علم الأعصاب على القواعد والمعايير القانونية، ويسهل المسار إلى فهم أفضل للسلوك البشري من أجل تنظيمه بدقة من خلال دمج إنجازات علم الأعصاب في الدراسات القانونية (المترجم).

جين التمثيل الغذائي للناقلات العصبية يتنبأ بالسلوك السيكوباتي لدى الرجال الذين تعرضوا لسوء المعاملة حين كانوا أطفالًا. يتحكم الجين المعني – الذي تسميه وسائل الإعلام، هو موضح سابقًا، «الجين المحارب» - في إنتاج إنزيم يسمى **أوكسيد أحادي الأمين أ** (MAOA)، وقد تم ربط مستوياته المنخفضة سابقًا بالسلوك العدواني في الفئران.

لكن أفشالوم كاسبي وتيري موفيت[247] من معهد الطب النفسي، كلية الملك في لندن، قد دفعا الأمر إلى مستويات أبعد بكثير. في دراسة رائدة، قيّمت الأطفال خلال فترة المراهقة إلى مرحلة البلوغ، اكتشفا نمطًا مشابهًا في البشر. إن الأولاد الذين يتعرضون للإساءة أو الإهمال، والذين لديهم نوع من الجين الذي يرمز إلى مستويات منخفضة من أوكسيد أحادي الأمين أ (MAOA)، في خطر متزايد، مع تقدمهم في السن، للتحول إلى أشخاص سيكوباتيين يتسمون بالعنف. من ناحية أخرى، إن أولئك الذين يأتون من خلفية مختلة وظيفيًّا بشكل مشابه، لكنهم ينتجون كمية أكبر من الإنزيم، نادرًا ما يصابون بمثل هذه المشاكل.

وقد انتشرت آثار الاكتشاف في قاعات المحاكم، ويمكن أن تعيد كتابة القواعد الأساسية للجريمة والعقاب بالكامل. سواء كنا «طيبين» أو «أشرارًا» فإن السبب يكمن جزئيًّا في جيناتنا وجزئيًّا في بيئتنا.

ولكن بما أننا لا نختار أيضًا، فهل لنا الحرية في الاختيار عمومًا؟

عام 2006، قام **ويلي ريتشاردسون** Wylie Richardson، **محامي برادلي والدروب** Bradley Waldroup، باستدعاء البروفيسور **وليم برنت** William Bernet، وهو طبيب نفسي شرعي من جامعة فاندربيلت في ناشفيل بولاية تينيسي، إلى منصة الشهود.

---

(247) - أفشالوم كاسبي Avshalom Caspi (1960 -): عالم نفس أمريكي إسرائيلي من مواليد القدس. تيري موفيت Terrie Moffitt (1955 -): عالمة نفس إكلينيكية أمريكية من أصول ألمانية اشتهرت بأبحاثها الرائدة حول تطور السلوك المعادي للمجتمع وتعاونها مع زميلها وشريكها أفشالوم كاسبي في الأبحاث حول التفاعلات بين البيئة الجينية في الاضطرابات العقلية (المترجم).

كانت هناك مهمة صعبة في انتظار وليم برنت.

كان برادلي والدروب متهمًا بارتكاب واحدة من أكثر الجرائم وحشية وشناعة في تاريخ ولاية تينيسي. بعد زيارة من زوجته المنفصلة عنه وأطفالهما الأربعة وصديقة زوجته المنفصلة عنه إلى بيته في مقطورة، «فجأة قرر» فالدروب، بتعبيره الخاص، والتقط بندقيته عيار 22، وشرع في حفر ثمانية ثقوب قطعية في ظهر صديقة زوجته، ثم قطع رأسها بمنجل. وتحول بالمنجل إلى زوجته، ثم قطع إصبعها، ثم طعنها وهاجمها مرارًا وتكرارًا قبل أن يغير الأداة ويضربها بلا معنى بمجرفة.

نجت زوجته بأعجوبة. لكن صديقتها لم تنجُ للأسف. مما يعني أن برادلي والدروب، إذا ثبتت إدانته، سوف يواجه عقوبة الإعدام.

كان لدى ويلي ريتشاردسون أفكار أخرى. سأل برنت: «هل هذا صحيح، أن المتهم لديه نوع من الجين الذي يرمز لمستويات منخفضة من أوكسيديز أحادي الأمين أ (MAOA؟)».

رد وليم برنت: «نعم».

وتابع ويلي ريتشاردسون: «هل صحيح أيضًا أنه تعرض للضرب المبرح من قبل والديه حين كان طفلًا؟».

رد وليم برنت: «نعم».

استمر ويلي ريتشاردسون: «إلى أي مدى يكون الرجل الذي يقف أمامك مسئولًا مسؤولية كاملة عن أفعاله؟ إلى أي مدى تآكلت إرادته الحرة بسبب استعداده الجيني؟».

لقد كان سؤالًا رائدًا - خاصة بالنسبة إلى برادلي والدروب، الذي كان وجوده الحقيقي، اعتمادًا على النتيجة، معلقًا في خطر.

وحصل ويلي ريتشاردسون على رد رائد بالقدر نفسه. وكان ردًّا كافيا، في اعتقاد

المحكمة، لإعفائه من تهمة القتل من الدرجة الأولى وإدانته بالقتل غير العمد. وكان كافيًا، كما اتضح، لأن يصنع تاريخًا. إن علم الجينوم السلوكي قد خفف حكمًا مؤكدًا بالإعدام لولا تدخله.

تم طرح موضوع قانون علم الأعصاب في سياق مناقشة أوسع حول مجال علم الأعصاب الثقافي:[248] دراسة كيفية تشكيل القيم المجتمعية والممارسات والمعتقدات وتشكيلها للعمليات الجينومية والعصبية والنفسية عبر نطاقات زمنية وثقافات متعددة وتشكلها بهذه العمليات. وقد تساءلْتُ، إذا كان المجتمع يتحول إلى السيكوباتية بشكل متزايد، فهل كان هناك بالفعل جين يعمل على زيادة عدد الأشخاص السيكوباتيين؟ أم أن الأمر أيضًا، كما أوضح ستيفن بنكر في مناقشة «ثقافة الكرامة»، أن العادات والأعراف أصبحت ذات صبغة اجتماعية أكثر حتى انتهى الأمر بأن أصبحت طبيعة ثانية؟

يقترح بوب هير أنه من المحتمل أن يكون الأمران كلاهما إلى حد ما: إن الأشخاص السيكوباتيين، في الوقت الحالي، يحققون بعض النجاح، وكلما زاد عددهم، أصبح سلوكهم معياريًا. ويشير بوب هير إلى ظهور علم التخلق[249] – وهو فرع جديد تمامًا متفرع من علم الوراثة السائد، وهو ينظر، ببساطة، في التغييرات في النشاط الجيني، التغيرات التي لا تنطوي بالفعل على تغييرات بنيوية في الشفرة الوراثية في حد ذاتها، ولكنها تظل تمر في الأجيال المتعاقبة. إن هذه الأنماط من التعبير الجيني تحكمها «مفاتيح» صغيرة توضع فوق الجينوم، ومن خلال العبث بهذه المفاتيح، بدلًا من إعادة التوصيل الداخلي المعقد، يمكن للعوامل البيئية مثل النظام الغذائي والإجهاد وحتى

---

(248) - علم الأعصاب الثقافي cultural neuroscience: مجال من البحوث التي تركز على الترابط بين البيئة الثقافية للإنسان والأنظمة العصبية البيولوجية. يدمج هذا المجال بشكل خاص الأفكار والآراء من المجالات ذات الصلة مثل الأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الأعصاب الإدراكي لدراسة التأثيرات الاجتماعية والثقافية على سلوكيات الإنسان (المترجم).

(249) - علم التخلق epigenetics: (علم الوراثة غير الجيني، أو فوق الجيني) دراسة التغيرات في الكائنات الحية الناتجة عن تعديل التعبير الجيني بدلًا من تغيير الشفرة الجينية نفسها (المترجم).

التغذية قبل الولادة أن يكون لها كلمتها – يمكن، مثل الأرواح الشريرة البيولوجية المؤذية، أن تشغِّل جيناتك أو توقف تشغيلها، وأن تجعل وجودها محسوسًا في غرف الأجداد الموروثة منذ فترة طويلة من أصحابها الأصليين الذين يحتلونها.

يحدثني بوب هير عن دراسة أجريت في السويد في ثمانينيات القرن العشرين. في النصف الأول من القرن التاسع عشر، عانت منطقة نائية في شمال البلاد، أوفركليكس،[250] من سلسلة من مواسم الحصاد السيئة الفقيرة التي لا يمكن التنبؤ بها. كانت سنوات من المجاعة تتخللها سنوات تتحقق فيها الوفرة بشكل كبير.

عند فحص البيانات من الأرشيفات الزراعية الدقيقة ثم مقارنتها ببيانات السجلات الصحية الوطنية اللاحقة، اكتشف العلماء شيئًا لافتًا حقًّا: نمطًا وراثيًّا وبائيًّا قلب علم الوراثة رأسًا على عقب. تبين أن أبناء الرجال الذين تزامنت سنهم في سن البلوغ[251] مع وقت المجاعة، وأحفاد هؤلاء الرجال، قل لديهم خطر الموت بسبب أمراض القلب والأوعية الدموية (مثل السكتة الدماغية أو ارتفاع ضغط الدم أو مشاكل الشريان التاجي). ومع ذلك، من ناحية أخرى، تبين أن أبناء الرجال الذين تزامنت لديهم مرحلة ما قبل البلوغ مع الحصاد الوفير، وأحفاد هؤلاء الرجال، على النقيض من ذلك، كانوا عرضة لخطر متزايد من الإصابة بالأمراض المرتبطة بمرض السكري.

كان أمرًا لا يصدق. من خلال عدم وجود وكالة مباشرة خاصة بهم، فإن الأجيال المتعاقبة من الأبناء والأحفاد حددت مستقبل القلب والأوعية الدموية والغدد الصماء لديهم المتطلباتُ البيئية العشوائية في زمن الأجداد الذي مضى منذ فترة طويلة. حتى قبل أن يولدوا.

---

(250) - أوفركليكس Överkalix: بلدية في محافظة نوربوتن Norrbotten، في السويد (المترجم).

(251) - وبشكل أكثر تحديدًا، فترة النمو البطيء Slow Growth Period (SGP) - وهي الفترة التي تسبق بداية البلوغ مباشرةً، حين يكون للعوامل البيئية تأثير أكبر على الجسم. بالنسبة إلى الأولاد، عادة ما تقع هذه الفترة الزمنية الحرجة بين سن التاسعة والثانية عشرة (المؤلف).

أصدق أذنيَّ بالكاد.

وأسأل، في محاولة لجمع كل شيء معًا – ستيفن بنكر ووسطائه الثقافيين، وبودي ورفاقه من أشباه أتيلا، وجميع ظروف **علم التخلق** (epigenetics shebang) «إذن هل هذا ممكن، إن الأشخاص السيكوباتيين قد خاطروا برمي النرد، وأنه بمرور الوقت، صار المزيد والمزيد منا الآن يخاطرون برميه معهم؟»

ويأتي بوب هير بمفاجأتين أخريين.

يقول: «ليس هذا فقط. ولكن، مع مرور الوقت، كما تقول، **إذا بدأت يد علم التخلُّق** بالتدخُّل من وراء الكواليس، فسوف تبدأ قطع النرد محملة أكثر فأكثر. لا شك في أن هناك عناصر في الشخصية السيكوباتية مناسبة بشكل مثالي للوصول إلى القمة. وبمجرد الوصول إلى هناك، بالطبع، يمكن لمن وصلوا أن يبدأوا في استدعاء النغمة التي تناسب الآخرين من مجموعتهم للرقص عليها . . . انظر إلى ما يحدث في وول ستريت، على سبيل المثال . . . إن النغمة تأتي من أعلى إلى أسفل. ولكن، حين تستقر الأمور، فإنها تمكن أولئك الأكثر استعدادًا من التعامل مع مثل هذه البيئة، في المستويات الدنيا من الإدارة، للبدء في شق طريقهم . . .

كان هناك كاتب في الستينيات، اسمه **آلان هارينجتون**،[252] اعتقدَ أن **السيكوباتي هو الخطوة التالية في التطور**. الحيلة التالية التي ينتقيها الانتقاء الطبيعي من جعبته والمجتمع يصبح أسرع وأكثر مرونة. ربما كان على حق؟ لا توجد طريقة لمعرفة ذلك الآن. ولكن هناك بالتأكيد بعض الأعمال المثيرة للاهتمام التي يتم إجراؤها في مختبرات علم الوراثة في الوقت الحالي.

هل أخبرتك عن [هذا] البحث الذي يظهر أن الأشخاص الذين لديهم مستويات

---

(252) - آلان هارينجتون Alan Harrington (1919 – 1997): روائي أمريكي (المترجم).

عالية من هرمون التستوستيرون، والأليل[253] الطويلة على جيناتهم الناقلة للسيروتونين، يظهرون استجابة من لوزة الدماغ المقموعة عند مواجهة تهديدات الهيمنة الاجتماعية؟

«هذا هو الجين السيكوباتي المحتمل بالنسبة إليك. يكون لديك عدوانية شديدة وخوف منخفض يتحدان معًا . . . »

عينا جاري جيلمور:[254]

ألقي نظرة على ساعتي. إنها بعد التاسعة بقليل والبار ممتلئ. باعتبارها خلفية مسلية، تعزف فرقة أدفرتس «عينا جاري جيلمور» - وهي أغنية قصيرة من موسيقى ما بعد البانك من الماضي القريب حيث يتأمل المغني ما قد يود أن يراه من خلال هاتين العينين. إنه سؤال مثير للاهتمام - يعرف شخص ما إجابته. بعد إعدامه، طلب جيلمور الاستفادة من عينيه في زراعة الأعضاء. في غضون ساعات من وفاة جيلمور، واستجابة لرغباته، تلقى شخصان قرنيته.

إن جاري جيلمور، بطبيعة الحال، هو واحد من السيكوباتيين الكبار في تاريخ الإجرام - واحد من تلك السلالة الفرعية النادرة مع تشغيل جميع الأقراص على وحدة الدمج[255] التي وصلت إلى الحد الأقصى. في يناير من عام 1977، أعدِمَ بائع الأحذية السابق فرقة إطلاق النار في بلدة درابر، في ولاية يوتا،[256] وهي بلدة صغيرة لم تكن لتلفت الانتباه لولا هذه الحادثة. في يوليو السابق، في محطة بنزين على بعد بضعة أميال من الطريق، أطلق النار على شخص لأسباب لم يكن متأكدًا منها تمامًا - ثم

---

(253) - الأليل allele: شكل من شكلين أو أكثر من الأشكال البديلة للجين التي تنشأ عن طريق الطفرة وتوجد في المكان نفسه على الكروموسوم (المترجم).

(254) - عينا جاري جيلمور Gary Gilmore's Eyes: أغنية حققت شهرة كبيرة في سبعينيات القرن العشرين وقد وصلت إلى المرتبة الأولى في عام 1977، وكانت تغنيها فرقة أدفرتس Adverts، وهي فرقة بانك روك punk rock، والأغنية من موسيقى ما بعد البانك post-punk، وكانت تعرف في الأصل باسم الموسيقى الجديدة new musick، وقد ظهرت في سبعينيات القرن الماضي. وجاري جيلمور (1940 – 1977) مجرم أمريكي أعدم رميًا بالرصاص (المترجم).

(255) - عن الأقراص dials ووحدة الدمج mixing deck، انظر هامشًا سابقًا للمترجم (المترجم)

(256) - يوتا Utah: ولاية تقع في غرب الولايات المتحدة الأمريكية (المترجم).

ذهب لمشاهدة فيلم مع صديقته. في اليوم التالي، مرة أخرى، أطلق النار على رأس كاتب في فندق صغير.

بعد ستة أشهر، بعد مأدبة أخيرة من الهامبرجر والبيض والبطاطس، كان يتلقى العقاب في سجن ولاية يوتا. كان هناك خمسة من فرقة إطلاق النار. شد مأمور السجن الأشرطة الجلدية حول رأس جيلمور وصدره وثبت قطعة دائرية من القماش على قلبه. ثم انسحب من غرفة الإعدام وضغط وجهه أمام الزجاج البارد والواضح من جناح المراقبة.

لم تكن هناك معجزات يمكن أن تنقذ جيلمور أو تؤجل تنفيذ الحكم في اللحظة الأخيرة. ولم تكن المعجزات ولا التأجيلات كلها شائعة في بلدة درابر في ذلك الوقت. إلى جانب ذلك، قبل شهرين، كان جيلمور قد قبل الحكم. كان، في الواقع، أو هكذا أخبر محاميه، يريد أن يموت.

كانت الساعة الثامنة صباحًا حين التقط أفراد فرقة إطلاق النار بنادقهم. قبل سحب (كما هو متبع) غطاء من القطن السميك فوق رأسه، سأل المأمور (كما هو متبع أيضًا) جيلمور إذا كانت هناك أي كلمة أخيرة. نظر جيلمور إلى الأمام مباشرة، وعيناه أبرد من عيني سمك القرش الأبيض العظيم،[257] حيث رعد الموت غير المسموع يقعقع عبر روحه.

قال: «لنفعل ذلك».

في أثناء تشغيل الأغنية، ألتفِتُ إلى بوب هير متأملًا إلى حد ما. وأقول: «أتساءل عما قد تكون عليه الرؤية من خلال عيني جيلمور. أعني - بالفعل. إذا كان بإمكان شخص ما أن يحولك إلى شخص سيكوباتي لمدة ساعة، فهل تفعل ذلك؟»".

يضحك. ويقول متشدقًا: «ربما أفعل ذلك الآن. في مثل عمري. ولكن سوف

(257) - الأبيض الكبير Great White: أو القرش الأبيض، نوع ضخم من أسماك القرش مغزلية الشكل، يتواجد في جميع المياه السطحيّة لمحيطات العالم الرئيسيّة (المترجم).

يكون عليهم الحصول على مفاتيح سيارتي البي إم دبليو مني أولًا!».

نهي مشروباتنا ونذهب في طرق منفصلة. لقد جعلتني الأغنية أفكر، وأنا أتجول في شوارع مونتريال القديمة، في فكرة مجنونة تطن في رأسي. ماذا عن تلك الدراسة التي أجراها أحمد عبد الكريم: تلك الدراسة التي جعل الناس فيها كذابين بشكل أفضل من خلال طمس مناطق صنع القرارات الأخلاقية في أدمغتهم - القشرة الجبهية الأمامية (Anterior Prefrontal) بالتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة؟

إذا كان في استطاعة المرء أن يدير أحد الأقراص إلى أعلى، فلماذا لا يديرها عدة أشخاص آخرين؟

الشخصية المغناطيسية:

طور التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (Transcranial magnetic stimulation) (أو TMS اختصارًا) لأول مرة الدكتور أنتوني باركر[258] وزملاؤه في جامعة شفيلد، عام 1985. ولكن تاريخ هذا التحفيز أطول من ذلك. في الواقع، كان العلم وراء التحفيز الكهربائي للأعصاب والعضلات موجودًا منذ ثمانينيات القرن الثامن عشر، قبل حوالي مائتي عام من انشغال أنتوني باركر نفسه به، حين اكتشف عالم التشريح والطبيب الإيطالي لويجي جلفاني ومواطنه اليساندرو فولتا، بمساعدة مولد كهربائي بسيط ورجلين مقطوعين من أرجل ضفدعة، أن الأعصاب لم تكن أنابيب مياه كما خمن **رينيه ديكارت**،[259] لكنها موصلات كهربائية تنقل المعلومات عبر الجهاز

---

(258) - أنتوني باركر Anthony Barker (1950 -): مهندس بريطاني، متخصص في الإلكترونيات الطبية. حصل على الدكتوراة من جامعة شفيلد في عام 1976؛ منذ عام 1999 كان أستاذًا مشاركًا في جامعة شفيلد واستشاريًّا في قسم الفيزياء الطبية والهندسة الإكلينيكية في مستشفى رويال هالامشير Royal Hallamshire Hospital، المملكة المتحدة (المترجم).

(259) - لويجي جلفاني Luigi Galvani (1737 - 1798): طبيب وعالم تشريح إيطالي توفي في بولونيا. في عام 1771 اكتشف أن أرجل الضفدعة تتحرك نتيجة للصعق الكهربائي. وكانت هذه التجربة من أوائل التجارب في علم الكهرباء الحيوية؛ اليساندرو فولتا Alessandro Volta (1745 - 1827): عالم فيزياء إيطالي يرجع له الفضل في اختراع أول بطارية كهربائية؛ رينيه ديكارت René Descartes (1596 - 1650): فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي (المترجم).

العصبي.

منذ ذلك الحين، قطعت الأمور شوطًا طويلًا. اشتمل التطبيق الافتتاحي للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة على يدي أنتوني باركر وفريقه على عرض أولي لتوصيل النبضات العصبية من القشرة الحركية إلى النخاع الشوكي عن طريق تحفيز تقلصات بسيطة في العضلات. وهي، في الوقت الحاضر، قصة مختلفة - للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة استخدامات عملية على نطاق واسع، في كل من القدرة التشخيصية والعلاجية، عبر مجموعة متنوعة من حالات طب الأعصاب والطب النفسي، بدءًا من الاكتئاب والصداع النصفي إلى السكتات الدماغية ومرض باركنسون.

الفرضية الأساسية للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة هي أن الدماغ يعمل باستخدام الإشارات الكهربائية، وأنه، كما هو الحال مع أي نظام من هذا القبيل، من الممكن تعديل طريقة عمله عن طريق تغيير بيئته الكهربائية. يتكون الجهاز المعتاد من مغناطيس كهربائي قوي يوضع على فروة الرأس يولد مجالًا مغناطيسيًّا ثابتًا ينبض عند ترددات محددة منتقاة مسبقًا ومن ملف مغلق من البلاستيك لتركيز تلك النبضات المغناطيسية إلى أسفل عبر سطح الجمجمة على مناطق من الدماغ مستهدفة بشكل خاص ومعزولة بشكل متميز، وبالتالي يتم تحفيز القشرة الدماغية التي توجد تحتها.

والآن، من الأشياء التي نعرفها عن الأشخاص السيكوباتيين هو أن مفاتيح الضوء في أدمغتهم لا يتم توصيلها بالطريقة نفسها التي يتم بها توصيلها في أدمغة بقية الناس - وأن إحدى المناطق المتأثرة بشكل خاص هي لوزة الدماغ، وهي بنية بحجم حبة من الفول السوداني تقع مباشرة في منتصف لوحة الدائرة الكهربائية Circuit Board. ولوزة الدماغ، كما عرفنا سابقًا في هذا الكتاب، هي برج التحكم في الانفعالات في الدماغ. إنها تسيطر على أجوائنا الانفعالية وهي مسئولة عن الطريقة التي نشعر بها تجاه الأشياء. ولكن في أدمغة السيكوباتيين، يوجد قسم من هذا المجال الجوي، وهو الجزء الذي يناظر الخوف، فارغ.

باستخدام تشبيه مفتاح النور، يمكن اعتبار التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة مفتاح تحكم لخفض النور Dimmer Control. بينما نعالج المعلومات، تولد أدمغتنا إشارات كهربائية صغيرة. هذه الإشارات لا تمر فقط عبر أعصابنا لتشغِّل عضلاتنا ولكنها أيضًا تتعرج بعمق داخل أدمغتنا مثل أفواج البيانات الكهربائية العابرة، مما يولد أفكارنا وذكرياتنا ومشاعرنا. ويمكن للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة تغيير قوة هذه الإشارات. من خلال تمرير تيار كهرومغناطيسي عبر مناطق مستهدفة بدقة من القشرة الدماغية، يمكننا تحويل هذه الإشارات إما إلى أعلى أو إلى أسفل - إما تساعد هذه الأفواج من البيانات في طريقها أو تعوق تقدمها.

بتخفيض الإشارات إلى لوزة الدماغ، بالطبع، كما فعل أحمد عبد الكريم وزملاؤه في جامعة توبنجن، إلى منطقة الأخلاق في الدماغ، يكون المرء في الطريق لجعل شخص ما «يتحول تمامًا إلى شخص سيكوباتي». في الواقع، قامت ليان يونج[260] وفريقها في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) بدفع الأمور إلى حد ما وتوضيح أن استخدام التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة على التقاطع الجداري الصدغي-الأيمن Temporoparietal Junction - منطقة عصبية محددة داخل تلك المنطقة - له تأثيرات كبيرة ليس فقط على القدرة على الكذب، ولكن أيضًا على القدرة على المنطق الأخلاقي: على وجه الخصوص، ينسبها إلى أفعال الآخرين بشكل متعمد.

ألتقط الهاتف لأتصل بصديقي القديم أندي مكناب.[261] وحين أتصل أجده في نزهة في الصحراء لمدة أسبوع، وهو يطوف حول ولاية نيفادا على هارلي في رود

(260) - ليان يونج Liane Young: حصلت على درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة هارفارد، وعملت بعد الدكتوراه في قسم الدماغ والعلوم المعرفية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وهي أستاذة مساعدة في قسم علم النفس في كلية بوسطن، يركز بحثها الحالي على دور المنطق والعواطف في الحكم والسلوك الأخلاقي - باستخدام أدوات وأساليب علم النفس الاجتماعي وعلم الأعصاب الإدراكي ، بما في ذلك التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي والتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (المترجم).

(261) - أندي مكناب Andy McNab (1959 -): الاسم المستعار لستيفن بيلي ميتشل، وهو روائي إنجليزي ورقيب سابق للخدمات الجوية الخاصة .ظهر مكناب في عام 1993 عندما نشر تقريره عن دوريات الخدمة الجوية الخاصة عن دورية برافو تو زيرو Bravo Two Zero، التي منحت له وسام السلوك المتميز في عام 1991. نيفادا Nevada: ولاية تقع جنوب غرب الولايات المتحدة. هارلي في رود ماسل Harley V-Rod Muscle: نوع من الموتسيكلات (المترجم).

ماسل.

يعلن بصوت مرتفع: «لا خوذات!».

أقول: «مرحبًا آندي. كن مستعدًّا لتحدٍّ بسيط حين تعود؟».

يصيح: «بالطبع! ما هذا؟».

«ماذا عنك وأنت وأنا وجها لوجه في اختبار برودة في المختبر؟ وأنا أخرج في القمة؟».

ضحك بجنون.

يقول: «أحب ذلك. أنت في القمة! مشكلة طفيفة بالرغم من ذلك يا كيفن. كيف تعتقد أنك سوف تحقق هذه النتيجة؟».

أقول: «بسيطة».

خدمة خاصة «للمؤلف»:

بالنسبة إلى أولئك الرفاق الذين كان يعيشون في كهف منذ عشرين عامًا (باستثناء طالبان)، يمكن القول إنّ أندي مكناب كان أشهر جندي بريطاني خدم في القوات المسلحة لجلالة الملكة حتى قام الأمير هاري بتعليق مطرقة البولو الخاصة به في إيتون[262] عام 2005. في حرب الخليج الأولى، قاد أندي دورية **برافو تو زيرو**، وهي دورية من القوات الخاصة مكونة من ثمانية أفراد وقد تم تكليفها بمهمة جمع المعلومات الاستخبارية حول روابط الاتصالات تحت الأرض بين بغداد وشمال غرب العراق، وتتبع قاذفات الصواريخ سكود على طول طريق الإمداد العراقي الرئيسي في المنطقة وتدمير تلك القاذفات.

ولكن سرعان ما كان لدى الأولاد مهمة أكثر أهمية للقيام بها. بعد يومين من

(262) - إيتون Eton: كلية إيتون، وغالبا ما يشار إليها باسم إيتون، مدرسة داخلية بريطانية مستقلة تقع في إيتون، بالقرب من وندسور في إنكلترا تأسست سنة 1440، وهي الكلية التي درس فيها الأمير هاري (المترجم).

الإقحام، توصلت الدورية إلى تسوية مع راعي ماعز يرعى قطيعه. وبأسلوب عريق، غادروا على الفور: 185 ميلًا، عبر الصحراء، باتجاه الحدود السورية.

واحد منهم فقط نجح في تحقيق المهمة. قُتل ثلاثة، والآخرون الأربعة، بمن فيهم آندي، قبض عليهم العراقيون في نقاط مختلفة على طول الطريق. يكفي أن نقول إن أيا من خاطفيهم لم يكن لديهم قطّ برامج حوارية خاصة بهم . . . أو ترك بصماتهم في سجلات الجراحة التجميلية. من المقبول بشكل عام أن هناك طرقًا أفضل لجعل الشخص في حالة استرخاء من إطفاء سيجارتك في رقبته. وطرق لكسر فكهم وإعادة تشكيله أفضل من القيام بذلك بعقب كلاشينكوف إيه كي 47 وقد توهج من حرارة الشمس. بفضل التقنيات الأكثر تقدمًا في الوطن في المملكة المتحدة، يحوي فم آندي الآن خزفًا أكثر من جميع الحمامات في قصر باكنجهام مجتمعة.

لا بد أنه يعرف ذلك. وقد ذهب إلى قصر باكنجهام، عام 1991، للحصول على وسام الخدمة المتميزة من الملكة.

كان الوسام مجرد بداية. عام 1993، في كتاب يحمل اسم الدورية، حكى آندي قصة الدورية، بكل تفاصيلها البشعة، وحدد بين ليلة وضحاها نوع المذكرات العسكرية الحديثة وشكلها. على حد تعبير الضابط المسئول عن الخدمة الجوية الخاصة (SAS) في ذلك الوقت، فإن قصة **برافو تو زيرو**[263] «سوف تبقى في تاريخ الفوج إلى الأبد».

لم يكن يمزح. في الواقع، أصبحت الآن جزءًا من تاريخ ثقافي أوسع. أصبح آندي علامة تجارية.

في رحلة جوية ليلية إلى سيدني قبل عدة سنوات، حلقنا فوق أفغانستان. في الأسفل، في الظلام العميق والخطير بين جبال هندو كوش،[264] لاحظت، من خلال

---

(263) - **برافو توزيرو** *Bravo Two Zero*: كتاب صدر عام 1993 تحت الاسم المستعار آندي مكناب. والكتاب عبارة عن سرد خيالي جزئيًا لدورية تابعة للقوات الجوية الخاصة SAS تتعرض للخطر أثناء عملها خلف الخطوط في العراق، في عام 1991. قاد الدورية المؤلف وكانت تتضمن كاتبًا آخر هو كريس رايان (المؤلف).

(264) - هندو كوش Hindu Kush: سلسلة جبال في أفغانستان وشمال غرب باكستان (المترجم).

غطاء السحاب المتقطع، نقاطًا صغيرة من الضوء. ماذا كانت بحق الجحيم؟ أتساءل. إنها حرائق المخيم الوامضة للرعاة الرحل القدماء؟ المخابئ السرية لأمراء حرب طالبان العوران؟

مباشرة عند الإشارة، قام الطيار بتشغيل الاتصال الداخلي. قال بشكل منغم: «بالنسبة إلى أولئك الذين على الجانب الأيمن من الطائرة، يجب أن تكونوا قادرين على استيعاب أجهزة الكمبيوتر المحمولة للقوات الجوية الخاصة وهي تنتج على عجل أحدث مبيعاتها».

تم غلق الاتصال الداخلي. وضحك الجميع. وكان يمكن أن يضحك آندي أيضًا لو كان في الطائرة. لكنني أعتقد أننا كنا نحلق فوق المكان الذي يوجد فيه في ذلك الوقت.

أحد الأشياء الأولى التي تتعلمها عن آندي، وتتعلمها بسرعة كبيرة، هو أنه لم يكن يستطيع أن يهتم بأي شيء. لم يكن لديه شيء مقدس. ولم يكن هناك شيء يمكن أن يزعجه عن بعد.

يشرح لنا بينما كنا نجتمع لأول مرة في محطة جسر لندن، «كنت في عمر يومين عندما عثروا عليّ. فقط على مقربة من هنا، في الواقع، على بعد خطوات من مستشفى جاي. يبدو أنني كنت مغلفًا في حقيبة من متجر هارودز».[265]



أقول له: «إنك تمزح. بجدية؟».

يقول لي: «نعم، اعتدلْ».

---

(265) - محطة جسر لندن London Bridge: محطة سكة حديد مركزية في لندن ومحطة مترو أنفاق لندن في ساوثوارك Southwark، جنوب شرق لندن. تحتل مساحة كبيرة على ثلاثة مستويات مباشرة جنوب شرق جسر لندن، ومنه أخذت اسمها. مستشفى جاي Guy's Hospital: مستشفى تعليمي بريطاني شهير من مستشفيات الخدمات الصحية الوطنية، يقع في وسط لندن، وهو من المستشفيات التابعة لمدرسة طب كلية الملك في لندن. هارودز Harrods: متجر ذو أقسام متنوعة يقع في برومتون رود بحي نايتسبرج في العاصمة البريطانية لندن .يعتبر من أشهر معالم الحي ونقطة جذب للسواح، خصوصا السواح العرب (المترجم).

أقول: «هراء. أمر لا يصدق. لقد حكمت عليك بأنك أكثر من رجل تي كيه ماكس،[266] بنفسي».

يزأر: «أيها الوغد الصفيق! هذا لطيف. أحب ذلك».

لقد تعاونا في جزء من برنامج إذاعي أقوم بإعداده لمحطة بي بي سي BBC. يُطلق على البرنامج اسم **الإقناع المفرط**– *Extreme Persuasion*، وأنا مهتم بمعرفة ما إذا كانت بعض الخصائص السيكوباتية قد تكون مفيدة في القوات الجوية الخاصة. خصائص، على سبيل المثال، من قبيل عدم الاهتمام بأي شيء. لا أشعر بخيبة أمل. إذا كنت تفكر في الانضمام، سوف أخبرك بشيء دون مقابل. إذا كانت لديك مشاكل تتعلق بنَسَبك، فمن الأفضل لك أن تبقى في البيت.

يقول لي آندي: «إن أول شيء تلاحظه في المعسكر هو المزاح. إنه متواصل إلى حد كبير. كل شخص يوبخ كل شخص دائمًا. يسخر من الآخرين. ومثل معظم الأشياء في الفوج، هناك سبب وجيه لذلك. إذا تم القبض عليك، يتم توجيهك بأن تكون 'الرجل الخفي'. لإعطاء المحققين الانطباع بأنك لا تعرف أي شيء. بأنك لا تستفيد من ذلك كثيرًا».

الآن، إذا كان [آسروك] طيبون، فسوف يبدؤون في البحث عن نقاط الضعف. سوف يبحثون عن أصغر ردود الفعل – التعبيرات الدقيقة العابرة، وحركات العين متناهية الصغر – التي قد تفصح عن حالتك الذهنية الحقيقية. وإذا عثروا على أي شيء، فسوف يأخذونه مني: هكذا ينتهي الأمر، يا رفيقي. لقد انتهت اللعبة. عبِّرْ عن الأمر بهذه الطريقة. إذا كانت لديك مشكلة في حجم قضيبك، فربما لا يكون جناح استجواب عراقي أفضل مكان لاكتشافه.

«لذا، في الفوج، كل شيء لعبة عادلة. السخرية وظيفية تمامًا. إنها طريقة فعالة لبناء مناعة نفسية. إنها تلقحك ضد نوع الهراء الذي يمكنهم إلقاؤه عليك إذا قبضوا

---

(266) - تي كيه ماكس TK Maxx: سلسلة متاجر كبرى (المترجم).

عليك. إنه النوع الصحيح من الخطأ، إذا فهمْتَ ما أعنيه. بالإضافة إلى ذلك، كما تعرف، لا يوجد شيء من قبيل الإنهاء الجيد، حقًا، أليس كذلك؟».

لا، اعتقد أنه لا يوجد. لكن الصلابة العقلية ليست السمة الوحيدة التي يشترك فيها جنود القوات الخاصة مع الأشخاص السيكوباتيين.

هناك أيضا عدم الخوف.

قبل عامين في صباح ربيعي جميل على ارتفاع 12 ألف قدم فوق شاطئ بوندي[267] في سيدني، قمت بأول قفز حر بالمظلات. في الليلة السابقة، إلى حد ما أسوأ ليلة لدخول أحد بارات الواجهة البحرية في المدينة، وقد راسلت آندي مكناب للحصول على بعض النصائح في اللحظة الأخيرة.

جاء الرد: «أبق عينيك مفتوحتين. وأغلق مؤخرتك».

فعلت ذلك. بالضبط. لكن أداء العمل نفسه في الليل، في مسرح الحرب، على محيط ثائر من ضِعْف الارتفاع وحمل مائتي رطل من المعدات، لعبة من نوع مختلف تمامًا. وإذا لم يكن ذلك كافيًا، فهناك أيضًا التبول الذي يجب الكفاح ضده. حتى على ارتفاع ثلاثين ألف قدم، سوف تستمر الحفلة بحيوية ونجاح.

يتذكر آندي مكناب: «اعتدنا أن نضحك. نعبث. كما تعلم، سوف نلقي بالمعدات أمامنا ونرى ما إذا كان من الممكن أن نلحق بها. أو في الطريق إلى أسفل، سوف نمسك ببعضنا البعض من الخلف في عناق الدببة ونمارس لعبة خطيرة - لنرى من يكون أول من ينحرف للهبوط ويسحب الحبل. كان كل شيء مسليًا».

حسنًا. إذا قلت ذلك يا آندي.

ولكن ما لم يكن ممتعًا للغاية هو القتل. أسأل آندي مكناب عما إذا كان يشعر بأي ندم على أي شيء فعله. على الأرواح التي قضى عليها في مهماته السرية العديدة حول

(267) - Bondi Beach: من أشهر الشواطئ الأسترالية (المؤلف).

العالم.

يرد باعتباره أمرًا واقعًا، وعيناه الزرقاوان الباردتان مثل القطب الشمالي (فقط للتسجيل، هناك عينان خلف القضبان التي تراها في الصور) لا تظهران أدنى أثر للانفعال: «لا، بشكل جدي لا تفكر في الأمر مرتين. حين تكون في موقف عدائي، فإن الهدف الأساسي هو سحب الزناد قبل أن يسحب الشخص الآخر الزناد. وحين تسحبه، تتقدم. يسير الأمر بهذه السهولة. لماذا تقف هناك، وتقضي وقتًا طويلًا وأنت تفكر فيما قمت به؟ انزل في هذا الطريق والفرص آخر ما يمر عبر رأسك سوف يكون رصاصة من بندقية إم 16.»[268]

«شعار الفوج هو 'يفوز من يمتلك الجرأة'. ولكن في بعض الأحيان يمكن اختصاره إلى '**اللعنة على كل شيء**».

روابط الانفصال:

بهذه الطريقة، ليس من الصعب تصور كيف يمكن أن يتبين أن هذا الاتزان الباثولوجي، مثل هذا الهدوء الذي يتسم بانعدام الضمير، مفيد بالفعل في ظروف معينة - كيف يمكن في بعض الأحيان تفسيره على أنه شكل من أشكال التكيف. أحد مواطني آندي مكناب، اسمه كولين روجرز، وهو عضو سابق في فريق الهجوم الشهير في القوات الجوية الخاصة ، في عملية نمرود[269] عام 1980، الذي نقر بلطف على نوافذ السفارة الإيرانية في لندن، مرددًا أصداء مشاعر زميله القديم. إن إخراج إرهابي

---

(268) - إم 16 M16: بندقية اقتحام أمريكية المنشأ وتستخدمها جيوش الدول الأخرى المتأثرة بحلف شمال الأطلسي أو التي تمدها أميركا بالسلاح (المترجم).

(269) - عملية نمرود Operation Nimrod: الإشارة إلى عملية حصار السفارة الإيرانية في لندن في تاريخ 30 أبريل إلى 5 مايو عام 1980م، حين اقتحم ستة مسلحون من الجبهة العربية لتحرير الأهواز مبني السفارة الإيرانية في لندن واحتجزوا 26 رهينة، وهددوا بقتلهم إن لم تسلم بريطانيا 91 سجينًا سياسيا من عرب الأهواز في السجون الإيرانية، كما طلبوا من سفراء الدول العربية التوسط مع إيران، إلا أن رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر أمرت بتنفيذ عملية عسكرية لتحرير الرهائن. وبدأت العملية الهجومية بعد 9 أيام من المفاوضات المتعثرة، وكانت الحصيلة خمسة قتلى من المسلحين، وإصابة جندي من المخابرات البريطانية الجوية وقتل احد الرهائن (المترجم)

في التراب والنار والأنقاض التي تشكل الإرث المعماري المعتاد لدخول المتفجرات السرية ليس شيئًا يميل جنود القوات الخاصة إلى التفكير فيه أكثر من اللازم – خاصة حين يكون لديك رشاش رائع من طراز هكلر أند كوخ إم بي 5[270] من أحدث طراز، يطلق 800 طلقة في الدقيقة، معلق فوق كتفك وحين يكون هامش الخطأ غالبًا في حدود المليمترات. تحصل على طلقة واضحة وتفعل أي شيء لتحصل على ما تريد. إنك تركز. وتبقى هادئًا. وتضغط الزناد بهدوء. ولا يكون التردد خيارًا.

يبدو أن الحيلة مقاومة للحريق. إنها قادرة على الأداء ليس فقط في حرارة اللحظة. لكن ببساطة في **اللحظة**. إن الأمر يتعلق بعدم الشعور بالحرارة في المقام الأول.

في حانة محلية في الطرف الشرقي من لندن، وكانت قد شهدت أيامًا أفضل بشكل واضح، يقول لي كولين روجرز: «يكون المرء مفعمًا بالحماس. بطبيعة الحال يكون كذلك، ولكن هذا شيء كان يتدرب استعدادًا له لسنوات. يتدرب ست ساعات، أو سبع ساعات في اليوم. إنه مثل القيادة. لا توجد رحلة تشبه الأخرى تمامًا. لكن يمكن للمرء أن يتعامل بشكل جيد مع معظم الاحتمالات. تصبح ردود أفعاله تلقائية. ويستخدم حكمه على الأمور، نعم. لكن حتى هذا يكون نتاج التدريب. من الصعب وصفه ما لم يجربه المرء بالفعل. يبدو الأمر كما لو كان لديه إحساس عالٍ بإدراك كل ما يدور حوله. مثل عكس أن يكون المرء سكرانًا. ولكنه في الوقت نفسه أيضًا خارج الموقف. كما لو كان يشاهده في فيلم».

إنه على حق. وليس فقط حين يتعلق الأمر باقتحام السفارات. هل تتذكر كلمات جراح الأعصاب في الفصل السابق؟ لقد وصفها بطريقة «السُّكر الذي يزيد حدة الحواس بدل أن يضعفها»: الحالة العقلية التي يدخل فيها قبل إجراء عملية صعبة. في

---

(270) - هكلر أند كوخ إم بي 5 Heckler & Koch MP5 5: مسدس رشاش آلي صنع سنة 1964 يطلق عيار 9ملم ويطلق 700 إلى 900 طلقة في الدقيقة تم تطويره بواسطة مهندسي شركة هكلر آند كوخ للأسلحة الخفيفة، وهو سلاح خفيف الوزن ودقيق التصويب ذو شهره واسعة تستخدمه القوات الخاصة والشرطة هـ بسبب خفة وزنة وقصر طولة (المترجم).

الواقع، في أي نوع من الأزمات، غالبًا ما يكون الأفراد الأكثر فعالية هم أولئك الذين يبقون هادئين - يكونون قادرين على الاستجابة لمتطلبات اللحظة مع الحفاظ في الوقت نفسه على الدرجة المطلوبة من الانفصال.

لنتأمل ما يلي، على سبيل المثال: مقتطف من مقابلة أجريتها مع مدرب في القوات الخاصة الأمريكية، حول معيار الجندي الذي يقبله في نهاية المطاف، بعد واحدة من أكثر إجراءات الاختيار الجسدي والنفسي قسوة في العالم، في القوات الخاصة في البحرية الأمريكية.[271] الرجال الذين قتلوا بن لادن.

لقد فعلنا كل ما في وسعنا لكسر هذا الرجل. في الواقع، لنكون صادقين، عملنا عليه بجد أكثر إلى حد ما من الآخرين. لقد تطلب منا المزيد من التحدي. بالإضافة إلى أننا نعرف إلى حد ما، في أعماق نفوسنا، أننا نستطيع القيام به. لقد تيتم وهو ابن أحد عشر عامًا، لكنه انزلق عبر الشبكة، ليرعى أخاه الأصغر وأخته بالاعتماد على ذكائه. السرقة. الاندفاع. عقد الصفقات. كما تعرف، أمور من هذا القبيل. ثم، حين كان في السادسة عشرة من عمره، ضرب شخصًا سيئًا لدرجة أنه دخل في غيبوبة. وتم دعمه بشكل غير رسمي.

الضوضاء البيضاء.[272] الحرمان من النوم. الحرمان الحسي. الماء. مواقف الإجهاد. الأكثر. ألقينا كل شيء عليه. أخيرًا، بعد ثماني وأربعين ساعة، أزلت العصابة من على وجهه، ووضعت وجهي على بعد بضع بوصات من وجهه، وصرخت: «هل هناك أي شيء تريد أن تخبرني به؟».

لدهشتي، وعلي أن أقول، لخيبة الأمل - كما قلت، كان هذا الرجل صلبًا جدًّا لا يمكن التأثير عليه بسهولة، وبحلول هذه المرحلة كنا في الواقع على استعداد لقتله -

---

(271) - القوات الخاصة في البحرية الأمريكية Navy SEALs: اختصار Navy Sea, Air, and Land، قوة العمليات الخاصة الرئيسية التابعة للبحرية الأمريكية وهي مكونة من قيادة الحرب البحرية الخاصة (المترجم).

(272) - الضوضاء البيضاء White noise: إشارة عشوائية لها شدة متساوية عند ترددات مختلفة، مما يمنحها كثافة طيفية ثابتة للقدرة. ويستخدم المصطلح، بهذا المعنى أو ما يشابهه، في العديد من التخصصات العلمية والتقنية. وتستمد الضوضاء البيضاء اسمها من الضوء الأبيض (المترجم).

قال نعم. كان هناك شيء يريد قوله.

سألت: «أي شيء؟».

قال: «أنت في حاجة إلى أن تقلل من تناول الثوم يا رجل».

كانت المرة الوحيدة، في خمسة عشر عامًا بصفتي مدربًا، التي سمحت لنفسي فيها بأن أكون أقل حذرًا. ابتسمت فقط لثانية، لجزء من الثانية. لم أستطع أن أتحكم في الأمر. في الواقع كنت معجبًا بهذا الرجل. وأنت تعرف ماذا يعني هذا؟ حتى في الحالة المثيرة للاشمئزاز التي كان فيها، رأى ابن العاهرة ذلك. رآه! دعاني لأقترب منه. وكانت هناك نظرة، لا أعرف، نظرة تحدٍّ محض - من يدري أية نظرة كانت؟ - في عينيه.

همس في أذني: «انتهت اللعبة. لقد فشلت».

ماذا؟ كان من المفترض أن أقول ذلك له! حين أدركنا أنه كان أحد أولئك الذين نصفهم بأنهم «غير قابلين للكسر». أمتن المتان . . .

لكنه كان لقيطًا لعينًا لا يعرف الرحمة. وإذا كان لديه ضمير فأنا لم أره قط. كان باردا كالثلج. في أي طرف من طرفي السلاح. وهو في الواقع، في هذا النوع من العمل، ليس دائمًا أمرًا سيئًا.

مكتاب في المختبر:

يتجه آندي، منفذًا الوعد الذي قطعه على نفسه، إلى مركز علوم الدماغ في جامعة إسكس[273] في صباح يوم قارس البرودة من أيام ديسمبر، ويقابلنا عند باب الرجل الذي- خلال الساعات القليلة القادمة أو نحو ذلك- سوف يكون جلادنا. الدكتور

(273) - جامعة إسكس Essex: جامعة بحثية عامة في إسكس، شرق إنجلترا، شمال شرق لندن. تأسست في عام 1963، ورحبت بأول طلابها في عام 1964 وحصلت على ميثاقها الملكي في عام 1965 (المترجم).

نيك كوبر،[274] وهو أحد الدعاة الرواد في العالم للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة. ومن مظهره هذا الصباح، يمكن أن يُغفَر لك التفكير في أنه قام بمعظم العمل على نفسه.

يدفعنا نيك كوبر إلى المختبر. أول ما نلاحظه هو كرسيان جلديان مرتفعا الظهر جنبًا إلى جنب. وبجانبهما أكبر لفة من المناشف الورقية الصناعية في العالم. أنا أعلم الغرض من المناشف: إنها لمسح جِل التوصيل الزائد الذي يساعد أقطاب تخطيط الدماغ الكهربائي (EEG)، التي سوف يعلقها نيك في دقيقة، لالتقاط الإشارات من أعماق أدمغتنا. من ناحية أخرى، لدى آندي مكناب مخيلته فقط للاستمرار في العمل.

يقول آندي مكناب مشيرًا إلى الكومة: «يا إلهي، إذا كان هذا هو حجم ورق التواليت، فسوف أخرج من هنا!».

يأخذنا نيك كوبر إلى الكرسيين، ويطوقنا فيهما. ويوصلنا بأجهزة مراقبة معدل ضربات القلب، ومعدات تسجيل تخطيط الدماغ الكهربائي، وإجراءات الاستجابة الجلفانية للجلد- Galvanic Skin Response (GSR)، التي تقيِّم مستويات الإجهاد على أنها وظيفة للنشاط الكهربائي. بحلول الوقت الذي ينتهي فيه، نبدو، أنا وآندي مكناب، وكأننا محاصران داخل صندوق تقاطع اتصالات عملاق. يبدو جل الأقطاب الكهربائية باردًا على فروة رأسي. لكن آندي لا يشكو. لقد اكتشف أخيرًا الهدف من وجود لفة ورق تواليت بهذا الحجم الكبير.

أمامنا مباشرة، على بعد حوالي عشرة أقدام من الحائط، شاشة فيديو ضخمة. يدوس نيك كوبر على مفتاح، مما يبعث الحياة في الشاشة. ثم يذهب لارتداء المعطف الأبيض. الموسيقى المحيطة بنا تهبط حول الغرفة. وأمام أعيننا بحيرة حريرية شاحبة

---

(274) - نيك كوبر Nick Cooper: باحث بريطاني حصل على درجة الدكتوراه من إمبريال كوليدج، جامعة لندن. تولى منصبين بعد الدكتوراه: واحدًا في إمبريال كوليدج لندن والآخر في مركز ألفريد لأبحاث الطب النفسي، جامعة موناش Monash، ملبورن. وهو حاليًا محاضر كبير في قسم علم النفس، والمدير الأكاديمي لمركز علوم الدماغ وأيضًا سكرتير الجمعية البريطانية لعلم الأعصاب الإدراكي (المترجم).

تتموج.

يقول آندي مكناب: «يا له من جحيم. إنه يشبه إعلانًا عن حفاضات السلس البولي!»

يقول نيك كوبر: «حسنًا. اسمع. الآن، على الشاشة أمامك، يمكنك أن ترى مشهدًا هادئًا ومريحًا مصحوبًا حاليًا بموسيقى هادئة تساعد على الاسترخاء. هذا لتحديد قراءات فسيولوجية أساسية يمكننا من خلالها قياس مستويات الإثارة فيما بعد.

«ولكن في لحظة لن يتم الكشف عنها في وقت ما خلال الستين ثانية التالية، سوف تتغير الصورة التي تراها في الوقت الحالي وتظهر صور ذات طبيعة مختلفة على الشاشة. هذه الصور سوف تتسم بالعنف. وتكون مثيرة للغثيان. وذات طبيعة بيانية مزعجة.

«في أثناء عرض هذه الصور، سوف تتم مراقبة التغيرات في معدل ضربات القلب وتوصيل الجلد ونشاط تخطيط الدماغ الكهربائي ومقارنتها بالمستويات التي كانت عليها وقت الراحة، وهي التي يتم تسجيلها حاليًا. هل من أسئلة؟»

آندي مكناب وأنا نهز رأسينا.

«هل أنتما سعيدان؟».

نومئ بالإيجاب.

يقول نيك كوبر: «حسنًا. لنبدأ العمل».

يختفي خلفنا، وقد تركنا أنا وآندي مكناب نستمتع بإعلان حفاضات السلس البولي بمرح. تكشف النتائج لاحقًا أنه في هذه المرحلة، ونحن ننتظر حدوث شيء ما، كانت قراءات المخرجات الفسيولوجية لدينا متشابهة جدًّا. معدلات نبض قلبينا أنا وآندي مكناب أعلى بكثير من مستويات وقت الراحة الطبيعية تحسبًا لما سوف يحدث.

ولكن حين يدفع نيك كوبر المقبض، أو أيًّا كان ذلك الذي يؤدي إلى تغيير المشهد، ينقلب مفتاح التبديل فجأة في مكان ما في دماغ آندي مكناب. وجندي القوات الجوية

الخاصة البارد مثل الجليد يتأرجح في العمل فجأة. بينما تظهر صور حية وواضحة للتقطيع والتشويه والتعذيب والإعدام على الشاشة أمامنا (حية جدًّا، في الواقع، حتى أن آندي يعترف في وقت لاحق بأنه كان قادرًا على أن «يشم» رائحة الدم: «نوع من الرائحة الحلوة بشكل مَرَضي، رائحة لا تنسى أبدًا»)، مصحوبة، ليس بموسيقى المنتجعات التي تبعث على الاسترخاء التي كانت تعزف من قبل، ولكنها مصحوبة بصفارات الإنذار الصاخبة والضوضاء البيضاء، تبدأ قراءاته الفسيولوجية في الانزلاق إلى العكس. يبدأ معدل نبضه في التباطؤ. تبدأ الاستجابة الجلفانية للجلد في الانخفاض. وتضعف إشارات تخطيط الدماغ الكهربائي بسرعة وبشكل كبير. في الواقع، بحلول الوقت الذي ينتهي فيه العرض، تتجمع جميع مقاييس المخرجات الفسيولوجية الثلاثة عند آندي مكناب تحت خط الأساس.

لم ير نيك كوبر شيئًا من هذا القبيل. يقول: «يبدو الأمر كما لو أنه كان يستعد للتحدي. وبعد ذلك، حين ظهر التحدي في نهاية المطاف، استجاب دماغه فجأة عن طريق حقن النيتروجين السائل في عروقه. قام فجأة بقطف عصبي شامل لجميع الانفعالات الوحشية الفائضة. فجأة محاصرًا في الرمز الأحمر[275] العميق المنوم، رمز التركيز الشديد الذي لا يعرف الرحمة».

يهز نيك كوبر رأسه في دهشة وارتباك. ويواصل: «إذا لم أقم بتسجيل هذه القراءات بنفسي، ما كنت لأتأكد من أنني سوف أصدقها. حسنًا، لم أختبر قط أحدًا من أفراد القوات الخاصة من قبل. وربما تتوقع ضعفًا طفيفًا في الاستجابة. لكن هذا الرجل كان مسيطرًا سيطرة كاملة بكل معنى الكلمة على الوضع. لذا تم استيعاب الأمر، بدا وكأنه غير مكترث تمامًا».

تمامًا كما وجد بوب هير: كانت البيانات غريبة جدًّا، وكان على المرء أن يتساءل حقًّا من أين أتت هذه البيانات.

(275) - الرمز الأحمر Code Red: حالة من اليقظة أو التأهب الشديد، وخاصة للوقاية من خطر وشيك (المترجم).

مرة أخرى في مزرعة المواشي، وغني عن القول إن الأخبار لم تكن باردة بالدرجة نفسها. لقد تجاوزت قراءات المخرجات الفسيولوجية كل الحدود. تمامًا مثل مخرجات آندي مكناب، كانت قيمتها أعلى بكثير من خط الأساس حيث كنت أنتظر بدء المجزرة. ولكن هنا انتهت أوجه التشابه. بدلًا من النزول في وهج المعركة، في خضم منجم الدم والشجاعة ارتفعت مخرجاتي أضعافًا مضاعفة.

ويعلق نيك كوبر قائلًا: «على الأقل يظهر أن الجهاز يعمل بشكل صحيح. وأنك إنسان عادي».

نظر إلى آندي مكناب، الذي يتحدث مع مجموعة من طلاب الدكتوراه الذين يشرف عليهم نيك كوبر عبر عدد من أجهزة المراقبة. يعلم الرب ما يفعلونه معه. لقد حللوا بياناته للتو، وقد فعل جل القطب الكهربائي مثل هذا العدد على شعره حتى أنه يبدو مثل دُنْ كينج[276] في نفق الرياح.

وكنت أنا، من ناحية أخرى، لا أزال أتغلب على الصدمة التي أصابتني من بعض الصور، كما كنتُ أشعر بالغثيان والتوتر وبأنني غير مستقر على قدمي بعض الشيء. ربما، كما أشار نيك كوبر، قد ظهرت على شاشات الرادار باعتباري شخصًا عاديًّا. ربما تكون الإبر والأقراص قد شهدت على أنني عاقل. لكنني بالتأكيد لا أشعر بأنني طبيعي وأنا أنكمش في زاوية حجيرة بها صفير وومض، مستغرقًا في مشاهدة بيانات على شاشة كمبيوتر.

الفرق في البروفايل محير. ولئن كانت قراءة تخطيط الدماغ الكهربائي في حالتي صورة تقريبية إلى حد بعيد لأفق مدينة نيويورك - مشهد جغرافي تاريخي للمدينة، للمباني العلوية الدقيقة الحادة وشديدة التحدر – فإن قراءة تخطيط الدماغ الكهربائي في حالة آندي مكناب يشبه منتجع الجولف المنخفض المستوى في إحدى تلك الجزر

(276) - دُنْ كينج Don King (1931 -): مروج للملاكمة الأمريكية معروف بتورطه في مباريات الملاكمة التاريخية. وهو شخصية مثيرة للجدل، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى إدانته بالقتل الخطأ (تم العفو عنه لاحقًا)، ورفع عدة قضايا مدنية ضده (المترجم).

الجميلة المقلمة في وسط المحيط الهندي. كانت قراءة متسقة. ومدمجة. متسقة بصورة جنونية وبشكل غريب.

ألتفتُ إلى نيك كوبر: «هل يجعلك هذا تتساءل، أليس كذلك؟ ما الوضع الطبيعي حقًا؟».

يهز كتفيه ويعيد تشغيل الكمبيوتر.

يقول: «ربما تكون على وشك معرفة ذلك».

اجعلني سيكوباتيًّا:

لقد انتهى كل شيء، لقد ذهب آندي مكناب إلى فندق فخم في البلد – حيث سوف أنضم إليه بعد ذلك للحصول على خلاصة للمعلومات. ولكن هذا فقط بعد أن اضطررت للتعامل مع عدد كبير مرة أخرى ممن ينتقدونني ويهاجمونني، في المرحلة الثانية من التجربة. وفيها، بمساعدة «تحول سيكوباتي تام»، سوف يكون لدي فرصة أخرى للعمل بشكل أفضل. سحق آخر في التشويه المتعمد والأشلاء والدماء. في هذه المرة فقط، حرفيًّا، مع توجه مختلف تمامًا – بفضل النوع نفسه من العلاج الذي وزعه أحمد عبد الكريم وليان يونج في تجاربهما في المعالجة الأخلاقية: جرعة من التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة.

يقول آندي مكناب وهو يضحك: «إن التحول يزول، أليس كذلك؟ لأن الفندق لا يريد شخصين سيكوباتيين يقضيان الوقت في البار».

يوضح نيك كوبر وهو يوجهني إلى كرسي طبيب أسنان تمت معايرته بشكل خاص، ويكتمل بمسند للرأس، ومسند للذقن، وأحزمة للوجه، قائلًا: «يجب أن تزول آثار العلاج خلال نصف ساعة. فكر في التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة على أنه مشط كهرومغناطيسي، وفي خلايا الدماغ – الخلايا العصبية – على أنها شعر. كل ما يفعله التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة هو تمشيط ذلك الشعر في اتجاه معين، مما يخلق

تسريحة مؤقتة للشعر العصبي. وتعود التسريحة بسرعة من تلقاء نفسها إلى ما كانت عليه، مثل أي تسريحة جديدة للشعر، إذا لم تحافظ عليها».

وجه آندي مكتاب صورة. ما هذا بحق الجحيم؟ مختبر أم معرض فني؟

يجلسني نيك كوبر على الكرسي الذي يبدو مشؤومًا ويربت على كتفي، على نحو مطمئن إلى حد ما أكثر مما يتطلب الأمر. في الوقت الذي انتهى فيه من الربط والتثبيت، أبدو مثل هانيبال ليكتر في لينز كرافترز.[277] إنه يضع أسلاك التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة، التي تشبه مقبض مقص هائل، على الجزء الأوسط من جمجمتي، ويقوم بتشغيل الجهاز.

على الفور، يبدو الأمر كما لو كان هناك عامل من عمال المناجم ضئيل الحجم وغريب الأطوار مدفونًا بعمق داخل رأسي، ينقر بمطرقة صخرية. لم يكن من الممكن أن أعرف إن كان ذلك مؤلمًا، لكنك لا تريد من هذا العامل أن يواصل فقط – أن يكون فقط في بداية تحوله في دراسة **المعادن العصبية** Neuro-Minerological.

يوضح نيك كوبر: «هذا هو الحث الكهرومغناطيسي الذي يمر عبر العصب ثلاثي التوائم Trigeminal Nerve. وهو أحد الأعصاب المسئولة عن الإحساس في الوجه، وبعض الوظائف الحركية مثل العض والمضغ والبلع. ربما تشعر أنه يمر من خلال أسنانك الخلفية، أليس كذلك؟».

أومئ بالإيجاب: «صحيح».

ويتابع قائلًا: «ما أحاول فعلًا العثور عليه، هو الجزء المحدد من القشرة الحركية المسئولة عن حركة الإصبع الصغير في يدك اليمنى. بمجرد أن نحدد ذلك الجزء بدقة، يمكنني استخدامه بعد ذلك على أنه نوع من المعسكرات الأساسية، إذا كنت ترغب في

---

(277) - هانيبال ليكتر Hannibal Lecter: شخصية خيالية ظهرت لأول مرة في عام 1981 في رواية من روايات الإثارة بعنوان **التنين الأحمر** للكاتب الأمريكي توماس هاريس Thomas Harris (1940 -). وهانيبال ليكتر شخص سيكوباتي لامع وسفاح من آكلي لحوم البشر. لينز كرافترز LensCrafters: متاجر نظارات عالمية، تعتبر أوسع سلسلة بصريات في الولايات المتحدة، بما يقارب حوالي 90 متجرًا في كاليفورنيا وحدها (المترجم).

ذلك، من أجل تعيين إحداثيات مناطق الدماغ التي نهتم بها حقًّا. لوزة الدماغ، ومنطقة التفكير الأخلاقي في دماغك».

أتمتم: «حسنًا، من الأفضل أن تستمر في ذلك. لأن المزيد من هذا، سوف يجعل الأمر ينتهي بأن أختنقك».

يبتسم نيك كوبر.

يقول: «يا للعجب. لا بد أن الجهاز يعمل بالفعل».

من المؤكد، أنني، بعد حوالي عشرين ثانية، أشعر بانتفاضة لا إرادية بالضبط حيث تنبأ نيك كوبر. كانت ضعيفة في البداية. ثم تزداد قوة تدريجيًّا. وسرعان ما يبدو الخنصر الأيمن مدهشًا حقًّا. إنه ليس الشعور الأكثر راحة في العالم - الجلوس مقيدًا على كرسي في غرفة ذات إضاءة خافتة، مع العلم أنه لا يمكنك التحكم في الأفعال التي يقوم بها جسدك. إنه شعور مخيف. مهين. مشوِّش . . . وهو نوع من إحباط الإرادة الحرة كلها، إلى حد ما. أملي الوحيد هو ألا يكون نيك كوبر في حالة مزاجية جيدة تجعله يبدأ في التهريج. مع جزء من عدة يلوح بها، كان في إمكانه أن يجعلني أشعر بسعادة غامرة حول المختبر.

يقول: «حسنًا. نحن نعلم الآن موقع المناطق التي نحتاج إلى استهدافها. وبالتالي هيا بنا نبدأ».

يتوقف إصبعي الصغير عن الحركة وهو يعيد وضع قضيبه العصبي المرعب في مجال القوة فوق رأسي. حين تكون مجرد مسألة الجلوس هناك لبعض الوقت وحصول القشرة الظهرية الجانبية الجبهية الأماميةDorsolateral Prefrontal Cortex والتقاطع الصدغي الجداري Temporoparietal Junction الأيمن على تسريحة كهرومغناطيسية. لا يمكن للتحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة اختراق ما يكفي في الدماغ للوصول إلى مناطق الانفعالات والتفكير الأخلاقي مباشرة. ولكن من خلال خفض نشاط مناطق القشرة الدماغية التي لها روابط مع هذه المناطق، أو رفع نشاطها،

يمكن أن تحاكي آثار التأثير الأعمق والأكثر غورًا.

لم يمض وقت طويل قبل أن أبدأ في ملاحظة اختلاف أكثر ضبابية وانتشارًا ووجودًا. قبل التجربة، كنت أشعر بالفضول حيال المقياس الزمني: كم من الوقت يتطلب الأمر مني حتى أبدأ الشعور بالاندفاع. الآن لدي الجواب: من عشر دقائق إلى خمس عشرة دقيقة تقريبًا. أعتقد أنه القدر نفسه من الوقت الذي قد يقضيه معظم الناس للحصول على الاستمتاع بزجاجة من البيرة أو كأس من النبيذ.

لا تختلف التأثيرات اختلافًا تامًّا. الثقة السهلة والمنعشة. والتخفيف المتسامي لوطأة الكبح. هل الإثارة غير المكتملة للعجرفة الأخلاقية الذاتية: التعدي، والروحانية الغريبة إلى حد ما، وإدراك ذلك الجحيم، ما يقدم القرف، على أي حال؟

ومع ذلك، هناك استثناء واحد ملحوظ. فرق واحد واضح لا لبس فيه بين هذه التأثيرات وتأثيرات الكحول. عدم وجود التباطؤ المصاحب للكحول. المثابرة على دقة الانتباه وحدته – بل أود، في الواقع، أود أن أقول تعزيز دقة الانتباه وحدته. إنه شعور لا يمكن التغلب عليه بالقدرة على الإدراك المرتفع والمصقول. ومن المؤكد أن ضميري يشعر بشكل مؤكد أنه شعر بشكة من **روهبنول**[278] أخلاقي، وقد غرق قلقي بنصف دستة من لقطات **جاك دانيل**[279] المغناطيسي عبر الجمجمة. ولكنني، في الوقت نفسه، أشعر بأن كل طريقي في الوجود وكأنه تم تنظيفه جيدًا تنظيفًا رائعًا بالضوء. إن روحي، أو أي اسم تريد أن تطلقه عليها، مغمورة في غسالة صحون روحية.

وبالتالي هذا هو المقصود، في اعتقادي، بأن يشعر المرء بأنه شخص سيكوباتي. أن يرى من خلال عيني جاري جيلمور. أن يتجول في الحياة وهو يعرف أنه بغض النظر

---

(278) - روهبنول Rohypnol: الاسم التجاري للعقار فلونيترازيبام Flunitrazepam (من عائلة البنزوديازبين Benzodiazepine) ويعرف شعبيًّا باسم أبو صليبة، وهو دواء اكتشف في سبعينيات القرن العشرين في مختبرات روش (المترجم).

(279) - جاك دانيل Jack Daniel's: نوع من أنواع الويسكي (المترجم).

عما يقوله أو يفعله، فإن الشعور بالذنب والندم والعار والشفقة والخوف - كل تلك الإشارات التحذيرية اليومية المألوفة التي قد تضيء عادةً على لوحة القيادة النفسية لديه - لم تعد تزعجه.

فجأة شعرت بومضة من البصيرة. إننا نتحدث عن النوع الجنسي. نتحدث عن الفصل الدراسي. نتحدث عن اللون. وعن الذكاء. وعن العقيدة. ولكن من المؤكد أن الاختلاف الأساسي بين فرد وآخر هو وجود الضمير أو غيابه. **الضمير هو ما يؤلم حين يكون كل شيء آخر على ما يرام. ولكن ماذا لو كان الضمير جامدًا مثل حذاء قديم؟ ماذا لو كان لضمير المرء عتبة ألم لا نهائية وغير محدودة ولا يهتز له جفن حين يصرخ الآخرون وهم يتألمون ألمًا مبرحًا؟**

إحم. والأهم من ذلك: هل سوف تجعلني شتلاتي السيكوباتية الاصطناعية أكثر برودًا من آندي مكناب؟

مرة أخرى في الكرسي، وقد تم توصيلي بالعدادات والصافرات، أجلس خلال عرض مرعب مرة أخرى: تم تعديل الصور، لتجنب التعود. لكن القصة هذه المرة مختلفة تمامًا. أسمع نفسي وأنا أقول: «أعرف أن الرجل الموجود قبلي وجد هذه الصور مثيرة للغثيان، لكنني، في الواقع، لأكون صادقًا، أجد هذه المرة صعوبة في كبت ابتسامة».

إن السطور والخطوط القصيرة المتعرجة تؤكد اعترافي. في حين كان مستوى استثارتي من قبل مرتفعًا حتى أنه إلى حد بعيد كان بمثابة معجزة بسيطة أن طابعة تخطيط الدماغ الكهربائي الحديثة لم تنفجر وتشتعل فيها النيران، فقد انخفض نشاط دماغي بشكل كبير بعد التحول السيكوباتي. ربما لم يكن متموجًا بلطف مثل تموج تخطيط دماغ آندي مكناب. لكنه يصل إلى هناك بالتأكيد. لا توجد في الأفق ناطحة سحاب من ناطحات نيويورك.

وهي قصة مماثلة حين يتعلق الأمر بمعدل ضربات القلب وتوصيل الجلد. في

الواقع، في حالة الأخيرة، أتفوق على قراءة آندي مكناب.

أسأل نيك كوبر، ونحن ندقق في الأرقام: «هل هذا يعني أنها نتيجة رسمية؟ هل يمكنني أن أصرح بأنني أكثر برودًا من آندي مكناب؟».

يهز نيك كوبر كتفيه، ويقول: «أفترض ذلك. في الوقت الحالي، على أي حال. ولكن من الأفضل أن تستفيد من ذلك قدر الإمكان. لديك ربع ساعة. على أقصى تقدير».

أهز رأسي. أشعر بالفعل بأن السحر يتلاشى. بدأت الشعوذة الكهرومغناطيسية في التلاشي. أشعر، على سبيل المثال، بأنني متزوج أكثر بكثير مما شعرت من قبل - وأقل ميلًا إلى الصعود إلى المساعدة التي تساعد نيك كوبر في أبحاثه وأن أطلب من المساعدة الخروج لتناول مشروب. وبدلًا من ذلك، أذهب مع نيك كوبر - إلى بار الطلبة - وأتغلب على أفضل نتيجة حققتها في جران توريزمو(280) بعيدًا عن الأنظار. أندفع بسرعة طول الطريق. ولكن ماذا - إنها مجرد لعبة، أليس كذلك؟

يقول نيك كوبر: «لا أريد أن أكون معك في سيارة حقيقية في الوقت الحالي. من المؤكد أنك لا تزال جريئًا بعض الشيء».

إنه شعور رائع. ربما لم يكن جيدًا كما كان من قبل، حين كنا في المختبر. لم يكن بالقدر نفسه تمامًا . . . لا أعرف . . . «لا يُدحَض». لكن من المؤكد أنه موجود. تبدو الحياة مليئة بالإمكانيات، وتبدو آفاقي النفسية أوسع بكثير. لماذا لا أغادر إلى جلاسجو(281) في عطلة نهاية هذا الأسبوع لحضور حفلة توديع العزوبية التي يقيمها أحد أصدقائي، بدلًا من جر نفسي إلى دبلن لمساعدة زوجتي على وضع والدتها في دار من دور الرعاية؟ لماذا لا أفعل عكس ما كنت أفعله عادةً - وأن ألقي إلى الجحيم بما يعتقده الناس؟ أعني، ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟ هذه المرة في العام المقبل، وهذه

---

(280) - جران توريزمو Gran Turismo هي لعبة فيديو محاكاة سباقات شعبية (المؤلف). سلسلة ألعاب فيديو من عدة أجزاء وهي لعبة سباق سيارات. انتجت لتعمل على أجهزة سوني بلايستيشن وبلايستيشن 2 وبلايستيشن 3 وبي أس بي بورتابل. واسم اللعبة إيطالي إسباني "Grand Touring" ويعني التجوال العظيم (المترجم).

(281) - جلاسجو Glasgow: أكبر مدن أسكتلندا، وثالث أكبر مدن المملكة المتحدة (المترجم).

المرة حتى في الأسبوع المقبل، سوف يتم نسيان كل شيء.

يفوز من يمتلك الجرأة، أليس كذلك؟

أخذت جنيهين من الطاولة المجاورة لطاولتنا - بقيت على شكل بقشيش، ولكن من يمكن أن يعرف؟ - وأجرب حظي في جهازين آخرين. وصلت إلى أربعة وستين ألف دولار في برنامج «من يريد أن يكون مليونيرا»،[282] لكني أتحطم وأحترق لأنني أرفض أن أكون 50 - 50.

لم يكن من الممكن أن تقدم الأمر بشكل أفضل إذا حاولت. إنني **سيكوباتي أمريكي**[283] تدور أحداثه في لوس أنجلوس، وأضغط على الزر بلا مبالاة على الرغم من تحفظات **نيك كوبر**.

إنها نيويورك.

يضحك قائلًا: «اعتقدْتُ أنك سوف تحصل على ذلك على الأقل».

ثم تبدأ الأمور في التغير — بسرعة كبيرة، كما يحدث عادة. **جران توريزمو** للمرة الثانية تكاد تكون خيبة أمل. أصبحْتُ أكثر حذرًا فجأة، وأنهيت الطريق في منتصف الملعب. ليس ذلك فحسب، فأنا ألاحظ وجود كاميرا أمان في الزاوية وأفكر في البقشيش الذي وضعته في جيبي للتو. لأكون في الجانب الآمن، قررت أن أعيده.

ينظر نيك كوبر إلى ساعته. إنني أعرف ما هو قادم - لا يحتاج أن يخبرني.

«لا تزال أكثر برودًا من آندي مكناب؟».

أبتسم وأتجرع جرعة كبيرة من البيرة. ولكن هذا هو الحال مع السيكوباتيين. إنهم لا يبقون أبدًا في مكان لفترة طويلة. بمجرد انتهاء الحفلة، ينتقلون إلى الحفلة التالية -

---

(282) - من يريد أن يكون مليونيرا Who Wants to Be a Millionaire: أو من يربح المليون، البرنامج التليفزيوني الشهير، وهو بريطاني في الأصل، وقد عرضت نسخته الأولى في 4 سبتمبر من عام 1998 (المترجم).

(283) - **سيكوباتي أمريكي** *American Psycho*: فيلم إثارة أمريكي ساخر صدر في عام 2000 شاركت في تأليفه وإخراجه المخرجة الكندية ماري هارون Mary Harron (1953 -)، بناءً على رواية الكاتب الأمريكي بريت إيستون إليس Bret Easton Ellis (1964 -) التي صدرت في عام 1991 وتحمل العنوان نفسه (المترجم).

مع اعتبار ضئيل للمستقبل، وحتى أقل للماضي.

وهذا السيكوباتي، الذي كان أنا، على ما أعتقد لمدة عشرين دقيقة، لم يكن استثناءً. لقد استمتع. وحصلت على مشروب مجاني نتيجة لذلك. ولكنه الآن بعد أن أصبحت التجربة تاريخًا، كان فجأة في طريقه، يشق الطريق ويتجه إلى خارج المدينة.

نأمل أن يكون على مسافة بعيدة.

بالتأكيد لم أرغب في أن يظهر في بار الفندق بعد ذلك، حيث كنت أقابل آندي مكناب. إما أن يستمروا بشكل رائع. أو أنهم لن يستمروا على الإطلاق.

لأكون صريحًا تمامًا، لم أكن أعرف أيهما أكثر رعبًا.

الفصل السادس

الانتصارات السبعة المميتة[284]

العاطفة انحراف كيميائي يوجد على الجانب الخاسر.

- شارلوك هولمز

عبور الحدود:

تقولُ النكتة إنّ الدخول إلى مستشفى برودمور[285] أصعب من الخروج منه. لكن الأمر ليس كذلك. إنها مجرد نكتة.

«هل لديك أي شيء حاد؟» تنبح المرأة في الاستقبال في أثناء إيداع جميع محتويات حقيبتي - كمبيوتر محمول، هاتف، أقلام، نعم، مسدس جلوك 17[286] جدير بالثقة - في خزانة ذات واجهة من الزجاج الواقي في قاعة المدخل.

أجبت، مقلدًا بسخرية تعليق أوسكار وايلد ذات مرة لمسؤول الجمارك في الولايات المتحدة: «ذكائي فقط».

ولم تكن موظفة الاستقبال من المعجبين بي أو بأوسكار وايلد على ما يبدو.

تصرخ مرة أخرى: «هذه ليست حدة يا فتى، ضع الآن سبابة يدك اليمنى هنا وانظر إلى الكاميرا».

---

(284) - في الأصل Seven Deadly Wins، أظن أن العنوان يحمل تلميحًا إلى الخطايا السبع المميتة، أو ما يعرف بالخطايا الكبرى في التعاليم المسيحية، وهي الكبرياء والجشع والغضب والحسد والشهوة والشراهة والكسل. وهي تتعارض مع الفضائل السماوية السبع (المترجم).

(285) - برودمور Broadmoor: مستشفى للأمراض النفسية يخضع لحراسة مشددة في كروثورن في بيركشاير، إنجلترا. وهو أحد أقدم ثلاثة مستشفيات للأمراض النفسية في إنجلترا (المترجم).

(286) - مسدس جلوك 17 Glock 17: مسدس نمساوي خفيف، يستخدم في الجيش النمساوي وفي الكثير من مراكز الشرطة في أمريكا (المترجم).

بمجرد المرور عبر مراقبة الحدود في مستشفى برودمور، يتم إدخالك على الفور إلى غرفة آمنة صغيرة جدًّا، وزنزانة احتجاز مؤقتة ذات جدران زجاجية بين الاستقبال ومبنى المستشفى الحقيقي، في حين أن الشخص الذي تزوره يتم استدعاؤه عن طريق الاستقبال ويشق طريقه لمقابلتك.

إنه انتظار مثير للقلق وخانق. بينما أتنقل بين المجلات، أذكر نفسي لماذا أنا هنا - رسالة بريد إلكتروني تلقيتها بعد انطلاق **المسح السيكوباتي البريطاني الكبير** Great British Psychopath Survey. إنه مسح فريد من نوعه: الأول من نوعه لتقييم مدى انتشار الصفات السيكوباتية داخل القوى العاملة الوطنية كلها. تم توجيه المشاركين إلى موقع الويب الخاص بي، حيث أكملوا **مقياس ليفنسون للتقرير الذاتي للسيكوباتية**- Levenson Self-Report Psychopathy Scale، ثم حصلوا على درجاتهم.

لكن هذا لم يكن كل شيء. أدخلوا أيضًا تفاصيل عملهم. ما المهنة التي سوف يتبين أنها المهنة الأكثر سيكوباتية في المملكة المتحدة؟ أردت أن أعرف. وهذه المسألة، على أقل تقدير؟ ومن المؤكد أن النتائج، الموضحة أدناه، تجعل قراءتها مثيرة للاهتمام - خاصة إذا كنت مولعًا بعظة أو اثنتين من عظات يوم الأحد.

+ سيكوباتية	- سيكوباتية
1- رئيس التنفيذي	1- مساعد رعاية
2- محامٍ	2- ممرضة
3- إعلام (تلفزيون / راديو)	3- معالج
4- مندوب مبيعات	4- حرفي
5- جراح	5- خبير تجميل / مصمم
6- صحفي	6- عامل في مؤسسة خيرية
7- ضابط شرطة	7- مدرس
8- رجل دين	8- فنان مبدع

9- شيف | 9- دكتور
10- موظف مدني | 10- محاسب

ولكن بعد أسبوعين، ظهر ما يلي في صندوق الوارد الخاص بي، من أحد المشاركين في المسح. إنه محام في المحاكم العليا حقق الكثير من النجاح - وهو في الواقع واحد من خيرة الناس في المملكة المتحدة - الذي أرسل بالبريد درجة شدت انتباهي بالتأكيد. ومع ذلك، بالنسبة إليه، لم يكن هناك شيء غير عادي. لم تكن هناك أي مشكلة على الإطلاق:

وقد كتب: «أدركت منذ فترة مبكرة جدًّا في طفولتي أنني كنت أرى الأشياء بشكل مختلف عن الآخرين. ولكن ذلك ساعدني في حياتي، في أكثر الأحيان. إن الشخصية السيكوباتية (إذا كان هذا هو الاسم الذي تريد أن تطلقه عليها) تشبه الدواء بالنسبة للعصر الحديث. إذا تناولتها باعتدال، فقد تبرهن على أنها مفيدة للغاية. يمكن أن تخفف الكثير من العلل الوجودية التي قد نقع ضحية لها لأن أجهزة المناعة النفسية الهشة لدينا ليست مؤهلة للقيام بحمايتنا. ولكن إذا تناولت الكثير منها، أي إذا تناولت جرعة زائدة من السيكوباتية، فيمكن أن تكون لها، كما هو الحال مع جميع الأدوية، بعض الآثار الجانبية المزعجة إلى حد ما».

لقد جعلتني الرسالة التي وصلتني بالبريد الإلكتروني أفكر. هل محامي الدفاع الجنائي البارز هذا لديه وجهة نظر؟ هل كانت الشخصية السيكوباتية «دواء بالنسبة إلى العصر الحديث؟» هل يمكن أن يكون تناولها باعتدال، والقيام بتدوير تلك الأقراص قليلًا إلى اليمين على مكاتب المزج السيكوباتي الخاصة بنا - في أوقات معينة، في سياقات معينة - أمرًا جيدًا بالنسبة إلينا في الواقع؟

لقد كان احتمالًا مثيرًا للاهتمام. وبالإضافة إلى ذلك، كان له الكثير من المعنى الحدسي. دعنا نلقِ نظرة على تلك الأقراص للحظة: القسوة، والسحر، والتركيز، والصلابة العقلية، وعدم الخوف، والتركيز التام (العيش في اللحظة)، والعمل. من

الذي لن يستفيد، في مراحل معينة من حياته، من زيادة قوة سمة أو اثنتين من هذه السمات؟ وما كان مهمًّا هو القدرة على خفض قوتها مرة أخرى.

قررت أن أخضع النظرية للاختبار - ربما ليس للتدمير تمامًا. ولكنها كانت مؤكدة مثل اقتراب الجحيم. كنت قد قمت بزيارة عدة مستشفيات بهدف عقد مقابلات بعض الزملاء. ولكن ماذا لو ذهبت إلى العنابر؟ ماذا لو تحدثت مع بعض المرضى مثلما ألتقي ببعض الأطباء؟ عرضت عليهم مشاكل من الحياة اليومية العادية، الأمور المعتادة التي نئن بشأنها في ساعة السعادة، وأرى ماذا كان موقفهم منها؟ أرى الاقتراحات التي يتوصلون إليها؟ حتى الآن، كانت الفكرة تبدو جيدة.

«يا بروفيسور داتون؟» يتوقف تيار تفكيري وأتطلع لأرى رجلًا أشقر في منتصف الثلاثينيات من عمره يحدق فيَّ عند الباب. «مرحبًا، أنا **ريتشارد بليك** Richard Blake - أحد قادة الفرق في **مركز بادوك** Paddock Centre. مرحبًا بك في مستشفى برودمور! هل أتولى أمرك؟»؟».

ونحن نستعد للانطلاق ونبدأ في رسم مسارنا بشكل أعمق وأعمق في متاهة الأحشاء الطبية في المستشفى، من خلال سلسلة من الممرات المترابطة وغرف انتظار خالية من البشر مثل تلك التي بدأنا منها - «**فقاعات الهواء الأمنية**» كما يسميها ريتشارد **بليك**: القاعدة الذهبية في مستشفى برودمور لا تفتح أبدًا أي باب أمامك قبل التأكد أولًا من أن الباب الخلفي مقفل - يقول لي، بمزيد من التفاصيل، إلى أين نتجه.

مركز بادوك عبارة عن إدارة مغلقة ومتخصصة للغاية خاصة باضطرابات الشخصية وتتكون من ستة عنابر في كل منها اثنا عشر سريرًا. ما يقرب من 20 في المائة من المرضى الذين يقيمون هناك في أي وقت هم ما يمكن أن نسميهم أشخاصًا سيكوباتيين «نقيين»، ويقتصر هؤلاء على جناحين مكرسين خصيصًا لعلاجهم وتقييمهم المستمر: **عنابر اضطرابات الشخصية الخطيرة والشديدة** Dangerous and

Severe Personality Disorder (DSPD). الباقي موجود مع ما يسمى **بالاضطرابات العنقودية** (Cluster Disorders) : سمات سيكوباتية مهمة إكلينيكيًّا (كما يتضح من درجات عالية باعتدال على القائمة المعدلة لفحص الشخصية السيكوباتية PCL-R) مصحوبة بوجود سمات تكميلية أساسية مرتبطة عادة باضطرابات شخصية أخرى معترف رسميًّا بأنها تحتاج إلى علاج – الشخصية البينية، والشخصية التي تتسم بجنون العظمة، والشخصية النرجسية، على سبيل المثال. أو، بدلًا من ذلك، سمات أكثر دلالة على الأعراض الذهانية الأساسية، والأوهام والهلوسة هي الأمثلة الواضحة في هذا الشأن.

فجأة يظهر الواقع. هذا ليس مركزًا متنقلًا[287] لشرب الموكا وينبغي أن أحتاط جيدًا وأنا على وشك الدخول. هذا هو المخبأ، العرين الداخلي الذي لا ضمير له، للمرضى الذين لا يعرفون معنى القلق، المسرفين في تناول الكيانتي - إبقاء بعض من أكثر الكيمياء العصبية شرًّا في العمل، حيث يمكن أن تتأرجح حالات الدماغ، حرفيًّا، على حافة السكين. إن سفاح يوركشاير هنا. وهنا أيضًا شانق ستوكويل.[288] إنه مبنى من أخطر المباني على وجه الأرض.

«أوه، إنني، سأكون بخير، أليس كذلك، يا ريتشارد؟» أقول صارخًا حين نكون فجأة على يمين حاوية كبيرة في الهواء الطلق، مغطاة ببعض الأسلاك الشائكة غير المتشابكة بشكل واضح.

يبتسم ابتسامة عريضة، ويقول «سوف تكون بخير. في الواقع، إن المشاكل في عنابر

---

(287) - مركز متنقل drop-in center: وكالة خدمات للمرضى العقليين والمشردين والمراهقين والمجتمعات الأخرى التي توفر مكانًا يمكن للأشخاص الذهاب إليه للحصول على الغذاء والخدمات الأخرى. يمكن أن يوفر مركز الصحة النفسية بيئة ودية للأشخاص الذين يعانون من أعراض الصحة العقلية للتعافي (المترجم).

(288) - سفاح يوركشاير Yorkshire Ripper (1946 -): هو بيتر وليم ساتكليف Peter William Sutcliffe، سفاح إنجليزي أطلقت عليه الصحافة لقب سفاح يوركشاير في عام 1981، وقد أدين ساتكليف بقتل ثلاث عشرة امرأه ومحاولة قتل سبع أخريات. شانق ستوكويل Stockwell Strangler (1963 -): كينيث أرسكين Kenneth Erskine، مجرم بريطاني، اقترف 7 - 11 جريمة قتل من بين كبار السن في لندن بين أبريل ويوليو 1986: وستوكويل حي في جنوب غرب لندن (المترجم).

اضطرابات الشخصية الخطيرة والشديدة (DSPD) نادرة نسبيًّا. إن العنف السيكوباتي في الغالب عنف إجرائي، وسيلة مباشرة لهدف محددة. مما يعني، في بيئة كهذه، أنه يمكن الوقاية منه إلى حد كبير. وفي حالة انطلاق شيء ما، يمكن احتواؤه بسهولة. في عنابر مرضى الذهان تكون الأمور أقل توقعًا».

في الواقع، حتى عند مقارنة الشخصية السيكوباتية باضطرابات الشخصية الأخرى، يكون من الأسهل التعامل مع الأشخاص السيكوباتيين. إنهم، لسبب ما، يميلون إلى الاستجابة للأنشطة اليومية بشكل أفضل، على سبيل المثال، من الشخصية البينية أو الشخصية التي تتسم بجنون العظمة. ربما يكون ذلك لأن الملل ينتابهم بسرعة: يحبون أن يبقوا في حالة انبساط.

ويضيف قائلًا مع مجرد تلميح بسيط للعتاب: «بالإضافة إلى ذلك، لقد فات أوان التراجع الآن، أليس كذلك؟».

التعرف على المحليين:

يقول داني[289] وهو يحرز هدفه الثاني لصالح نادي تشيلسي، وكان من ضربة رأس على حافة منطقة الست ياردات من ضربة ركنية: «نحن النخبة الشريرة، لا تضفِ علينا بريقًا. ولكن، في الوقت نفسه، لا تسرْ بنا في الاتجاه الآخر وتبدأ في تجريدنا من إنسانيتنا أيضًا».

إنه يصوب لي نظرة خاطفة من وراء نينتندو وي[290] الخاص به. تسير الأمور على ما يرام سواء داخل الملعب أو خارجه. تشيلسي يتقدم بنتيجة 2 – صفر أمام مانشستر يونايتد، وأنا جالس أشاهد، برفقة مجموعة من الأشخاص السيكوباتيين، على طاولة،

(289) - داني درنكوتر Danny Drinkwater (1990 -): لاعب إنجليزي من مواليد مانشستر، يلعب في خط وسط نادي تشيلسي (المترجم).

(290) - نينتندو وي Nintendo Wii: وي Wii اسم منتج طورته شركة نينتندو Nintendo اليابانية لوحدة تحكم ألعاب الفيديو (المترجم).

في زاوية أحد عنابر اضطرابات الشخصية الخطيرة والشديدة شديدة العزل في مستشفى برودمور.

الجو في العنبر ليس ما كنت أتوقعه. وكان انطباعي الأول أنه عنبر جامعي مجهز بشكل جيد للغاية. جميع الأخشاب نظيفة وبراقة. الإضاءة قوية ومعدة حديثًا. والفضاء مزيل للرجفان بشكل دقيق. حتى أنني ألاحظ وجود طاولة بلياردو. التي كان عليها، لسوء الحظ اليوم – وكان من اللطيف أن أسترد أجرة القطار – مفرش.

لاري Larry، رجل أشيب، بشارب في وجهه، من النوع القصير ممتلئ الجسم، الذي يبدو، في سويتر فير إزل[291] وبنطلون بيج مطاطي، وكأنه العم المفضل للجميع - إلا إذا كنت تخطط للخروج في المساء، فقد تكون في وضع أفضل إذا استأجرت هيرودس[292] جليسًا للأطفال – وقد أثار إعجابي على الفور. كان لديه ما يكفي من الحديث عن كرة القدم.

يقول وهو يصافح يدي ويطوقني بصمت بنظرته النعسانة المقمرة: «أنت تعرف، يقولون إنني من أخطر الرجال في مستشفى برودمور. يمكنك أن تصدق ذلك؟ لكن أعدك بأنني لن أقتلك. هنا، دعاني أركما المكان».

يرافقني لاري إلى الطرف الآخر من العنبر، حيث نتوقف لنلقي نظرة خاطفة على غرفته من الداخل. إنها بالشكل نفسه، إلى حد كبير، مثل أي غرفة أخرى منفردة قد تجدها في المستشفى، على الرغم من وجود عدد قليل من وسائل الراحة الأخرى. مثل الكمبيوتر، على سبيل المثال. ومساحة لمكتب. ومجموعة من الكتب والأوراق على السرير.

مستشعرًا، ربما، فضولي في بدايته، يقترب قليلًا، ويهمس في أذني: «لقد عشت هنا

(291) - فير إزل Fair Isle: تقنية حياكة تقليدية تُستخدم لإنشاء أنماط بألوان متعددة. سميت على اسم إحدى جزر شيتلاند Shetland. اكتسبت حياكة فير إزل شعبية كبيرة عندما ارتدى أمير ويلز (لاحقًا إدوارد الثامن) صداري فير إزل في الأماكن العامة في عام 1921 (المترجم).

(292) - هيرودس الأول Herod (73 – 4 ق. م.): كان حاكمًا على الجليل ثم ملكًا على اليهود (المترجم).

عشرين عامًا. إنه وقت طويل جدًّا، أوه . . . « - يسلك حلقه ويبتسم بتآمر»... من الصعب أن تقضيها هنا. هل أنت معي؟».

المحطة التالية في الطريق هي الحديقة: مكان فناء مغمور من الطوب الرمادي في حجم ملعب التنس تقريبًا، يزيد أو يقل قليلًا، تتخلله مقاعد وأشجار صنوبر. الحكم: «يصبح كل شيء متشابهًا إلى حد ما بعد عقدين».

صحيح تمامًا. ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الآخر من العنبر - تصميم المكان متناسق: ست غرف على جانب، وست غرف على الجانب الآخر، مفصولة، في المنتصف، بخطوط الطول بلون الرماد مفرغة جيدًا – نهبط على جيمي Jamie.

يعلن لاري: «هذا الرجل من جامعة كمبردج، وهو في منتصف كتابة كتاب يكتبه عنا».

يقف جيمي ويوقفنا عند الباب. إنها دعوة واضحة لنا لنعود من حيث أتينا بلطف. وهو ما نفعله – بسرعة إلى حد ما – ونعود إلى الملاذ الآمن في العنبر. جيمي، كما يتضح، هو قضية مختلفة تمامًا عن لاري. إنه رجل وحش يبلغ طوله حوالي ستة أقدام وبوصتين، مع قصبة وحشية محترقة على الفحم ونظرة فضية ثاقبة، له حضور مزعج ومهدِّد وشيطاني لقاتل وحيد عنيف للغاية. إن قميص الحطاب الذي يرتديه والرأس الحليق المحطم لا يسهل الأمور تمامًا.

«إذن عمّ يتحدث هذا الكتاب؟» كان جيمي يدمدم فيما يشبه الهمس في لهجة **عصابة كوكني**،[293] وهو مثبت في إطار باب غرفته، وذرعاه مطويتان أمامه، تاركًا قبضته مضغوطة مثل **مطرقة الكرة**[294] تحت ذقنه. «الهراء القديم نفسه، على ما أفترض؟ اقفلْ عليهم وارمِ المفتاح بعيدًا؟ كما تعلم، ليس لديك أدنى فكرة عن مدى

---

(293) - كوكني Cockney: يستخدم المصطلح لوصف سكان مناطق محددة بشكل فضفاض في مدينة لندن، لهجة كوكني هي شكل الكلام المستخدم في تلك المناطق، وفي أماكن أخرى، خاصة بين الطبقة العاملة في شرق لندن وجنوب شرق إنجلترا عمومًا (المترجم).

(294) - مطرقة الكرة ball hammer: أو المطرقة الكروية، والمعروفة أيضًا باسم مطرقة الميكانيكي، نوع من المطارق المستخدمة في الأشغال المعدنية. تحتوي على رأسين، أحدهما مسطح والآخر دائري (المترجم).

الانتقام الذي يمكن أن يبدو في هذا الكلام في بعض الأحيان. وأود أن أضيف، إنه مؤلم بكل معنى الكلمة. أليس كذلك يا لاري؟».

يقهقه لاري بطريقة مسرحية وهو يشبك يديه على قلبه في عرض شكسبيري للقلق الشديد. في هذه الأثناء، يمسح جيمي برفق دموعًا خيالية.

إنه لأمر رائع. بالضبط ما جئت هنا من أجله. مثل هذا الإهمال الرواقي في مواجهة الشدائد المتواصلة شيء، ربما، يمكننا جميعًا القيام به بقليل من الجهد.

أقول: «ماذا تعرف يا جيمي؟ أحاول أن أفعل العكس تمامًا. تصادف أنني أعتقد أنكم لديكم أيها الرجال شيء ما نتعلمه منكم. أسلوب شخصي معين يمكن للبقية منا أن نتعلمه منكم. باعتدال، بالطبع. هذا مهم. مثل هذه الطريقة، الآن فقط، تجاهلت ما قد يعتقده الناس عنكم. في الحياة اليومية، هناك مستوى يكون فيه أسلوبكم صحيًّا جدًّا».

يبدو جيمي مستمتعًا تمامًا بفكرة أنني قد ألتمس منه النصيحة. إن نقطة استقطاب السيكوباتي قد تقدم، في الواقع، بعض المنظور القيم حول معضلات الحياة اليومية. لكنه لا يزال حذرًا بعض الشيء.

يقول بسخرية: «هل تقول إنّني أنا والكابتن مكاليستر[295] هنا حصلنا للتو على الكثير من الأشياء الجيدة؟ إن هذه السيارة رائعة لكن السائق سريع للغاية على الطريق؟».

إنه تشبيه رائع.

أقول: «إلى حد ما، أنت مهتم برفع قدمك عن الغاز والتوقف على جانب الطريق لمدة دقيقة؟».

عينا جيمي ضيقتان. «إنني لا أتوقف على جانب الطريق من أجل أي شخص»،

---

(295) - الكابتن مكاليستر Captain McAllister: شخصية كرتونية؛ يظهر عادة وهو يمسك بالغليون وبعين زجاجية على الأقل، وساق صناعية (المترجم).

يلقي نظرة إلى الخلف. «ولكن إذا كنت ترغب في ركوب السيارة، فعليك أن تقفز».

بالعودة إلى حيث بدأنا، في الطرف الآخر من الجناح، يتقدم تشيلسي الآن على مانشستر يونايتد بأربعة أهداف. وتم اختيار داني - مَنْ آخر يمكن اختياره؟ - للتو أفضل لاعب في المباراة.

يقول جيمي بشكل عرضي وهو يلقى نظرة سريعة في اتجاه الكابتن مكاليستر: «أرى أنه لم يقتلك. إنك تضعف في شيخوختك، يا لاري؟».

أضحكُ. أدرك أنني متوتر إلى حد ما. هناك مسحة صحية من الهوس في ضحكتي. لكن لاري جادٌّ جدًّا.

يقول بإصرار: «مهلًا. أنت لا تفهم، أليس كذلك يا فتى؟ قلت لن أقتلك. وأنا لم أقتلك، أليس كذلك؟».

فجأة يتبين لي أن لاري ربما لم يكن يخدعني. ربما يكون قد مارس لمسة من ضبط النفس أكثر مما قد أوحى به مظهره. وقد نجح انزعاجي العصبي ومحاولتي أن أضحك مستنكرًا الأمر، بعيدًا عن تحقيق الهدف النبيل والجدير بالثناء، في استثارته وجعله سريع الانفعال.

أقول فجأة بعصبية: «لا، إنني أفهم، يا لاري... أستوعب الأمر. حقًّا. شكرًا يا رجل. إن هذا محل تقدير كبير».

يبتسم جيمي. من الواضح أنه يجد الأمر مضحكًا. لكن من الجليد الرقيق غير المستقر الذي يبدو أني أتزلج عليه الآن، لا توجد مسألة تدعو للضحك على الإطلاق. من السهل نسيان أن كل شيء ممكن مع هؤلاء الرجال. إنه لا توجد حدود في الحقيقة. وأنه مع عدم وجود دواسة لفرامل أخلاقية ولوزة دماغ بمحرك «في 12»،[296] لا

(296) - في 12 V12: محرك على شكل V يتكون من 12 أسطوانة موضوعة على علبة مرافق في مجموعتين، تتكون كل مجموعة من 6 أسطوانات وعادة تكون الزاوية بين المجموعتين 60 درجة، وتقود كل المكابس عمود مرفق مشترك (المترجم).

يستغرق الأمر الكثير لكي تنحرف السيارة عن الطريق.

تنزل ستارة على كرة القدم. وداني ينطلق خارج الملعب. ويتكئ على كرسيه.

يقول: «إذن، كتاب، إيه؟».

أقول: «نعم. إنني مهتم بالطريقة التي تحلون بها المشاكل يا رجال».

يتطلع داني إلي مستفهمًا ويسأل: «أي نوع من المشاكل؟».

أقول: «المشاكل اليومية. كما تعرف، النوع الذي يجب على معظم الناس التعامل معه في حياتهم».

ألقي نظرة على لاري وجيمي: «هل تمانعان إذا أعطيت لكما مثالًا؟».

ينظر داني إلى الساعة ويتنهد: «لم لا؟ طالما أن الأمر لا يستغرق أكثر من خمس سنوات».

أقول: «سوف أحاول أن أجعله قصيرًا» – وأحكي له عن بعض أصدقائي الذين كانوا يحاولون بيع منزلهم.

عدم الرحمة:

كيف تتخلص من مستأجر غير مرغوب فيه؟ كان هذا هو السؤال بالنسبة إلى كل من «دون» وزوجته «فران»، اللذين أحضرا للتو والدة فران المسنة، «فلو»، لتعيش معهما. عاشت فلو في منزلها السابق لمدة سبعة وأربعين عامًا، والآن لم تعد بحاجة إليه، طرح دون وفران المنزل في السوق. ولأن المنزل في لندن، في منطقة واعدة، كان هناك اهتمام كبير. ولكن كانت هناك أيضًا مشكلة صغيرة: المستأجر، الذي لم يكن مبتهجًا تمامًا من احتمال إخراجه من المنزل.

كان دون وفران قد نفد صبرهما إلى حد كبير. كانا سيخسران بالفعل في عملية بيع محتملة لأن المستأجر لم يستطع، أو لا يريد، أن يحزم حقائبه. وقد يكون احتمالًا كارثيًا

آخر. لكن كيف يمكن إخراجه؟

يتساءل داني: «أفترض أننا لا نتحدث عن العنف هنا. أليس كذلك؟».

أقول: «صحيح. لا نريد أن ينتهي بنا الأمر في داخل السجن، أليس كذلك؟».

ينظر داني إليَّ بإشارة بذيئة بإصبعه الوسطى. لكن حقيقة أنه يطرح مثل هذا السؤال عمومًا يفضح أسطورة أن العنف بالنسبة إلى الأشخاص السيكوباتيين، هو كل ما يتوفر لديهم.

يهمهم جيمي: «ماذا عن هذا، إذن؟ مع مجيء السيدة العجوز إلى بيت زوج ابنتها، تسنح فرصة أن يكون الرجل الغريب وحيدًا في المنزل، أليس كذلك؟ وبالتالي تظهر على أنك رجل من المجلس المحلي، وتقف عند الباب، وتطلب التحدث إلى المالك. يجيب ويخبرك بأن العجوز الغالية ليست في الداخل. حسنًا، أنت تقول. لا مشكلة. ولكن هل حصلت على رقم هاتف للاتصال بها؟ لأنك تحتاج إلى التحدث معها على وجه السرعة».

في هذه المرحلة يكون لديه نوع من الفضول. ويتساءل حذرًا بعض الشيء أسئلة من قبيل: ماذا يحدث؟ في الواقع، تقول الكثير. لقد كنت في الخارج للتو وأخذت قراءة روتينية للأسبستوس.[297] وتخيل ماذا؟ المستوى مرتفع للغاية بحيث يجعل محطة تشيرنوبيل تبدو وكأنها منتجع صحي. يجب الاتصال بمالكة العقار على الفور. يجب إجراء مسح هيكلي. وأي شخص يعيش حاليًا في هذا العنوان يجب عليه إخلاء المبنى حتى يتمكن المجلس المحلي من حل المشكلة تمامًا.

«هذا ما ينبغي أن تفعله الخدعة. مع شيء من الحظ، قبل أن تتمكن من قول 'الموت البطيء والمتعرج من سرطان الرئة'، سوف يكون الشخص الحقير خارج المنزل على الفور. بالطبع، يمكنك فقط تغيير الأقفال حين ينطلق إلى المجلس المحلي، على ما

(297) - الأسبستوس asbestos: أو الحرير الصخري، معدن سيليكات ليفي مقاوم للحرارة يمكن نسجه في الأقمشة، ويستخدم في مواد مقاومة للحريق وعزل بطانات الفرامل (المترجم).

أفترض. سوف يكون ذلك بمثابة نوع من المرح. لكن المشكلة إذن، لا يزال لديك كل ملابسه. وأعتقد أن المرء سوف يكون على ما يرام إذا كنت تخطط لبيع الجراج. أعني، يمكنك حتى أن تكسب بعض الجنيهات من هذا الغبي وتغطي تكلفة الأقفال...».

«أنا، على الرغم من ذلك؟ سوف أذهب شخصيًّا في طريق الصحة health والسلامة. ها، **التسلل خلسة**- *Stealth* والسلامة، أكثر شبهًا! سوف تطرد اللقيط تمامًا بهذه الطريقة، على ما أعتقد. بالإضافة إلى ذلك، بالطبع، قد يعتقد أنك تقدم له خدمة».

إن الحل الرائع الذي يقدمه، وإن كان غير تقليدي إلى حد ما، لمعضلة المستأجر مع دون وفران من أجل البقاء، جعلني أتراجع بالتأكيد. ولكن، في دفاعي، كان هناك سبب جيد تمامًا لذلك بالطبع. إنني لست شخصًا سيكوباتيًّا لا يعرف الرحمة! إن فكرة إخراج الرجل بسرعة بحيث يجعله بلا مأوى وفي الشارع لم تخطر على بالي ببساطة. إنها فقط لم تومض على راداري الخاص. ولم يكن في هذا الصدد، بيع كل ممتلكاته لدفع ثمن متعة إبعاده عن المنزل. ومع ذلك، كما أشار جيمي عن حق، هناك أوقات في الحياة ينبغي فيها «اختيار الأقل سوءًا». حين يكون عليك، في بعض الأحيان، من أجل تحقيق النتيجة المرجوة، أو المناسبة أكثر، أن تفعل ما كان عليك أن تفعله.

ولكن كان هناك المزيد. ومن المثير للاهتمام أنه يجادل بأن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله: إنه، من وجهة نظر موضوعية، المسار الأخلاقي للعمل.

يسأل: «لماذا لا تطرد الوغد؟ أعني، فكر في ذلك. إنك تتحدث عن 'فعل الشيء الصحيح'. ولكن ما الأسوأ من منظور أخلاقي؟ ضرب شخص يستحق الضرب؟ أو أن تضرب نفسك، وأنت لا تستحق الضرب؟ لو كنت ملاكمًا، لفعلْتَ كل ما في وسعك لتوجيه الضربة القاضية للرجل الآخر بأسرع ما يمكن، أليس كذلك؟ لماذا، إذن، يكون الناس على استعداَد لتحمل القسوة في الرياضة، ولا يتحملونها في الحياة

اليومية؟ ما الفرق . . . ؟».

«إن مشكلة الكثير من الناس هي أن ما يعتقدون أنه فضيلة ليس إلا رذيلة مقنعة في الواقع. أن تقنع نفسك بأنك عاقل ومتحضر أسهل بكثير من أن تقنع نفسك بأنك هش وضعيف، أليس كذلك؟».

أشار جورج أورويل ذات مرة إلى أن «الرجال الطيبين ينامون بسلام في أسرتهم ليلًا، لأن الرجال القساة على استعداد لممارسة العنف نيابة عنهم».

ولكن ربما، إذا صدقنا أحد أخطر الأشخاص السيكوباتيين في العالم، يمكننا جميعًا أن نفعل ذلك ونحن ندرك إلى حد ما ضرورة أننا في حاجة إلى القيام بإجراء ما لتغيير الموقف.

الفتنة والتركيز:

إن الحل الذي طرحه جيمي لمشكلة المستأجر، التي واجهها دون وفران، يحمل بلا شك في باطنه مسحة من القسوة. ومع ذلك، كما يوضح تقييم داني الأولي للمعضلة بوضوح تام - «أفترض أننا لا نتحدث عن العنف هنا، أليس كذلك؟». - لا يتطلب الأمر أن تكون مثل هذه القسوة واضحة. كلما كان توظيفها أكثر براعة، وكلما كانت رواية القسوة أكثر إبداعًا، زادت فرص المرء في النجاح في اقترافها مع الإفلات من العقاب. يمكن إخفاء خنجر المصلحة الذاتية الحازمة، ببراعة وسرعة إلى حد ما، تحت عباءة الخير، عباءة السحر الغامض المعتم.

وغني عن القول، إن قدرة الأشخاص السيكوباتيين على السحر، موثقة جيدًا. وكذلك قدرتهم على التركيز و«إنجاز المهمة». وغني عن القول أيضًا إن هذه القدرات مزيج قوي وذكي - ويمكن أن نستفيد جميعًا من استخدامه.

لقد انضم إلينا ليزلي Leslie ولديه سحر يتخذ مظهرًا جميلًا إلى حد ما: «...القدرة على فرش سجادة حمراء لمن لا يمكن للمرء أن يتحملهم من أجل تتبعهم بسرعة

وسلاسة وكفاءة قدر الإمكان، في الاتجاه الذي يريد أن يسيروا فيه».

من خلال شعره الأشقر الممشط بدقة ولهجته الحادة القاطعة التي لا تشوبها شائبة، يبدو وكأنه سلطة. يعلن: «إن الناس لطفاء بقدر ما تجعلهم لطفاء. وهو ما يمنحك بالطبع الكثير من السلطة عليهم».

يتمتع ليزلي أيضًا بقدر كبير من التركيز، خاصة حين يتعلق الأمر بالحصول على ما يريد. أدرك مستر ليزلي منذ صغره نوعًا ما أن ما كان يدور في رأسه أطاع مجموعة مختلفة من مبادئ التشغيل مقارنةً بمعظم الناس - واستخدم هذه المعرفة لصالحه بشكل لا يرحم ولا يمكن تغييره.

قال لي: «حين كنت طفلًا في المدرسة، كنت أميل إلى تجنب الشجار بقبضة اليد. وهو بالضبط ما أفعله وأنا شخص بالغ. وأنا في هذا مثل جيمي إلى حد ما، على ما أفترض».

يبتسم جيمي، مع ما هو أكثر من مجرد تلميح لاستحسان الذات بشكل ساخر.

«كما تعرف، اكتشفت مبكرًا جدًّا، في الواقع، أن سبب عدم إقناع الناس لغيرهم بأن يسيروا في الطريق الذي يريدون السير فيه هو أنهم غالبًا لا يعرفون هم أنفسهم إلى أين يقودهم هذا الطريق. إنهم ينشغلون تمامًا في حرارة اللحظة ويخرجون عن المسار مؤقتًا. وعند تلك النقطة، تتغير الديناميكية. وفي تلك اللحظة لا تتعلق الأمور فقط بالحصول على ما تريد. ولكنها تتعلق برؤيتك للحصول على ما تريد. تتعلق بالفوز».

«كان جيمي يتحدث عن الملاكمة هناك قبل دقيقة. حسنًا، سمعت مرة اقتباسًا رائعًا من أحد أفضل المدربين. قال إنك إذا صعدت إلى الحلبة عازمًا على ضرب الرجل الآخر بالضربة القاضية في منتصف الأسبوع المقبل، فمن المحتمل أن تفشل. ولكنك إذا ركزت، من ناحية أخرى، على الفوز في المباراة، ركزت ببساطة على القيام بعملك، حسنًا، فقد توجه له الضربة القاضية في منتصف الأسبوع المقبل على أي

حال».

تبدو كلمات ليزلي منطقية تمامًا بالنسبة لي، وتذكِّرني بمقابلة جرت منذ عدة سنوات - لقاء ربما دخل فيه الانتقام والعنف بسهولة إلى المعادلة، ولكن حيث نجح فيه السحر والتركيز بدل أن يفشلا.

عند طول ستة أقدام وخمس بوصات ووزن 250 رطلًا، كان بنيان **داي جريفيث** Dai Griffiths على غرار مطعم يوناني أكثر مما كان على غرار إله يوناني. مع خدمة لا تنقطع لمدة ثلاثة وعشرين عامًا في قوة شرطة بريطانية معينة ودرجة على استبيان الشخصية السيكوباتية ربما وضعته على طول طيف السيكوباتية أكثر من معظم الرجال الذين اعتقلهم، وقد رأى كل شيء إلى حد كبير.

قال لي، وهو يشير إلى مدخل منطقة الاعتقال: «إن 20٪ من الأشخاص الذين يأتون عبر تلك الأبواب، يشغلون 80٪ من وقتنا». وكان يعني بذلك، بالطبع، أن معتادي الإجرام، مطروحًا منهم الأعداد البارعة، كانوا يمثلون إزعاجًا شديدًا.

معتادو الإجرام مثل **إيان كراكنيل** – Iain Cracknell، على سبيل المثال.

كان إيان كراكنيل ممن يمكن أن يوصفوا بأن مهنتهم السُّكْر. بانتظام مثل الساعة، في ليلة الجمعة أو السبت، يتم إحضاره إلى مركز الشرطة وخلفه مُسْتقبَلٌ ذهبي. زجاجة ويسكي جاك دانيال، عادة. ويعلم الرب وحده كم عدد زجاجات البيرة.

ما كان يحدث بعد ذلك روتينيًّا تم تصميم خطواته جيدًا إلى درجة أنه جعل **بحيرة البجعة** تبدو وكأنها خدعة مقارنة بما يحدث. أولًا، كان إيان كراكنيل يبدأ في التصرف بجنون. بعد ذلك، يتم استدعاء طبيب نفسي (كما هو مطلوب بموجب القانون) لتقديم تقييم لحالته العقلية. ولكن في الوقت الذي كان يصل فيه الطبيب النفسي، يكون إيان كراكنيل – يا للدهشة، يا للدهشة – قد عاد إلى طبيعته. من المؤكد أنه في حالة سكر. لكن من المؤكد أنه ليس مجنونًا. سوف يغادر الطبيب النفسي، وهو يهمهم

بشيء حول عدم كفاءة الشرطة وساعات غير حضارية، وسوف يتم إدخال إيان كراكنيل، وهو يهدر ضاحكًا، في زنزانة لينام حتى ينتهي تأثير الكحول. ثم يحدث الشيء نفسه في المرة القادمة.

بدت المشكلة مع إيان كراكنيل غير قابلة للحل. كيف يمكن وضع حد لألعاب العقل التي لا تنتهي؟ كانت المشكلة (كما هي الحال مع معظم معتادي الإجرام) أنه كان يعرف النظام أكثر من أي شخص آخر. وبالطبع، كيف يلعب به. مما يعني أن الشرطي يترك أمام اختيار. إما ألا يوقفه على الإطلاق – أو أن يواجه العواقب إذا أوقفه. عادة ما تكون العواقب انفجارًا من طبيب نفسي انزعج بشدة.

وقد بدا أن الأمر لا يمكن تغييره.

حتى طرأت فكرة على ذهن داي جريفيث، ذات ليلة. بعد أن استقر إيان كراكنيل في غرفته المعتادة في عطلة نهاية الأسبوع وأرسل، كالمعتاد، إلى الطبيب النفسي المناوب، يشق طريقه إلى خزانة الممتلكات المفقودة. بعد ذلك بوقت قصير، يمشي متثاقلًا في الممر في ملابس المهرج الكاملة - شعر، أحمر شفاه، أنف، أجراس - ويهبط على إيان كراكنيل مرة أخرى.

يستفسر داي جريفيث، ما الذي يريد أن يتناوله على الإفطار في الصباح؟

يميل إيان كراكنيل، على أقل تقدير، إلى عدم التصديق. في بعض الأحيان، إذا كان محظوظًا، يحصل على كوب من الماء. ولا حتى كوب: كوب من البلاستيك الخفيف. إنه الآن يتلقى هنا معاملة رائعة. لا يستطيع أن يصدق حظه.

ويتابع جريفيث: «... وكيف تريد البيض، مخلوطًا، مسلوقًا دون قشور، مقليًّا، مسلوقًا؟».

مع الاهتمام بالتفاصيل مثل أحد كبار النُّدل في مطعم، يدوِّن ملاحظة عن كل شيء يطلبه إيان كراكنيل. حتى عصير البرتقال الطازج. ثم يغادر.

بعد عشر دقائق، حين عاد مع الطبيب النفسي المناوب، يعود وهو يرتدي الزي الرسمي. يهمهم الطبيب النفسي: «وبالتالي، ما المشكلة التي تبدو هذه المرة؟»

يبدو إيان كراكنيل منفعلًا.

يقول متلعثمًا: «لست أنا الذي يجب أن تتحدث إليه، إنه هو. لن تصدق هذا. ولكن، قبل وصولك إلى هنا مباشرة، كان يرتدي ملابس مهرج بشكل كامل وسألني عما أريد أن أتناوله في الإفطار!».

يلقي الطبيب النفسي على داي جريفيث نظرة ارتياب. ويكتفي جريفيث بهز كتفيه.

يقول: «يبدو أننا في عمل».

إن داي جريفيث، صدقْ ما أقوله لك، ليس رجلًا يمكن أن تستثيره بسرعة. الكثير من الناس لديهم - وانتهى الأمر بغالبيتهم بسنّتين أقل مما بدأوا به. لم يوصف بأنه طبيب أسنان بلا سبب.

لكن من الواضح أن داي جريفيث لديه في جعبته أكثر من فكرة بديلة. كان يمكن أن يعلم إيان كراكنيل الدرس بسهولة. إن السكارى، كما يعلم الجميع، يقترفون «حوادث». يصطدمون بأشياء أو أشخاص ويحدثون ضجة. يمكن العثور على كدمة غريبة هنا أو هناك. ومع ذلك لم يكن لديه أي شيء من هذا القبيل. بدلًا من ذلك، كان يذهب في طريق مختلف تمامًا. لقد تجنب الفخ الذي حذره ليزلي منه ببلاغة شديدة - الإغراء ليس فقط من أجل حصول المرء على ما يريد، ولكن من أجل أن يُرَى وهو يحصل على ما يريد: لكي يُري إيان كراكنيل من الذي كان رئيسًا خلف الأبواب المغلقة على مستوى شخصي بشكل مفرط - وقد ركز، على النقيض من ذلك، على إيجاد حل من شأنه حل المعضلة مرة واحدة وإلى الأبد، ليس فقط لنفسه ولكن لزملائه. ركز على القضية المطروحة. رحب باستضافته. وقضى على المشكلة عند المصدر. يمكن للأطباء النفسيين أن يستريحوا في استرخاء في عطلة نهاية الأسبوع.

بطبيعة الحال، فإن ملاحظة أن الفتنة، والتركيز، وعدم الرحمة - وهي ثلاث

بطاقات من بطاقات الاتصال الأكثر تميزًا لدى الشخص السيكوباتي - تشكل، إذا كنت تستطيع أن تتلاعب بها، مخططًا ناجحًا لحل المشكلات ربما لا يكون مفاجئًا للغاية. لكن أن يؤهلك هذا الثلاثي أيضًا - إذا كانت الآلهة تبتسم لك حقًا - للنجاح المفرط الشاهق في الحياة على المدى الطويل فقد يكون أمرًا مختلفًا تمامًا.

لنتأمل شخصية ستيف جوبز.

حقق جوبز، كما علق الصحفي جون أرليدج[298] بعد فترة وجيزة من وفاة جوبز، مكانة زعيم الطائفة «ليس فقط من خلال العزم والتصميم على تحقيق هدف والتركيز فيه (لقد أفرز، وفقًا لأحد زملائه السابقين، 'كثافة فرن الانصهار')، والسعي إلى تحقيق الكمال، وعدم قبول الحلول الوسط، والقدرة على مواصلة العمل الشاق. جميع قادة الأعمال الناجحين على هذا النحو، مهما قد يحاول الكثير من أحباب العلاقات العامة المدفوع لهم أن يخبرونا بأنهم رفاق يعيشون في استرخاء، تمامًا مثلنا نحن...»[299]

لا. كان هناك ما هو أكثر من ذلك. بالإضافة إلى ذلك، يلاحظ جون أرليدج، أنه كان يتمتع بكاريزما. كان صاحب رؤية. كان، كما كشف الكاتب في مجال التكنولوجيا، والت موسبرج،[300] حتى في العروض الخاصة، يلف قطعة قماش فوق المنتج - بعض الإبداع الجديد البكر على طاولة غرفة اجتماعات لامعة - وينزع عنه الغطاء مع الازدهار.

شركة آبل ليست أعظم مبتكِر تقني في العالم. في أي مكان قريب من هذه المكانة، في الواقع. وهي، بدلًا من ذلك، تتفوق في إعادة صياغة أفكار الآخرين. لم تكن أول

(298) - جون أرليدج John Arlidge: صحفي حر يكتب في **صنداي تايمز** *Sunday Times* في لندن وفي **كوندي ناست** *Conde Nast* في نيويورك، حصل على عدة جوائز في مجال الصحافة (المترجم).

(299) - تجدر الإشارة بأنني ترجمت سيرة حياة ستيف جوبز بعنوان "ستيف جوبز والقصة المدهشة لمؤسس أبل" من تأليف كارن بلومنتال، دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر، وقد صدرت الترجمة في عام 2012 (المترجم).

(300) - والت موسبرج Walt Mossberg (1947 -): صحفي أمريكي. ويرجع الفضل له على نطاق واسع إلى الريادة في المراجعات التي تركز على المستهلك، والتعليق التكنولوجي. من عام 1991 حتى عام 2013، كان كاتب عمود التكنولوجيا الرئيسي في صحيفة وول ستريت جورنال (المترجم).

مجموعة تقدم جهاز كمبيوتر شخصي (IBM). كما أنها لم تكن أول من أدخل الهاتف الذكي (نوكيا). في الواقع، حين سارت في طريق الابتكار، فإنها

كانت تفشل غالبًا. هل من أحد يتذكر نيوتن أو مكعب باور ماك جي 4؟[301]

لكن ما جلبه ستيف جوبز إلى الطاولة كان الأسلوب. التطور. والسحر التكنولوجي الخالد. قام بفرش السجادة الحمراء للمستهلكين، من غرف المعيشة والمكاتب واستوديوهات التصميم ومجموعات الأفلام - سمها ما شئت - إلى أبواب متاجر أبل في جميع أنحاء العالم.

الصلابة الذهنية:

كانت انتكاسات شركة آبل على طول الطريق إلى الهيمنة على العالم (في الواقع، كانت على وشك الانحدار إلى البالوعة في الأيام الأولى) بمثابة تذكير مقْنع بالمزالق والعقبات التي تنتظرنا جميعًا في الحياة. لا أحد يوافق على اقتراحاتها كلها. الجميع، في مرحلة ما أو أخرى، «يتركون شخصًا على الأرض»، كما تقول أغنية **ليونارد كوهين**.[302] وهناك فرصة جيدة جدًّا لأن يتحول شخص ما - اليوم، أو غدًا، أو في مرحلة أخرى ميمونة على الخط - ليكون أنت.

لا يوجد لدى الأشخاص السيكوباتيين، لئلا يقوم جيمي والأولاد بإقناعك بخطأ الفكرة، ليس لديهم مشكلة على الإطلاق في تسهيل علاقات الآخرين مع الأرض. لكنهم أيضًا مفيدون جدًّا حين يجدون أنفسهم في الطرف المستقبِل - حين يتأرجح القَدَر وهم في خط النار. ومثل هذا الفولاذ العصبي الداخلي، مثل هذه اللامبالاة التي لا تقدر بثمن في مواجهة مصائب الحياة، شيء ما ربما يمكننا جميعًا، بطريقة أو بأخرى،

---

(301) - مكعب باور ماك جي 4 Power Mac G4 Cube: جهاز كمبيوتر شخصي صغير الحجم يعمل بنظام ماكنتوش أنتجته شركة أبل. تم بيعه بين عام 2000 وعام 2001 (المترجم).

(302) - ليونارد كوهين Leonard Cohen (1934 - 2016): مطرب كندي، حائز على وسام كندا ووسام كيبك الوطني، كان مغنيًا وكاتب أغانٍ وشاعرًا وروائيًا (المترجم).

أن نحتاج إلى قَدْر ضئيل منه.

أظهر **جيمس ريلينج**،[303] وهو أستاذ مساعد في الأنثروبولوجي في جامعة إموري، هذا في المختبر، واكتشف، في مهمة معضلة السجين المتكررة وهي مهمة مثل تلك التي ناقشناها في الفصل الثالث، مفارقة غريبة لكنها تبعث على الارتياح بشأن الشخص السيكوباتي. ربما ليس من المستغرب أن يظهر الأشخاص السيكوباتيون ميلًا محسوسًا إلى «الانشقاق» في ظل هذه الظروف، التي بدورها تؤدي إلى مستويات عالية من العداء، ومن العدوانية الانتهازية بين الأشخاص (مغلفة في ديناميكية «**التعاون - الانشقاق** cooperate-defect») من جانب نظرائهم في المؤسسات الأخرى.

لكن ها هي الصفقة. حين ينقلب الوضع ويصبح الضعيف قويًّا، فإنهم ببساطة لا يهتمون بمثل هذه العقبات. بعد حدوث هذه التغييرات المفاجئة، نتائج «انظر كيف تريدها»، حيث يجد أولئك الذين حصلوا على درجات عالية في الشخصية السيكوباتية محاولاتهم للتعاون غير متبادلة، وكشف جيمس ريلينج وزملاؤه عن شيء مثير للاهتمام في أدمغتهم. وبالمقارنة مع «أجمل» زملائهم المشاركين الأكثر إنصافًا، أظهر الأشخاص السيكوباتيون نشاطًا منخفضًا بشكل كبير في لوزة الدماغ: علامة تجارية عصبية مسجلة ل «أدر له الخد الآخر»[304] . . . التي يمكن أن تظهر في بعض الأحيان بطرق غير عادية إلى حد ما.

يقول جيمي: «حين كنا صغارًا»، كانت لدينا منافسة. تعرف على الأشخاص الذين يمكن أن يسقطوا معظم المرات في أثناء الخروج في الليل. كما تعلم، من قبل الفتيات،

---

(303) - جيمس ريلينج James Rilling (1970 -): بروفيسور أمريكي في جامعة إموري Emory (وهي جامعة بحثية في مدينة أطلنطا في ولاية جورجيا الأمريكية) منذ عام 2018 (المترجم).

(304) - إشارة إلى ما ورد في موعظة الجبل "أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بِمِثْلِهِ. بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ" إنجيل متى 5 : 39 (المترجم).

كما كان علينا – مع ذلك، في حالة بيردزي[305] العجوز هنا، أن نوسع المجال قليلًا».

ينظر لاري إليَّ، في دهشة.

على أي حال، فإن الشخص الذي حصل على أكبر قدر بحلول الوقت الذي تضاء فيه الأضواء قد يخرج الليلة التالية دون مقابل.

«بالطبع، كان من مصلحتك أن تحقق أكبر عدد ممكن، أليس كذلك؟ ليلة في البلدة وكل الأمور يعتني به رفاقك؟ أشخاص متفوقون! لكن الشيء المضحك هو أنه بمجرد أن تبدأ في تحقيق شيء مهم ومفيد، يصبح الأمر بالفعل أكثر صعوبة. وبمجرد أن تدرك أنه لا يعني في الواقع أي شيء على الإطلاق، تبدأ في التحول إلى شخص مغرور. تبدأ في الثرثرة بصوت عالٍ عن أمور حساسة. وتبدأ بعض الطيور في شرائها!».

يعبر عن الرفض بحركة بذيئة وسوف يرد الرفض عليك.

عدم الخوف:

لم يكن جيمي وشركاه أول من رصدوا العلاقة بين عدم الخوف والصلابة الذهنية.

أظهر لي كرست وريتشارد **كيجان** من جامعة لينكولن،[306] على سبيل المثال، أن غالبية المخاطرين في الحياة يميلون إلى تسجيل درجات في اختبارات «الصلابة الذهنية» العامة أعلى من الدرجات التي يسجلها أولئك الذين يتجنبون المخاطرة، وتكون الدرجات على المقياس الفرعي للتحدي / الانفتاح على الخبرة أكبر مؤشر منفرد على المخاطرة الجسدية، والدرجات على المقياس الفرعي للثقة أكبر مؤشر على

---

(305) - بيردزي Birdseye: ربما تكون الإشارة إلى كليرنس فرانك بيردزي Clarence Frank Birdseye (1886 - 1956)، مخترع أمريكي يعتبر مؤسس صناعة الأطعمة المجمدة (المترجم).

(306) - لي كرست Lee Crust: محاضر أول في علم النفس الرياضي والتمارين الرياضية؛ أخصائي علم النفس الرياضي والتمارين الرياضية / باحث مستقل؛ ريتشارد كيجان Richard Keegan: جامعة كانبرا - قسم الدراسات الرياضية. جامعة لينكولن Lincoln جامعة أبحاث عامة في لينكولن، إنجلترا. تعود أصول الجامعة إلى عام 1861 (المترجم).

المخاطرة النفسية. والصفتان كلتاهما موجودتان بوفرة لدى الأشخاص السيكوباتيين.

هل تتذكر كلمات أندي مكناب في الفصل السابق؟ إنك تعلم أن هناك فرصة كبيرة لأن تتعرض للقتل في مهمة؛ إنك تعلم أن هناك احتمالًا كبيرًا لأن تأسرك قوات العدو؛ إنك تعلم أن هناك احتمالًا كبيرًا أن تبلعك أنت ومظلتك الموجات ذات الارتفاعات الشاهقة في بعض المحيطات الغريبة الهائجة. لكن اللعنة على كل ذلك. يمكنك المضي قدما في الأمر. هذا ما تدور حوله خدمة جنود القوات الخاصة.

إن أفراد القوات الخاصة لا يعرفون الخوف ويتمتعون بالصلابة الذهنية (من الناحية النفسية المرضية، كما يظهر، كما تشهد نتائج العديد من هؤلاء الذين اختبرتهم) بلا شك. في الواقع، إن المعلمين في دورة الاختيار الوحشية البهيمية للقوات الجوية الخاصة (SAS) (التي تمتد على مدى تسعة أشهر، ويجتازها بنجاح عدد قليل من المرشحين) يبحثون على وجه التحديد عن هذه الصفات - حيث تشهد بعض الكوابيس التي يتحملها المرء فيها على ذلك.

يقدم أحد الأمثلة، وقد رواه لي رجل وصل إلى القمة، نظرة جيدة جدًّا على نوع الصلابة الذهنية التي تفصل الرجال عن الأولاد؛ وهو مثال يمثل العقلية، والتكوين النفسي للنخبة، لأولئك الذين يسودون في نهاية المطاف.

يوضح: «ليس العنف هو ما يكسر المرء. إنه خطر العنف. عملية التفكير السرطاني في أن شيئًا سيئًا سوف يحدث. وأنه على الأبواب».

يخوض في تفاصيل حول حالة معينة — الأمر الذي جعلني أتوقف عن إصلاح عادم سيارتي إلى الأبد:

«عادة، في هذه المرحلة، يكون المرشح منهكًا . . . ثم، آخر شيء يراه قبل أن نضع غطاء محرك السيارة فوق رأسه هو الشاحنة التي حمولتها طنّان. نجعله يستلقي على الأرض، وهو يستلقي هناك يسمع صوت الشاحنة وهي تقترب. بعد ثلاثين ثانية أو

ما يقرب من ذلك، سوف تجدها فوقه - المحرك يبعد بضع بوصات فقط عن أذنه. نسرِّع المحرك بشدة، ثم يقفز السائق من الشاحنة. يغلق الباب ويبتعد. والمحرك لا يزال يعمل. بعد قليل، من مكان ما عن بعد، يسأل شخص ما إذا كانت فرملة اليد تعمل. عند هذه النقطة، يبدأ أحد أفراد الفريق - الذي لا يكون معروفًا للرجل الموجود تحت غطاء محرك السيارة - طوال الوقت - بلطف في لف إطار احتياطي على صدغه وهو مستلقٍ على الأرض. كما تعرف، باليد. تدريجيًّا، يزيد الضغط. ويدفع عضو آخر في الفريق الشاحنة قليلًا حتى يبدو أنها قد تتحرك. بعد بضع ثوانٍ من ذلك، نزيل الإطار ونزيل الغطاء. ثم نهجم عليه... ليس من غير المألوف أن يتوقف الناس عن العمل عند هذه النقطة لأنهم أدركوا أنهم لن يتمكنوا من النجاح». مكتبة

أسلِّي الرفاق - داني ولاري وجيمي وليزلي - بمعلوماتي الضئيلة عن اختيار الأفراد في القوات الجوية الخاصة (SAS)، وقد حصلت عليها في أثناء القيام بإعداد حلقة تجريبية في التليفزيون. مكبلًا على أرضية مستودع بارد مضاء بشكل خافت، شاهدت - في رعب هائل - حيث كانت شاحنة برافعة شوكية تعلق منصة من الخرسانة المسلحة على بعد عدة ياردات فوق رأسي... ثم شرعت في خفضها بحيث تضغط القاعدة الحادة غير المصقولة ضغطًا خفيفًا ومتقطعًا على صدري. لقد كانت تحوم هناك لمدة 15 ثانية قبل أن أسمع المشغِّل يصيح فوق الصراخ الشرير الصاخب للمكونات الهيدروليكية: «قرف، الآلة محشورة. لا يمكن أن أحركها ... »

بعد فوات الأوان، بعد حمام ساخن، سرعان ما تبين أنني كنت في أمان تام منذ البداية. في الواقع، لم تكن «الخرسانة المسلحة» خرسانية على الإطلاق. كانت مغلفة بالبلاستيك الخفيف. ولكن لا داعي للقول، كان من الممكن أن يكون أمرًا جديدًا بالنسبة إلي في ذلك الوقت، وأمرًا جديدًا للقادمين المتفائلين الذين يخضعون لمثل هذه المحن عند الاختيار. في الوقت الحالي، كما ذكرت في كتاب **الإقناع الخاطف**،[307] إنه

---

(307) - **الإقناع الخاطف** *Split-Second Persuasion*: كتاب من تأليف كيفن داتون، صدر في عام 2010 (المترجم).

حقيقي بشكل مرعب.

ومع ذلك، فإن جيمي لا يبدي أي اهتمام على الإطلاق. ويشير إلى أنه «حتى لو كانت الآلة قد حُشِرتْ، فإن هذا لا يعني القول بأن الرافعة سوف تسقط فوقك، أليس كذلك؟ إنه يعني فقط أنك عالق هناك لبعض الوقت. وماذا في ذلك؟ كما تعلم، لقد فكرت في ذلك. يقولون إن الشجاعة فضيلة، أليس كذلك؟».

ولكن ماذا لو لم تكن في حاجة إلى الشجاعة؟ ماذا إذن؟ ماذا لو لم تكن تعرف الخوف من البداية؟ إذا لم تكن تعرف الخوف من البداية، فأنت لا تحتاج إلى الشجاعة للتغلب عليه، أليس كذلك؟ لم يكن من المفترض أن تزعجني الخرسانة والإطارات يا رفيق. إنها مجرد ألعاب ذهنية. لكن هذا لا يجعلني شجاعًا. إذا لم أستطع أن أبدي أي اهتمام في المقام الأول، كيف يمكن أن يجعلني ذلك شجاعًا؟

«لذا ترى، أنا لا أصدق ذلك فقط. يبدو لي أن السبب الذي يجعلك تعزف على وتر الشجاعة طوال الوقت، والسبب الذي يجعل الناس في حاجة إليها، هو أن تصل إلى المستوى الذي أعمل فيه بشكل طبيعي. يمكنك أن تسميها فضيلة. ولكنها، في كتابي، موهبة طبيعية. الشجاعة ليست إلا تخدير الدم الانفعالي».

اليقظة التامة:

إن الجلوس على أريكة مقابل شخص سيكوباتي حليق يبلغ طوله ستة أقدام وبوصتين وهو يضع مغناطيسًا نفسيًّا كبيرًا بجانب البوصلة الأخلاقية ليس مريحًا تمامًا. بالطبع، أدرك جيدًا قدرات الإقناع التي يتمتع بها الشخص السيكوباتي. ولكن مع ذلك، لا يسعني إلا التفكير في أن جيمي لديه هدف. ما يمكن أن يفعله «البطل» أمام الصراخ المتشابك المكتوم لغرائز البقاء على قيد الحياة، قد يفعله الشخص السيكوباتي في صمت - حتى دون أن يبذل أي جهد. وحتى يجعل البوصلة تدور بشكل أسرع، يضيف ليزلي لغزًا وجوديًّا آخر إلى الإجراءات.

يقول معترضًا: «لكن الأمر لا يتعلق بالإجراءات فقط، أليس كذلك؟ إن ما يتعلق بالخوف، أو الطريقة التي أفهم بها الخوف، على ما أفترض - لأكون صريحًا، لا أعتقد أنني شعرت به حقًّا في يوم من الأيام - هو أنه لا مبرر للخوف في معظم الأوقات على أي حال. أليس هذا ما يقولونه؟ تسعة وتسعون في المائة من الأشياء التي يقلق الناس بشأنها لا تحدث أبدًا. وبالتالي ما الهدف من الخوف؟».

أعتقد أن المشكلة تكمن في أن الناس يقضون الكثير من الوقت في القلق بشأن ما قد يحدث، وما قد يفشل، حتى أنهم يغيبون عن الحاضر تمامًا. إنهم يتجاهلون تمامًا حقيقة أن كل شيء على ما يرام في الوقت الحالي. يمكنك أن ترى ذلك بوضوح تام في استجوابك. ماذا قال لك هذا الرجل؟ ليس العنف هو الذي يكسر المرء. إنه خطر العنف. فلماذا لا تبقى فقط في الوقت الراهن؟

أعني، فكر في ذلك. كما يقول جيمي، بينما كنت مستلقيًا تحت ذلك الجزء من الخرسانة - أو بالأحرى، ما كنت تعتقد أنه خرسانة - لم يكن هناك شيء سيئ يحدث لك حقًّا، أليس كذلك؟ حسنًا، ربما كان السرير القائم على أربعة أعمدة أكثر راحة. ولكن في الواقع، إذا كنت نائمًا، فلن تكون أكثر حكمة، أليس كذلك؟

بدلًا من ذلك، ما أزعجك هو خيالك. كان دماغك في وضع التقدم بسرعة، وهو يمشي ويتنقل خلال جميع الكوارث المحتملة التي قد تظهر. لكنها لم تظهر.

«لذا فإن الخدعة، كلما أمكن ذلك، على ما أفترض، تتمثل في أن تمنع عقلك من أن يجري أمامك. استمر في فعل ذلك، عاجلًا أم آجلًا، سوف تتخلص أيضًا من عادة الشجاعة».

يتدخل داني قائلًا: «أو يمكن دائمًا أن تستخدم خيالك لصالحك. في المرة القادمة التي تكون فيها في وضع تشعر فيه بالخوف، فكر فقط: 'تخيل أنني لم أشعر بهذه الطريقة. ماذا أفعل بعد ذلك؟' وبعد ذلك أفعل ذلك على أي حال».

نصيحة جيدة – إذا كانت لديك الشجاعة للقيام بذلك.

عند الاستماع إلى جيمي وليزلي وداني، قد يغفر لك أنك ظننت أنك في حضرة العَظَمة: في حضرة ثلاثة بوذيين كبار في طريقهم في المسار الثماني[308] إلى النرفانا. بالطبع، إنهم يمكن أن يكونوا أي شيء إلا هذا. ومع ذلك، فإن ترسيخ أفكارك بثبات في الحاضر، والتركيز حصريًا وفوريًا على هنا والآن، هو نظام إدراكي مشترك بين الشخصية السيكوباتية والتنوير الروحي.

إن مارك وليمز،[309] أستاذ علم النفس الإكلينيكي في قسم الطب النفسي بجامعة أكسفورد، يدمج هذا المبدأ الخاص بالتركيز في برنامجه العلاج المعرفي السلوكي (CBT) الذي يعتمد على التركيز التام، في علاج من يعانون من القلق والاكتئاب.

أزعجُ مارك وليمز في مكتبه في مستشفى ورنيفورد[310] وأقول: «إن الصلابة الذهنية هي البوذية في الأساس مع أرضية خشبية مصقولة، أليس كذلك؟».

يقدم لي كعكة حلوة.

يرد قائلًا: «لقد نسيْتَ الأضواء وجهاز التليفزيون الذي شاشته من البلازما. ولكن نعم، هناك نفحة معينة من الشرق في قدر كبير من النظرية والتطبيق».

يقدم لي مارك وليمز مثالًا على كيفية مساعدة العلاج السلوكي المعرفي المعتمد على اليقظة التامة لشخص ما في التغلب على الرهاب، مثل الخوف من الطيران، على سبيل

---

(308) - المسار الثماني Eightfold Path: مسار ثمانية جوانب يجب أن يمارسها الطامح في الوصول إلى النرفانا: وجهات النظر الصحيحة والنية والكلام والعمل وسبل العيش والجهد واليقظة الذهنية والتركيز. وهو من التعاليم الرئيسية لبوذا، الذي وصفه بأنه الوسيلة التي تؤدي إلى وقف المعاناة وتحقيق صحوة الذات. ويستخدم لتطوير نظرة ثاقبة في الطبيعة الحقيقية للظواهر والقضاء على الجشع والحقد والوهم (المترجم).

(309) - ج. مارك ج. وليمز J. Mark G. Williams: أستاذ فخري لعلم النفس الإكلينيكي وزميل أول أبحاث فخري في جامعة أكسفورد، قسم الطب النفسي. شغل مناصب من قبل في جامعة نيوكاسل، ووحدة علم النفس التطبيقي بمجلس البحوث الطبية في كمبردج وجامعة ويلز بانجور، حيث أسس معهد أبحاث الرعاية الطبية والاجتماعية ومركز أبحاث وممارسات اليقظة (المترجم).

(310) - مستشفى ورنيفورد Warneford: مستشفى يقدم خدمات الصحة النفسية في هدينجتون Headington في شرق أكسفورد، إنجلترا (المترجم).

المثال. ولم يستطع جيمي وليزلي وداني أن يعبروا عن الأمر بشكل أفضل.

يشرح مارك وليمز الأمر قائلًا: «قد تتمثل إحدى المقاربات في اصطحاب الشخص على متن طائرة وجلوسه بجوار خبير في الطيران. كما تعرف، بجوار شخص يحب تمامًا أن يكون في الهواء. ثم في منتصف الرحلة، تسلمهما زوجًا من أجهزة مسح الدماغ. يصور أحدهما دماغًا سعيدًا. ويصور الجهاز الآخر دماغًا قلقًا. يصور دماغًا في حالة رعب».

تخبرهما بأن 'هاتين الصورتين تمثلان بالضبط ما يحدث في كل رأس من رأسيكما الآن، في هذه اللحظة بالذات. لذا، من الواضح أنهما مختلفتان اختلافًا كبيرًا، ولا تعني أي صورة منهما حقًا أي شيء، أليس كذلك؟ ولا تتنبأ أي صورة منهما بالحالة المادية للطائرة.

تلك الحقيقة في المحركات.

تسألها: 'إذن، ماذا تعنيان؟' وتشرح لهما: 'حسنًا، ما يمثلانه في الواقع . . . هو بالضبط ما تمسكه أيديكما. حالة الدماغ. لا شيء آخر. لا شيء أكثر من ذلك. ما تشعران به هو ذلك بالضبط. مجرد شعور. شبكة عصبية، مجموعة كهربائية، تكوين كيميائي، نتيجة الأفكار في رأسيكما، الأفكار التي تنحرف إلى الداخل والخارج، الأفكار التي تأتي وتذهب، مثل الغيوم.

«الآن، إذا كان بإمكانكما أن تتقبلا هذه الحقيقة بطريقة أو بأخرى؛ للملاحظة واقعكما الافتراضي الداخلي بلا رحمة؛ للسماح للغيوم بأن تطفو، والسماح لظلالها بأن تسقط وتتسكع في المكان الذي تريده، والتركيز، بدلًا من ذلك، على ما يدور حولكما - كل ثانية مقسمة لكل صوت وإحساس محيطي - ثم في النهاية، بمرور الوقت، يجب أن تبدأ حالتكما في التحسين».

الفعل:

إن تأييد جيمي والفتيان تأييدًا براجماتيًا لمبادئ الصلابة الذهنية وممارساتها - على الرغم من أنه ليس، بالضرورة، تأييدًا من التنوع الوجودي الدقيق الذي قد يمجده بروفيسور أكسفورد المتميز – تأييد نموذجي يصدر عن شخص سيكوباتي. إن الميل الجشع لدى الأشخاص السيكوباتيين للعيش في هذه اللحظة، «انس الغد واستمتع باليوم» (كما يعبر لاري بشكل غريب إلى حد ما)، موثق جيدًا - وفي بعض الأحيان (بوضع الآثار العلاجية جانبًا) يمكن أن يكون مفيدًا للغاية.

خذ عالم المال، على سبيل المثال. كان **دون نوفيك**– Don Novick تاجرًا لمدة ستة عشر عامًا، ولم يخسر أي بنس في أي عملية تجارية. وهو أيضًا، كما تصادف، شخص سيكوباتي. إنه في هذه الأيام - متقاعد، على الرغم من أنه لا يزال في السادسة والأربعين فقط - يعيش بهدوء في المرتفعات الاسكتلندية، يضيف خمورًا إلى قبو النبيذ الخاص به ويجمع الساعات الفخمة.

وأنا أصف دون نوفيك بأنه شخص سيكوباتي لأنه يصف نفسه بهذا الوصف. على الأقل، وصف نفسه بذلك حين التقيت به في أول مرة. لذلك لكي أكون في الجانب الآمن، قررت إجراء بعض الاختبارات. وتبين أن النتائج كانت إيجابية.

جالسًا في إحدى غرف الرسم في قلعته المنعزلة من الطراز اليعقوبي(311) - الممر طويل بحيث يمكن أن يحتاج إلى محطتين من محطات الخدمة - أسأل دون نوفيك سؤال المليون دولار بكل معنى الكلمة. ما الذي يجعل المرء تاجرًا ناجحًا على وجه التحديد؟ أشير إلى أنني لا أهتم كثيرًا بالفرق بين الخير والشر. أهتم أكثر بالفرق بين الجيد والجيد حقًا.

على الرغم من أنه لا يحدد أسماء، إلا أنه لا يتردد في الإجابة عن السؤال بموضوعية، من وجهة نظر نوعية وتحليلية.

(311) - الطراز اليعقوبي Jacobean: يُعد أسلوب العمارة اليعقوبية المرحلة الثانية من عمارة عصر النهضة في إنجلترا، على غرار الأسلوب الإليزابيثي. سُمي هذا الأسلوب على اسم ملك إنجلترا جيمس الأول، ويرتبط بفترة حكمه (المترجم).

يقول لي: «أود أن أقول إن أحد أكبر الاختلافات حين يتعلق الأمر بالفصل بين التجار الجيدين بالفعل هو كيف يدون في نهاية اللعب، حين ينتهي التداول ويحققون نتائج طيبة في ذلك اليوم. كما تعرف، التجارة مهنة يمكن، إذا كان المرء ضعيفًا أدنى ضعف من الناحية العقلية، أن تتسبب في إفشاله تمامًا. رأيت تجارًا يبكون ويصابون بمرض عضوي في نهاية جلسة صعبة. الضغط، البيئة، الناس... إنها كلها وحشية للغاية».

ولكن ما تجده مع الرجال في القمة هو أنهم في نهاية اليوم، حين يخرجون من الباب، لا تعرف إنْ كانوا قد ربحوا أم خسروا. لا يمكن أن تعرف من خلال النظر إليهم ما إذا كانوا قد كسبوا مليارين بسهولة شديدة أم أنهم قد خسروا كل شيء للتو.

وهذا هو الأمر باختصار. هنا يكمن المبدأ الأساسي في أن يكون المرء تاجرًا جيدًا. حين تتاجر، لا يمكن أن تسمح لأي عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية الانفعالية في دماغك بالطرق على باب غرفة اجتماعات اتخاذ القرار، ناهيك عن أن يحتل مقعدًا على الطاولة. بشكل لا يعرف الرحمة، ولا يعرف الشعور بالذنب، وبلا هوادة، عليك أن تبقى في الحاضر. لا يمكن أن تترك ما حدث بالأمس يؤثر على ما يحدث اليوم. إذا تركته يؤثر، فسوف تهوي إلى القاع في لمح البصر.

«إذا كنت عرضة لآثار الانفعالات، فلن تستمر لمدة ثانيتين في قاعة التداول».

إن ملاحظات دون نوفيك، التي تأتي، بالطريقة المعتادة، منذ ستة عشر عامًا على حافة المخاطرة المالية، تذكرنا بشدة بالنتائج المختبرية من دراسة بابا شيف وأنطوان بشارة وجورج لوينستاين بعنوان «لعبة القمار gambling game». من المنطقي، بطبيعة الحال، أن الشيء الصحيح الذي كان ينبغي فعله هو الاستثمار في كل جولة. ولكن مع انتشار اللعبة، بدأ بعض المشاركين في رفض فرصة المقامرة، مفضلين بدلًا من ذلك الحفاظ على مكاسبهم. وبعبارة أخرى، بدأوا في «العيش في الماضي» - والسماح، بتعبير دون كليف، لأعضاء اللجنة التنفيذية الانفعالية في دماغهم بالطرق

على باب غرفة اجتماعات صنع القرار.

إنها نقلة سيئة.

لكن المشاركين الآخرين استمروا في العيش في الحاضر. وفي ختام الدراسة، تفاخروا بهامش ربح صحي للغاية. إن هؤلاء «السيكوباتيين الوظيفيين»، كما أشار إليهم أنطوان بشارة – هم الأفراد الذين إما أن يكونوا، في تنظيم انفعالاتهم، أفضل من الآخرين أو، بدلاً من ذلك، لا يشعرون بها بالدرجة نفسها من الشدة - استمروا في الاستثمار والتعامل مع كل جولة جديدة كما لو كانت الجولة الأولى.

ومن الغريب بما يكفي أنهم انتقلوا من قوة إلى قوة. ومثلما توقع دون كليف (لقد توقع بالفعل حين أخبرته بالتجربة)، مسحوا الأرض بمنافسيهم الأكثر حذرًا والأكثر نفورًا من المخاطرة.

لكن القصة لا تنتهي عند هذا الحد. قبل عدة سنوات، حين وصلت أخبار هذه الدراسة إلى الصحافة الشعبية لأول مرة، حملت عنوانًا رئيسيًا احتل بعض العناوين الرئيسية نفسها: «مطلوب: أشخاص سيكوباتيون للقيام بعملية قتل في السوق». وعنوان المقال، وفقًا لرأي دون كليف، يحتوي على أعماق خفية.

ويشرح قائلًا: «القاتل المحترف، مثل الجلاد، على سبيل المثال، ربما لا يشعر بأي شيء على الإطلاق بعد القضاء على حياة شخص ما. بشكل معقول، لا يدخل الندم أو الأسف في المعادلة. وتتكرر القصة بشكل مماثل مع التجار. حين يكمل التاجر صفقة، سوف يطلق عليها كلمة 'تنفيذ'.[312] وهي لغة شائعة في التجارة. وبمجرد تنفيذ الصفقة، لن يشعر التجار الجيدين حقًا - أي نوع الرجال الذين تهتم بهم - بأي إحساس بالندم على الإطلاق بشأن الخروج. بشأن الأسباب ومن أجل ماذا، والإيجابيات والسلبيات - بشأن ما إذا كان الأمر صحيحًا أم خاطئًا».

---

(312) - تنفيذ: في الأصل execution، والكلمة تعني أيضًا إعدام (المترجم).

هذا بغض النظر تمامًا، وبالعودة إلى ما كنت أقوله سابقًا، عن كيفية سير تلك التجارة - سواء كانت قد حققت ملياري دولار أم خسرت كل شيء. سوف يكون الخروج من التداول قرارًا هادئًا وإكلينيكيًّا لا ينتج عنه أي انفعال في وقت لاحق، ولا توجد آثار نفسية دائمة مرتبطة به على الإطلاق...

«أعتقد أن فكرة القتل بشكل احترافي، سواء في السوق أو في أي مكان آخر، تتطلب قدرة معينة على التجزيء. للتركيز على العمل الذي في متناول اليد. وحين تنتهي هذه المهمة، لا يكون هناك إلا الابتعاد ونسيان كل ما حدث عمومًا».

بالطبع، إن العيش في الماضي ليس سوى جانب واحد من المعادلة. إن العيش في المستقبل، و «إنجاز أمورنا قبل الأوان»، مما يسمح لخيالنا بالخروج عن السيطرة - كما فعلْتُ وأنا تحت البالة المصنوعة من الخرسانة المسلحة، أو أيا كان الجحيم - يمكن أن يكون معوقًا بالقدر نفسه. أظهرت الدراسات، على سبيل المثال، عن التركيز المعرفي والانفعالي في سياق اتخاذ القرار غير المناسب، أنه كلما قمنا بتقييم السلوكيات الشائعة اليومية - أشياء مثل الغوص في حمام السباحة، أو التقاط الهاتف وتقديم الأخبار السيئة - فإن الواقع «المتخيل» والمحتمل يكون أكثر إزعاجًا بكثير من الواقع.

وهو ما يفسر، بطبيعة الحال، رغبتنا التي لا تلين في المماطلة معظم الوقت.

لكن الأشخاص السيكوباتيين لا يماطلون أبدًا.

فقط أحد الأسباب، إذا تذكرت كلمات ريتشارد بليك من قبل، مضيفي في مستشفى برودمور وأحد أعضاء الفريق الإكلينيكي في مركز بادوك، أن الأشخاص السيكوباتيين يميلون إلى التفوق في الأنشطة في العنبر. إنهم في حاجة إلى القيام بشيء ما. إن عدم القيام بأي شيء ليس خيارًا على الإطلاق بالنسبة لهم.

وعلق داني، بعد أن أحرز هدفه الرابع لصالح تشيلسي، قائلًا: «إن الشعور بالرضا هو حالة طارئة بالنسبة إلي، أحب أن أركب السفينة الدوارة في الحياة، وأن أدور عجلة

الروليت للثروة، إلى أقصى إمكانية».

عبس وعدل كاب البيسبول.

وهز كتفيه: «أو أفعل ذلك على الأقل حتى أدخل إلى هنا».

هذا التصريح الصادر عن شخص سيكوباتي ليس تصريحًا غير نمطي – إنه تصريح ربما من الممكن أن يصدر عن أي منا مع قبوله بشكل أكبر إلى حد ما في حياتنا.

يقول لي لاري: «حين كنت طفلًا، كنا نذهب في عطلة كل عام إلى هستنجس.[313] وفي يوم من الأيام – يوم لن أنساه أبدًا - شاهدت أختي وهي تلعب في البحر، وجاءت موجة كبيرة وضربتها. انخرطتْ في البكاء، وكان هذا ما حدث. ولم تنزل البحر مرة أخرى قط. عندما رأيت ما حدث - ولم يكن عمري قد تجاوز سبعة أعوام أو ثمانية أعوام في ذلك الوقت - أتذكر أنني كنت أفكر بيني وبين نفسي: 'إذا وقفْتَ حيث تتكسر الأمواج، فسوف تتعرض للأذى. لذا لديك خياران. يمكنك البقاء على الشاطئ وعدم النزول إلى البحر على الإطلاق. أو يمكنك أن تذهب إلى أبعد من ذلك حتى ترفعك الأمواج ثم تصطدم بك وتتكسر خلفك».

يقف جيمي على قدميه.

يهمهم: «السر، بالطبع، هو ألا تذهب أبعد من اللازم. وإلا غمرتك الأمواج وألقت بك في هذا المكان».

عقلية إس أوه إس:[314]

«حسنا، أنت تعرف أين أنا. لن أذهب إلى أي مكان».

نتصافح أنا وجيمي. وقد أخبرته للتو أنني سوف أبحث عنه بالتأكيد في المرة

---

(313) - هستنجس Hastings: مدينة ساحلية تقع على الساحل الجنوبي لإنجلترا، جنوب شرق لندن (المترجم).

(314) - عقلية إس أوه إس SOS: أو عقلية الكفاح والتغلب على الصعاب والنجاح. والحروف، كما يتضح فيما يلي اختصار الكفاح Strive، والتغلب على الصعاب Overcome، والنجاح Succeed (المترجم).

القادمة التي أمر فيها، وقد مدني بالمزيد من المعلومات عن تحركاته. لقد انصرف لاري وليزلي بالفعل. ليزلي بانحناءة شاملة، بكل معنى الكلمة، حتى الركبة. وانصرف لاري بتحية قوية. ربما كان الولد العجوز قبطانًا بحريًّا سابقًا على الرغم من كل شيء. وعاد داني إلى كرة القدم.

بالعودة إلى الممرات والثقوب الضيقة المليئة بالأمن التي تربط وحدة عنابر اضطرابات الشخصية الخطيرة والشديدة (DSPD) بالعالم الخارجي، أشعر إلى حد ما بأنني مثل رائد فضاء عند دخوله إلى المجال الجوي للأرض مرة أخرى.

«هل الإقامة على ما يرام؟» يستفسر ريتشارد بينما نشق طريقنا عائدين إلى ضواحي علم النفس الإكلينيكي.

أبتسم قائلًا: «بدأت أشعر وكأنني في بيتي».

والقطار يسرع في اتجاه لندن، أدرس تعبيرات أولئك الذين يجلسون حولي: تعبيرات المسافرين يوميًّا للعمل، في معظمهم، وهم في طريقهم إلى البيت من العمل. البعض متوتر وقلق. البعض الآخر متعب ومنهك. لا ترى الكثير من هذه الوجوه في مدرسة السيكوباتيين.

أفتح اللاب توب وأنهمك في بعض الأفكار. بعد ساعة أو ما يقرب من ذلك، ونحن ندخل إلى المحطة، كان لدي نموذج لما أسميه عقلية «إس أوه إس SOS»: مجموعة المهارات النفسية الضرورية للكفاح والتغلب على الصعاب والنجاح.

أصف مجموعة المهارات بأنها **الانتصارات السبعة المميتة** - سبعة مبادئ أساسية للشخصية السيكوباتية، وقد تم توزيعها بحكمة وتطبيقها بالعناية والاهتمام المناسبين، يمكن أن تساعدنا في الحصول على ما نريده بالضبط؛ يمكن أن تساعدنا على الاستجابة لتحديات الحياة المعاصرة، بدلًا من التفاعل معها؛ يمكن أن تحول نظرتنا من الضحية إلى المنتصر، ولكن دون أن تحولنا إلى أشرار:

1 – عدم الرحمة

2 - الفتنة

3 - التركيز

4 - الصلابة الذهنية

5 – عدم الخوف

6 - اليقظة التامة

7 - الفعل

دون أدنى شك، تكمن قوة مجموعة المهارات بصراحة في تطبيقها. وهناك حتمًا مواقف معينة تتطلب المزيد من هذه السمات أكثر من غيرها، بينما في هذه المجموعات من الظروف، بعض المواقف الفرعية، التي تعود إلى التشابه الجزئي بوحدة الدمج الموثوق به، قد تتطلب بشكل معقول مستويات أعلى من المخرجات من أي سمات تم اختيارها أو مستويات أقل من هذه المخرجات. إن زيادة عدم الرحمة، والصلابة الذهنية، وأقراص العمل، على سبيل المثال، قد تجعل المرء أكثر حزمًا - وقد تكسبه المزيد من الاحترام بين زملائه في العمل. لكن زيادتها بشكل كبير للغاية يعني أنه يخاطر بالتحول إلى طاغية.

ثم، بالطبع، كان هناك اعتبار معاكس لأن يكون المرء قادرًا على أن يتخلى عنها مرة أخرى - التلاشي للداخل والخروج وتحديد المسار الصوتي بشكل مناسب. إذا كان المحامي، على سبيل المثال، الذي التقينا به في الفصل الرابع، لا يعرف الرحمة ولا يعرف الخوف في الحياة اليومية كما هو واضح في قاعة المحكمة، فسوف ينتهي به الأمر قريبًا وهو في حاجة إلى محامٍ له يتولى الدفاع عنه.

إن السر، بلا شك، يكمن في السياق.

لم يكن الأمر يتعلق بأنه شخص سيكوباتي. كان يتعلق بالأحرى بأنه شخص سيكوباتي في طريقته. كان يتعلق بالقدرة على الدخول في الشخصية السيكوباتية حين

يتطلب الموقف ذلك. ولكن بعد ذلك، حين تنتهي الضرورة، يعود إلى شخصيته الطبيعية.

هذا، بالطبع، هو المكان الذي أخطأ فيه جيمي والأولاد. فبدلًا من أن يواجهوا المشاكل بالتلاعب في أجهزة التحكم لديهم إلى أعلى، فإنهم، على النقيض من ذلك، كانوا عالقين بشكل دائم في الحد الأقصى: إنه خطأ في التصنيع له عواقب مؤسفة بالتأكيد.

كما أوضح جيمي حين وصلْتُ إلى مستشفى برودمور أول مرة، فإن المشكلة مع الأشخاص السيكوباتيين لا تتمثل في أنهم مفعمون بالشر. ومن المفارقات أنهم عكس ذلك تمامًا: لديهم الكثير من الأشياء الجيدة.

السيارة رائعة وأنت ترغب فيها بشدة. إنها فقط تسير بسرعة تتجاوز السرعة المسموح بها على الطريق.

الفصل السابع

العقل السوبر

لا يجب أن تكون الحياة رحلة إلى القبر بهدف الوصول بأمان في جسد جميل ومحفوظ جيدًا، ولكن يجب أن تكون رحلة انزلاق بشدة في سحابة من الدخان، يستهلك فيها الجسد تمامًا، ويتهرأ تمامًا، ويعلن بصوت عالٍ «رائع! يا لها من رحلة!».

- هنتر س. طومسون[315]

الجيل بي:[316]

في الجزء الخلفي من كنيسة كلية المجدلية- Magdalen College في أكسفورد، توجد لوحة للدعاء. ذات يوم، وسط الالتماسات العديدة التي تطلب التدخل الإلهي، لاحظت الالتماس التالي: «يا رب، أرجوك اجعل أرقام اليانصيب الخاصة بي تكسب، ولن يكون عليك أن تسمع مني أي شيء مرة أخرى».

والأمر الغريب إلى حد بعيد أنه كان الالتماس الوحيد الذي رد عليه الرب. إليك ما

(315) - هنتر س. طومسون Hunter Stockton Thompson (1937 - 2005): صحفي وكاتب أمريكي. ولد في ولاية كنتاكي في عائلة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، وقد انحرف في الخامسة عشر من عمره بعد وفاة والده الذي ترك عائلته في الفقر. وحُكم عليه في الثامنة عشر من عمره بالحبس 60 يومًا لاشتراكه في إحدى جرائم السرقة؛ والاقتباس من كتاب **الطريق السريع المتغطرس: ملحمة جنتلمان جنوبي يائس** *The Proud Highway: Saga of a Desperate Southern Gentleman, 1955-1967* (المترجم).

(316) - الجيل بي Generation P: بي P هنا اختصار Psychopath، أي جيل السيكوباتيين؛ ويوجد فيلم روسي بالاسم نفسه، من إخراج فيكتور جينزبرج Victor Ginzburg عن رواية الكاتب الروسي فيكتور بليفين Victor Pelevin، التي تحمل الاسم نفسه، التي صدرت في عام 1999، وعرض أول مرة في عام 2011 (المترجم).

كتبه: «يا بني، أعجبني أسلوبك. في هذا العالم البائس والمختلط، الذي يسبب لي الكثير من الحزن، وضعْتَ ابتسامة على وجهي. أريد أن أسمع منك مرة أخرى. وأتمنى لك حظًّا أفضل في المرة القادمة أيها الوغد الصفيق! أحب الرب».

أي شخص يعتقد أن الرب لا يتمتع بحس الدعابة قد يرغب في التفكير مرة أخرى في الأمر. وأي شخص يعتقد أن الرب بعيد جدًّا عن العالم إلى درجة أنه لم يكن ليهتم اهتمامًا شخصيًّا بالاهتمامات التافهة لأطفاله الصغار الضائعين البؤساء قد يرغب أيضًا في إعادة النظر في الأمر. هنا، من الواضح تمامًا، أن الرب القدير يرى أن من المناسب أن يقدم جانبًا مختلفًا من نفسه: إنه بصفته عاملًا متبصرًا وصارمًا لا يقبل العبث يكون قادرًا على تقديم الخير بقدر ما يحصل عليه ويعلم ما هو أكثر من المعرفة العابرة لعلم النفس البشري. إذا كان هذا يبدو وكأنه نوع الرب الذي لا يخشى أن يعبث بتلك الأقراص على وحدة المزج إلى أعلى وإلى أسفل حين يستدعي الموقف ذلك، فأنت لست مخطئًا.

عام 1972، نشر الكاتب **آلان هارينجتون**[317] كتابًا لم يحظ بالشهرة تحت عنوان **السيكوباتيون**- *Psychopaths*. وقد قدم فيه نظرية جديدة تمامًا عن تطور الإنسان. يقول هارينجتون، إن السيكوباتيين يشكلون سلالة جديدة خطيرة من **الإنسان العاقل**- *Homo Sapiens*: إنهم بمثابة خطة طوارئ داروينية مصممة من أجل الضرورات الباردة الصعبة للمتبقين على قيد الحياة في العصر الحديث. إن الجيل بي- Generation P، أو جيل السيكوباتيين، من المستحيل إخضاعه أو التغلب عليه.

كان مفتاح أطروحته هو الضعف التدريجي الخبيث، كما رآه، للروابط الأيونية[318] البدائية - الأخلاقية والانفعالية والوجودية - التي ربطت البشر معًا لقرن تلو الآخر،

---

(317) - آلان هارينجتون Alan Harrington (1919 - 1997): روائي أمريكي (المترجم).

(318) - الرابطة الأيونية ionic bond: الرابطة التي تنشأ بين ذرتين تختلفان في المقدرة على كسب الإلكترونات أو فقدها، وتكون بين أيوني ذرتين أحدهما موجب والآخر سالب فتنشأ قوة جذب كهربائي بينهما ويتكون مركب منهما (المترجم).

وألفية تلو الأخرى. ذات يوم، كما رأى آلان هارينجتون، حين اشتركت الحضارة الغربية في الأعراف البرجوازية التقليدية للعمل الشاق والبحث عن الفضيلة، كان الشخص السيكوباتي محصورًا على هامش المجتمع السائد. وقد أدين من قبل مواطنيه المستقيمين، إما بصفته مجنونًا أو خارجًا على القانون. ولكن مع مرور السنوات في القرن العشرين وقد أصبح المجتمع، بمرور الوقت، أكثر سرعة وتفككًا، انتقل الأشخاص السيكوباتيون من برودة المنفى إلى دفء الداخل.

بالنسبة إلى واحد من روائي الحرب الباردة من خلفية غير علمية، كان من المؤكد أن آلان هارينجتون يعرف مادته. إن تصويره للمنافسين السيكوباتيين يتفوق، في الواقع، في بعض الأحيان، نظرًا لضربات الفرشاة المنتقاة والمتنوعة، على العديد من الصور التي يقرأها المرء أحيانًا اليوم. إن الشخص السيكوباتي، كما يعرفه هارينجتون، هو «الرجل الجديد»: إنه بطلٌ نفسيٌّ خارق متحرر من أغلال القلق والندم. إنه وحشي ومتوتر ومغامر. ولكنه أيضا مذهل حين يتطلب الوضع ذلك.

يستشهد آلان هارينجتون ببعض الأمثلة: «السكارى والمزورون، والمدمنون، وأطفال الزهور[319]... مرابي المافيا الذي يسحق ضحيته، والممثل الساحر، والقاتل، وعازف الجيتار المتجول، والسياسي المتعجرف، والقديس الذي يستلقي أمام الجرارات، الفائز بجائزة نوبل المهيمن ببرود يسرق السمعة من مساعدي المختبر... الجميع، الجميع يفعلون ما يشاؤون».

والجميع، الجميع، لا يهتمون بالعالم أدنى اهتمام.

القديس بولس – القديس راعي السيكوباتيين:

إن إدراج آلان هارينجتون للقديسين في القائمة لم يكن من قبيل الصدفة. كما أنه لم

(319) - أطفال الزهور flower children: شبان، خاصة في ستينيات القرن العشرين، يرفضون المجتمع التقليدي ويدافعون عن الحب والسلام والقيم البسيطة المثالية (المترجم).

يدرجهم فيها مرة واحدة. في كلّ ثنايا كتابه، نجدُ أنّ النثر البارد المتلون مليء بالمقارنات بين الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص المستنيرين روحيًّا ونجدهم أنّهم لا ينتمون كلهم إلى قائمته.

يقتبس، على سبيل المثال، الطبيب هيرفي كليكلي، الذي التقينا به في الفصل الثاني، المجمع، في كتابه الكلاسيكي بعنوان **قناع العقل**- *The Mask of Sanity* الصادر عام 1941، من أحد الأوصاف الإكلينيكية الأولى للشخصية السيكوباتية:

«يتبين أن ما يؤمن [الشخص السيكوباتي] بأنه يحتاج إلى الاحتجاج عليه ليس مجموعة صغيرة، ولا مؤسسة معينة، أو مجموعة من الأيديولوجيات، ولكنه يحتاج إلى الاحتجاج على حياة الإنسان نفسها. ويبدو أنه لا يجد فيها شيئًا ذا مغزى عميق أو يحفز باستمرار، ولكنه لا يجد إلا بعض النزوات الممتعة العابرة والصغيرة نسبيًّا، وسلسلة متكررة بشكل رهيب من الإحباطات الطفيفة، والسخرية... مثل العديد من المراهقين، و**القديسين** [التأكيد للمؤلف]، ورجال الدولة الذين يصنعون التاريخ، وقادة أو عباقرة بارزون آخرون، يكشف عن اضطراب: إنه يريد أن يفعل شيئًا بشأن الوضع».

يقتبس آلان هارينجتون أيضًا من **نورمان ميلر**:[320] «إن [الشخص السيكوباتي] واحد من أفراد النخبة، يتسم بالقسوة المحتملة لواحد من أفراد النخبة... إن خبرته الداخلية المتعلقة بالإمكانيات داخل الموت هي منطقه. وكذلك أيضًا بالنسبة للوجودي... و**القديس** ومصارع الثيران والعاشق».

إن الآثار تثير الفضول والاهتمام. يتساءل آلان هارينجتون، هل من الممكن أن يشكل القديس والسيكوباتي بطريقة ما وجهين متسامين للعملة الوجودية نفسها؟ هل من الممكن «سواء أردنا أن نعترف بذلك أو لم نرد، بالنسبة إلى الشخص

---

(320) - نورمان ميلر Norman Mailer (1923 - 2007): روائي أمريكي، وصحفي وكاتب مقالات وكاتب مسرحي وممثل وناشط سياسي ليبرالي. نُشرت روايته "العراة والموتى" في عام 1948 وأكسبته شهرة مبكرة وواسعة (المترجم).

السيكوباتي الشرير الذي لا يمكن الصفح عنه تمامًا أن يغلق طريقه إلى عالم المغفرة؟ أن يحقق نوعًا من النقاء بوسائل رهيبة؟ أن يتحول بواسطة محنته، والمحن التي فرضها على الآخرين، إلى شخص آخر، وتتطهر روحه بواسطة المسرح والدعاية والشهرة والرعب؟»

ربما، على الرغم من العكس، قد يكافح علماء **العهد الجديد**، نظرًا لحساسياتهم الفكرية الدقيقة، من أجل الاختلاف. قبل ألفي عام، أقر شاول الطرسوسي[321] علنًا بمقتل أعداد لا تحصى من المسيحيين بعد إعدام زعيمهم - ويمكن اليوم، بموجب أحكام اتفاقية جنيف، أن يُتهم بتهمة الإبادة الجماعية.

كلنا نعرف ما حدث له. حدث له تحول مذهل حين سافر في طريقه إلى دمشق[322] تحول، حرفيًّا بين عشية وضحاها، من صانع خيام قاتل لا يعرف الرحمة إلى واحد من أهم الشخصيات في تاريخ العالم الغربي. القديس بولس، كما يُشار إليه اليوم بشكل أكثر شيوعًا، هو مؤلف ما يزيد قليلًا عن نصف العهد الجديد بالكامل (يُنسب إليه أربعة عشر كتابًا من سبعة وعشرين كتابًا تشكل العهد الجديد)؛ وهو بطل عمل آخر، **أعمال الرسل**؛ وهو موضوع بعض من أفضل الزجاج الملون المشغول.

لكن من المؤكد أنه كان، بالإضافة إلى ذلك، شخصًا سيكوباتيًّا. كان لا يعرف الرحمة، ولا يعرف الخوف، وكان مندفعًا وصاحب كاريزما بالقدر نفسه.

دعنا نلقِ نظرة على الأدلة. إن ميل بولس الرسول الواضح، سواء على الطريق المفتوح أو داخل المدن الداخلية التي تغلي، بالنسبة إلى المناطق الخطيرة غير المضيافة تضعه في الخطر المستمر للاعتداء العشوائي العنيف. أضف إلى ذلك حقيقة أنه عانى

---

(321) - شاول الطرسوسي: ويعرف باسم بولس الرسول أو القديس بولس. وينسب إلى طرسوس في تركيا، وهو أحد قادة الجيل المسيحي الأول ويعتبره البعض ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد يسوع نفسه (المترجم).

(322) - يعتبر خبراء العصر الحديث في مجال علم الأعصاب أن خبرة شاول عرض لظهور صرع الفص الصدغي أكثر من أن تكون عرضًا لأي لقاء حقيقي مع ما هو إلهي. "النور من السماء"، الهلوسات السمعية ("شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟")، وعماه المؤقت اللاحق متوافقان بالتأكيد مع هذا التشخيص - وكذلك إشارة شاول الغامضة المتعلقة بالصحة (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 12: 7 - 10) إلى "شوكة في الجسد"، "رسول إبليس"، "لكي يمنعني من أن أكون مغرورًا". (المؤلف).

من تحطم السفن بشكل كبير ثلاث مرات إجمالًا في أثناء رحلاته حول حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي إحدى المرات قضى أربعًا وعشرين ساعة في البحر المفتوح قبل أن يتم إنقاذه، وبدأت تظهر صورة لرجل لا يهتم بسلامته إلا بقدر ضئيل أو لا يهتم بها على الإطلاق.

هناك الخرق المعتاد للقانون مما جعله يبدو أنه غير قادر على أن يتعلم من الأخطاء الكامنة في الطرق التي يتبعها (سواء كان الأمر يرجع إلى ذلك أو أنه لم يكن يهتم). سُجن بولس الرسول عدة مرات في أثناء خدمته، حيث قضى ما مجموعه ست سنوات خلف القضبان؛ وقد جلد بوحشية (خمس مرات تلقى الحد الأقصى من الجلدات وهو تسع وثلاثون جلدة: وهو عدد كبير جدًّا قد يقتل أي شخص)؛ وتعرض للضرب بالعصي في ثلاث مناسبات. وذات مرة، في مدينة ليسترا، وهي تقع الآن في تركيا الحديثة، تعرض للرجم من حشد غاضب بشراسة لدرجة أنه بحلول الوقت الذي انتهوا فيه من الرجم، تخلوا عنه لأنه اعتبر في عداد الموتى، وسحبوه إلى خارج المدينة، كما جرت العادة.

يسجل الكتاب ما حدث بعد ذلك: «**وَلكِنْ إِذْ أَحَاطَ بِهِ التَّلاَمِيذُ، قَامَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ، وَفِي الْغَدِ خَرَجَ مَعَ بَرْنَابَا إِلَى دَرْبَةَ**» *(أعمال الرسل 14: 20)*.[323]

هل يمكن أن يدخل المرء بهدوء مدينة قد حاول سكانها أن يرجموك حتى الموت؟ لست متأكدًا من ذلك.

ونحن لم ننتهِ بعد. هناك التائه المتجول الذي كان يتنقل باستمرار بسبب التهديدات بقتله. حين وضع محافظ دمشق طوقًا حول المدينة لاعتقاله، هرب في سلة من خلال فجوة في أسوار المدينة.

هناك المحرك السياسي البارد الحذر والمحرض، الذي لا يخشى من أن يدوس على

---

(323) - الترجمة عن الترجمة العربية للكتاب المقدس؛ والإشارة إلى برنابا الرسول وكان بولس قد تعرف عليه وصارا صديقين؛ ودربة مدينة في آسيا الصغرى (المترجم).

مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، بغض النظر عن مدى أهميتهم أو ولائهم الشخصي. وصف ل. مايكل وايت،[324] أستاذ الكلاسيكيات والدراسات الدينية في جامعة تكساس في أوستن، في كتابه **من يسوع إلى المسيحية** شجار بولس مع القديس بطرس في أنطاكية، حيث اتهم بطرس في وجهه بأنه منافق في إجبار غير اليهود Gentiles على تبني العادات اليهودية بينما كان هو نفسه يعيش مثل شخص غير يهودي باعتباره «إخفاقًا تامًّا للتبجح السياسي، وسرعان ما ترك بولس أنطاكية باعتباره شخصًا غير مرغوب فيه، ولم يعد إليها مرة أخرى قط».

أخيرًا، هناك المناور الذي لا يعرف الندم ولا يهتز له جفن مثل لص نفسي غامض يتسلل دون أن يراه أحد. إنها مهارات العرض الذاتي الناعمة الحريرية للمناور الخبير.

هل تذكر كلمات سيد الرجل المخادع جريج مورانت؟ إن أحد أقوى الأسلحة في الترسانة غير المقدسة لدى الغشاش هو «رادار الضعف» الجيد. كان من الممكن أن يكون مماثلًا لرادار بولس الرسول.

أو، بالتعبير عن الأمر بطريقة أخرى:

«فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ- مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ - لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا».

(رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 9: 20 - 22).[325]

إذا كان يسوع حقًّا على هذا الطريق إلى دمشق وأراد مبعوثًا لمساعدته على نشر

---

(324) - ل. مايكل وايت L. Michael White (1949 -): باحث أمريكي في الكتاب المقدس، وهو مدير معهد دراسة العصور القديمة والأصول المسيحية في جامعة تكساس في أوستن. وهو مؤلف أو مؤلف مشارك لسبعة كتب، ومحرر لأربعة مجلدات ومقالات مجمع؛ صدر كتابه **من يسوع إلى المسيحية** *From Jesus to Christianity* في عام 2004 (المترجم).

(325) - الترجمة عن الترجمة العربية للكتاب المقدس (المترجم).

الكلمة، لما استطاع اختيار رجل أفضل من بولس الرسول لهذه الوظيفة. ولا يوجد بين المسيحيين من يُخشَى أكثر منه أو من لا يحظى بشعبية أكثر منه. في وقت تحوله، كان بولس الرسول، بلا شك، في ذروة سلطاته الاضطهادية. في الواقع، كان سبب ذهابه إلى دمشق في المقام الأول هو التحريض على المزيد من إراقة الدماء. هل كان من قبيل الصدفة أن تبدأ خدمته هناك؟

ليس كل السيكوباتيين قديسين. وليس كل القديسين سيكوباتيين. ولكن هناك أدلة تشير إلى أنه في أعماق ممرات الدماغ، تشترك السيكوباتية والقداسة في فضاء مقر عصبي سري. وأن بعض الصفات السيكوباتية - الرواقية، والقدرة على تنظيم الانفعال، والعيش في هذه اللحظة، والدخول في حالات متغيرة من الوعي، وأن يكون المرء بطلًا، لا يعرف الخوف، أجل، وحتى متعاطفًا - هي أيضًا صفات روحية بطبيعتها، ولا تحسن رفاهية المرء فقط، لكنها تحسن أيضًا رفاهية الآخرين.

إذا كنت في حاجة إلى أي إقناع، فعليك فقط أن تنظر إلى لوحة الدعاء في كلية المجدلية من حين إلى آخر.

الغضب الشديد يؤرجحه من أجل البطل:

لطالما اعتبرت القدرة على الابتسام في وجه الشدائد مقياسًا للذكاء الروحي. خذ، على سبيل المثال، كلمات الشاعر روديارد كبلينج،[326] آخر ما تراه وأنت لاعب قبل الخروج إلى ملعب الوسط في ويمبلدون:

«إذا كنت تستطيع أن تقابل **الانتصار والكارثة**[327]

وتعامل هذين المحتالين بالطريقة نفسها...».

---

(326) - روديارد كبلينج Rudyard Kipling (1865 - 1936): كاتب وشاعر وقاص بريطاني ولد في الهند البريطانية (المترجم).

(327) - الانتصار والكارثة Triumph and Disaster: تبدأ كل كلمة من الكلمتين بحرف كبير في الأصل (المترجم).

ولكن على الرغم من أن مثل هذه العقلية ترتبط عادة بالقديسين، إلا أن العلاقة مع الأشخاص السيكوباتيين يمكن تخمينها غالبًا بدرجة أقل إلى حد ما.

عام 2006، قرر ديريك ميتشل من الكلية الجامعية، في لندن،[328] أن يعكس هذا الاتجاه - وقدم لمجموعتين من المشاركين، مجموعة من السيكوباتيين ومجموعة غير السيكوباتيين، إجراء يعرف باسم مهمة المقاطعة الانفعالية- Emotional Interrupt Task (EIT). ومهمة المقاطعة الانفعالية اختبار رد فعل زمني للقدرة على التمييز. وعادةً ما يجلس المتطوعون أمام شاشة كمبيوتر ويضغطون على المفاتيح إما بسبابتهم اليسرى أو اليمنى اعتمادًا على ما ظهور شكل معين، عادة ما يكون دائرة أو مربعًا، أمامهم.

إنها مهمة بسيطة جدًّا، كما قد تظن. ولكنها في الواقع، يمكن أن تكون مهمة صعبة إلى حد ما.

والسبب في ذلك أن الأشكال لا تظهر من تلقاء نفسها. بدلًا من ذلك، تكون كل دائرة أو مربع محصورًا، لمدة مائتي ميلي ثانية في المرة الواحدة، بين أزواج مختلفة من الصور - وتكون عادةً وجوهًا. إنها إما صورتان إيجابيتان (وجهان مبتسمان)، أو صورتان سلبيتان (وجهان غاضبان)، أو صورتان محايدتان (وجهان غير معبرين) على التوالي.

يجد معظم الناس أن الصور الانفعالية تمثل مشكلة. وببساطة بسبب **ذلك**: يكونون انفعاليين - ومشتتين. ولكن إذا كان الأشخاص السيكوباتيون، كما افترض ديريك ميتشل، لا يشعرون حقًّا بالدهشة ويسترخون كما توحي سمعتهم، فيمكنهم فعلًا التعامل مع المشاكل بسلاسة، ولا ينبغي أن يكون هذا صحيحًا في حالتهم. في الواقع، يجب أن يستجيبوا بشكل أسرع وأكثر دقة، مقارنة بالمجموعة الضابطة - أي يجب أن

---

(328) - ديريك ميتشل Derek Mitchell: استاذ مساعد، أقسام الطب النفسي والتشريح وبيولوجيا الخلية. الكلية الجامعية University College: جامعة للأبحاث في لندن، تأسست في عام 1826، وتعرف رسميًا باسم UCL منذ عام 2005 (المترجم).

يكونوا أقل تشتتًا - في تلك التجارب حيث يحيط بالدائرة أو المربع إما صورتان إيجابيتان أو صورتان سلبيتان. إن الصور، بتعبير آخر، تخفي، بطريقة أو بأخرى، التكافؤ الانفعالي. في المقابل، اقترح ديريك ميتشل، أن هذا الاختلاف بين الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين يجب أن يختفي في المحاولات المحايدة، حيث يمثل التشتيت مشكلة أقل.

كما اتضح، هذا هو بالضبط ما وجده. كلما كانت الدائرة أو المربع محاطًا بصورة مشحونة انفعاليًّا، كان السيكوباتيون، كما هو متوقع تمامًا، أفضل في تمييز الأهداف عن غير السيكوباتيين - وأسرع أيضًا. كانوا، كما قال روديارد كبلينج، أفضل في الحفاظ على هدوئهم بينما كان الآخرون يفقدون هدوءهم.

إن الرواقية[329] صفة تحظى بقدر كبير من التقدير من المجتمع. ولسبب وجيه. إنها يمكن أن تكون مفيدة في كل الظروف: في أثناء الفجيعة، وبعد الانفصال، وعلى طاولة البوكر - حتى في بعض الأحيان، وأنت تؤلف كتابًا. ولكن بصفتي متابعًا يعاني منذ فترة طويلة لفريق كرة القدم الإنجليزي، ومخضرمًا في عدد أكبر من الهزائم بركلات الترجيح مما يمكن أتذكر، فإن العلاقة بين الرواقية والرياضة هي العلاقة الأكثر بروزًا بالنسبة لي.

وأنا لا أتحدث فقط من وجهة نظر المتفرج. إن الرياضة، باعتبارها منشورًا نفسيًّا، لا يعلى عليها في تقسيم الرواقية إلى طوليها الموجيتين المكونتين، أي عدم الخوف والتركيز، اللذين يشكلان بنفسيهما عنصرين من عناصر كل من السيكوباتية والفطنة الروحية.

كتب القديس بولس: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ

(329) - الرواقية Stoicism: مدرسة فلسفية هلنستية أسسها زينون الرواقي في أثينا في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد. ويعتقد الرواقيون بشكل أساسي أن الانفعالات تنجم عن خطأ في الحكم، وليس لإنسان حكيم، أو لشخص يتمتع ب "الكمال الخلقي والفكري"، أن يشعر بمثل هذه الانفعالات (المترجم).

يَرْكُضُونَ، وَلكِنَّ وَاحِدًا يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا... إِذًا، أَنَا أَرْكُضُ هكَذَا كَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ يَقِينٍ. هكَذَا أُضَارِبُ كَأَنِّي لاَ أَضْرِبُ الْهَوَاءَ».[330]

إن كلمات روديارد كبلينج المعلقة فوق الملعب المركزي ليست بالتأكيد من قبيل الصدفة... ولا هي قاصرة فقط على التنس. رد أسطورة السنوكر ستيف ديفيس[331] حين طُلب منه أن يفصح عن سر العظمة الرياضية: العبْ وكأن اللعب لا يعني أي شيء حين يعني كل شيء، انس، المحاولات السيئة – وبالقدر نفسه، انس المحاولات الجيدة – وركز انتباهك بنسبة 100٪ على المحاولة التالية.

وينطبق الشيء نفسه على لعبة الجولف.

عام 2010، كان **لويس أوستويزن**،[332] من جنوب أفريقيا، من أصحاب الفرص الضئيلة في الفوز بالبطولة البريطانية المفتوحة في سانت أندروز. بعد سلسلة من خيبات الأمل في الأحداث المؤدية إلى البطولة، كان من المتوقع تمامًا، حتى مع تقدمه بأربعة أشواط، أن ينهار تحت ضغط الجولة الأخيرة الحاسمة. لكنه لم ينهرْ. والسبب في ذلك كان مفاجئًا، وإن كان سببًا خادعًا وبسيطًا: كان السبب بقعة حمراء صغيرة، تقع بشكل واضح أسفل قاعدة إبهامه، على قفازه.

جاءت فكرة المكان من **كارل موريس**،[333] عالم النفس الرياضي المقيم في مانشستر، وقد اتصل به لويس أوستويزن لمساعدته على أن يطلعه على ما يمكن أن يجعل المرء يوصف بشكل معقول بأنه شخص سيكوباتي داخلي خفي. كان الهدف هو أن يركز

---

(330) - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 9: 24، 26 (المؤلف): الترجمة عن الترجمة العربية للكتاب المقدس (المترجم).

(331) - ستيف ديفيس Steve Davis (1958 -): لاعب سنوكر (البلياردو الإنجليزي) إنجليزي محترف فاز ببطولة العالم للسنوكر في الأعوام 1981 - 1983 - 1984 - 1987 - 1988 – 1989 (المترجم).

(332) - لويس أوستويزن Louis Oosthuizen (1982 -): لاعب جولف فاز ببطولة الجولف المفتوحة في عام 2010 التي أقيمت في بلدة سانت أندروز St. Andrews، وهي بلدة تقع على الساحل الشرقي لمنطقة فايف Fife، شمال شرق إدنبره في أسكتلندا (المترجم).

(333) - كارل موريس Karl Morris: مستشار رابطة لاعبي الجولف المحترفين في بريطانيا العظمى وأوروبا، يقدم أساليب متطورة لتحقيق أعلى أداء لمجموعة من العملاء في الرياضة والأعمال (المترجم).

تمامًا على لعب اللعبة التي يلعبها، بدلًا من الانشغال، في اللحظة الخاطئة تمامًا، بالتفكير في العواقب. لذا ابتكر كارل موريس خطة. حين يشعر لويس أوستويزن بأنه على وشك أن يتأرجح، كان عليه أن يركز انتباهه بهدوء وثبات على النقطة. كانت النقطة هي كل ما يهم في ذلك الوقت. لم يكن يلعب اللعبة. بدلًا من ذلك، كان على اللعبة أن تلعبه.

فاز بسبع ضربات.

النقطة الحمراء عند لويس أوستويزن مثال كلاسيكي على ما يُعرف في علم النفس الرياضي بأنه هدف العملية - وهي تقنية يُطلب من الرياضي من خلالها التركيز على شيء، مهما كان ثانويًا، لمنعه من التفكير في أشياء أخرى: وكانت، في حالة لويس أوستويزن، جميع الطرق التي من المحتمل أن تفسد اللعبة. إنها تقنية تثبت الرياضي بقوة هنا والآن - قبل أن يلعب اللعبة فعليًا، قبل أن يؤدي الحركة فعليًا، والأهم من ذلك كله، قبل أن تبدأ الثقة في التلاشي. في الواقع، إن هذه القدرة على التركيز التام على المهمة التي يقوم بها المرء – وهي ما يسميه عالم النفس المجري ميهالي كسيسنتميهالي[334] «التجربة المثلى» أو «التدفق» - تقنية من عدد من التقنيات الرئيسية التي يعمل عليها علماء النفس الآن، وليس فقط في لعبة الجولف ولكن بين المنافسين رفيعي المستوى في جميع المجالات الرياضية.

في لحظات التدفق، يتبخر الماضي والمستقبل باعتبارهما فكرتين تجريديتين. كل ما تبقى هو الحاضر المكثف والخارق الذي يلتهم الانتباه، الشعور الساحق بأنك «سعيد لأنك تنجز بمهارة وسهولة». هذا هو الاتحاد، والتحقيق الفاتن للعقل والجسد واللعبة: ما يُعرف في التجارة باسم «المثلث الذهبي Golden Triangle» في الأداء؛ حالة تشبه الغيبوبة من الفعل ورد الفعل، حيث يتلاقى الزمن والذات – ويكون المرء

(334) - ميهالي كسيسنتميهالي Mihály Csíkszentmihályi (1934 -): أخصائي نفسي أمريكي من أصول مجرية، وهو أستاذ متميز في علم النفس والإدارة في جامعة كليرمونت للدراسات العليا، والرئيس السابق لقسم علم النفس في جامعة شيكاغو وقسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في كلية ليك فورست (المترجم).

مسيطرًا، ولا يكون مسيطرًا، في الوقت نفسه.

ربما يكون له، كما هو متوقع، توقيع عصبي كاشف في الدماغ.

عام 2011، اكتشف مارتن كلاسين في جامعة آخن[335] أن لحظات التدفق لها بروفايل فسيولوجي فريد. باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لمراقبة أدمغة لاعبي ألعاب الفيديو وهي تعمل، وجد أن فترات زيادة الانتباه والتركيز تكون مصحوبة بانخفاض النشاط في القشرة الحزامية الأمامية - أجهزة الكشف عن الأخطاء ومراقبة الصراع في الدماغ - مما يدل على زيادة في الانتباه وقمع المعلومات المشتتة وغير ذات الصلة بالمهمة.

لكن هذا لم يكن كل شيء. عُثِر على نمط مماثل أيضا في أدمغة السيكوباتيين الجنائيين.

في العام نفسه الذي كان مارتن كلاسين يلعب فيه ألعاب الفيديو، أعد كينت كيل جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي النقال على ثماني عشرة عجلة من سيارته للعمل مرة أخرى وانطلق في طرق نيو مكسيكو مسلحًا بتجربة جديدة. كان كينت كيل مهتمًا بالأسباب التي تجعل الأشخاص السيكوباتيين يتصرفون بسرعة على وجه التحديد حين يتعلق الأمر باتخاذ قرار أخلاقي. هل هم حقًا باردون كالجليد تحت الضغط؟ هل هم أفضل حقًا في تحقيق النتائج المطلوبة حين يكون الموقف حرجًا والوقت هو الجوهر؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟ هل يمكن أن يكون السبب شيئًا ماثلًا في أدمغتهم؟ هل يتمثل في انتصار التفكير المعرفي بدم بارد على المعالجة الانفعالية بدم حار؟

لمعرفة ذلك، قدم كينت كيل للأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين نوعين مختلفين من المعضلات الأخلاقية: ما أسماه معضلات «الصراع

---

(335) - مارتن كلاسين Martin Klasen: يعمل حاليًا في قسم الطب النفسي والعلاج النفسي وعلم النفس العضوي في جامعة آخن Aachen في ألمانيا. يجري مارتن أبحاثًا في العلوم المعرفية وعلم النفس العصبي (المترجم).

العالي (الشخصي)» و«الصراع المنخفض (الشخصي)»، وعلى التوالي، نقدم مثالًا لكل من النوعين فيما يلي.[336]

الصراع العالي (الشخصي):

استولى جنود العدو على قريتك. لديهم أوامر بقتل كل شخص يجدونه. تختبئ أنت وبعض الأشخاص الآخرين في قبو. تسمع صوت الجنود وهم يدخلون المنزل الذي فوق القبو. يبدأ طفلك في البكاء بصوتٍ عالٍ. تقوم بتغطية فمه لحجب الصوت. إذا أبعدت يدك عن فمه فسوف يصرخ بصوت عال ويسمع الجنود صوته. إذا سمعوا الطفل فسوف يعثرون عليك ويقتلون الجميع، بما في ذلك أنت وطفلك. لإنقاذ نفسك والآخرين، يجب أن تخنق طفلك حتى الموت.

هل من المقبول أخلاقيًّا بالنسبة إليك أن تخنق طفلك من أجل أن تنقذ نفسك وتنقذ الآخرين؟

الصراع المنخفض (الشخصي):

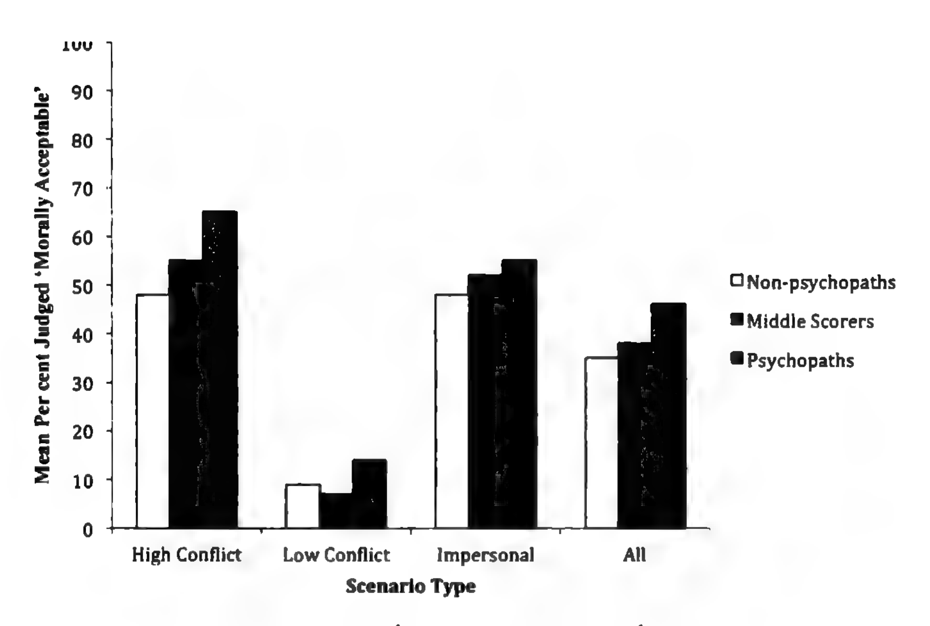
أنت تزور جدتك في عطلة نهاية الأسبوع. عادة ما تمنحك هدية قيمتها بضعة دولارات حين تصل إليها، لكنها هذه المرة لا تفعل ذلك. تسألها عن السبب فتقول شيئًا عن كيف أنك لم تكتب رسائل إليها بنفس عدد الرسائل التي اعتدت على أن ترسلها إليها. تغضب وتقرر أن تمارس حيلة على جدتك.

تأخذ بعض الأقراص من خزانة الدواء وتضعها في إبريق شاي جدتك، معتقدًا أن هذا سوف يجعلها مريضة للغاية.

هل من المقبول أخلاقيًّا أن تضع حبوب في إبريق شاي جدتك لتمارس حيلة عليها؟

(336) - كما ضمن كينت كيل وزملاؤه نوعًا ثالثًا من المعضلة، أطلقوا عليه اسم "غير شخصي impersonal". وقد اتخذ هذا النوع شكل النسخة الأصلية من مشكلة العربة التي ابتكرتها فيليبا فوت (انظر الفصل الأول)، حيث يكون الخيار (الذي يبدأ بنقرة من المفتاح) هو ما إذا كان سوف يحول القطار المنحرف بعيدًا عن مساره الحالي لقتل خمسة أشخاص على مسار بدلًا من قتل شخص واحد فقط (المؤلف).

كان التوقع بسيطًا. إذا كان الأشخاص السيكوباتيون أقل انزعاجًا من الضرورات الانفعالية الخارجية في هذه اللحظة وكان لديهم حافة باردة وصعبة عن بقية الناس حين يتعلق الأمر باتخاذ قرار يتعلق بالحياة والموت، فإن الفرق الأكثر وضوحًا بين أدائهم وأداء الأشخاص غير السيكوباتيين، كما يعتقد كينت كيل، لا بد أن يتجلَّى حين يتعلق الأمر بمعضلات الصراع العالي (الشخصي) - حين تصل الحرارة إلى الحد الأقصى وتكون المشكلة أقرب إلى البيت. وقد تبين أن هذا هو بالضبط ما وجده *(انظر الشكل 6 - 1)*.



الشكل 7 - 1: السيكوباتيون أقل حساسية من الناحية الأخلاقية - لكن فقط حين يراهنون على رهانات مرتفعة (مقتبس عن Ermer et al., 2011)

في سيناريوهات الصراع العالي، قام الأشخاص السيكوباتيون بالفعل، بتقييم عدد من الأحكام النفعية بأنها «مقبولة أخلاقيًّا» أكبر بكثير من الأشخاص غير السيكوباتيين. كانوا أفضل في خنق الأطفال، أو على الأقل في التعامل مع الألم الناتج

عن مثل هذا التصرف، من نظرائهم الأكثر حساسية تجاه المسائل الأخلاقية. ويفترض أنهم قد يكونون أفضل في البقاء على قيد الحياة، والحفاظ على حياة زملائهم الموجودين في الطابق السفلي، كانت سيناريوهات اللعب على أرض الواقع.

ولكن كان هناك المزيد. تمامًا كما وجدْتُ مع مثال السفينة **وليم براون** في الفصل الثالث، اكتشف كينت كيل وزملاؤه أيضًا أن الأشخاص السيكوباتيين، بالإضافة إلى أنه يوجد لديهم عدد من مشكلات الصحة الأخلاقية بشكل عام أقل مما يوجد لدى الأشخاص غير السيكوباتيين، استغرقوا وقتًا أقل بكثير منهم لتقييم الألغاز التي وضعت أمامهم. كانوا أسرع في التوصل إلى قرار بشأن مسار التصرف المناسب. ليس هذا فقط، ولكن كانت مرات الاستجابة المخففة هذه مصحوبة، تمامًا كما وجد مارتن كلاسين في ظروف التدفق، بانخفاض النشاط في القشرة الحزامية الأمامية.

ولكن - وهنا تكمن المشكلة الكبرى - فقط حين يتعلق الأمر بسيناريوهات الصراع العالي. في حالة معضلات الصراع المنخفض، اختفى الفرق فيما يتعلق بهذا الشأن. كان من المحتمل أن يعترض الأشخاص السيكوباتيون على فكرة وضع حبوب في إبريق شاي جدتك مثل الأشخاص غير السيكوباتيين.

يبدو الاستنتاج واضحًا جدًّا. حين تكون الرهانات عالية والظهور إلى الحائط، فإنك تحتاج إلى سيكوباتي إلى جانبك. ولكن إذا لم يكن هناك شيء يمكنك اللعب من أجله وكنت على قدم المساواة مع السيكوباتي، فَانْسَ. يكفُّ الأشخاص السيكوباتيون عن الانتباه وقتًا كافيًا ويبدأون ممارسة النشاط مثل بقية الناس.

في الواقع، كشفت دراسات **تخطيط الدماغ الكهربائي** (EEG) عن وجود اختلافات ثابتة في الطريقة التي تستجيب بها أدمغة السيكوباتيين وغير السيكوباتيين للمهام والمواقف التي تكون إما مثيرة للغاية أو محفزة للغاية، على التوالي. عند الكتابة بخط اليد على الحائط، يُظهر الأشخاص السيكوباتيون نشاطًا أكبر بكثير في مناطق ما الفص الجبهي الأمامي الأيسر في أدمغتهم (المنطقة الواقعة خلف الجبهة من ناحية

اليسار مباشرةً) مقارنةً بالأشخاص غير السيكوباتيين - عدم التماثل الدماغي المرتبط بانخفاض كبير في القلق، والتأثير الإيجابي المعزز، وزيادة تركيز الانتباه والتوجه إلى المكافأة. وأيضا، على ما يبدو، مع حالات روحية مرتفعة. اكتشف عالم الأعصاب ريتشارد دافيدسون،(337) في جامعة ويسكونسن، على وجه التحديد البروفايل نفسه في الرهبان البوذيين من النخبة، الأولمبيين الروحيين في جبال الهيمالايا العليا، حين يكونون منغمسين في التأمل العميق.

يوضح تيم ريس،(338) عالم النفس الرياضي في جامعة إكستر: «إن هناك الكثير من الأدلة [التي تشير] إلى أن أفضل الرياضيين من الرجال والنساء قد [طوروا] مهارات نفسية تسمح لهم بالتركيز والسيطرة على القلق». ويضيف، بالإضافة إلى ذلك: «وهناك أيضًا الكثير من الأدلة التي تثبت أنه بمجرد وصول شخص ما إلى مستوى معين من المهارة، فإن الاختلافات في المقاربة النفسية هي التي تميز الناس الذين يعتلون القمة».

إن العقلية التي تفصل بين العظيم والجيد، وكما أظهر لنا كينت كيل، في بعض المواقف الحرجة، المواقف التي تفصل بين الحياة والموت، هي ذات طبيعة سيكوباتية بشكل متأصل.

وروحانية أيضًا بشكل متأصل.

أوقفْ كل الساعات:

الارتباط الذي رصده ميهالي كسيستميهالي وآخرون بين «البقاء في الحاضر» وغياب القلق، بالطبع، ليس ارتباطًا جديدًا. إن ممارسة «اليقظة التامة بشكل

(337) - ريتشارد دافيدسون Richard Davidson (1951 -): عالم نفس وعالم أعصاب أمريكي (المترجم).

(338) - تيم ريس Tim Rees: أستاذ الرياضة في جامعة بورنموث Bournemouth في إنجلترا حاليا، وطبيب نفسي وزميل مشارك في جمعية علم النفس البريطانية، وزميل في أكاديمية التعليم العالي. جامعة إكستر Exeter: جامعة في مدينة إكستر، وهي مدينة تقع في جنوب غرب إنجلترا (المترجم).

مناسب»، على سبيل المثال، تشكل الخطوة السابعة من **المسار الثماني النبيل**، وهو أحد التعاليم الرئيسية لسيدهارتا جوتاما، بوذا، منذ حوالي ألفين ونصف سنة.

في كتابه المسار الثماني النبيل: **الطريق إلى نهاية المعاناة**، يصف بيكو بوذي، وهو راهب ينتمي لتقليد تيرافادا، ما تنطوي عليه هذه الممارسة:[339]

«يُحفظ الذهن عمدًا في مستوى **الاهتمام المجرد**، وهي ملاحظة منفصلة لما يحدث داخلنا ومن حولنا في اللحظة الحالية. بممارسة اليقظة التامة بشكل مناسب، حيث يتم تدريب العقل على البقاء في الحاضر، والانفتاح، والهدوء، واليقظة، والتفكير في الحدث الحالي. ويجب تعليق جميع الأحكام والتفسيرات، أو في حالة حدوثها، يتم تسجيلها وإسقاطها».

وفقًا لماساتيباسانا سوتا،[340] أحد الخطابات الأساسية في شريعة بالي في بوذية تيرافادا، فإن مثل هذا التدريب، الذي يتم تطبيقه باستمرار، يؤدي في النهاية إلى «نشوء البصيرة وخصائص الهدوء وعدم التشبث والتحرر».

وهي خصائص، كما رأينا، يبدو أن الأشخاص السيكوباتيين يتمتعون بها بشكل طبيعي.

لكن أوجه التشابه بين العقلية الغربية السيكوباتية والذهنية الروحانية في الشرق لا تنتهي عند هذا الحد. في الآونة الأخيرة، بدأ علماء النفس مثل مارك وليمز في جامعة أكسفورد - الذي، إذا تذكرنا، قد التقينا به في الفصل السابق - وقد بدأ **ريتشارد**

---

(339) - بيكو بوذي Bhikkhu Bodhi (1944 -): اسمه عند الولادة جيفري بلوك، هو راهب تيرافادا بوذي رُسِّم في سيرلانكا ويدرِّس حاليًا في نيويورك ومنطقة نيوجيرسي. عُين الرئيس الثاني لجمعية النشر البوذية وحرر وألّف عدة منشورات تستند إلى تقليد تيرافادا البوذي. تيرافادا Theravada: مذهب من مذهبين رئيسيين في البوذية. وقد صدر كتابه المسار الثماني النبيل: **الطريق إلى نهاية المعاناة** *The Noble Eightfold Path: The Way to the End of Suffering* في عام 2006 (المترجم).

(340) - ماساتيباسانا سوتا Mahāsatipatthāna Sutta: ساتيباسانا سوتا Satipaṭṭhāna Sutta (الخطاب حول نشأة اليقظة)، وماساتيباسانا سوتا الذي تم وضعه لاحقًا (الخطاب العظيم حول إنشاء اليقظة) ، هما من أكثر الخطابات شهرة ودراسة على نطاق واسع في شريعة بالي Pali، والأساس لممارسة التأمل المعاصرة. ويؤكد هذان الخطابان Sutta على ممارسة الساتي sati (اليقظة التامة) لتطهير الكائنات، وللتغلب على الحزن والأسى، ولإطفاء المعاناة والحزن، والسير على درب الحق (المترجم).

دافيدسون الذي ذكرناه من قبل العملية المبتكرة والتكاملية، على الرغم من أنها تتطلب تجريبًا لتسخير الخصائص التصالحية للبوذيين في ممارسات التأمل في إطار أكثر تنظيمًا وعلاجيًّا أكثر وموجهًا في إطار إكلينيكي.

حتى الآن يبدو أن الأمور تسير على ما يرام. لقد ثبت أن التدخل القائم على اليقظة الذهنية التامة، كما رأينا قبل ذلك بقليل، استراتيجية ميتا معرفية[341] فعالة بشكل خاص عند التعامل مع أعراض القلق والاكتئاب . . . وهما حالتان يكون الأشخاص السيكوباتيون محصنين ضدهما بشكل استثنائي.

المبادئ الأساسية للعلاج، كما قد يتوقع المرء، مشتقة بشكل كبير من التعاليم البوذية التقليدية المجملة بالفعل. لكنَّ هناك عنصرًا إضافيًّا، وهو نوع من الاستقصاء الساذج والطفولي، الذي يذكرنا بشدة بعامل «الانفتاح على التجربة» الجوهري للخمسة الكبار لبنية الشخصية الذي استعرضناها في الفصل الثاني. وأي من السيكوباتيون، إذا تذكرت، يسجل درجات عالية جدًّا عليها.

يشرح الطبيب النفسي سكوت بيشوب[342] في أحد الأبحاث الرئيسية حول هذا الموضوع عام 2004 ذلك قائلًا: «إن المكون الأول [لليقظة الذهنية التامة] ينطوي على التنظيم الذاتي للانتباه بحيث يتم الحفاظ عليه في خبرة فورية، مما يسمح بزيادة الاعتراف بالأحداث العقلية في اللحظة الحالية. ويتضمن المكون الثاني اعتماد المرء لتوجه معين نحو خبراته في الوقت الحالي، وهو اتجاه يتميز بالفضول والانفتاح والقبول».

و، كما يقول أساتذة زن البوذيين لفنون الدفاع عن النفس، **شوشين**- *shoshin*، **«عقل المبتدئين»**.

---

(341) - ميتا معرفية metacognitive: الميتا معرفة، أو إدراك الإدراك. إدراك المرء للطريقة التي فكر بها (المترجم).

(342) - سكوت بيشوب Scott Bishop: أخصائي نفسي ومحلل نفسي مسجل في تورنتو ولديه أكثر من 25 عامًا من الخبرة في العمل في مجال الصحة العقلية، وهو مدرس ومشرف إكلينيكي يتمتع بخبرة في التدريب والإشراف على العلاج النفسي. يعمل محاضرًا مساعدًا في الطب النفسي في كلية الطب بجامعة تورنتو (المترجم).

أوضح شونرو سوزوكي،[343] أحد أشهر المعلمين البوذيين في العصر الحديث: «إن ذهن المبتدئ يضمّ العديد من الاحتمالات. وفي ذهن الخبير القليل من الاحتمالات».

وقد لا يتفق معه عدد قليل على ذلك. حين قرر ديكنز أن يرسل إلى سكروج[344] أشباح الماضي والحاضر والمستقبل، اختار الأشباح الثلاثة التي تطاردنا جميعًا. لكن ثبت أفكارك تمامًا في الوقت الحالي، واستبعد ثرثرة الماضي النَّكِد والإجرامي، والمستقبل المراوغ والمزعج، ويبدأ القلق في التلاشي. يصبح الإدراك حادًّا. ويصبح السؤال سؤالًا مفيدًا: ماذا نفعل بهذا «الآن»، هذا الحاضر الضخم المؤكد، بمجرد حصولنا عليه. هل «نتذوق» اللحظة مثل قديس؟ أو «نقبض» عليها مثل سيكوباتي؟ هل نفكر في طبيعة التجربة؟ أم نركز اهتمامنا تركيزًا تامًّا على أنفسنا في السعي المحموم نحو إشباع فوري؟

منذ عدة سنوات، كما وثَّقْتُ في كتاب **الإقناع الخاطف**، سافرت إلى دير بعيد في اليابان بحثًا عن إجابة للغز. كان اللغز المقصود يتعلق باختبار: اختبار قام به أولئك الذين يعيشون في حقول الجليد الروحي اللطيفة للفنون القتالية السامية.

يشتمل الاختبار على رجل راكع على ركبتيه – وذراعاه بجانبه وعيناه معصوبتان – بينما يقف خلفه رجل آخر بسيف من سيوف الساموراي مرفوع فوق رأسه مباشرة. في لحظة من اختياره، لا يعرفها خصمه الضعيف، سوف يطلق الرجل الذي يقف في الخلف السيف على إطار الرجل الراكع، مما يتسبب في الإصابة، وربما الموت. إلا إذا انحرفت الضربة بطريقة أو بأخرى. ثم يتم نزع سلاح الرجل الذي يحمل السيف.

تبدو مثل هذه المهمة مستحيلة. لكنها ليست كذلك. إن الاختبار الذي وصفته للتو

---

(343) - شونرو سوزوكي Shunryu Suzuki (1904 - 1971): راهب بوذي، ولد في اليابان وتوفي في الولايات المتحدة، ساعد في نشر البوذية في أمريكا، ويشتهر بتأسيس أول دير بوذي خارج آسيا (المترجم).

(344) - سكروج Scrooge: شخصية خيالية في رواية قصيرة من تأليف تشارلز ديكنز الشهيرة صدرت في عام 1843 بعنوان **ترنيمة عيد الميلاد** *A Christmas Carol*. في بداية القصة، يُقدم سكروج على أنه شخص قاسي القلب ومجرد المشاعر وبخيل وجشع وطماع، يبغض عيد الميلاد ويكره كل ما يمنح الناس السعادة (المترجم).

اختبار حقيقي: إنه طقس قديم، يتم تصميمه بشكل رائع، ويتم تنفيذه في دوجو[345] سرية لا يمكن فهمها في اليابان وجبال الهيمالايا العالية، وأولئك الذين يقتربون من العظمة – أصحاب تلك العقول الطيفية التي تهمس على بعد أميال فوق الحزام الأسود – يخضعون له بشكل روتيني.

في هذه الأيام، بشكل رحيم، يصنع السيف من البلاستيك. ولكن كان هناك زمن، قبل أيام الصحة والسلامة بوقت طويل، كان السيف فيه سيفًا حقيقيًا.

كشف لي معلم فنون قتالية غامض، في الثمانينات من عمره، السر:

قال لي، ونحن نجلس متشابكين في حديقة من الغيوم والأرجواني، في غابات الزان القديمة في جبال تنزوا:[346] «يجب على المرء أن يفرغ عقله تمامًا، يجب على المرء أن يركز بكل معنى الكلمة على الآن. حين يدخل المرء في حالة من هذا النوع، يكون المرء قادرا على أن يشم الزمن. على أن يشعر بأمواج الزمن وهي تغسل حواسه. يستطيع أن يكتشف أصغر تموج عبر مسافات كبيرة. ويستطيع أن يعترض الإشارة. وفي كثير من الأحيان يبدو أن المقاتلين يتحركان في وقت واحد. لكن الأمر ليس كذلك. إن الأمر ليس صعبًا. مع الممارسة يمكن إتقانه».

حين أعيد قراءة ما قاله لي معلم الفنون القتالية العجوز، أتذكر بشدة كلمات جراح الأعصاب السيكوباتي الذي التقينا به في الفصل الرابع. بالطبع، لم أكن قد لتقيت به في الوقت الذي ذهبت فيه إلى اليابان. لكن لو أنني كنت قد التقيت به، لكنت ذكرْتُ لمضيفي وصفه لما يشعر به في بعض الأحيان قبل إجراء عملية صعبة وبحماس شديد.
وكان للرجل العجوز، الذي كان يرتدي الحكما الرهباني الأسود والكيمونو[347] الأحمر الدموي، أن يبتسم.

---

(345) - دوجو dojos: الغرف أو الصالات التي يتم فيها ممارسة الجودو وفنون الدفاع عن النفس الأخرى (المترجم).

(346) - جبال تنزوا Tanzawa Mountains: سلسلة جبال في اليابان (المترجم).

(347) - الحكما *hakama*: سروال فضفاض مع العديد من الطيات في الأمام، يشكل جزءًا من اللباس الرسمي الياباني؛ الكيمونو kimono: رداء طويل فضفاض بأكمام واسعة ومربوط بحزام، يتم ارتداؤه في الأصل باعتباره ملابس رسمية في اليابان ويستخدم الآن أيضًا رداء في أماكن أخرى (المترجم).

إن رواية الجراح للحالة العقلية التي يسميها «العقل السوبر» - «حالة وعي متغيرة تتغذى على الدقة والوضوح» - تبدو مشابهة جدًّا للإطار الذهني الذي كان يتحدث عنه معلم الفنون القتالية: الحالة الذهنية التي يجب أن يدخل فيها الشخص المغيب عن الزمن الراكع، معصوب العينين لنزع سلاح المعتدي الذي يستخدم السيف.

يتم تذكير المرء أيضًا بعمل جو نيومان، الذي أظهر، إذا تذكرت، في مختبره في جامعة ويسكونسن، أنه ليس من الشائع ألا يشعر الأشخاص السيكوباتيون بالقلق في حالات معينة، ولكنهم بالأحرى لا يلاحظون التهديد. يتركز انتباههم بشكل مطلق على المهمة المطروحة، ويتم صرف المشتتات الغريبة بلا هوادة.

من المعتاد، بطبيعة الحال، حين يتعلق الأمر بالأشخاص السيكوباتيين، أن يُفسَّر هذا التركيز على أنه خبيث: إن القاتل البارد برود الجليد، الذي لا يشعر بالذنب، يطوف في حدود المدينة مثل فرس النبي الذي يصلي ويشرب الغازات بحثًا عن الضحية المثالية؛ إن ديكتاتور الإبادة الجماعية، الذي يغفل عن سيادة القانون الأخلاقي أو القانون المدني، عازم على إسكات كل الآراء المخالفة في سعيه الذي لا يقهر من أجل الهيمنة الثقافية والسياسية.

نادرًا ما يتم النظر في الدلالات الرحيمة أو المتعالية أو الروحية، إذا تم النظر إليها.

ولكن بدأ عدد من الدراسات في الآونة الأخيرة في إلقاء ضوء جديد على مثل هذه الإمكانية بعيدة الاحتمال بشكل كبير - وبدأت هذه الدراسات في إعادة تقييم تدريجي ولكنه أساسي لما يعنيه أن يكون المرء شخصًا سيكوباتيًّا.

الأبطال والأوغاد:

كشف الدكتور **محمد محمود**،[348] من جامعة ماكواري في سيدني، عن شيء غير عادي. يبدو أن السيكوباتيين ليسوا قساة وغير انفعاليين طوال الوقت، ويمكن، في

(348) - محمد محمود Mem Mahmut: محاضر أول في قسم علم النفس في جامعة ماكواري، ومدير مشارك لمعمل الأغذية والنكهات والعطور. حصل على الدكتوراه في عام 2008 في جامعة ماكواري (المترجم).

الواقع، في السياق المناسب، أن يكونوا أكثر إيثارًا من الآخرين.

أجرى محمد محمود دراسة تضمنت سلسلة من السيناريوهات الواقعية التي طلب فيها أشخاص المساعدة من بعض المارة (المتطوعون الذين لا يشعرون بأي شك من الذين تم اختبارهم من قبل فيما يتعلق بالشخصية السيكوباتية وتم تصنيفهم على أنهم من أصحاب الدرجات العالية أو المنخفضة).

ولكن كانت هناك مفاجأة. إن الأشخاص الذين يطلبون المساعدة، تمامًا مثل المارة الذين ردوا عليهم، لم يكونوا عشوائيين تمامًا. لقد كانوا، في الواقع، متآمرين مشاركين لمحمد محمود في تجربة فريدة من نوعها صممت خصيصًا لفحص العلاقة بين الشخصية السيكوباتية والاستعداد لمساعدة الآخرين.

تتكون التجربة من ثلاثة أجزاء. في الجزء الأول، التمس شركاء محمد محمود مساعدة مباشرة من المارة من خلال التظاهر بأنهم تائهون والاقتراب للسؤال عن الاتجاهات الصحيحة. وفي الجزء الثاني، كان «طلب» المساعدة أقل مباشرة وصراحة: أنثى بائسة أسقطت مجموعة من الأوراق. وفي الجزء الثالث، كان الطلب أقل وضوحًا: باحثة في مختبر يفترض أن ذراعها قد كسرت تتظاهر بأنها تواجه صعوبة في مجموعة متنوعة من المهام البسيطة – فتح زجاجة ماء، وإدخال اسم المشارك في سجل مزيف، على سبيل المثال – لكنها مثابرة بشجاعة على الرغم من إصابتها الواضحة.

كان محمد محمود يريد أن يعرف مَنْ، في هذه السيناريوهات الثلاثة المختلفة، من المرجح أن يقدم المساعدة: السيكوباتيون الذين لا يعرفون تأنيب الضمير، باردو القلب أو نظراؤهم الأكثر حرارة والأكثر تعاطفًا؟

وقد أذهلت نتائج الدراسة محمد محمود. في الواقع، كانت بعيدة جدًّا عن الخطأ حتى أنه ما زال يحاول جاهدًا أن يستوعب هذه النتائج.

في الجزء الأول من التجربة، حيث سأل الشريك عن الاتجاهات، قدم الأشخاص

السيكوباتيون، كما كان متوقعًا، قدرا من المساعدة أقل مما قدم الأشخاص غير السيكوباتيين.

لم تكن هناك مفاجآت.

لكن في الجزء الثاني اختفت فجوة الإيثار في ظروف غامضة. قدم الأشخاص السيكوباتيون والأشخاص غير السيكوباتيين القدر نفسه من المساعدة.

ولكن في الجزء الثالث، حيث تظاهرت الشريكة بإصابة، جاءت النتائج بالفعل بعيدة عن فرضية محمود المسبقة بأن الأشخاص السيكوباتيين سوف يكونون أقل التزامًا.

في الواقع، تبين أن العكس هو الصحيح.

لقد أبدى الأشخاص السيكوباتيون استعدادًا للتقدم للمساعدة في تقديم زجاجة المياه وإدخال أسمائهم في السجل أكبر من الاستعداد الذي أبداه الأشخاص غير السيكوباتيين. حين كان الشخص الذي يطلب المساعدة هو الأكثر ضعفًا، ومع ذلك لم يحاول في الوقت نفسه أن يطلب المساعدة بشكل استباقي، حقق الأشخاص السيكوباتيون نتائج أفضل. حين كان الأمر مهمًا حقًا، كان من المرجح أن يتفوق السيكوباتيون أكثر من نظرائهم (الذين من المفترض، على الأقل، أنهم) الأكثر دفئًا وأكثر تعاطفًا.

من غير المستغرب أن نتائج تجربة محمد محمود قد أثارت بالتأكيد بعض الدهشة. أحد التفسيرات، بالطبع، هو أنه كما أشارت روح مستنيرة (ولا شك أنها تشعر بالمرارة إلى حد ما) ذات يوم، إلى أنه لا يوجد شيء من قبيل فعل إيثار حقيقي. دائمًا ما يكون هناك تمويه بشكل جيد في الخبايا الأكثر تعتيمًا في أعماقنا النفسية الكثيفة، وخدمة ذاتية خفية، ودافع أقل شرفًا بشكل واضح - والسيكوباتيون في دراسة محمد محمود، مع قرون استشعارهم المضبوطة بدقة وشديدة الحساسة للضعف في مجال واسع (تذكر

التجربة التي أجرتها أنجيلا بوك وكان فيها الأشخاص السيكوباتيون أكثر قدرة من الأشخاص غير السيكوباتيين على انتقاء ضحايا الاعتداء العنيف فقط من طريقة المشي)، ببساطة «انتهاز الفرصة».

كتب الروائي **وليم سومرست** موم في رواية **عن عبودية الإنسان**:[349] «إن المتعة هي ما يكمن في ممارستك لكل فضيلة من فضائلك. يؤدي الإنسان الأعمال لأنها طيبة بالنسبة له، وحين تكون طيبة في عيون الآخرين أيضًا فإنهم يعتقدون أنه شخص فاضل... إنك تعطي متسول بنسين من أجل متعتك الخاصة بقدر ما أشرب أنا كأسًا أخرى من الويسكي والصودا من أجل متعتي الخاصة. أنا، بشكل أقل منك ضجيجًا، لا أمتدح نفسي من أجل متعتي ولا أطلب منك أن تعجب بي».

هكذا إلى حد بعيد.

ولكن، من ناحية أخرى، هناك أدلة تشير إلى أن النتائج المثيرة التي توصل إليها محمد محمود ليست مجرد جهد لا طائل من ورائه. وهي تمثل بداية تحول جديد مرحب به في كل من التركيز التجريبي والنظري: بعيدًا عن الصور الفسيولوجية التقليدية التي تعبر عن الازدراء، تلك الصور التي انبثقت من فرقة التصوير العصبي، نحو دافع بحثي براجماتي تطبيقي أكثر في «السيكوباتية الإيجابية» الوظيفية. ومثالًا على ذلك، بدأت ديانا فالكنباخ[350] وماريا تسوكالاس، في كلية جون جاي للعدالة الجنائية، بجامعة سيتي في نيويورك، في الآونة الأخيرة في دراسة حالات ما يسمى بالخصائص السيكوباتية التكيفية فيما يسمونه «مجموعات الأبطال»: أي مهن الخط الأمامي مثل إنفاذ القانون، والجيش، وخدمات الإنقاذ، على سبيل المثال.

---

(349) - وليم سومرست موم W. Somerset Maugham (1874 - 1965): روائي وكاتب مسرحي إنجليزي وكاتب قصص قصيرة، وكان من بين الكتاب الأكثر شعبية في عصره؛ **عن عبودية الإنسان** *Of Human Bondage*: رواية صدرت في عام 1915، وهي أقرب إلى أن تكون سيرة ذاتية (المترجم).

(350) - ديانا فالكنباخ Diana Falkenbach: أستاذة مساعدة في قسم علم النفس. ومديرة برنامج الماجستير في علم النفس الشرعي. ماريا تسوكالاس Maria Tsoukalas: أخصائية نفسية في سيكولوجيا الإدراك، تمارس العلاج الفردي لمشاكل القلق والأرق والأسى والتوتر ومشاكل العلاقات (المترجم).

ما اكتشفتاه يتفق بشكل رائع مع البيانات التي كشف عنها بحث محمد محمود. من ناحية، على الرغم من أن مجموعات الأبطال يمثلون نمط الحياة الاجتماعية، فإنهم صارمون. وربما لا يكون من المستغرب، بالنظر إلى مستوى الصدمات والمخاطر التي تنطوي عليها مثل هذه المهن، أن يظهر أصحاب هذه المهن غلبة أكبر للسمات السيكوباتية المرتبطة بالمقاييس الفرعية لهيمنة عدم الخوف والقسوة على استبيان الشخصية السيكوباتية (على سبيل المثال، القلق المنخفض، الهيمنة الاجتماعية، والمناعة ضد التوتر)، مقارنة مع عامة السكان بشكل عام.

يتم تشغيل هذه الأقراص بدرجة أعلى.

ولكنهم، من ناحية أخرى، يتشاركون مع السيكوباتيين الإجراميين في الغياب النسبي للسمات المتعلقة بالمقياس الفرعي للاندفاع المتمركز حول الذات (على سبيل المثال، المكيافيلية، والنرجسية، وخلو البال، وعدم التخطيط، والسلوك المعادي للمجتمع).

يتم خفض هذه الأقراص أكثر.

يتوافق هذا البروفايل مع تشريح البطل كما صوره عالم النفس فيليب زيمباردو، مؤسس مشروع التخيل البطولي[351] - وهي مبادرة تهدف إلى تثقيف الناس في التقنيات الخبيثة للتأثير الاجتماعي. أو بشكل أكثر تحديدًا، كيفية مقاومة هذه التقنيات. عام 1971، في تجربة انطلقتْ منذ فترة طويلة في قاعة مشاهير علم النفس، قام زيمباردو ببناء سجن صوري في الطابق السفلي من مبنى علم النفس بجامعة ستانفورد وعين بشكل عشوائي اثني عشر طالبًا متطوعًا للعب دور السجناء، في حين كان هناك اثنا عشر شخصًا آخر يلعبون دور الحراس.

---

(351) - فيليب زيمباردو Philip Zimbardo (1933 -): عالم نفس أمريكي وأستاذ محاضر في جامعة ستانفورد، ذاع صيته في عام 1971 فيما يسمى باختبار سجن ستانفورد الشهير، وقام بتأليف كتب ومقالات عديدة وكتب دراسية في علم النفس. مشروع التخيل البطولي Heroic Imagination Project: ما بدأه فيليب زيمباردو في عام 1971 أصبح تجربة اجتماعية جماعية تسمى مشروع التخيل البطولي، وهي منظمة بحثية وتعليمية غير ربحية مكرسة لتدريب الناس على التصرف بطرق أكثر بطولية (المترجم).

بعد ستة أيام فقط، تم التخلي عن الدراسة. بدأ عدد من «الحراس» في إساءة معاملة «السجناء»، وإساءة استخدام سلطتهم لمجرد امتلاكهم لها.

بعد مرور أربعين عامًا، وبعد ما حدث في سجن أبو غريب والدروس المؤلمة المستفادة، ينخرط فيليب زيمباردو في مشروع مختلف جذريًا: تطوير «عضلة البطل hero muscle» فينا جميعًا. بعد أن فتح الباب للجني الشرير والضحية في الداخل، يسعى الآن إلى القيام بالعكس: لتمكين الناس العاديين من الصمود وإحداث فرق حين يمكن أن يسكتوا خوفًا لولا ذلك. وليس فقط حين يتعلق الأمر بالمواجهات الجسدية، ولكن بالمواجهات النفسية أيضًا - والتي، وفقًا للظروف، يمكن أن تشكل تحدِّيًا.

يقول لي فيليب زيمباردو: «إن قرار التصرف بشكل بطولي هو خيار سوف يُطلب منا أن نتخذه في مرحلة ما من حياتنا. مما يعني ألا نخاف مما قد يعتقده الآخرون. وهذا يعني ألا نخاف من الانهيار بالنسبة إلى أنفسنا. وهذا يعني ألا نخاف من وضع رقابنا على المحك. السؤال هو: هل نتخذ هذا القرار؟».

في أثناء تناول القهوة في مكتبه، نتحدث عن الخوف والامتثال والضرورة الأخلاقية للتشجيع على المواجهة النفسية وكذلك المواجهة الجسدية. ليس بشكل غير متوقع، يرفع التفكير الجماعي للأصدقاء القدامى رأسه مرة أخرى، وهو ما يحدث، كما رأينا في الفصل الثالث مع كارثة مكوك الفضاء تشالنجر، عندما تمارس قوى المجموعات الصغيرة المنحرفة للجاذبية الاجتماعية مثل هذه الضغوط على عمل جماعي لتسبب - على حد تعبير إرفينج جنيس، عالم النفس الذي قام بمعظم الأعمال المبكرة على العملية - «تدهور في الكفاءة العقلية، واختبار الواقع، والأحكام الأخلاقية».

يستشهد زيمباردو، مقدمًا مثالًا آخر على ذلك، بالهجوم على بيرل هاربور من قبل القوات اليابانية في أثناء الحرب العالمية الثانية.

في 7 ديسمبر من عام 1941، شنت بحرية الإمبراطورية اليابانية هجومًا مفاجئًا ضد

قاعدة بحرية تابعة للولايات المتحدة في جزيرة أواهو[352] في ولاية هاواي. كان الهدف من الهجوم توجيه ضربة استباقية، تهدف إلى منع أسطول الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادئ من المساس بالغارات اليابانية المخططة ضد الحلفاء في مالايا وجزر الهند الشرقية الهولندية.

وقد أثبتت أنها مدمرة.

تم تدمير ما مجموعه 188 طائرة أمريكية. وقُتل 2402 من الأمريكيين وجرح 1282، مما دفع الرئيس الأمريكي آنذاك فرانكلين روزفلت إلى ينادي في اليوم التالي بإعلان الحرب رسميًّا على إمبراطورية اليابان. أعطاه الكونجرس الضوء الأخضر. واستغرق الأمر أقل من ساعة.

لكن هل كان من الممكن منع الهجوم على بيرل هاربور؟ هل كان من الممكن تجنب المذبحة الكارثية والعواقب القتالية الوخيمة لهذا الهجوم؟ هناك أدلة تشير إلى أنه كان يمكن تجنبه، وأن مجموعة من عوامل التفكير الجماعي - افتراضات خاطئة، وإجماع لم يتم التأكد من صحته، وتحيزات منطقية غير قابلة للطعن، وأوهام عدم الحصانة - ساهمت جميعها في نقص فريد في الاحتياطات التي اتخذها ضباط البحرية الأمريكية المتمركزون في هاواي.

في اعتراض الاتصالات اليابانية، على سبيل المثال، كان لدى الولايات المتحدة معلومات موثوقة تفيد بأن اليابان كانت في مرحلة الاستعداد للقيام بهجوم. اتخذت واشنطن إجراءات بنقل هذه المعلومات الاستخبارية إلى القيادة العسكرية العليا في بيرل هاربور. ومع ذلك تم تجاهل التحذيرات بشكل ينم عن الإهمال. تم رفض التطورات على أنها قعقعة بالسيف: كانت اليابان تتخذ فقط إجراءات لمنع ضم سفاراتها في أراضي العدو. وشملت التبريرات «لن يجرؤ اليابانيون على الإطلاق على

(352) - جزيرة أواهو Oahu: ثالث أكبر جزر الولاية، واسمها يعني "المكان المتراكم"، وتعد من أجمل الجزر طبقًا لتصنيف عالمي (المترجم).

محاولة شن هجوم مفاجئ واسع النطاق ضد هاواي لأنهم يدركون أنها سوف تعجل بنشوب حرب شاملة، وسوف تفوز بها الولايات المتحدة بالتأكيد»؛ و«حتى لو كان اليابانيون متهورين بما يكفي لإرسال ناقلاتهم لمهاجمتنا [الولايات المتحدة]، يمكننا بالتأكيد اكتشافهم وتدميرهم في متسع من الوقت».

ويشهد التاريخ أنهم كانوا على خطأ.

مثالًا على مدى ملاءمة التدخل لاستكشاف أزمة سيكولوجية وإصلاحها، والصفات الروحية المتمثلة في عدم الخوف والصلابة الذهنية المتأصلة في العمل البطولي، يقدم كل من تحدي مكوك الفضاء تشالنجر ومعركة بيرل هاربور أوجه تشابه مثيرة للاهتمام بين عمل فيليب زيمباردو وعمل ديانا فالكنباخ وماريا تسوكالاس، الذي ذكر من قبل. سابقًا، في الفصل الثالث، بحثنا في إمكانية أن الخصائص السيكوباتية مثل الفتنة، وانخفاض القلق، والمناعة ضد التوتر - وهي الخصائص التي حددتها ديانا فالكنباخ وماريا تسوكالاس في أعداد أكبر نسبيًا في مجموعات الأبطال - قد تكون، بشكل مثير للتناقض إلى حد ما، قد تمكنت من كسب موطئ قدم في تجمعنا الجيني التطوري من خلال ميلها إلى تسهيل حل النزاعات. يتنافس الأفراد المهيمنون بين الشمبانزي والقرود ذات الذيل الجذاب والغوريلا على الزملاء، إذا تذكرت، من خلال التدخل في حل النزاعات بين المرؤوسين.

ومع ذلك، فإن التفسير البديل – والتفسيران الاثنان، بالطبع، بعيدان كل البعد عن أن يستبعد أحدهما الآخر - هو أن هذه الخصائص ربما تكون قد تطورت أيضًا وقاومت اختبار الزمن للسبب المعاكس تمامًا: لقدرتها المحفزة على إثارة النزاع فعليًا.

مثل هذا الموقف من شأنه أن يتوافق بشكل أفضل مع قراءة تقليدية أكثر لتطور الشخصية السيكوباتية. تقليديًا، استند التقرير الداروينى عن الشخصية السيكوباتية في الغالب على الجانب غير المطابق من الاضطراب (المعيار 1، إذا كنت تتذكر من الفصل الثاني، لاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، وهو «الفشل في الامتثال

للمعايير الاجتماعية»): على الموقف المتهور للسيكوباتي تجاه الأعراف الاجتماعية. أعراف، من ناحية، مثل الصدق، وتحمل المسؤولية، والزواج الأحادي؛[353] ومع ذلك، من ناحية أخرى، فإن أعرافًا من قبيل الامتثال الاجتماعي، التي تأصلت في أعماق أجدادنا، من شأنها أن تساهم بلا شك في اتخاذ قرار سيئ بشكل محفوف بالمخاطر - وبالتالي، في تلك الأوقات المضطربة والغادرة، إلى موت آكلي اللحوم بشكل مروع.

إنه مبدأ داود وجالوت:[354] الرجل الضئيل الذي لديه مقلاع يسكن حصاة باردة ومعاكسة في تروس الماكينة المسيطرة تمامًا، محصن ضد ضغوط التعاطف الداخلي السام.

الصوت الوحيد في البرية.

جاك العاري:

غالبًا ما يجادل الباحثون والأطباء بأن الأشخاص السيكوباتيين لا «يتعاطفون» - إنهم بسبب اللوزة الخاملة في أدمغتهم لا يشعرون بالأشياء بالطريقة نفسها التي يشعر بها بقية البشر. وقد كشفت الدراسات أنه حين يتم عرض صور مزعجة، على سبيل المثال، لضحايا المجاعة، على أشخاص سيكوباتيين، فإن الأضواء الموجودة في الممرات الانفعالية لأدمغتهم لا تبدأ العمل ببساطة: إن أدمغتهم - إذا شوهدت في ظروف التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي - تسدل فقط ستائر النوافذ الانفعالية وتنفذ حظر التجول العصبي.

---

(353) - إن هذا التجاهل المخزي لممارسة الزواج الأحادي، بطبيعة الحال، يؤدي بدوره إلى الاختلاط الجنسي . . . وانتشار أوسع للجينات (المؤلف).

(354) - داود وجالوت David and Goliath: يوصف جالوت في سفر صموئيل التوراتي بأنه عملاق فلسطيني هزمه داود الشاب في معركة واحدة. واتخذت عبارة "ديفيد وجالوت" معنى أكثر شيوعًا، حيث تشير إلى حالة المستضعفين، وهي مسابقة يواجه فيها خصم أصغر وأضعف خصمًا أكبر وأقوى بكثير. ويشير مبدأ داود وجالوت إلى ميل الناس إلى إدراك النقد الموجه إلى مجموعات "داود" (المجموعات ذات القوة والمكانة المنخفضة) على أنه أقل قبولًا من الناحية المعيارية من نقد مجموعات "جالوت" (مجموعات ذات سلطة ومكانة عالية) (المترجم).

في بعض الأحيان، كما رأينا، يمكن أن يكون لمثل هذا الحظر للتجول مزاياه - كما هو الحال في مهنة الطب، على سبيل المثال. ولكن في بعض الأحيان يمكن للستائر أن تحجب الضوء تمامًا. ويمكن أن يكون الظلام غير قابل للاختراق حقًّا.

صيف عام 2010، قفزت على متن طائرة إلى كوانتيكو، في ولاية فيرجينيا، لمقابلة الوكيل الخاص المشرف[355] جيمس بيزلي الثالث في وحدة التحليل السلوكي بمكتب التحقيقات الفدرالية. جيمس بيزلي أحد أهم المصادر الأمريكية بشأن السيكوباتيين والسفاحين، وقد وصف المجرمين في جميع المجالات: من خاطفي الأطفال إلى المغتصبين، من بارونات المخدرات إلى القتلة الذين يقترفون أكثر من جريمة قتل في وقت قصير.

خلال سبعة وعشرين عامًا وهو موظف فيدرالي، قضى آخر سبعة عشر عامًا في المركز الوطني لتحليل الجرائم العنيفة، لم يكن هناك الكثير من العملاء الخاصين الذين لم يسمع بهم بيزلي أو يشاهدهم أو يتعامل معهم. ولكن قبل عدة سنوات، أجرى مقابلة مع شخص كان في أدنى مقياس درجة الحرارة إلى حد بعيد، وكاد يكسر مقياس الحرارة.

يوضح بيزلي: «كانت هناك سلسلة من عمليات السطو المسلح. ومن كان يقف وراءها لم يكن قلقًا بشأن سحب الزناد. عادة حين تتعامل مع عمليات السطو المسلح، فإن الشخص الذي يرتكبها يستخدم البندقية فقط في التهديد».

لكن هذا الرجل كان مختلفًا. وكان استخدام البندقية يتم دائمًا من مسافة قريبة. طلقة واحدة في الرأس. لم يكن لدي أدنى شك على الإطلاق في أن لدينا بين أيدينا شخصًا سيكوباتيًّا. كان الرجل باردًا مثل الجليد. كان عديم الرحمة بشكل لافت تمامًا. ولكن كان هناك شيء بشأنه مربك تمامًا. شيء بشأنه أزعجني.

---

(355) - الوكيل الخاص المشرف Supervisory Special Agent: وظيفة محددة داخل مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI). ويقود الوكيل فرق من العملاء الخاصين في التحقيقات. يتطلب منه تقديم تقارير مباشرة إلى الوكلاء الخاصين الإداريين والتنفيذيين (المترجم).

«بعد واحدة من عمليات القتل - التي اتضح أنها كانت الأخيرة بالنسبة إليه - التقينا به بعد ذلك بوقت قصير – وقد أخذ سترة ضحيته. الآن، لم يكن لها أي معنى. عادة، حين يزيل شخص ما قطعة من الملابس من مشهد القتل، فهذا يعني أحد شيئين. إما أن يكون هناك نوع من الأمور الجنسية يحدث أو يكون هناك نوع آخر من عالم الخيال يؤدي إلى الارتباك. ويُعرف هذا الأمر في المهنة بتذكار القتل. لكن أيًّا من هذين السيناريوهين لم يتلاءم مع بروفايل هذا الرجل. كان أيضًا... لا أعرف ... وظيفيًّا. كان الأمر مهنيًّا تمامًا، إذا كنت تعرف ما أعنيه.

«وبالتالي، سألناه حين أدخلناه. ماذا عن سترة الرجل؟ وهل تعرف ماذا قال؟ قال: 'أوه، تلك السترة؟ لقد كان الأمر من وحي اللحظة. بينما كنت في طريقي إلى الخروج من الباب، نظرت إلى المتأنق وهو مستلقٍ على المنضدة. وفجأة فكرت في نفسي، 'همم، هذا النوع من السترات يتوافق مع قميصي.' إذن وماذا بعد ذلك بحق الجحيم؟ فكرْتُ. الرجل قد مات بالفعل. لن يذهب إلى أي مكان. لذلك أخذت السترة. ارتديتها وأنا خارج إلى الحانة في تلك الليلة، كما يحدث عادة. مارست الجنس في الواقع. يمكنك أن تقول إنها سترة الحظ. سوء الحظ بالنسبة له. لكنها سترة الحظ بالنسبة إلي... »

حين تسمع قصصًا من هذا النوع، تعرف أن من الصعب تصديق أن الأشخاص السيكوباتيين قد سمعوا عن التعاطف، ناهيك عن أن يشعروا به. ومع ذلك، من المدهش أن الصورة أبعد ما تكون عن الوضوح في هذا الصدد. على سبيل المثال، أظهر لنا محمد محمود أنه في ظل مجموعات معينة من الظروف، يبدو أن الأشخاص السيكوباتيين في الواقع أكثر تعاطفًا من بقية الناس. أو أكثر استعدادًا على تقديم المساعدة، على أي حال. ثم، إذا كنت تتذكر، كانت هناك دراسة أجرتها شيرلي فيكتو وزملاؤها، وقد أظهرت أن الأشخاص السيكوباتيين يبدو أنهم أكثر استمرارية في

أجهزتهم العصبية المرآوية،[356] وخاصة الخلايا العصبية في المناطق الحسية الجسدية في أدمغتهم - المناطق التي تسمح لنا بالتعرف على الآخرين حين يعانون من ألم جسدي - من الأشخاص غير السيكوباتيين.

سواء كان الأمر هو أن بعض السيكوباتيين لديهم تعاطف أكثر من الآخرين، أو أن بعض السيكوباتيين أكثر قدرة على تشغيله وإيقافه عن الآخرين، أو أن بعضهم ببساطة أفضل في تزييفه من الآخرين، غير معروف في الوقت الحاضر. لكنه سؤال رائع يؤثر مباشرة في معرفة الهوية الحقيقية للسيكوباتي. وهو سؤال سوف تتم مناقشته، بلا شك، بشدة لسنوات.

حول هذه المسألة بالتحديد، أسأل بيزلي عن السفاحين. كيف، حسب تجربته، يقعون على مقياس التعاطف؟ أنا واثق جدًا من أنني أعرف الجواب بالفعل. لكن اتضح أن بيزلي يخبئ مفاجأة لي.

يقول: «كما تعلم، فإن فكرة أن السفاحين يفتقرون إلى التعاطف مضللة بعض الشيء. من المؤكد أن لديك قاتلًا من نوع هنري لي لوكاس الذي يقول إن قَتْل شخصٍ يشبه فقط سحق حشرة.[357] قد يكون التعاطف مفيدًا جدًّا، وقد يساهم أيضًا في مراوغتهم. إن القتلى لا يحكون حكايات، أليس كذلك؟».

---

(356) - الأجهزة العصبية المرآوية mirror neuron systems: أجهزة تنشط حين يتصرف شخص وحين يلاحظ نفس التصرف وشخص آخر يقوم به. أي أنها تعكس سلوك الآخر. كما لو كان المراقب نفسه هو الذي يتصرف (المترجم).

(357) - كان هنري لي لوكاس Henry Lee Lucas [(1936 – 2001)- المترجم] سفاحًا أمريكيًّا غزير الإنتاج، وُصف ذات مرة بأنه "أكبر وحش عاش على الإطلاق". حيث أدت اعترافاته إلى دفع الشرطة إلى جثث 246 ضحية، أُدين بقتل 189 منهم فيما بعد. امتدت فورة قتل لوكاس ثلاثة عقود، من عام 1960، حين طعن والدته حتى الموت في جدال قبل ممارسة الجنس مع جثتها، إلى اعتقاله في عام 1983. لحيازته سلاحًا بشكل غير قانوني. في أواخر سبعينيات القرن العشرين، تعاون لوكاس مع شريك اسمه أوتيس تول Ottis Toole. وذهب الاثنان معًا إلى جنوب الولايات المتحدة. مفترسين في المقام الأول، ولكن ليس حصريًّا، للمتطفلين. في إحدى المرات. يبدو أنهما سافرا عبر ولايتين قبل أن يدركا أن الرأس المقطوع لآخر ضحية لهما كان لا يزال على المقعد الخلفي لسيارتهما. قال لوكاس ذات مرة: "لم يكن لدي مشاعر تجاه الناس أنفسهم، أو أي من الجرائم. كنت ألتقطهم وأتنقل بهم ونركض ونلعب. أشياء من هذا القبيل. كنا نذهب ونقضي وقتًا طيبًا. وأول شيء تعرفه، لقد قتلتها ورميتها في مكان ما". في عام 2001. توفي لوكاس في السجن ، بسبب قصور في القلب. يتم سرد قصته في فيلم عرض في عام 1986، **هنري: بورتريه سفاح** *Henry: Portrait of a Serial Killer* (المؤلف).

لكن بالنسبة إلى فئة أخرى من السفاحين، أولئك الذين نسميهم السفاحين الساديين، والذين يعتبرون القتل بالنسبة إليهم هدفًا في حد ذاته، فإن وجود التعاطف – وحتى التعاطف المعزز، يخدم غرضين مهمين.

«خذ تيد بندي، على سبيل المثال. أوقع بندي ضحاياه، وجميعهم من طالبات الكليات، بالتظاهر بأنه معاق بطريقة أو بأخرى. بوضع ذراع في حمالة كتف، واستخدام عكازات، وأشياء من هذا القبيل. عرف تيد بندي، على نحو عقلاني على الأقل، الأزرار التي يجب الضغط عليها للحصول على مساعدتهن. من أجل كسب ثقتهن. الآن، إذا لم يكن يعرف ذلك، إذا لم يكن قادرًا على وضع نفسه مكانهن، فهل كان يتمكن من أن يخدعهن بشكل فعال؟».

أعتقد أنّ الجواب لا – إن درجة معينة من **التعاطف المعرفي**،[358] وقدرًا ضئيلًا من 'نظرية العقل'، متطلبان أساسيان للسفاح السادي.

«ولكن من ناحية أخرى، يجب أن تكون هناك درجة من **التعاطف الانفعالي**[359] أيضًا. وإلا كيف تستمد أي متعة من مشاهدة ضحاياك يعانون؟ من ضربهم وتعذيبهم وما إلى ذلك؟ الجواب بكل بساطة هو: أنك لا تريد ذلك».

إذن، هذه هي خلاصة القول، على الرغم من أنه قد يبدو غريبا. يشعر السفاحون الساديون بألم ضحاياهم بالطريقة نفسها التي تشعر بها أنت أو أنا. إنهم يشعرون بها بشكل معرفي وموضوعي. ويشعرون بها انفعاليًا وذاتيًا أيضًا. لكن الفرق بينهم وبيننا هو أنهم يعدلون هذا الألم لمتعتهم الذاتية.

«في الواقع، ربما يكون من الصحيح القول إنه كلما زاد مقدار التعاطف لديهم، زاد مقدار المتعة التي يحصلون عليها. وهو أمر غريب نوعًا ما حين تفكر فيه».

---

(358) - **التعاطف المعرفي** *cognitive* empathy: ويعرف أيضًا بتبني المنظور perspective-taking، هو في الأساس قدرة المرء على أن يضع نفسه في مكان شخص آخر، وأن يرى وجهة نظره (المترجم).

(359) - **التعاطف الانفعالي** *emotional* empathy: أو العدوى الانفعالية، شعور المرء بانفعالات شخص آخر ومشاركته انفعالاته (المترجم).

من المؤكد أن الأمر كذلك غالبًا. لكن وأنا أجلس وأستمع إلى بيزلي، أبدأ في خلق ارتباطات. فجأة تبدأ الأمور تبدو منطقية.

جريج مورانت، واحد من أكثر المحتالين قسوة في العالم وهو شخص سيكوباتي بشكل موثق وأصيل – كان ينضح تعاطفًا ببساطة. كان هذا هو ما جعله جيدًا للغاية: بارعًا بلا رحمة في تحديد نقاط الضغط النفسي عند ضحاياه والتركيز عليها.

في دراسة الخلية العصبية المرآوية التي أجرتها شيرلي فيكتو، أظهر الأشخاص السيكوباتيون تعاطفًا أكبر من الأشخاص غير السيكوباتيين... كان الفيديو الذي عرضته يصور مشهدًا من الألم الجسدي: إبرة تدخل في يد.

وبعد ذلك، بالطبع، كانت هناك تجربة محمد محمود عن المساعدة. حقيقة أن السيكوباتيين تمكنوا من تجاوز تعاطف غير السيكوباتيين حين يتعلق الأمر بحالة «الذراع المكسورة» ربما تكون قد أثارت دهشته، ربما.

لكنها بالتأكيد لم تثر دهشة جيمس بيزلي.

يعلق دون تردد: «تمامًا كما توقعت. على الرغم من أنني أخمن... » – يتوقف لفترة وجيزة في أثناء تقييم الخيارات – «. . . على الرغم من أنني أخمن إنه أمر يعتمد على نوع السيكوباتي الذي كان يختبره».

يحكي لي بيزلي عن دراسة أجراها ألفرد هيلبرن،(360) عالم نفس في جامعة إموري، في الثمانينيات. قام ألفرد هيلبرن بتحليل الهياكل الشخصية لأكثر من 150 مجرمًا، وعلى أساس هذا التحليل، ميز بين نوعين مختلفين تمامًا من السيكوباتيين: أولئك الذين لديهم ضعف في السيطرة على الاندفاع، وانخفاض معدل الذكاء، والقليل من التعاطف (من نوع هنري لي لوكاس)؛ وأولئك الذين لديهم تحكم أفضل في الاندفاع، ومعدل ذكاء مرتفع، وحافز سادي، وقدر كبير من التعاطف (من نوع تيد بندي أو،

---

(360) - ألفرد هيلبرن Heilbrun (1924 -): عالم نفس أمريكي، ومؤلف عدة كتب في علم النفس (المترجم).

إذا أحببْتَ، من نوع هانيبال ليكتر).

لكن البيانات أخفت انحرافًا تقشعر له الأبدان. إنها، في الواقع، أظهرت أن المجموعة الأكثر تعاطفًا من الجميع، وفقًا لتصنيف ألفرد هيلبرن، شملت أشخاصًا سيكوباتيين من ذوي معدل الذكاء المرتفع ممن لديهم تاريخ من العنف الشديد. وعلى وجه الخصوص، الاغتصاب: وهو فعل يتضمن أحيانًا عنصرًا ساديًّا بالنيابة عن شخص آخر. وأشار ألفرد هيلبرن إلى أنه ليس فقط الأعمال العنيفة التي تسبب الألم والمعاناة للآخرين متعمدة أكثر من أن تكون اندفاعية، مرددًا الملاحظة السابقة التي قدمها بيزلي؛ بالإضافة إلى ذلك، بالتحديد من خلال وجود التعاطف، ووعي الجاني بالألم الذي يعانيه ضحيته، يتم تحقيق الإثارة الأولية والرضا اللاحق بالأهداف السادية.

ليس كل السيكوباتيين، على ما يبدو، مصابين بعمى الألوان. يرى البعض علامة التوقف بالطريقة نفسها التي يراها بها بقية الناس تمامًا. إنهم فقط يختارون التحرك قبل أن تتحول الإشارة إلى اللون الأخضر.

القناع خلف الوجه:

حقيقة أن نسبة من الأشخاص السيكوباتيين، على الأقل، يبدو أنهم يشعرون بالتعاطف، وربما يشعرون به بدرجة أكبر من بقية الناس، من المرجح أن تساعد إلى حد كبير في توضيح الغموض: كيف تمكن السيكوباتيون في دراسة أنجيلا بوك عن «الهشاشة» من التقاط تلك الإشارات في طريقة الوقوف والمشي، تلك العلامات الكاشفة في مشية ضحايا الاعتداء الذي يعانون من الصدمة، أفضل منا.

ولكن إذا كنت تعتقد أن الأشخاص السيكوباتيين قادرون وحدهم على اكتشاف شظايا الانفعالات العميقة التي لا ترى بالعين المجردة، شظايا الشعور غير المعالج

المدفونة تحت شقوق الرقابة الواعية، فأنت مخطئ. يذكر بول إكمان،[361] في جامعة كاليفورنيا، في مدينة بيركلي، أن اثنين من رهبان التبت خبيرين في التأمل تفوقوا على القضاة ورجال الشرطة والأطباء النفسيين ومسئولي الجمارك وحتى وكلاء الخدمة السرية في مهمة معالجة الوجه التي كانت، حتى دخل الرهبان إلى المختبر، تنجح في إرباك كل من جربها (وكان هناك أكثر من خمسة آلاف منهم).

تتكون المهمة من جزأين. الجزء الأول، يتم عرض صور الوجوه التي تعرض أحد الانفعالات الستة الأساسية (الغضب والحزن والسعادة والخوف والاشمئزاز والمفاجأة) على شكل ومضات على شاشة الكمبيوتر. تظهر الوجوه لمدة كافية لتمكين الدماغ من معالجتها، ولكن المدة غير كافية للمتطوعين ليكونوا قادرين على الإبلاغ عما يرونه بوعي. وفي الجزء الثاني من المهمة، يُطلب من المتطوعين انتقاء الوجه الذي ومض من قبل على الشاشة من «استعراض الهوية» الذي يقدم لاحقًا ويتكون من ستة أوجه.

من المعتاد أن يكون الأداء عند مستوى الصدفة. في سلسلة من المحاولات، بلغ متوسط معدل إصابة المتطوعين حوالي واحد من كل ستة.

لكن متوسط معدل إصابةالرهبان كان ثلاثة أو أربعة.

ويخمن بول إكمان أن سرهم قد يتوقف على قدرة معززة غير طبيعية تقريبًا على قراءة التعبيرات الدقيقة: تلك الأطر الدقيقة الإستريوسكوبية[362] بالميلي ثانية من الانفعالات التي عرفناها من قبل والتي تبدأ في النزول على العضلات عبر وجوهنا قبل أن يتاح لأدمغتنا الواعية الوقت للضغط على زر الحذف والعرض بدلًا من الصورة التي نرغب في عرضها.

---

(361) - بول إكمان Paul Ekman (1934 -): عالم نفس أمريكي، خبير في تعابير الوجه وأستاذ متفرغ لعلم النفس في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو. وهو مؤلف 15 كتابًا، بما في ذلك، مؤخرًا، **الوعي الانفعالي** *Emotional Awareness* (2008)، محادثة بينه وبين الدالاي لاما (المترجم).

(362) - الإستريوسكوبية stroboscopic: الإستريوسكوب جهاز لتحديد سرعة الحركة الدورية (مثل الدوران أو الاهتزاز) التي تجعل الحركة تبدو بطيئة أو متوقفة (المترجم).

إذا كان الأمر كذلك، فسوف يشتركون في هذه القدرة مع السيكوباتيين.

وقد اكتشفت مؤخرًا صابرينا ديمتريوف،[363] من جامعة كولومبيا البريطانية، مثل هذه القدرات لدى الأفراد الذين حصلوا على درجات عالية على مقياس هير للتقرير الذاتي Hare Self-Report Scale للسيكوباتية - خاصة حين يتعلق الأمر بالتعبير عن الخوف والحزن.

وحتى الأكثر إثارة للاهتمام هو ما حدث عندما أحضر بول إكمان أحد الرهبان الذين قام باختبارهم إلى مختبر بيركلي للفيسيولوجيا النفسية، الذي يديره زميله روبرت ليفنسون،[364] لتقييم «حضوره الذهني». هنا، بعد توصيله بمعدات حساسة حتى لأقل تقلبات في الوظائف اللاإرادية - تقلص العضلات، ومعدل النبض، والعرق، ودرجة حرارة الجلد - قيل للراهب إنه في مرحلة ما في خلال فترة الخمس دقائق التالية سوف يخضع لصوت انفجار صاخب مفاجئ (قرر بول إكمان وروبرت ليفنسون في ظل الظروف أنه المكافئ لصوت إطلاق بندقية على بعد سنتيمترات فقط من الأذن: العتبة القصوى للتحمل الصوتي[365] عند الإنسان).

وقد تم تحذير الراهب من الانفجار، وطلب منه أن يحاول، قدر استطاعته، قمع «الاستجابة المفاجئة» التي لا مفر منها، إلى حد جعلها، إن أمكن، غير محسوسة تمامًا.

بالطبع، كان بول إكمان وروبرت ليفنسون يتمتعان بقدر كبير جدًّا من الخبرة بين جدران المختبر بحيث لا يتوقعان معجزة. من بين مئات الأشخاص الذين سبق لهم أن تقدموا عبر الأبواب، لم يتمكن أي منهم من الوصول إلى خط الصفر. ولا حتى

---

(363) - صابرينا ديمتريوف Sabrina Demetrioff: أخصائية نفسية إكلينيكية، أستاذة مساعدة في جامعة مانيتوبا Manitoba في كندا، قسم علم نفس الصحة الإكلينيكية (المترجم).

(364) - روبرت ليفنسون Robert Levenson: أستاذ أمريكي في قسم علم النفس في كلية الدراسات العليا، تتركز اهتماماته البحثية على الانفعال: الجهاز العصبي اللاإرادي والمكونات التعبيرية للوجه، والتأثيرات الثقافية، والتعاطف ، والتحكم العاطفي، والتغيرات الانفعالية مع الشيخوخة (المترجم).

(365) - التحمل الصوتي acoustical tolerance: الحد الأقصى لمستوى ضغط الصوت الذي يمكن مواجهته دون إحداث ألم أو تغيير دائم لعتبة السمع لدى الفرد العادي (المترجم).

قناصة النخبة من رجال الشرطة. كان عدم الاستجابة على الإطلاق من المستحيل. التقطت أجهزة المراقبة شيئًا ما دائمًا.

أو هكذا اعتقدا.

لكنهم لم يختبرا قط من قبل أستاذًا من أساتذة التأمل من التبت. ولدهشتهما، التقيا أخيرًا بهدفهما المنشود. يبدو أن الراهب لم يبد أدنى رد فعل على الانفجار على ما يبدو ضد جميع قوانين علم وظائف الأعضاء البشرية. لم يقفز. لم يتوان. لم يفعل أي شيء.

لقد كانت الاستجابة صفرًا.

انفجرت البندقية... وجلس الراهب هناك. مثل تمثال. في كل سنوات عملهما، لم ير بول إكمان وروبرت ليفنسون بعيونهما أي شيء من هذا القبيل.

لاحظ بول إكمان بعد ذلك أنه «حين يحاول قمع الجلبة، تختفي الجلبة تقريبًا. لم نجد أي شخص يمكنه فعل ذلك. ولم يجد أي باحثين آخرين شخصًا مثله. إنه إنجاز مذهل. ليس لدينا أي فكرة عن العضو الذي قد يسمح له بقمع رد الفعل المفاجئ».

إن الراهب نفسه، الذي كان في لحظة الانفجار يمارس تقنية تعرف باسم تأمل الحضور المفتوح،[366] عبر عن الأمر بشكل ساخر ومختلف.

ويشرح قائلًا: «في هذه الحالة، لم أكن أحاول السيطرة على الجلبة بنشاط. لكن التفجير بدا أضعف، كما لو كنت أسمعه يأتي من مسافة بعيدة... في حالة التشتيت، يعيدك الانفجار فجأة إلى اللحظة الحالية ويجعلك تقفز من المفاجأة. ولكن في أثناء وجودك في مكان مفتوح، تكون مستريحًا في اللحظة الحالية. ويحدث الانفجار ببساطة ويسبب القليل من الاضطراب، مثل طائر يعبر السماء».

أتساءل عما إذا كانا قد اختبرا درجة السّمعِ لديه.

•

---

(366) - تأمل الحضور المفتوح open presence meditation: نوع من التأمل يتضمن مجرد إدراك طفيف لما يشعر به المرء - داخليًا أو خارجيًا - هنا والآن. يكون المرء حاضرًا فقط (المترجم).

القتل على الطريق:

إن أعمال بول إكمان وروبرت ليفنسون وريتشارد دافيدسون، المشار إليها سابقًا، تدعم الإجماع العام على أن كلًّا من صقل حالة استرخاء ذهني وصيانتها يمكن أن يساعدا بشكل كبير، ليس فقط استجاباتنا، ولكن أيضًا تصوراتنا لضغوط الحياة الحديثة. عدد قليل منا، بطبيعة الحال، سوف يبلغ الذروة التي بلغها الرهبان البوذيين من التبت. لكننا جميعًا تقريبًا، من ناحية أخرى، قد استفدنا من الحفاظ على هدوئنا في وقت أو آخر.

ومع ذلك، يبدو أن الأشخاص السيكوباتيين هم الاستثناء من القاعدة. في الواقع، يظهر الأشخاص السيكوباتيون، بدلًا من الانخراط (كما يفعل الرهبان البوذيون) في التأمل لاستيعاب الهدوء الداخلي، كما أظهر أداؤهم في مهمة المعضلة الأخلاقية سابقًا، أن لديهم بدلًا من ذلك موهبة طبيعية في ذلك. وليس فقط نتائجهم حول مهام اتخاذ القرار المعرفي هي التي توفر الدعم لمثل هذا الاستنتاج. تأتي المزيد من الأدلة على هذه الهبة الفطرية في القدرة على البرود من الدراسات الأساسية منخفضة المستوى للتفاعل الانفعالي.

في العمل الذي يذكرنا بدراسة المقاطعة الانفعالية المذكورة سابقًا، قارن كريس باتريك[367] من جامعة ولاية فلوريدا ردود فعل الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين وهم يشاهدون سلسلة من الصور المرعبة والمزعجة والممتعة على التوالي. في جميع المقاييس الفسيولوجية - ضغط الدم، وإنتاج العرق، ومعدل ضربات القلب، ومعدل طرفة العين - وجد أن السيكوباتيين أظهروا إثارة أقل بكثير مما فعله الأفراد العاديون من السكان. أو، باستخدام المصطلحات المناسبة،

---

(367) - كريس باتريك Chris Patrick: كريستوفر ج. باتريك أستاذ علم النفس العيادي بجامعة ولاية فلوريدا. تشمل اهتماماته العلمية الشخصية السيكوباتية، والسلوك غير الاجتماعي، وتعاطي المخدرات، والشخصية، والخوف والشجاعة، وعلم النفس الفسيولوجي، وعلم الأعصاب الانفعالي والمعرفي (المترجم).

كان لديهم استجابة ذهنية انفعالية مخففة.

كتب المعلم البوذي أتيسا[368] في القرن الحادي عشر أن أعظم قيمة هي السيطرة على الذات. السحر الأعظم الذي يبدل العواطف. وإلى حد ما، يبدو أن الأشخاص السيكوباتيين يتفوقون في ذلك على بقية الناس.

لكن هذا «التفوق» ليس مجازيًا في طبيعته دائمًا. يمكن أن تكون فكرة أن الشخص السيكوباتي «يتقدم خطوة إلى الأمام» صحيحة في بعض الأحيان بالمعنى الحرفي لتلك العبارة - كما هو الحال عند الانتقال من النقطة A إلى النقطة B - كما هو الحال حين يتعلق الأمر بردود أفعالنا على المحفزات الانفعالية.

ومثل هذا الترحال الدائم يمكن أن يكون صعبًا بالقدر نفسه فيما يتعلق بالزهد.

إن نمط الحياة العابر المتغير، وهي سمة أساسية من سمات الشخصية السيكوباتية، يتضمن، تمامًا مثل تبدل العواطف، أسسًا قديمة في تقاليد التنوير الروحي. في زمن أتيسا، على سبيل المثال، كان تجسيد النموذج البدائي الروحي هو **الشرمنه** shramana، أو **الراهب المتجول**، والمثل **الشرمني** shramanic للتنازل والتخلي عن الوحدة، وللعبور والتأمل، يحاكي طريق التنوير الذي يتبعه بوذا نفسه.

هذه الأيام، بطبيعة الحال، انقرضت **الشرمنه** روحيًا: شبح بدائي يطارد مفترق طرق النجوم لأرض خراب شبحية تشبه النيرفانا. لكن في ظلال الحانات المضاءة بالنيون والموتيلات والكازينوهات، لا يزال السيكوباتي قويًا، على ما يفترض، مثل أسلافه الرهبان، وجود متنقل جوال.

لنتناول السفاح، على سبيل المثال. تشير أحدث أرقام جرائم مكتب التحقيقات الفدرالي إلى أن هناك ما يقرب من خمسة وثلاثين سفاحًا إلى خمسين سفاحًا يعملون في

---

(368) - أتيسا Atisha (980 – 1054): زعيم ديني بوذي من البنغال من شبه القارة الهندية. وكان أحد الشخصيات الرئيسية في انتشار ماهايانا وفاجرايانا البوذية في القرن الحادي عشر في آسيا وألهم الفكر البوذي من التبت إلى سومطرة (المترجم).

أي وقت داخل الولايات المتحدة. إنه عدد كبير جدًّا من السفاحين حسب معايير أي شخص. ولكن تعمَّقْ أكثر قليلًا في سبب حدوث ذلك، وسوف تبدأ في التساؤل عما إذا كان يجب أن يكون هناك المزيد في الواقع.

نظام الطرق السريعة بين الولايات المتحدة وحش مصاب بالفصام. خلال النهار، تتكرر مناطق الراحة بشكل نشط، ولها أجواء عائلية ودية. ولكن خلال ساعات الظلام، يمكن أن يتغير المزاج بسرعة. يصبح العديد منها ملاذًا لتجار المخدرات والبغايا بحثًا عن عمليات التقاط سهلة: سائقو الشاحنات لمسافات طويلة وغيرهم من العمال الرحل.

وهؤلاء النساء لا تفتقدهن أسرهن في البيت في الحقيقة. تظل الكثيرات منهن في عداد الموتى لأسابيع، وأحيانًا لسنوات، في محطات الراحة وعلى مساحات شاغرة بطول أمريكا وعرضها، غالبًا على بعد مئات الأميال من المكان الذي تم التقاطهن فيه في الأصل. اكتشف رجال الشرطة مؤخرًا رفات عمرها من خمس سنوات إلى عشر سنوات لأحد ضحايا سفاح لونج آيلاند،[369] على سبيل المثال، الذي ارتبط وقت كتابة هذا التقرير بها مجموعه عشر جرائم قتل على مدى خمسة عشر عامًا.

ولن يعرف أبدًا العدد الحقيقي للأرواح التي أودى بها هنري لي لوكاس.

إن اتساع البلد، وندرة الشهود، وحقيقة أن كل ولاية تشكل وحدة قضائية مستقلة، والطريقة التي «يمر بها» الضحايا والمجرمون في كثير من الأحيان كلها تؤدي إلى كابوس لوجستي وإحصائي لسلطات التحقيق المعنية.

أسأل أحد وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي الخاص عما إذا كان يعتقد أن الأشخاص السيكوباتيين مناسبون بشكل خاص لأنواع معينة من المهن.

يهز رأسه.

---

(369) - سفاح لونج آيلاند: سفاح مجهول الهوية يُعتقد أنه قتل من 10 أشخاص إلى 16 شخصًا على مدى 20 عامًا تقريبًا، معظمهم من العاهرات، وترك جثثهم في مناطق على الشاطئ الجنوبي لجزيرة لونج بنيويورك (المترجم).

يقول وهو يضحك ضحكة مكتومة: «حسنا، إنهم بالتأكيد يمكن أن يكونوا سائقي شاحنات جيدين. في الواقع، قد أذهب حتى إلى حد القول إن الشاحنة ربما تشكل أهم قطعة من المعدات في مجموعة أدوات السفاح هنا في الولايات المتحدة. إنها طريقة عمل خاصة ومركبة هروب في أداة واحدة».

الوكيل المعني هو جزء من فريق من ضباط إنفاذ القانون الذين يعملون حاليًا على مبادرة مكتب التحقيقات الفدرالي الخاصة بعمليات القتل المتكررة على الطرق السريعة، وهو مخطط مصمم لتسهيل تدفق البيانات على حد سواء في الفسيفساء الأمريكية المعقدة للسلطات القضائية المستقلة وزيادة الوعي العام بجرائم القتل.

بدأت المبادرة بالصدفة تقريبًا. عام 2004، كشف محلل من مكتب التحقيقات في ولاية أوكلاهوما عن نمط من أنماط القتل. بدأت جثث النساء المقتولات تظهر على فترات منتظمة على طول الممر 40 الذي يمر عبر أوكلاهوما وتكساس وأركنساس والمسيسيبي. قام المحللون العاملون في برنامج الاعتقال الجنائي العنيف Violent Criminal Apprehension Program (ViCAP)، وهو هيئة وطنية تحتوي على معلومات عن جرائم القتل والاعتداء الجنسي والمفقودين والبقايا البشرية المجهولة، بفحص قاعدة بياناتهم لمعرفة ما إذا كانت هناك أنماط مماثلة من عمليات القتل على الطرق السريعة في أماكن أخرى.

لقد فعلوا ذلك – وحتى أكثر من ذلك.

وكشفت التحقيقات الجارية حتى الآن عن أكثر من خمسمائة ضحية قتل من على الطرق السريعة أو الطرق القريبة منها، بالإضافة إلى قائمة تضم حوالي مائتي مشتبه به محتمل.

يقول لي الوكيل حيثُ توجدُ خريطة على نطاق واسع للولايات المتحدة مليئة بالجداول الزمنية والنقاط الساخنة ومسارات قرمزية قاتلة معلقة على الجدار خلف مكتبه: «إن السيكوباتيين هم الذين يدِيرون الأمور في الظل. إنهم يبقون على قيد الحياة

من خلال التجول. لا يشعرون بالاحتياج نفسه إلى العلاقات الوثيقة التي يحتاج إليها الناس العاديون. لذا فهم يعيشون في مدار من التنقل الدائم، حيث تقل فرص اصطدام ضحاياهم بهم مرة أخرى».

ولكن يمكنهم أيضًا استخدام الفتنة. وهو ما يسمح لهم، على المدى القصير أو المتوسط، بالبقاء في مكان واحد لفترة كافية من الوقت لتبديد الشكوك – والسعي إلى الضحايا. هذه الكاريزما غير العادية - وتتحدد، في بعض الحالات، بناء على الطبيعة الخارقة: على الرغم من أنك تعرف أنهم باردون كالجليد، وقد يقتلونك بمجرد النظر إليك، وأحيانًا لا يكون أمامك إلا الإعجاب بهم - تعمل بمثابة نوع من شاشة الدخان النفسي التي تخفي خلفها نواياهم الحقيقية.

بالمناسبة، هذا أيضًا هو السبب في أنك تميل عمومًا إلى العثور على نسبة أعلى من الأشخاص السيكوباتيين في المناطق الحضرية، على عكس المناطق الريفية. في المدينة، من السهل إخفاء الهوية. لكنك تحاول فقط الذوبان في الحشد في مجتمع الزراعة أو التعدين. سوف تكون مهمتك شاقة.

«لسوء الحظ، إن كلمة 'سيكوباتي' psychopath وكلمة 'جوال' drifter تسيران جنبًا إلى جنب. وهذا يمثل صداعًا كبيرًا لوكالات تطبيق القانون. وهو ما يجعل عملنا ملعونًا في بعض الأحيان».

درس العثة:

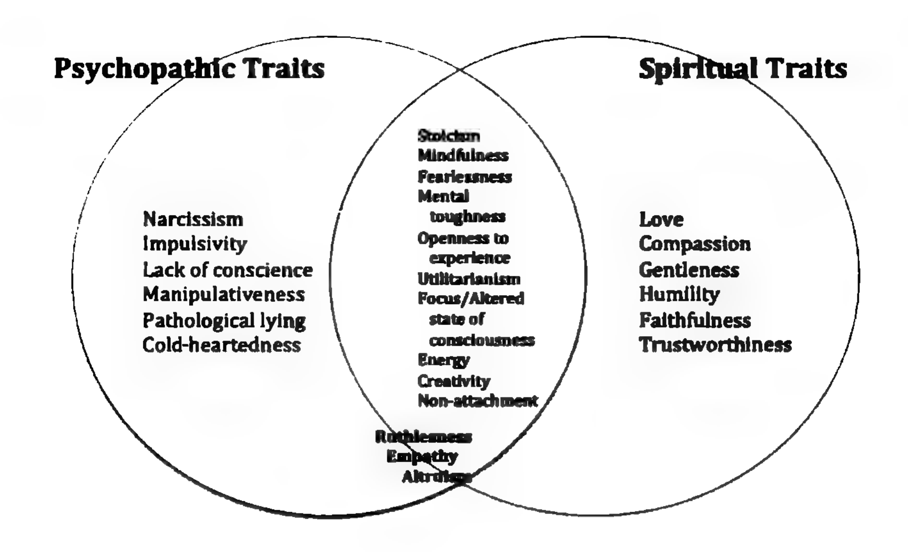
بيتر جونسون، متعهد علم نفس «جيمس بوند»، لديه نظرية حول السيكوباتية. إنه يشير إلى أن استغلال الآخرين عمل محفوف بالمخاطر إلى حد كبير، وهو ما يؤدي غالبًا إلى الفشل. لا يقتصر الأمر على الأشخاص الذين يبحثون عن السفاحين والمحتالين، لكنه يشمل أيضًا الذين يميلون للرد عليهم بشكل سيئ، ردًا قانونيًا أو ردًا غير قانوني. يوضح جونسون أنك إذا كنت ستغش، وأنت منفتح وساحر وتقدر ذاتك

بشكل كبير يجعل من الأسهل عليك أن تنجح في أن تتغلب على الرفض. ومن الأسهل عليك أن تبدأ المسيرة.

بالطبع، كان جيمس بوند دائمًا على الطريق. باعتباره جاسوسًا، وهو أمر طبيعي، كما هو الحال بالنسبة إلى السفاح على الطريق بين الولايات الأمريكية، وكما هو الحال بالنسبة إلى الرهبان المتجولين القدامى. ولكن على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة لديهم أسباب مختلفة إلى حد ما لرحلاتهم ويحتلون محطات مختلفة إلى حد ما على طول الطيف السيكوباتي، إلا أنهم يسترشدون أيضًا بمخطط ميتافيزيقي مشترك - البحث المستمر عن تجربة جديدة وهائلة، سواء كانت معركة حتى الموت مع عقل مدبر إجرامي مختل؛ أو القوة السامة التي لا يمكن فهمها وراء قتل شخص آخر؛ أو النقاء المتسامي للترحال الأبدي.

مثل هذا الانفتاح على الخبرة سمة شائعة لدى كل من السيكوباتيين والقديسين، وإذا تذكرت، فهي تشكل جزءًا لا يتجزأ من التأمل الذي يعتمد على التركيز التام. ومع ذلك، فهي سمة من عدد لا بأس به من السمات يتشارك فيه هذان النقيضان (*انظر الشكل 7 - 2 أدناه*). ليست كل السمات السيكوباتية سمات روحية والعكس صحيح. ولكن هناك البعض الذي يتداخل، كما رأينا، بلا شك، وربما يكون الانفتاح على التجربة هو الأكثر جوهرية.

من المؤكد أن هنتر س. طومسون سوف يوافق على ذلك. وهو، على كل حال، الوحيد الذي ولدنا معه.



الشكل 7 - 2 العلاقة بين السمات السيكوباتية والروحية

بعد اختتام الأمور مع مكتب التحقيقات الفدرالي في كوانتيكو،[370] أتجول متجهًا إلى فلوريدا لقضاء عطلة. قاتلًا بعض الوقت في وسط مدينة ميامي قبل اللحاق برحلتي إلى البيت، وأنا على الأرجح، في صباح يوم أحد صافٍ في شوارع ليتل هافانا،[371] في سوق للسلع المستعملة. على طاولة سقط المتاع، إلى جانب كومة من الألغاز، توجد نسخة من كتاب أركي ومهيتابل،[372] بغلافه المغبر بزرقة منتصف الليل يتفجَّر الفيروزي الاستوائي من الشمس وملح المحيط. الكتاب، الذي صاغه في الأصل عام 1927 كاتب العمود الشهير في نيويورك دون ماركيز، يسجل شعرًا تاريخ شخصية العنوان غير المعتاد، أركي – وهو صرصور مؤلف مع ميل غريب للشعر – ومغامراته الغريبة مع أفضل صديق مهيتابل، وهي قطة زقاق مجسدة تدعي، أنها في

(370) - كوانتيكو Quantico: مدينة في مقاطعة برنس وليم، في ولاية فرجينيا، الولايات المتحدة (المترجم).

(371) - ليتل هافانا Little Havana: حي في ميامي، في ولاية فلوريدا، يُعدّ حيّ ليتل هافانا النابض بالحياة الجانب الكوبي من منطقة ميامي ويضمّ صالات عرض فنية أمريكية لاتينية ومطاعم مكتظة بالزوّار (المترجم).

(372) - **أركي ومهيتابل** *Archy and Mehitabel*: كتاب من تأليف الشاعر الصحفي الأمريكي دون ماركيز (1878 – 1937)، صدر في عام 1927، وأركي اسم صرصار ومهيبتابل اسم قطة (المترجم).

الحياة السابقة، كانت كليوباترا ذات يوم.

أتصفح الصفحات. وأنفق دولارين. أعتقد أن الكتاب سوف يكون مناسبًا للقراءة وأنا عائد بالطائرة. في وقت لاحق من تلك الليلة، على ارتفاع أربعين ألف قدم فوق شمال الأطلسي النائم، صادفت القصيدة التالية.

إنها قصيدة عن العث. لكنها أيضًا قصيدة عن السيكوباتيين.

أحصل عليها منسوخة. وألصقها في إطار. وهي الآن تسطع بلا شك فوق مكتبي. تذكار حشري لآفاق الوجود.

والحكمة الوحشية لتقاطع النجوم لأولئك الذين يبحثون عنها.

كنت أتحدث إلى عث
ذات مساء
كان يحاول اقتحام
لمبة كهربائية
ويقلى نفسه على الأسلاك

سألته لماذا أيها الزميل
تقوم بهذا العمل الجريء
هل لأنه العمل التقليدي
للعث أم لماذا
إذا كانت شمعة
مكشوفة بدل المصباح
الكهربائي لكنت
الآن جمرة صغيرة قبيحة

أليس لديك إحساس

رد لدي الكثير منه

ولكن في بعض الأحيان نتعب

من استخدامه

نمل من الروتين

ونتوق إلى الجمال

والإثارة

النار جميلة

ونعلم أننا إذا اقتربنا

منها كثيرًا فسوف تقتلنا

ولكن ماذا يعني ذلك

من الأفضل أن تسعد

لحظة

وتحترق بالجمال

من أن تعيش فترة طويلة

وأنت تشعر بالملل طول الوقت

لذا نحن نلف كل حياتنا

في لفة صغيرة واحدة

ثم نطلق النار على اللفة

هذه هي الحياة

من الأفضل أن تكون جزءًا من الجمال

للحظة واحدة ثم تتوقف

عن الوجود من أن تعيش إلى الأبد

ولا تكون أبدًا جزءًا من الجمال

موقفنا من الحياة

ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة

نحن مثل البشر

اعتدنا قبلهم أن نكون

متحضرين ولا نستمتع بالحياة

وقبل أن أجادله

طبقًا لفلسفته

ذهب واحترق

على ولاعة سيجار جلية

لا أتفق معه

أفضل أن أحصل

على نصف السعادة وضعف

العمر

ولكنني في الوقت نفسه أتمنى

لو كان هناك شيء أريده

بقدر ما أراد أن يقلي نفسه به

ملاحظات

التصدير:

ص ii – **"يقولون إن البشر طوروا الخوف باعتباره آلية للبقاء . . . "** انظر آرني أوهمان Arne Öhman وسوزان مينكا Susan Mineka، "الحيات الخبيثة: الثعابين باعتبارها نموذجًا بدائيًا لوحدة متطورة للخوف The Malicious Serpent: Snakes as a Prototypical Stimulus for an Evolved Module of Fear"، **الاتجاهات الحالية في علم النفس** *Current Directions in Psychological Science* 12، عدد 1 (2003): 5–9، doi:10.1111/1467-8721.01211.

للاطلاع على مقدمة سهلة القراءة للأساس التطوري للانفعال، انظر

Joseph E. LeDoux, *The Emotional Brain: The Mysterious Underpinnings of Emotional Life* (New York: Simon & Schuster, 1996).

ص ii – **القرود التي تعاني من تلف في لوزة الدماغ . . .** انظر

Heinrich Klüver and Paul C. Bucy, "'Psychic Blindness' and Other Symptoms Following Bilateral Temporal Lobectomy in Rhesus Monkeys," *American Journal of Physiology* 119 (1937): 352–53; Klüver and Bucy, "Preliminary Analysis of Functions of the Temporal Lobes in Monkeys," *Archives of Neurology and Psychiatry* 42, no. 6 (1939): 979–1000.

ص ii – **"لم يكن هناك شيء من قبيل الأسهم في عصر البليستوسين . . . "** اقتباس مأخوذ من جين سبنسر، "دروس من المستثمر في الدماغ التالف Lessons from the Brain-Damaged Investor"، **وول ستريت جورنال** *The Wall Street Journal*، 21 يوليو 2005.

http://online.wsj.com/article/0,,SB112190164023291519,00.html

ص iii – **حتى في هذه الأيام، الأشخاص القلقون أفضل منا . . .** انظر

Elaine Fox, Riccardo Russo, and George A. Georgiou, "Anxiety Modulates the Degree of Attentive Resources Required to Process Emotional Faces," *Cognitive, Affective, and Behavioral Neuroscience* 5, no. 4 (2005): 396–404, doi:10.3758/CABN.5.4.396.

ص iii – **في كتابه الرجل الذي حسب زوجته قبعة** ... أوليفر ساكس، **الرجل حسب زوجته قبعة:**

وحكايات إكلينيكية أخرى *The Man Who Mistook His Wife for a Hat: And Other Clinical Tales* (New York: Summit Books, Simon & Schuster, 1985).

ص iv – اكتشف زابلوكس كيري أن الأشخاص الذين لديهم نسختان من تنوع معين في الحمض النووي *DNA* من حرف واحد . . . انظر

Szabolcs Kéri, "Genes for Psychosis and Creativity: A Promoter Polymorphism of the Neuregulin 1 Gene Is Related to Creativity in People with High Intellectual Achievement," *Psychological Science* 20, no. 9 (2009): 1070–73, doi:10.1111/j.1467-9280.2009.02398.x.

ص iv – في تجربة رائعة، وضع جوي فورجاس . . .

Joseph P. Forgas, Liz Goldenberg, and Christian Unkelbach, "Can Bad Weather Improve Your Memory? An Unobtrusive Field Study of Natural Mood Effects on Real-Life Memory," *Journal of Experimental Social Psychology* 45 (2009): 254–57, doi:10.1016/j.jesp.2008.08.014.

ص v – إن الشخص السيكوباتي لا يقلق حتى لو ترك الغاز مفتوحًا . . . تنتشر السيكوباتية في الرجال أكثر بكثير من النساء. وقد تم طرح عدد من الأسباب التي قد تفسر هذه الحالة. يؤكد منظرون في علم النفس الارتقائي Developmental theorists على أن الاختلافات في الميول العدوانية قد تنشأ من ممارسات التنشئة الاجتماعية الأبوية الثنائية التي تفرق في التربية بين الأولاد والبنات، بينما تشير أيضًا إلى حقيقة أن الفتيات يظهرن تطورًا للمهارات اللغوية والاجتماعية والانفعالية قبل الأولاد، مما قد يؤدي بدوره إلى استعدادهن لعرض استراتيجيات أكثر فعالية للتثبيط السلوكي. ومن ناحية أخرى، يؤكد المنظرون التطوريون Evolutionary theorists على الاختلافات بين الجنسين في التنشيط السلوكي والانسحاب باعتبارها مصدرًا محتملًا للتناقض: تميل النساء، على سبيل المثال، إلى الإبلاغ عن المزيد من انفعالات "الانسحاب السلبي" (مثل الخوف) في وجود المنبهات المنفردة بينما يشير الرجال إلى المزيد من انفعالات "التنشيط السلبي" من قبيل الغضب. وتسلط مدرسة فكرية ثالثة الضوء على الدور المحتمل للعوامل الاجتماعية في "وجود" الاضطراب: تحيز نوعي gender دقيق في التشخيص من جانب الأطباء الإكلينيكيين، على سبيل المثال، المتحالفين مع الوصمة الاجتماعية التقليدية المرتبطة بالنساء اللواتي يكشفن عن علل نفسية معادية للمجتمع، بل وحتى الإبلاغ عن المشاعر والمواقف المعادية للمجتمع. مهما يكن السبب، ومن المحتمل أن تخفي التركيبة السكانية مجموعة من العوامل الثلاثة، تميل تقديرات الإصابة بالسيكوباتية إلى التفاوت من 1 إلى 3 في المائة لدى الرجال ومن 0,5 إلى 1 في المائة لدى النساء.

1 – ثورة العقرب:

ص 3 – في تسعينيات القرن العشرين، قدم روبرت هير ورقة بحثية إلى مجلة أكاديمية . . . الورقة

المعنية، التي نشرها هير في النهاية، كانت التالية:

Sherrie Williamson, Timothy J. Harpur, and Robert D. Hare, "Abnormal Processing of Affective Words by Psychopaths," *Psychophysiology* 28, no. 3 (1991): 260–73, doi:10.1111/j.1469-8986.1991.tb02192.x.

ص 6 – لمعرفة ذلك، قامت بإعداد تجربة بسيطة . . . انظر

Sarah Wheeler, Angela Book, and Kimberley Costello, "Psychopathic Traits and the Perception of Victim Vulnerability," *Criminal Justice and Behavior* 36, no. 6 (2009): 635–48, doi:10.1177/0093854809333958.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنه في حين أن الأشخاص السيكوباتيين قد يمتلكون رادارًا لرصد الضعف، إلا أن هناك أدلة تشير إلى أن عناصر لغتهم الجسدية "تتسرب" وتميزهم عن الأفراد العاديين من السكان. أظهرت إحدى الدراسات، على سبيل المثال، باستخدام لقطات فيديو، أنه يمكن التمييز بين الأشخاص السيكوباتيين بشكل موثوق به عن الأشخاص غير السيكوباتيين على أساس تسلسل العرض لمدة خمس ثوان وعشر ثوان. انظر

Katherine A. Fowler, Scott O. Lilienfeld, and Christopher J. Patrick, "Detecting Psychopathy from Thin Slices of Behavior," *Psychological Assessment* 21, no. 1 (2009): 68–78, doi:10.1037/a0014938.

ص 6 – أولًا، قامت بتوزيع مقياس التقرير الذاتي للسيكوباتية . . . انظر

Delroy L. Paulhus, Craig S. Neumann, and Robert D. Hare, *Self-Report Psychopathy Scale: Version III* (Toronto: Multi-Health Systems, in press).

ص 7 – حين كررت أنجيلا بوك هذا الإجراء مع الأشخاص السيكوباتيين المشخصين إكلينيكيًا . . . انظر

Kimberley Costello and Angela Book, "Psychopathy and Victim Selection,"
وقد ظهر البوستر في مؤتمر جمعية الدراسات العلمية للسيكوباتية، مونتريال، كندا، مايو 2011.

ص 11 – عام 2009، بعد وقت قصير من نشر أنجيلا بوك نتائج دراستها، قررت أن أقوم بدراستي الخاصة في الموضوع. وهي دراسة مستمرة، ويتم حاليًا جمع المزيد من البيانات لإثبات هذه النتائج الأولية.

ص 12 – عام 2003، أجرى ريد ميلوي، وهو بروفيسور في الطب النفسي بجامعة كاليفورنيا، سان دييجو، كلية الطب، تجربة . . . انظر

J. Reid Meloy and M. J. Meloy, "Autonomic Arousal in the Presence of Psychopathy: A Survey of Mental Health and Criminal Justice Professionals," *Journal of Threat Assessment* 2, no. 2 (2002): 21–33, doi:10.130015177v02n02-02.

ص 13 – يجادل كينت بيلي، وهو أستاذ فخري في علم النفس الإكلينيكي في جامعة الكومنولث في فيرجينيا، لصالح هذا الرأي الأخير . . . انظر

Kent G. Bailey, "The Sociopath: Cheater or Warrior Hawk?" *Behavioral and Brain Sciences* 18, no. 3 (1995): 542–43, doi:10.1017/S0140525X00039613.

ص 13 - ويدعم روبن دنبار، وهو أستاذ الأنثروبولوجيا التطورية في جامعة أكسفورد، ادعاءات كينت بيلي . . . انظر

Robin I. M. Dunbar, Amanda Clark, and Nicola L. Hurst, "Conflict and Cooperation among the Vikings: Contingent Behavioral Decisions," *Ethology and Sociobiology* 16, no. 3 (1995): 233–46, doi:10.1016/0162-3095(95)00022-D.

ص 16 - لاحظ جوشوا جرين، عالم النفس وعالم الأعصاب والفيلسوف في جامعة هارفارد، كيف يحل الأشخاص السيكوباتيون المعضلات الأخلاقية . . . للاطلاع على مزيد من المعلومات حول عمل جوشوا جرين، والصلة الرائعة بين علم الأعصاب واتخاذ القرار الأخلاقي، انظر

Joshua D. Greene, R. Brian Sommerville, Leigh E. Nystrom, John M. Darley, and Jonathan D. Cohen, "An fMRI Investigation of Emotional Engagement in Moral Judgment," *Science* 293, no. 5537 (2001): 2105–08, doi:10.1126/science.1062872; Andrea L. Glenn, Adrian Raine, and R. A. Schug, "The Neural Correlates of Moral Decision-Making in Psychopathy," *Molecular Psychiatry* 14 (January 2009): 5–6, doi:10.1038/mp.2008.104.

ص 16 - لنتأمل على سبيل المثال اللغز التالي (الحالة 1)، الذي اقترحته في البداية الفيلسوفة فيليبا فوت . . . اقترحت مشكلة العربة لأول مرة في هذا النموذج **فيليبا فوت** Philippa Foot في "مشكلة الإجهاض وعقيدة التأثير المزدوج The Problem of Abortion and the Doctrine of the Double Effect"، في كتاب **الفضائل والرذائل: ومقالات أخرى في فلسفة الأخلاق** *Virtues and Vices: And Other Essays in Moral Philosophy* (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1978).

ص 16 - لننظر الآن في الاختلاف التالي (الحالة 2)، الذي اقترحته الفيلسوفة جوديث جارفيس طومسون . . . انظر

Judith Jarvis Thomson, "Killing, Letting Die, and the Trolley Problem," *The Monist* 59, no. 2 (1976): 204–17.

ص 19 - دانيل بارتلز في جامعة كولومبيا وديفيد بيزارو في جامعة كورنيل أن يوافقا على المزيد . . . انظر

Daniel M. Bartels and David A. Pizarro, "The Mismeasure of Morals: Antisocial Personality Traits Predict Utilitarian Responses to Moral Dilemmas," *Cognition* 121, no. 1 (2011): 154–61.

ص 21 - عام 2005، أجرت بليندا بورد وكاترينا فريتزون من جامعة سري دراسة استقصائية لمعرفة ما الذي حفز قادة الأعمال . . . انظر

Belinda J. Board and Katarina Fritzon, "Disordered Personalities at Work," *Psychology, Crime, and Law* 11, no. 1 (2005): 17–32, doi:10.1080/10683160310001634304.

ص 21 - أظهر محمد محمود وزملاؤه في جامعة ماكواري مؤخرًا . . . انظر

Mehmet K. Mahmut, Judi Homewood, and Richard J. Stevenson, "The Characteristics of Non-Criminals with High Psychopathy Traits: Are They

Similar to Criminal Psychopaths?" *Journal of Research in Personality* 42, no. 3 (2008): 679–92.

ص 22 – **وفي سياق مماثل (وإن كانت التقنية أقل تطورًا إلى حد ما)، طلبْتُ من فئة من الطلاب الجامعيين في السنة الأولى أن يتخيلوا أنهم مديرون في شركة توظيف . . .** مسح تجريبي غير منشور.

ص 22 – **يوافق جون مولتون، أحد أنجح الرأسماليين المغامرين في لندن، على ذلك . . .** انظر

Emma Jacobs, "20 Questions: Jon Moulton," *Financial Times*, February 4, 2010, www.ft.com/cms/s/0/32c642f2-11c1-11df-9d45-00144feab49a.html#axzz1srPuKoUq.

ص 22 – **لكن هناك قصة سمعتها ذات يوم تقدم توضيحًا بيانيًّا يوضح كيف يمكن أن يمنح علم أعصاب الأعضاء المحفوظة . . .** وعلى هذه القصة أود أن أشكر نيجل هنبست Nigel Henbest وهيثر كوبر Heather Couper.

ص 24 – **بالعودة إلى ثمانينيات القرن العشرين، وجد ستانلي ركمان، وهو باحث في جامعة هارفارد، شيئًا مشابهًا مع العاملين في مجال التخلص من القنابل.** للاطلاع على المزيد من أعمال ركمان انظر "Fear and Courage: A Psychological Perspective," *Social Research* 71, no. 1 (2004): 149–76. يوضح ركمان في هذا البحث وضوحًا تامًّا أن خبراء التخلص من القنابل ليسوا سيكوباتيين – وهي وجهة نظر تردد صداها هنا. وبدلًا من ذلك، فإن النقطة التي تثار هي أن الثقة والبرود تحت الضغط صفتان يشترك فيهما السيكوباتيون وخبراء التخلص من القنابل.

ص 25 – **وقد لاحظ خبيرا العلاقات نيل جاكوبسون وجون جوتمان ...** انظر

Neil Jacobson and John Gottman, *When Men Batter Women: New Insights into Ending Abusive Relationships* (New York: Simon & Schuster, 1998).

ص 27 – **عام 2009، جمعت ليليان موخيكا بارودي،[373] المتخصصة في علم الأعصاب المعرفي في جامعة ستوني بروك في نيويورك، العرق من تحت إبطي الذين يقفزون بالمظلات . . .** انظر

Lilianne R. Mujica-Parodi, Helmut H. Strey, Frederick Blaise, Robert Savoy, David Cox, Yevgeny Botanov, Denis Tolkunov, Denis Rubin, and Jochen Weber, "Chemosensory Cues to Conspecific Emotional Stress Activate Amygdala in Humans," *PLoS ONE* 4, no. 7 (2009): e6415, doi:10.1371/journal.pone.0006415.

ص 28 – **لمعرفة ذلك، أجريت دراسة شبيهة بدراسة موخيكا بارودي . . .** بحث مقدم للنشر. وتجدر الإشارة، فيما يتعلق بدراستي، إلى أن الأشخاص السيكوباتيين لم يكونوا أفضل من الأشخاص غير السيكوباتيين في الكشف عن أي عرق كان عرق الخوف واي عرق كان عرق عدم الخوف على أساس الرائحة. تأتي الرائحة المميزة لأي عرق من التلوث البكتيري، وقد تم تصميم بروتوكولات الجمع

---

(373) - ليليان موخيكا بارودي Lilianne Mujica-Parodi: مديرة مختبر التشخيص العصبي بالكمبيوتر، يركز أبحاثها على تطبيق هندسة أنظمة التحكم والأنظمة الديناميكية على السلاسل الزمنية لتصوير الجهاز العصبي للإنسان، التصوير بالرنين المغناطيس الوظيفي، على سبل المثال، مع استخدام التطبيقات في تشخيص الاضطرابات العصبية والنفسية (المترجم).

والتخزين، كما هو الحال في دراسة موخيكا بارودي، لمنع نمو البكتيريا. كان الفرق بين السيكوباتيين وغير السيكوباتيين في تأثير التعرض الذي كان لعرق الخوف على الأداء.

2 - هل يستأذن السيكوباتي الحقيقي ليقف؟

ص 36 - **ثم عام 1952، منح عالم النفس البريطاني هانز أيزنك . . .** للاطلاع على معالجة متعمقة لمساهمة أيزنك في نظرية الشخصية، انظر

Hans J. Eysenck and Michael W. Eysenck, *Personality and Individual Differences: A Natural Science Approach* (New York: Plenum Press, 1985).

وبالنسبة إلى البحث الأصلي الذي يتضمن أمزجة أبقراط الأربعة، انظر

Hans J. Eysenck, "A Short Questionnaire for the Measurement of Two Dimensions of Personality," *Journal of Applied Psychology* 42, no. 1 (1958): 14–17.

ص 37 - **كان النموذج الذي قدمه أيزنك للشخصية على بعدين يمثل فقدان الشهية بشكل إيجابي . . .** انظر

Gordon W. Allport and Henry S. Odbert, "Trait-Names: A Psycho-Lexical Study," *Psychological Monographs* 47, no. 1 (1936): i–171, doi:10.1037/h0093360.

ص 37 - **ولكن لم يكن الأمر كذلك حتى حصل عالم النفس في جامعة إلينوي ريمون كاتل على قائمة جوردون ألبورت . . .** انظر

Raymond B. Cattell, *The Description and Measurement of Personality* (New York: Harcourt, Brace, and World, 1946) and Cattell, *Personality and Motivation: Structure and Measurement* (Yonkers-on Hudson, NY: World Book Co., 1957).

ص 39 - **عام 1961، نجح باحثان في سلاح الجو الأمريكي، إرنست توبس وريموند كريستال . . .** انظر

Ernest C. Tupes and Raymond E. Christal, "Recurrent Personality Factors Based on Trait Ratings," Technical Report ASD-TR- 61-97, Personnel Laboratory, Aeronautical Systems Division, Air Force Systems Command, United States Air Force, Lackland Air Force Base, Texas, May 1961. Republished in *Journal of Personality* 60, no. 2 (1992): 225–51, doi:10.1111/j.1467-6494.1992.tb00973.x.

ص 39 - **في الآونة الأخيرة، على مدار العشرين عامًا الماضية أو نحو ذلك . . .** انظر

Paul T. Costa and Robert R. McCrae, "Primary Traits of Eysenck's P-E-N System: Three-and Five-Factor Solutions," *Journal of Personality and Social Psychology* 69, no. 2 (1995): 308–17.

ص 39 - **لا يوجد إجماع حقيقي بين المتخصصين في علم النفس بشأن إذا كان بإمكانهم.** وبالتالي فإن الذرات الخمس الكبرى للشخصية غير قابلة للتجزئة لدرجة أنها قد لوحظت عبر الأنواع. وقد كشفت

دراسة أجراها، عام 1997، جيمس كينج وأوريليو فيجيريدو[374] في جامعة أريزونا، أن شخصية الشمبانزي تتوافق أيضًا مع نموذج العوامل الخمسة، الموجود لدى البشر – ويتضح أنه قد تم التخلي عن عنصر إضافي لقياس جيد: الهيمنة، وهي أداة أثرية تطورية لمجتمع الشمبانزي الهرمي. قام صموئيل جوسلينج،[375] وهو يعمل الآن في جامعة تكساس في أوستن، بعمل مماثل مع الضباع. قام جوسلينج بتجنيد أربعة متطوعين ليقدموا، بمساعدة المقاييس المصممة خصيصًا لذلك، تقييمات شخصية موحدة لمجموعة من كروكوتا كروكوتا *Crocuta crocuta* (نوع من الضباع المرقطة). تم إيواء الضباع في المحطة الميدانية للبحوث السلوكية في جامعة كاليفورنيا، في بيركلي. ومن المثير للدهشة أنه حين استعرض جوسلينج البيانات، قفزت خمسة أبعاد من جدول البيانات أمامه: الحزم Assertiveness؛ والاستثارة Excitability؛ والتوافق ذو التوجه الإنساني Human-Directed Agreeableness؛ والمؤانسة Sociability؛ والفضول Curiosity. وهي، إذا نسينا الضمير للحظة، ما يتناسب جيدًا مع المتنافسين الأربعة المتبقين (العصابية Neuroticism؛ والتوافق Agreeableness؛ والانبساط Extraversion؛ والانفتاح على التجربة Openness to Experience). ولم يتوقف جوسلينج عند هذا الحد. وبتشجيع من هذه النتائج، أخذ حسابه الانفعالي إلى قاع البحر – واكتشف اختلافات واضحة في المؤانسة . . . في الأخطبوطات. يبدو أن بعض الأخطبوطات تفضل تناول الطعام بأمان في أوكارها، بينما يفضل البعض الآخر تناول الطعام في الهواء الطلق.

انظر

James E. King and Aurelio J. Figueredo, "The Five-Factor Model plus Dominance in Chimpanzee Personality," *Journal of Research in Personality* 31 (1997): 257–71; Samuel D. Gosling, "Personality Dimensions in Spotted Hyenas (*Crocuta crocuta*)," *Journal of Comparative Psychology* 112, no. 2 (1998): 107–118.

ولإلقاء نظرة عامة على سمات الشخصية في مملكة الحيوان بشكل عام، انظر أيضًا

S. D. Gosling and Oliver P. John, "Personality Dimensions in Nonhuman Animals: A Cross-Species Review," *Current Directions in Psychological Science* 8, no. 3 (1999): 69–75, doi:10.1111/1467-8721.00017.

ص 39 – **أو كما يُشار إليها عادةً باسم "الخمسة الكبار"**. ولمعرفة المزيد عن بنية الشخصية، ولا سيما الخمسة الكبار، انظر

---

(374) - جيمس كينج James King: باحث في قسم علم النفس في كلية العقل والدماغ والسلوك School of Mind, Brain and Behavior. أوريليو خوسيه فيجيريدو Aurelio Figueredo (1955 -): عالم نفس تطوري أمريكي من أصول كوبية. وهو أستاذ علم النفس والدراسات الأسرية والتنمية البشرية بجامعة أريزونا ، حيث يشغل أيضًا منصب مدير مختبر علم النفس التطوري وعلم النفس. وهو أيضًا عضو في المركز متعدد التخصصات لعلوم الحشرات بجامعة أريزونا (المترجم).

(375) - صموئيل د. جوسلينج Sam Gosling: متخصص في علم نفس الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، مع اهتمامات خاصة في الإدراك الاجتماعي وتقاطع الأنواع بالإضافة إلى الاتجاهات في تاريخ علم النفس (المترجم).

R. R. McCrae and P. T. Costa, *Personality in Adulthood* (New York: Guilford Press, 1990); McCrae and Costa, “A Five-Factor Theory of Personality,” in Lawrence A. Pervin and O. P. John (eds.), *Handbook of Personality: Theory and Research*, 2nd ed. (New York: Guilford Press, 1999), 139–53.

ص 40 - **من خلال القيام بذلك، وجدوا علاقة مذهلة بين . . .** ولمعرفة المزيد عن العلاقة بين الشخصية واختيار الوظيفة، انظر

Adrian Furnham, Liam Forde, and Kirsti Ferrari, “Personality and Work Motivation,” *Personality and Individual Differences* 26, no. 6 (1999): 1035–43; A. Furnham, Chris J. Jackson, L. Forde, and Tim Cotter, “Correlates of the Eysenck Personality Profiler,” *Personality and Individual Differences* 30, no. 4 (2001): 587–94.

ص 42 - **عام 2001، أجرى لينام وزملاؤه في جامعة كنتاكي دراسة . . .** للاطلاع على دراسة لينام، انظر

Joshua D. Miller, Donald R. Lynam, Thomas A. Widiger, and Carl Leukefeld, “Personality Disorders as Extreme Variants of Common Personality Dimensions: Can the Five-Factor Model Adequately Represent Psychopathy?” *Journal of Personality* 69, no. 2 (2001): 253–76.

ولمعرفة المزيد عن العلاقة بين السيكوباتية ونموذج الشخصية المكون من العوامل الخمسة، انظر

T. A. Widiger and D. R. Lynam, “Psychopathy and the Five Factor Model of Personality,” in Theodore Millon, Erik Simonsen, Morten Birket-Smith, and Roger D. Davis (eds.), *Psychopathy: Antisocial, Criminal, and Violent Behavior* (New York: Guilford Press, 1998): 171–87; and J. D. Miller and D. R. Lynam, “Psychopathy and the Five-Factor Model of Personality: A Replication and Extension,” *Journal of Personality Assessment* 81, no. 2 (2003): 168–78.

وللاطلاع على تحليل للعلاقة بين نموذج العوامل الخمسة واضطرابات الشخصية الأخرى، بما في ذلك السيكوباتية، انظر

P. T. Costa and R. R. McCrae, “Personality Disorders and the Five-Factor Model of Personality,” *Journal of Personality Disorders* 4, no. 4 (1990): 362–71, doi:10.1521/pedi.1990.4.4.362.

ص 43 - **هل الصورة لرئيس أمريكي؟** انظر

Scott O. Lilienfeld, Irwin D. Waldman, Kristin Landfield, Ashley L. Watts, Steven J. Rubenzer, and Thomas R. Faschingbauer, “Fearless Dominance and the U.S. Presidency: Implications of Psychopathic Personality Traits for Successful and Unsuccessful Political Leadership,” *Journal of Personality and Social Psychology* (Epub, abstract posted July 23, 2012, doi:10.1037/a0029392).

ص 43 - **وكان روبنزر وفاشينجباور قد أرسلا، عام 2000، استبيان الشخصية نيو . . .** انظر

S. J. Rubenzer, T. R. Faschingbauer, and Deniz S. Ones, “Assessing the U.S. Presidents Using the Revised NEO Personality Inventory,” in “Innovations in Assessment with the Revised NEO Personality Inventory,” ed. R. R. McCrae and P. T. Costa, special issue, *Assessment* 7, no. 4 (2000):

403–19, doi:10.1177/107319110000700408.

ولمعرفة المزيد من المعلومات حول تطوير استبيان الشخصية نيو NEO، انظر:

P. T. Costa and R. R. McCrae, *Revised NEO Personality Inventory (NEO-PI-R) and NEO Five-Factor Inventory (NEO-FFI) Professional Manual* (Odessa, FL: Psychological Assessment Resources, 1992); Costa and McCrae, "Domains and Facets: Hierarchical Personality Assessment Using the Revised NEO Personality Inventory," *Journal of Personality Assessment* 64, no. 1 (1995): 21–50.

ص 45 - **يصنف الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية اضطرابات الشخصية إلى ثلاث مجموعات مميزة.** الاضطرابات الكاملة لمكونات الاستبيان التي تشكل كل مجموعة هي كما يلي (من DSMIVTR، واشنطن العاصمة: الجمعية الأمريكية للطب النفسي، 2000)

المجموعة	اضطراب الشخصية	الخصائص
أ - غريب / غريب الأطوار	الفصامي Schizotypal	المظهر الغريب وعمليات التفكير الغريبة؛ لا يعاني من الفصام بشكل علني ولكن قد يسمع أصواتًا أو يشعر بوجود أشياء؛ المعتقدات الغريبة، مثل التخاطر أو القدرة على التواصل مع الموتى؛ غالبًا ما يكون من الصعب الاستمرار في محادثة معه - المشي أو التحدث إلى الذات؛ مبدع في بعض الأحيان.
	جنون العظمة Paranoid	كثير الشك في الآخرين؛ عرضة لتحمل الأحقاد؛ لا يعطي "فائدة الشك"؛ أسلوب معادي وشائك في التعامل مع الآخرين؛ غيور ويحافظ على الأعمال التي تنوي القيام بها طي الكتمان؛ عدد قليل من الأصدقاء على المدى الطويل، إن وجد له أصدقاء؛ تعبيرات عرضية عن الغضب، ولكنه بخلاف ذلك "بارد المشاعر".
	شبه الفصامي Schizoid	انطوائي وانسحابي بشكل حاد، يفضل الشراكة الخاصة على شراكة الآخرين؛ غالبًا ما يُنظر إليه على أنه "بعيد" و "منعزل"؛ يميل إلى العيش في عالم خيالي، ولكن ليس بعيدًا عن الواقع (كما هو الحال في مرض الفصام)؛ مهارات اجتماعية ضعيفة.
ب - درامي /	المضاد للمجتمع Antisocial	عدم الاهتمام بمشاعر الآخرين؛ صعوبة تكوين علاقات

وغير متوقع		وثيقة. الإجراءات التي يتم إجراؤها غالبًا بدافع اللحظة؛ عدم الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير؛ عدم القدرة على استيعاب العواقب والتعلم من التجربة.
	البينية Borderline	الشعور بالفراغ أو انعدام القيمة الذي قد يؤدي أحيانًا إلى إيذاء النفس أو الانتحار؛ تاريخ من العلاقات العاصفة؛ عدم الاستقرار الانفعالي الذي يتسم بتغيرات متكررة و / أو دراماتيكية في المزاج؛ تقلب في احترام الذات. الميل إلى تصنيف الآخرين على أنهم "معك" أو "ضدك".
	الهستيرية Histrionic	رد الفعل المفرط على الأحداث اليومية وإضفاء الدراما عليها؛ يحب الاستيلاء على الأضواء وأن يكون مركز الاهتمام؛ مصاص دماء. الإغراء؛ الانشغال المفرط بالصورة الذهنية والمظهر؛ شعور مبالغ فيه بقيمة الذات.
	النرجسية Narcissistic	الرغبة المفرطة في الوصول إلى السلطة وتحقيق المكانة والنجاح؛ البحث عن لفت الانتباه بدأب واستمرار؛ التلاعب بالآخرين من أجل المصلحة الذاتية؛ مظهر خارجي ساحر وجذاب يخفي جوهرًا أنانيًا بلا قلب؛ عقلية "أنا ثم أنا ثم أنا".
ج – قلقة / مثبطة	المتجنبة Avoidant	مشاعر الدونية عميقة الجذور؛ الحساسية المفرطة للنقد؛ يحب أن يُقبَل، لكنه غير مستعد لخطر الرفض؛ القلق والتوتر، ومبتلى بانعدام الأمن؛ كثيرًا ما يقدم أعذارًا لتجنب المناسبات الاجتماعية.
	الاعتمادية Dependent	الاعتماد المفرط على الآخرين في اتخاذ القرارات، والإفراط في الامتثال لما يريد الآخرون القيام به؛ مشاعر اليأس وعدم الكفاءة؛ تاريخ من العلاقات اللزجة المقززة؛ غالبًا ما يشعر بأنه "مهجور" إذا قام الآخرون المهمون بعملهم؛ يسعى باستمرار للحصول على الموافقة.

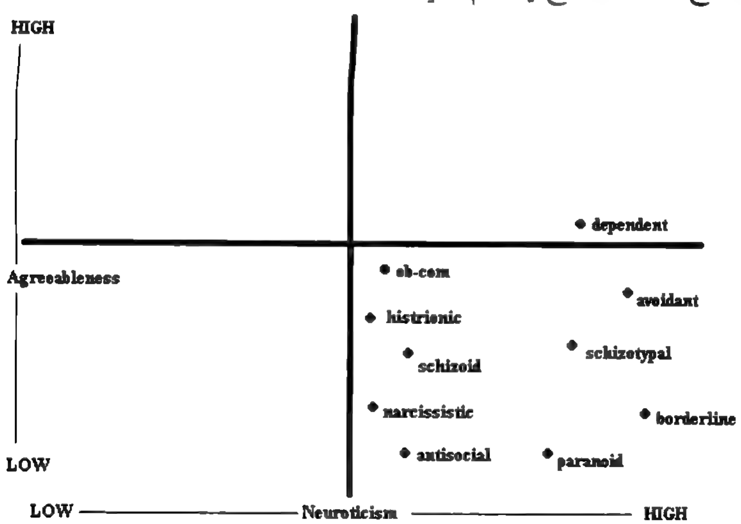
	الوسواسية القهرية Obsessive-compulsive	مثالي للغاية، مدقق، وينشغل بالتفاصيل الدقيقة؛ اجتراري ويتحكم في نفسه بشكل مفرط، خاصة عند اتخاذ القرارات؛ لديه معايير عالية غير مرنة يمكن أن تمس علاقات العمل والعلاقات الشخصية؛ غالبا ما يكون سلطوي. (لتمييزه عن اضطراب الوسواس القهري.)

ص 46 - **يأتي دعم هذه النظرة الأخيرة المناهضة للانفصال من مسح على نطاق أوسع . . .** انظر

Lisa M. Saulsman and Andrew C. Page, "The Five-Factor Model and Personality Disorder Empirical Literature: A Meta-Analytic Review," *Clinical Psychology Review* 23, no. 8 (2004): 1055–85.

ص 46 - **ولكن، بشكل حاسم، كان "الاثنان الكبيران" المهيمنان اللذان قاما بمعظم الأعمال الثقيلة . .**

. وهنا نقدم نتائج سولسمان وبيج في رسم بياني:



ص 47 - **الفيلسوف ثاوفرسطس حوالي 371 - 287 قبل الميلاد)، خليفة أرسطو في رئاسة مدرسة المشائين في أثينا، في كتابه، الشخصيات . . .**

Theophrastus, *Characters*, trans. James Diggle, Cambridge Classical Texts and Commentaries (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

ص 48 - **عام 1801، كتب طبيب فرنسي اسمه فيليب بينل في دفتر ملاحظاته الكلمات الجنون دون تشوش العقل . . .** انظر

Philippe Pinel, *Medico-Philosophical Treatise on Mental Alienation, Second Edition, Entirely Reworked and Extensively Expanded (1809)*, trans. of *Traité médico-philosophique sur l'aliénation mentale, 1809* by Gordon Hickish, David Healy, and Louis C. Charland (Oxford: Wiley-Blackwell, 2008).

ص 48 – يقدم الطبيب بنيامين راش،[376] الذي كان يمارس الطب في أمريكا في أوائل القرن التاسع عشر، تقارير مشابهة لتقرير بينل . . . انظر

Benjamin Rush, *Medical Inquiries and Observations upon the Diseases of the Mind* (New York: New York Academy of Medicine, 1812; New York: Hafner, 1962).

ص 49 – في كتابه الكلاسيكي بعنوان قناع العقل *The Mask of Sanity* الصادر عام 1941 . . . انظر

Hervey Cleckley, *The Mask of Sanity: An Attempt to Clarify Some Issues About the So-Called Psychopathic Personality* (St. Louis, MO: C. V. Mosby, 1941, 1976).

يمكن تحميل النص الكامل مجانًا من

www.cassiopaea.org/cass/sanity_1.pdf.

ص 51 – طرحت هذا اللغز الأخلاقي لأول مرة جوديث جارفيس طومسون . . . انظر

Judith Jarvis Thomson, "The Trolley Problem," *Yale Law Journal* 94, no. 6 (1985): 1395–1415.

ص 52 – عام 1980، كشف روبرت هير (الذي التقينا به في الفصل الأول) النقاب عن قائمة فحص السيكوباتية . . . انظر

Robert D. Hare, "A Research Scale for the Assessment of Psychopathy in Criminal Populations," *Personality and Individual Differences* 1, no. 2 (1980): 111–19, doi:10.1016/0191-8869(80)90028-8.

ص 52 – قائمة الفحص – التي خضعت للتعديل عام 1991 . . . انظر

R. D. Hare, *The Hare Psychopathy Checklist Revised: Technical Manual* (Toronto: Multi-Health Systems, 1991).

ص 52 – ولكن النشاط الأخير لعدد من المتخصصين في علم النفس الإكلينيكي يشير إلى أنه، تمامًا بالطريقة نفسها التي توجد بها خمسة أبعاد رئيسية لفضاء الشخصية بشكل عام . . . انظر

R. D. Hare, *The Hare Psychopathy Checklist Revised*, 2nd ed. (Toronto: MultiHealth Systems, 003).

للحصول على نظرة عامة مفصلة عن البنية الديناميكية للشخصية السيكوباتية، انظر

Craig S. Neumann, R. D. Hare, and Joseph P. Newman, "The Super-Ordinate Nature of the Psychopathy Checklist Revised," *Journal of Personality Disorders* 21, no. 2 (2007): 102–17. Also R. D. Hare and C. S. Neumann, "The PCL-R Assessment of Psychopathy: Development, Structural Properties, and New Directions," in Christopher J. Patrick (ed.), *Handbook of Psychopathy* (New York: Guilford Press, 2006), 58–88.

---

(376) - بنيامين راش Benjamin Rush (1746 - 1813): طبيب وسياسي ومصلح اجتماعي أمريكي، وقائد مدني في فيلادلفيا، وأحد الموقعين على وثيقة إعلان الاستقلال (المترجم).

ص 55 – في نزلاء السجون، يعتبر اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع هو المعادل في الطب النفسي لنزلات البرد . . . انظر

Megan J. Rutherford, John S. Cacciola, and Arthur I. Alterman, "Antisocial Personality Disorder and Psychopathy in Cocaine-Dependent Women," *American Journal of Psychiatry* 156, no. 6 (1999): 849–56.

ص 55 – بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأقلية التي تمثل 20 في المائة يبدو أن تأثيرها أعلى بكثير من حجمها. للاطلاع على المزيد من الحقائق والأرقام حول الشخصية السيكوباتية، بالإضافة إلى مقدمة سهلة الفهم إلى حد بعيد عن عالم السيكوباتي بشكل عام، انظر

Robert D. Hare, *Without Conscience: The Disturbing World of the Psychopaths Among Us* (New York: Guilford Press, 1993).

ص 55 – تكشف الدراسات التي تقارن معدلات العودة بين السجناء السيكوباتيين والسجناء غير السيكوباتيين . . . انظر

James F. Hemphill, R. D. Hare, and Stephen Wong, "Psychopathy and Recidivism: A Review," *Legal and Criminological Psychology* 3, no. 1 (1998): 139–70, doi:10.1111/j.2044- 8333.1998.tb00355.x.

ص 56 – جيمي يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا وقد صدر ضده حكم بالسجن مدى الحياة بتهمة القتل. فكرة قصتين نموذجيتين خياليتين تسلطان الضوء على الاختلافات بين السيكوباتية واضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، على التوالي، مستعارة من تصوير مماثل يظهر في

James Blair, Derek Mitchell, and Karina Blair, *The Psychopath: Emotion and the Brain* (Malden, MA: Blackwell, 2005), 4– 6.

ص 59 – بدايةً، تكشف الدراسات أن معدلات التوافق بين الأطباء مرتفعة جدًّا بالفعل . . . انظر

Hare, *The Hare Psychopathy Checklist Revised* (Toronto: Multi-Health Systems, 1991).

ص 60 – قدمت دراسة حديثة قام بها ستيفاني مولينز سويت . . . انظر

Stephanie M. Mullins-Sweatt, Natalie G. Glover, Karen J. Derefinko, Joshua M. Miller, and Thomas A. Widiger, "The Search for the Successful Psychopath," *Journal of Research in Personality* 44, no. 4 (2010): 554–58.

ص 63 – يتكون استبيان الشخصية السيكوباتية Psychopathic Personality Inventory **(PPI باختصار) من 187 سؤالًا.** انظر

See Scott O. Lilienfeld, and Brian P. Andrews, "Development and Preliminary Validation of a Self-Report Measure of Psychopathic Personality Traits in Noncriminal Populations," *Journal of Personality Assessment* 66, no. 3 (1996): 488–524.

ص 64 – يشير طيف التوحد، على سبيل المثال . . . تشمل اضطرابات طيف التوحد: **التوحد** autism، ومتلازمة أسبرجر Asperger's syndrome، واضطراب التفكك في الطفولة، واضطراب الطفولة التفككي childhood disintegrative disorder، ومتلازمة ريت Rett syndrome،

واضطراب النمو المتفشي pervasive developmental disorder الذي لم يتم تحديده بطريقة أو أخرى. وللاطلاع على المزيد من المعلومات حول مرض التوحد بشكل عام، انتقل إلى:

www.autism.org.uk/.

وللاطلاع على المزيد من المعلومات حول فكرة طيف التوحد، انتقل إلى:

www.autism.org.uk/about-autism/autism-and-aspergersyndrome-an-introduction/what-is-autism.aspx.

ص 65 - **ربما يكون الطيف الفصامي مألوفًا بشكل أقل، ولكنه وثيق الصلة بالقدر نفسه . . .** للاطلاع على المزيد من المعلومات عن الفصام – الأعراض والتشخيص والعلاج والدعم – انتقل إلى:

www.schizophrenia.com/.

للاطلاع على المزيد من المعلومات عن الطيف الفصامي، والارتباطات العصبية الضمنية المحتملة، انتقل إلى:

www.schizophrenia.com/sznews/archives/002561.html.

ص 68 - **في تجربة بارعة، وضح نيومان أن هذه قد تكون القصة نفسها مع الأشخاص السيكوباتيين . .** . انظر

Kristina D. Hiatt, William A. Schmitt, and Joseph P. Newman, "Stroop Tasks Reveal Abnormal Selective Attention Among Psychopathic Offenders," *Neuropsychology* 18, no. 1 (2004): 50–59.

ص 70 - **في دراسة منفصلة، عرض نيومان وزملاؤه على الأشخاص السيكوباتيين . . .** انظر

Joseph P. Newman, John J. Curtin, Jeremy D. Bertsch, and Arielle R. Baskin-Sommers, "Attention Moderates the Fearlessness of Psychopathic Offenders," *Biological Psychiatry* 67, no. 1 (2010): 66–70.

3 – اغتنام الليل:

ص 76 – **"إن ضابطين من ضباط دعم المجتمع بالشرطة لم يتدخلا لمنع صبي عمره 10 سنوات من الغرق."** مصدر الاقتباس: ماثيو مور، "الضباط 'غير مدربين' على إنقاذ صبي يغرق Officers "Not Trained" to Rescue Drowning Boy"، صحيفة التليجراف، 21 سبتمبر 2007،

www.telegraph.co.uk/news/uknews/1563717/Officers-not-trained-torescue-drowning-boy.html.

ص 77 - **في تجربة، على سبيل المثال، ربطت أحدث ما في الشبكات الاجتماعية . . .** انظر

Vladas Griskevicius, Noah J. Goldstein, Chad R. Mortensen, Robert B. Cialdini, and Douglas T. Kenrick, "Going Along Versus Going Alone: When Fundamental Motives Facilitate Strategic (Non)Conformity," *Journal of Personality and Social Psychology* 91, no. 2 (2006): 281–94, doi:10.1037/0022-3514.91.2.281.

ص 78 - **عالم النفس إرفينج جنيس، الذي أجرى الكثير من العمل التجريبي حول هذه الظاهرة . . .** انظر

Irving L. Janis and Leon Mann, *Decision Making: A Psychological Analysis of Conflict, Choice and Commitment* (New York: Free Press, 1977).

ص 79 – **لدى أندرو كولمان، أستاذ علم النفس في جامعة ليستر، إجابة مثيرة بالقدر نفسه . . . انظر**

Andrew M. Colman, Andrew and J. Clare Wilson, "Antisocial Personality Disorder: An Evolutionary Game Theory Analysis," *Legal and Criminological Psychology* 2, no. 1 (1997): 23–34, doi:10.1111/j.2044-8333.1997.tb00330.x.

ص 81 - **عام 2010، تحقق هديكي أوهيرا، وهو متخصص في علم النفس في جامعة ناجويا . . . انظر**

Takahiro Osumi and Hideki Ohira, "The Positive Side of Psychopathy: Emotional Detachment in Psychopathy and Rational Decision-Making in the Ultimatum Game," *Personality and Individual Differences* 49, no. 5 (2010): 451–56.

ص 86 – **"أن تخضع العدو دون قتال . . . " ينشأ هذا الاقتباس في عمل صن تزو الذي حقق شهرة كبيرة عن الاستراتيجية العسكرية، بعنوان فن الحرب. انظر**

The Art of War by Sun Tzu—Special Edition, trans. and ed. Lionel Giles (1910; repr. El Paso, TX: El Paso Norte Press, 2005).

ص 86 - **ولا يزال المرء يلاحظ ديناميكية مماثلة في القرود حتى اليوم.** للاطلاع على أحدث الدراسات عن سلوك الإيثار لدى الشمبانزي، انظر

Victoria Horner, J. Devyn Carter, Malini Suchak, and Frans B. M. de Waal, "Spontaneous Prosocial Choice by Chimpanzees," *PNAS* 108, no. 33 (2011): 13847–51, doi:10.1073/pnas.1111088108.

ويلاحظ قتال الإيثار في الطيور أيضًا. تتنافس ذكور الغربان، على سبيل المثال، مع بعضها البعض على الرفاق ليس عن طريق العدوان، ولكن عن طريق أداء "أعمال شجاعة". أي، بدلًا من القتال منقارًا لمنقار كما هو معتاد في قتال الطيور، فإنهم يتحدون بعضهم البعض في ألعاب مميتة للشعور بالتفوق: "اللعبة"، في هذه الحالة، التي تشمل التعهد الخطير بالتحقق مما إذا كان الجيفة المحتمل قد مات أم لا (البدائل الخطيرة هي النوم أو الإصابة أو التظاهر). يقول فرانس دي وال Frans de Waal، أستاذ سلوك الرئيسيات في جامعة إموري: "من خلال إظهار أن لديهم الشجاعة والخبرة وسرعة رد الفعل للتعامل مع مخاطر الحياة، تكون الجرأة العارضة للجرافات corvids [طائر من عائلة الغراب- المترجم] بمثابة تعزيز للوضع وإثارة إعجاب الرفاق المحتملين." (الاقتباس مأخوذ من Frans B. M. de Waal, *Good Natured: The Origins of Right and Wrong in Humans and Other Animals* [Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996], 134.)

ص 87 - **"بدلًا من أن يبرز المهيمنون بسبب ما يأخذونه . . . "** الاقتباس مأخوذ من

de Waal, *Good Natured*, 144.

ص 87 – **يتم تنفيذه، كما يلاحظ دو فال،** المصدر السابق، ص 129.

ص 87 – **وبالتالي، كما يلاحظ فرانس دي فال، بدلًا من اللامركزية في حل النزاعات . . .** ، المصدر السابق، ص 144.

ص 87 - عام 1979، في موقع بعيد بالقرب من قرية سان سيسير في جنوب غرب فرنسا . . .

Christoph P. E. Zollikofer, Marcia S. Ponce de León, Bernard Vandermeersch, and François Lévêque, "Evidence for Interpersonal Violence in the St. Césaire Neanderthal," *PNAS* 99, no. 9 (2002): 6444–48, doi:10.1073/pnas.082111899.

ص 91 - . . . إن الغرض الكامل من معضلة السجين . . . وضع تصور معضلة السجين في الأصل في مؤسسة راند RAND [مؤسسة الأبحاث والتطوير research and development مؤسسة غير ربحية وخلية تفكير أميركية تأسست في الأصل عام 1948 - المترجم] عام 1950 عالما الرياضيات ميريل فلود وملفين دريشر.[377] وفي وقت لاحق من العام نفسه، صاغ اللعبة أول مرة بمكافآت عقوبة السجن ألبرت تاكر[378] وتم منحها الاسم الرسمي.

ص 92 - بدلًا من ذلك، يتم ملء شاشة الحياة بكثافة بملايين وملايين من وحدات البكسل الفردية . . . في عالم من عوالم "التفاعل المتكرر" (مثل الحياة اليومية)، يكون لإستراتيجية سيكوباتية عيوبها بالفعل. ومع ذلك، فإن هذه الملاحظة لا تأخذ في الاعتبار النقطتين التاليتين:

أ – من خلال الانتقال من مكان إلى آخر، يخلق الشخص السيكوباتي، الذي لا تقيده الحاجة إلى علاقات وثيقة، "عالمًا افتراضيًّا" خاصًا به يتم فيه تقليل فرصة المواجهات المتكررة.

ب – تظهر القدرة الفائقة التي يتمتع بها الأشخاص السيكوباتيون في الفتنة وتبني ضمانات التمويه النفسي، إلى حد ما، ضد هويتهم باعتبارهم "منشقين". وهي تعمل، على المدى القصير أو المتوسط، على الأقل، باعتبارها شاشة من الدخان، مما يسمح بأن تمر جنحهم دون أن يلاحظها أحد. وبالفعل، فإن تجنب الاكتشاف يساعد أيضًا إلى حد ما في تفسير زيادة حدوث الشخصية السيكوباتية في المناطق الحضرية - حيث يتم ضمان عدم الكشف عن الهوية، إذا رغب أحد في ذلك - على عكس المناطق الريفية، حيث لا يكون "الذوبان في الحشد" خيارًا.

الحد الأدنى؟ لدى الأشخاص السيكوباتيين بشكل دقيق "معدات شخصية" مناسبة لثني القواعد أو كسرها. إذا كنت ستغش في لعبة الحياة، أن تكون عديم الرحمة ولا تعرف الخوف يضمن لك ألا تبعد كثيرًا عن منطقة راحتك، في حين أن الانبساط والفتنة يمكن أن يساعداك على أن تفلت بجريمتك لفترة أطول. وفي حالة اكتشافك، فإن التقدير العالي للذات يجعل من السهل عليك التغلب على الأمر بالرفض.

ص 96 - في أواخر سبعينيات القرن العشرين، طرح عالم السياسة روبرت أكسلرود هذا السؤال . . .

---

(377) - ميريل فلود Merrill Flood (1908 - 1991): عالم رياضيات أمريكي. ملفين دريشر Melvin Dresher (1911 - 1992): عالم رياضيات أمريكي من أصول بولندية (المترجم).

(378) - ألبرت وليم تاكر Albert Tucker (1905 - 1995): عالم رياضيات كندي ذو إسهامات مهمة في الطوبولوجيا ونظرية الألعاب والبرمجة غير الخطية (المترجم).

لمعرفة المزيد عن بطولة الواقع الافتراضي التي أنشأها روبرت أكسلرود، وعن مبادئ نظرية اللعبة بشكل عام، انظر

Robert Axelrod, *The Evolution of Cooperation* (New York: Basic Books, 1984).

ص 98 - **حدث مثل هذا العمل البغيض بالفعل، قبل عقد من الزمان أو نحو ذلك من مساعي روبرت أكسلرود . . .** انظر

Robert L. Trivers, "The Evolution of Reciprocal Altruism," *Quarterly Review of Biology* 46, no. 1 (1971): 35–57.

ص 99 - **قبل نحو ثلاثمائة سنة، في اللفياثان، كان توماس هوبز يتوقع مثل هذه الفكرة بالتحديد . . .** انظر

Thomas Hobbes, *Leviathan*, Parts I and II, Revised Edition, eds. A. P. Martinich and Brian Battiste (Peterborough, ON: Broadview Press, 2010).

4 – حكمة السيكوباتيين:

ص 107 - **عام 2010، نشر بيتر جونسون (وكان يعمل حينذاك في جامعة ولاية نيو مكسيكو) وزملاؤه بحثًا . . .** انظر

Peter K. Jonason, Norman P. Li, and Emily A. Teicher, "Who Is James Bond? The Dark Triad as an Agentic Social Style," *Individual Differences Research* 8, no. 2 (2010): 111–20.

ص 108 - **تناولت دراسة بيتر جونسون مائتي طالب جامعي يملؤون استبيانات شخصية . . .** انظر

See P. K. Jonason, N. P. Li, Gregory W. Webster, and David P. Schmitt, "The Dark Triad: Facilitating a Short-Term Mating Strategy in Men," *European Journal of Personality* 23 (2009): 5–18, doi:10.1002/per.698.

ص 109 - **دراسة أجراها عام 2005 فريق مشترك من علماء النفس وعلماء الاقتصاد العصبي . . .** انظر

Baba Shiv, George Loewenstein, and Antoine Bechara, "The Dark Side of Emotion in Decision-Making: When Individuals with Decreased Emotional Reactions Make More Advantageous Decisions," *Cognitive Brain Research* 23, no. 1 (2005): 85–92, doi:10.1016/j.cogbrainres.2005.01.006.

علم الاقتصاد العصبي مجال متعدد التخصصات يركز على العمليات العقلية التي تكمن وراء صنع القرار المالي. فهو يجمع بين طرق بحث من علم الأعصاب والاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي والمعرفي، بالإضافة إلى دمج أفكار ومفاهيم من علم الأحياء النظري وعلوم الكمبيوتر والرياضيات. وبالنسبة لأولئك الذين يرغبون في استكشاف العلاقة بين الانفعالات وصنع القرار بتفصيل أكبر، فإن المكان المثالي للبدء هو كتاب أنطونيو داماسيو وهو كتاب يمكن قراءته بسهولة جديرة بالثناء **خطأ ديكارت: الانفعال والعقل ودماغ الإنسان** (نيويورك: بوتنام Putnam، 1944).[379]

---

(379) - أنطونيو داماسيو Antonio Damasio (1944 -): طبيب الأمراض العصبية السلوكية وعلم الأعصاب، وهو برتغالي يعيش في الولايات المتحدة، وأستاذ علم الأعصاب في جامعة جنوب كاليفورنيا .ولد في لشبونة ودرس الطب بها

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن نتائج تجربة شيف وآخرين لا تنفي حقيقة أن الانفعالات تلعب غالبًا دورًا مفيدًا في صنع القرار المالي، وأن المخاطرة غير المحسوبة (كما حين نحتاج، في المناخ المالي الحالي، إلى أي تذكير) يمكن أن تؤدي في بعض الأحيان إلى كارثة. لتوضيح ذلك، في حين أن اللاعبين المصابين بتلف في الدماغ قد نجحوا في اللعبة المحددة في الدراسة، إلا أنهم لم يحققوا نتائج جيدة خارج المختبر - ثلاثة منهم، على سبيل المثال، قدموا طلبات إفلاس شخصي. أدى عجزهم عن الشعور بالخوف إلى المخاطرة المفرطة في العالم الحقيقي، وأدى افتقارهم إلى الحكم الانفعالي في بعض الأحيان إلى الوقوع تحت براثن الأشخاص الذين استفادوا منهم. خلاصة القول هي أنه في حين أن الانفعالات يمكن دون شك أن تقف في بعض الأحيان في طريق اتخاذ القرار العقلاني، إلا أنها تلعب دورًا مهمًا في حماية مصالحنا.

ص 110 - **وهناك دراسة أجراها الاقتصادي كاري فريدمان وزملاؤه . . .** انظر

Cary Frydman, Colin Camerer, Peter Bossaerts, and Antonio Rangel, "MAOA-L Carriers Are Better at Making Optimal Financial Decisions Under Risk," *Proceedings of the Royal Society B* 278, no. 1714 (2011): 2053–59, doi:10.1098/rspb.2010.2304.

فيما يتعلق بالصلة بين "جين المحارب" والعدوان، يحث أنطونيو رنجيل،[380] الذي يرأس المختبر الذي يوجد فيه كاري فريدمان، على توخي الحذر. ويشير إلى أن "الدراسات السابقة التي ربطت *MAOA-L* بالعدوان أو الاندفاع قد يكون من الضروري تفسيرها بعناية. إن السؤال الأساسي هو ما إذا كانت هذه القرارات، في سياق حياة الأشخاص، مثالية أم لا." (انظر

Debora McKenzie, "People with 'Warrior Gene' Better at Risky Decisions," *New Scientist*, December 9, 2010. www.newscientist.com/article/dn19830-people-with-warrior-gene-betterat-risky-decisions.html.)

(تم الدخول على الموقع في 14 يناير 2011). وفي دراسة نُشرت عام 2009، على سبيل المثال، وجد دومينيك جونسون،[381] من جامعة إدنبره، أن حاملي *MAOA-L* كانوا بالفعل أكثر عدوانية، ولكن فقط بعد قدر كبير من الاستفزاز، ودون اندفاع واضح - وهو اكتشاف، مثل اكتشاف فريدمان، يبدو أنه يشير إلى المصلحة الذاتية الإستراتيجية أكثر من التدمير الذاتي العشوائي. انظر

Rose McDermott, Dustin Tingley, Jonathan Cowden, Giovanni Frazzetto, and Dominic D. P. Johnson, "Monoamine Oxidase A Gene (MAOA) Predicts Behavioral Aggression Following Provocation," *PNAS* 106, no. 7

وأكمل الدكتوراه، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة؛ والعنوان الأصلي للكتاب المشار إليه *Descartes' Error: Emotion, Reason, and the Human Brain* (المترجم).

(380) - أنطونيو رنجيل Antonio Rangel: أستاذ علم الأعصاب والبيولوجيا السلوكية والاقتصاد ، معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، يهتم بدراسة الأساس الحسابي والبيولوجي العصبي لاتخاذ القرارات على أساس القيمة باستخدام أدوات من الاقتصاد التجريبي وعلم الأعصاب الإدراكي. (المترجم).

(381) - دومينيك جونسون Dominic Johnson: بروفيسور العلاقات الدولية في كلية سانت أنتوني بأكسفورد، حصل جونسون على عدة زمالات ما بعد الدكتوراه في الولايات المتحدة قبل توظيفه في إدنبره (المترجم).

(2009): 2118–23, doi:10.1073/pnas.0808376106.

ص 111 - "على عكس المناقشة السابقة في الأدبيات . . . " انظر

Richard Alleyne, "Gene That Makes You Good at Taking Risky Decisions," *The Telegraph*, December 8, 2010, www.telegraph.co.uk/science/sciencenews/8186570/Gene-hat-makes-you-good-at-taking-riskydecisions.html.

ص 111 - يأتي الدعم الإضافي من العمل الذي قام به بوب هير وزملاؤه . . . انظر:

Paul Babiak, Craig S. Neumann, and Robert D. Hare, "Corporate Psychopathy: Talking the Walk," *Behavioral Sciences and the Law* 28, no. 2 (2010): 174–93, doi:10.1002/bsl.925.

ص 112 - "لا يجد السيكوباتي صعوبة في التعامل مع عواقب التغيير السريع . . . " اقتباس مأخوذ من

Alan Deutschman, "Is Your Boss a Psychopath?" *Fast Company*, July 1, 2005, www.fastcompany.com/magazine/96/open_boss.html.

ص 113 - التقيت به في حانة فندق خمس نجوم في نيو أورلينز. انظر

Kevin Dutton, *Split-Second Persuasion: The Ancient Art and New Science of Changing Minds* (New York: Houghton Mifflin Harcourt, 2011).

ص 115 - تظهر الأبحاث أن إحدى أفضل الطرق لجعل الناس يتحدثون معك عن أنفسهم . . . انظر

Morgan Worthy, Albert L. Gary, and Gay M. Kahn, "Self-Disclosure as an Exchange Process," *Journal of Personality and Social Psychology* 13, no. 1 (1969): 59–63.

ص 115 - تظهر الأبحاث أيضًا أنه إذا كنت ترغب في منع شخص من أن يتذكر شيئًا ما . . . انظر

John Brown, "Some Tests of the Decay Theory of Immediate Memory," *Quarterly Journal of Experimental Psychology* 10, no. 1 (1958): 12–21, doi:10.1080/17470215808416249; Lloyd R. Peterson and Margaret J. Peterson, "Short-Term Retention of Individual Verbal Items," *Journal of Experimental Psychology* 58, no. 3 (1959): 193–98.

ص 116 - . . . وفي علم النفس الإكلينيكي، تأتي نقطة في كل تدخل علاجي تقريبًا ... لمعرفة المزيد عن التقنيات المختلفة للتدخل العلاجي، وعمل ستيفن جوزيف، انظر

Stephen Joseph, *Theories of Counselling and Psychotherapy: An Introduction to the Different Approaches*, 2nd revised edition (New York: Palgrave Macmillan, 2010).

ص 117 - إذا كانت السيكوباتية مفيدة حقًّا في ظل ظروف معينة . . . انظر

Eyal Aharoni and Kent A. Kiehl, "Quantifying Criminal Success in Psychopathic Offenders," conference proceedings of the Society for the Scientific Study of Psychopathy, Montreal, Canada, May 2011.

ص 118 - لاحظت هيلينا هاكنين نيولم،[382] متخصصة في علم النفس في جامعة هلسنكي . . . انظر

Helinä Häkkänen-Nyholm and Robert D. Hare, "Psychopathy, Homicide,

---

(382) - هيلينا هاكنين نيولم Helinä Häkkänen-Nyholm (1971 -): أخصائية نفسانية فنلندية درست النرجسية والسيكوباتية وكتبت أول كتاب دراسي فنلندي حول هذا الموضوع ، Psykopatia. تعمل أخصائية نفسية جنائية وأستاذة مساعدة في جامعة هلسنكي، حيث تدرس السلوك وعوامل الخطر المرتبطة به (المترجم).

and the Courts: Working the System," *Criminal Justice and Behavior* 36, no. 8 (2009): 761–77, doi:10.1177/0093854809336946.

ص 118 – باستبعاد الندم جانبًا، تساءل ستيفن بورتر، هل كان الأشخاص السيكوباتيون أفضل في تزييف الندم؟ انظر

Stephen Porter, Leanne ten Brinke, Alysha Baker, and Brendan Wallace, "Would I Lie to You? 'Leakage' in Deceptive Facial Expressions Relates to Psychopathy and Emotional Intelligence," *Personality and Individual Differences*, 51, no. 2 (2011): 133–37, doi:10.1016/j.paid.2011.03.031.

ص 120 – يمكن لأحمد عبد الكريم وفريقه في جامعة توبنجن Tübingen في ألمانيا أن يجعلوك تكذب بشكل أفضل. انظر

Ahmed A. Karim, Markus Schneider, Martin Lotze, Ralf Veit, Paul Sauseng, Christoph Braun, and Niels Birbaumer. "The Truth About Lying: Inhibition of the Anterior Prefrontal Cortex Improves Deceptive Behavior," *Cerebral Cortex* 20, no. 1 (2010): 205–13, doi:10.1093/cercor/bhp090.

ص 120 – . . . والتحليل الأخير باستخدام التصوير الموتر المنتشر (DTI) . . . انظر

Michael C. Craig, Marco Catani, Quinton Deeley, Richard Latham, Eileen Daly, Richard Kanaan, Marco Picchioni, Philip K. McGuire, Thomas Fahy, and Declan G. M. Murphy, "Altered Connections on the Road to Psychopathy," *Molecular Psychiatry* 14 (2009): 946–53.

ص 122 – وقد قارن أدريان رين أداء الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين في مهمة تعليمية بسيطة . . . انظر

Angela Scerbo, Adrian Raine, Mary O'Brien, Cheryl-Jean Chan, Cathy Rhee, and Norine Smiley, "Reward Dominance and Passive Avoidance Learning in Adolescent Psychopaths," *Journal of Abnormal Child Psychology* 18, no. 4 (1990): 451–63, doi:10.1007/BF00917646.

ص 123 – لقد تناول الباحثون في جامعة فاندربيلت الموضوع بشكل أعمق بعض الشيء . . . انظر

Joshua W. Buckholtz, Michael T. Treadway, Ronald L. Cowan, Neil D. Woodward, Stephen D. Benning, Rui Li, M. Sib Ansari, et al., "Mesolimbic Dopamine Reward System Hypersensitivity in Individuals with Psychopathic Traits," *Nature Neuroscience* 13, no. 4 (2010): 419–21, doi:10.1038/nn.2510.

ص 124 – " كان هناك تقليد لفترة طويلة من البحث في الشخصية السيكوباتية، يركز على . . . "

للاطلاع على الاقتباس كاملًا، والمزيد من تفاصيل الدراسة، انظر

"Psychopaths' Brains Wired to Seek Rewards, No Matter the Consequences," *Science Daily*, March 14, 2010, www.sciencedaily.com/releases/2010/03/100314150924.htm.

ص 124 – جيف هانكوك، أستاذ علوم الحوسبة والمعلومات في جامعة كورنيل . . . انظر

Jeffrey T. Hancock, Michael T. Woodworth, and Stephen Porter, "Hungry Like the Wolf: A Word-Pattern Analysis of the Language of Psychopaths," *Legal and Criminological Psychology* (2011), doi:10.1111/j.2044-

8333.2011.02025.x.

ص 126 - **استخدمت شيرلي فيكتو وزملاؤها التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (TMS) لتحفيز القشرة الحسية الجسدية . . .** انظر

Shirley Fecteau, Alvaro Pascual-Leone, and Hugo Théoret, "Psychopathy and the Mirror Neuron System: Preliminary Findings from a Non-Incarcerated Sample," *Psychiatry Research* 160, no. 2 (2008): 137–44.

ص 126 - **. . . وهو عمل تقوم به بنى في الدماغ متخصصة للغاية، وتسمى بشكل مناسب الخلايا العصبية المرآوية.** اكتشف الخلايا العصبية المرآوية لأول مرة (في القرود) عام 1992 فريق من الباحثين الإيطاليين بقيادة جياكومو ريزولاتي،[383] في جامعة بارما. وهي، ببساطة، خلايا دماغية مجهزة خصيصًا لتقليد تصرفات الآخرين ومشاعرهم. انظر:

Giuseppe Di Pellegrino, Luciano Fadiga, Leonardo Fogassi, Vittorio Gallese, and Giacomo Rizzolatti," Understanding Motor Events: A Neurophysiological Study," *Experimental Brain Research* 91 (1992): 176–80; G. Rizzolatti, L. Fadiga, V. Gallese, and L. Fogassi, "Premotor Cortex and the Recognition of Motor Actions," *Cognitive Brain Research* 3 (1996): 131–41.

ص 126 (هامش للمؤلف) - **إن عدوى التثاؤب مؤشر على وجود علاقة جسدية عميقة بين البشر . . .** للاطلاع على بحث حديث مثير للاهتمام حول عدوى التثاؤب والتعاطف، انظر

Ivan Norscia and Elisabetta Palagi, "Yawn Contagion and Empathy in *Homo sapiens*," *PLoS ONE* 6, no. 12 (2011): e28472, doi:10.1371/journal.pone.0028472.

ص 127 - **في مهمة التعرف على الانفعالات باستخدام التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي . . .** انظر

Heather L. Gordon, Abigail A. Baird, and Alison End, "Functional Differences Among Those High and Low on a Trait Measure of Psychopathy," *Biological Psychiatry* 56, no. 7 (2004): 516–21.

ص 128 - **قامت ياوي تشنج، في جامعة يانج منج الوطنية في تايوان، وزملاؤها . . .** انظر

Yawei Cheng, Ching-Po Lin, Ho-Ling Liu, Yuan-Yu Hsu, Kun-Eng Lim, Daisy Hung, and Jean Decety, "Expertise Modulates the Perception of Pain in Others," *Current Biology* 17, no. 19 (2007): 1708–13, doi:10.1016/j.cub.2007.09.020.

ص 129 (هامش للمؤلف) - **يتضمن اختبار ترير Trier للتوتر الاجتماعي . . .** انظر

Clemens Kirschbaum, Karl-Martin Pirke, and Dirk H. Hellhammer, "The Trier Social Stress Test—A Tool for Investigating Psychobiological Stress Responses in a Laboratory Setting," *Neuropsychobiology* 28, no. 1–2 (1993): 76–81.

---

(383) - جياكومو ريزولاتي Giacomo Rizzolatti (1937 -): عالم فيسيولوجيا عصبية إيطالي يعمل في جامعة بارما. وُلد في كييف ، أوكرانيا ، وهو أحد كبار العلماء في فريق البحث الذي اكتشف الخلايا العصبية المرآوية في القشرة الأمامية والجدارية للقرد المكاك macaque، وكتب العديد من المقالات العلمية حول هذا الموضوع. وهو رئيس سابق للجمعية الأوروبية للعقل والسلوك (المترجم).

ص 131 - **افترض جون راي دالة مقلوبة على شكل حرف U . . .** انظر

John J. Ray and J.A.B. Ray, "Some Apparent Advantages of Subclinical Psychopathy," *Journal of Social Psychology* 117 (1982): 135–42.

ص 132 - **"قد يكون التكيف مع كل من المستويات المرتفعة للغاية والمنخفضة للغاية من الشخصية السيكوباتية سيئًا، ويكون التكيف مع المستويات المتوسطة أفضل."** المصدر السابق

ص 133 - **قام كل من بوب هير وبول بابياك بتطوير أداة تسمى ماسح الشغل** Business Scan **(أو الماسح بي** B-Scan **باختصار)** للاطلاع على المزيد عن ماسح الشغل، انظر www.b-scan.com/index.html (تم الوصول إليه في 3 فبراير 2012). للاطلاع على مقدمة مسلية وسهلة عن السيكوباتية في بيئات الشركات، انظر

Paul Babiak and Robert D. Hare, *Snakes in Suits: When Psychopaths Go to Work* (New York: HarperBusiness, 2006).

5 - اجعلني سيكوباتيًا:

ص 138 - **". . . وقرأت تقريرًا منذ بضعة أيام يربط ارتفاعًا كبيرًا في عدد العصابات المكونة كلها من النساء . . ."** وللحصول على نكهة ما يتحدث عنه هير، انظر

Tom Geoghegan, *BBC News Magazine.* May 5, 2008, http://news.bbc.co.uk/1/hi/magazine/7380400.stm.

وللاطلاع على المزيد من وجهات النظر الأكاديمية في هذه الأمور، انظر

Susan Batchelor, "Girls, Gangs, and Violence: Assessing the Evidence," *Probation Journal* 56, no. 4 (2009): 399–414, doi:10.1177/0264550509346501.

ص 139 - **وقد أبرز عالم النفس بجامعة هارفارد ستيفن بنكر مؤخرًا ذلك . . .** انظر

Steven Pinker, *The Better Angels of Our Nature: Why Violence Has Declined* (New York: Viking, 2011).

ص 139 - **من خلال استعراض سجلات المحاكم في عدد من الدول الأوروبية . . .** انظر

Manuel Eisner, "Long-Term Historical Trends in Violent Crime," *Crime and Justice* 30 (2003): 83–142.

ص 139 - **كما تم توثيق أنماط مماثلة في أماكن أخرى - في إيطاليا وألمانيا وسويسرا وهولندا والدول الاسكندنافية.** انظر

Michael Shermer, "The Decline of Violence," *Scientific American*, October 7, 2011, www.scientificamerican.com/article.cfm?id=the-decline-of-violence.

ص 139 - **وينطبق الشيء نفسه على الحرب.** انظر

Pinker, *The Better Angels of Our Nature*, 47–56: "Rates of Violence in State and Nonstate Societies.

ص 140 - **"بدءًا من القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، والنضج في القرنين السابع عشر والثامن عشر . . ."** الاقتباس مأخوذ من "اضمحلال العنف The Decline of Violence"، 2011. تشككُ في

الادعاءات بأننا نعيش في عالم أكثر خطورة من أي وقت مضى.

ص 142 – **"مع الأوراق المالية الأكثر تعقيدًا . . .** " الاقتباس مأخوذ من

Gary Strauss, "How Did Business Get So Darn Dirty?" *USA Today* (Money), June 12, 2002, www.usatoday.com/money/covers/2002-06-12-dirtybusiness.htm.

ص 142 – **. . . وفي عدد صدر مؤخرًا من مجلة أخلاقيات العمل، يؤكد أن الأشخاص السيكوباتيين . . .** انظر

Clive R. Boddy, "The Corporate Psychopaths Theory of the Global Financial Crisis," *Journal of Business Ethics* 102, no. 2 (2011): 255–59, doi:10.1007/s10551-011-0810-4.

(تم تطبيق لقب "شركة مرعبة corporate Attila" لأول مرة على فرد جوردين،[384] الذي حقق، بصفته الرئيس التنفيذي لبنك اسكتلندا الملكي من 2001 – 2009، خسارة في الشركات بلغت 24,1 مليار جنيه إسترليني، وهي الأعلى في تاريخ المملكة المتحدة.)

ص 143 – **ومن ناحية أخرى، ومع ذلك، هناك مجتمع بشكل عام، كما يعلن تشارلز إلسون . . .** انظر

Strauss, "How Did Business Get So Darn Dirty?"

ص 143 – **"السيدة سمارت تغلبت على الأمر. ونجت منه. وانتصرت عليه."** للاطلاع على تغطية لهذا الاقتباس في وسائل الإعلام، انظر

Camille Mann, "Elizabeth Smart Was Not Severely Damaged by Kidnapping, Defense Lawyers Claim," *CBS News*, May 19, 2011, www.cbsnews.com/8301-504083_162-20064372-504083.html.

ص 145 – **في دراسة حديثة أجراها مركز الجريمة والعدالة في كلية الملك في لندن . . .** للاطلاع على تحليل متعمق لجرائم الشباب في المملكة المتحدة، بما في ذلك الانتشار والحافز وعوامل الخطر، انظر

Debbie Wilson, Clare Sharp, and Alison Patterson, "Young People and Crime: Findings from the 2005 Offending, Crime and Justice Survey" (London: Home Office, 2005).

ص 145 – **إذا وضعنا نتائج الدراسة الأخيرة التي أجرتها ساره كونراث وفريقها . . .** انظر

Sara Konrath, Edward H. O'Brien, and Courtney Hsing, "Changes in Dispositional Empathy in American College Students over Time: A Meta-Analysis," *Personality and Social Psychology Review* 15, no. 2 (2011): 180–98, doi:10.1177/1088868310377395.

ص 145 (هامش للمؤلف) – **إن مؤشر التفاعل بين الأشخاص** Interpersonal Reactivity Index (IRI) **هو استبيان موحد . . .** للاطلاع على خلفية مؤشر التفاعل بين الأشخاص وتطوره، انظر

Mark H. Davis, "A Multidimensional Approach to Individual Differences in Empathy," *JSAS Catalog of Selected Documents in Psychology* 10, no. 85

(384) - فرد جوردين Fred "the Shred" Goodwin (1958 -): مصرفي ورجل أعمال بريطاني (المترجم).

(1980); and M. H. Davis, "Measuring Individual Differences in Empathy: Evidence for a Multidimensional Approach," *Journal of Personality and Social Psychology* 44, no. 1 (1983): 113–26.

ص 145 – "إن طلاب الجامعات اليوم أقل بحوالي 40 بالمائة فيما يتعلق بالتعاطف . . . " انظر

See "Today's College Students More Likely to Lack Empathy," *U.S. News* (Health), May 28, 2010, http://health.usnews.com/health-news/familyhealth/brain-and-behavior/articles/2010/05/28/todays-college-studentsmore-likely-to-lack-empathy.

ص 145 – الأمر الأكثر إثارة للقلق، وفقًا لجان تونجي، وهي أستاذة علم النفس في جامعة ولاية سان ديبجو . . . انظر

Jean M. Twenge, Sara Konrath, Joshua D. Foster, W. Keith Campbell, and Brad J. Bushman, "Egos Inflating Over Time: A Cross-Temporal Meta-Analysis of the Narcissistic Personality Inventory," *Journal of Personality* 76, no. 4 (2008a): 875–901, doi:10.1111/j.1467-6494.2008.00507.x; Twenge et al., "Further Evidence of an Increase in Narcissism Among College Students," *Journal of Personality* 76 (2008b): 919–27, doi:10.1111/j.1467-6494.2008.00509.x.

ص 146 – "يرى كثير من الناس المجموعة الحالية من طلاب الجامعات، والتي يطلق عليها أحيانًا اسم 'جيل أنا'" . . . انظر

U.S. News, "Today's College Students More Likely to Lack Empathy."

ص 146 – "لم يكن الناس يتعرضون بالطريقة نفسها للقيم التقليدية . . . " انظر

Thomas Harding, "Army Should Provide Moral Education for Troops to Stop Outrages," *The Telegraph*, February 22, 2011, www.telegraph.co.uk/news/8341030/Army-should-provide-moraleducation-for-troops-to-stop-outrages.html.

ص 146 – لكن بدايات إجابة أكثر جوهرية قد تكمن في . . . انظر

Nicole K. Speer, Jeremy R. Reynolds, Khena M. Swallow, and Jeffrey M. Zacks, "Reading Stories Activates Neural Representations of Perceptual and Motor Experiences," *Psychological Science* 20, no, 8 (2009): 989–99.

ص 147 – يجعلنا، كما يعبر نيكولاس كار في مقاله الأخير . . . انظر

Nicholas Carr's "The Dreams of Readers" appears in Mark Haddon (ed.), *Stop What You're Doing and Read This!* (London: Vintage, 2011)

مجموعة من المقالات حول القوة التحويلية للقراءة.

ص 147 (هامش للمؤلف) – وفقًا لمسح عام 2011 أجرته الجمعية الخيرية في المملكة المتحدة . . . انظر

Christina Clark, Jane Woodley, and Fiona Lewis, *The Gift of Reading in 2011: Children and Young People's Access to Books and Attitudes Towards Reading*—

انظر

www.literacytrust.org.uk/assets/0001/1303/The_Gift_of_Reading_in_2011.pdf.

ص 147 – ... كنا نتحدث عن ظهور قانون علم الأعصاب . . . للاطلاع على مقدمة رائعة عن ظهور

هذا التخصص الفرعي عن القانون وعلم الأعصاب neurolaw، انظر

David Eagleman, "The Brain on Trial," *The Atlantic.*, July/August 2011, www.theatlantic.com/magazine/print/2011/07/the-brain-on-trial/8520/.

ص 147 – **نُشرت دراسة تمثل نقطة تحول عام 2002** . . . انظر

Avshalom Caspi, Joseph McClay, Terrie E. Moffitt, Jonathan Mill, Judy Martin, Ian W. Craig, Alan Taylor, and Richie Poulton, "Role of Genotype in the Cycle of Violence in Maltreated Children," *Science* 297, no. 5582 (2002): 851–54, doi:10.1126/science.1072290.

ص 148 – **وقد انتشرت آثار الاكتشاف في قاعات المحاكم** . . . للاطلاع على مناقشة دقيقة للبحث، والجدل حول "جين المحارب"، انظر

Ed Yong, "Dangerous DNA: The Truth About the 'Warrior Gene,' " *New Scientist*, April 12, 2010, www.newscientist.com/article/mg20627557.300-dangerous-dna-thetruth-about-the-warrior-gene.html?page=1.

ص 148 – **عام 2006، قام ويلي ريتشاردسون، محامي برادلي والدروب** . . . لمعرفة المزيد عن قضية والدروب، انظر

"What Makes Us Good or Evil?" BBC Horizon, September 7, 2011, www.youtube.com/watch?v=xmAyxpAFS1s.

لمعرفة المزيد عن الملامح العصبية والجينية والنفسية للقتلة العنيفين، استمع إلى سلسلة باربرا برادلي هجيرتي[385] الممتازة بعنوان

Inside the Criminal Brain, NPR, June 29–July 1, 2010, www.npr.org/series/128248068/inside-the-criminal-brain.

ص 149 – **تم طرح موضوع قانون علم الأعصاب في سياق مناقشة أوسع** . . . لمعرفة المزيد عن ظهور مجال علم الأعصاب الثقافي، انظر

Joan Y. Chiao and Nalini Ambady, "Cultural Neuroscience: Parsing Universality and Diversity across Levels of Analysis," in Shinobu Kitayama and Dov Cohen, eds., *Handbook of Cultural Psychology* (New York: Guilford Press, 2007), 237–54; and Joan Y. Chiao, ed., *Cultural Neuroscience: Cultural Influences on Brain Function*, Progress in Brain Research (New York: Elsevier, 2009).

ص 150 – . . . **فرع جديد تمامًا متفرع من علم الوراثة السائد** . . . للاطلاع على مقدمة واضحة وسهلة في مجال علم الوراثة اللاجينية epigenetics، انظر

Nessa Carey, *The Epigenetics Revolution: How Modern Biology Is Rewriting Our Understanding of Genetics, Disease, and Inheritance* (New York: Columbia University Press, 2012).

ص 150 – **يحدثني بوب هير عن دراسة أجريت في السويد في ثمانينيات القرن العشرين** . . . انظر

---

(385) - باربرا برادلي هجيرتي Barbara Bradley Hagerty: كاتبة وصحفية أمريكية. أحدث كتبها **إعادة تصور الحياة: العلم والفن وفرصة منتصف العمر** *Life Reimagined: The Science, Art, and Opportunity of Midlife* (2016) (المترجم).

Gunnar Kaat, Lars O. Bygren, and Sören Edvinsson, "Cardiovascular and Diabetes Mortality Determined by Nutrition During Parents' and Grandparents' Slow Growth Period," *European Journal of Human Genetics* 10, no. 11 (2002): 682–88, doi:10.1038/sj.ejhg.5200859.

ص 151 – "كان هناك كاتب في الستينيات، آلان هارينجتون . . . " انظر:

Alan Harrington, *Psychopaths* (New York: Simon & Schuster, 1972).

ص 151 – "هل أخبرتك عن [هذا] البحث الذي يظهر أن الأشخاص الذين لديهم مستويات عالية من هرمون التستوستيرون . . . " انظر

Robert A. Josephs, Michael J. Telch, J. Gregory Hixon, Jacqueline J. Evans, Hanjoo Lee, Valerie S. Knopik, John E. McGeary, Ahmad R. Hariri, and Christopher G. Beevers, "Genetic and Hormonal Sensitivity to Threat: Testing a Serotonin Transporter Genotype X Testosterone Interaction," doi:10.1016/j.psyneuen.2011.09.006.

ص 152 – باعتبارها خلفية مسلية، تعزف فرقة أدفرتس "عينا جاري جيلمور" ... انظر

"Gary Gilmore's Eyes" / "Bored Teenagers" (August 19, 1977: Anchor Records ANC1043).

ص 153 – طور التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (أو *TMS* اختصارًا) لأول مرة الدكتور أنتوني باركر . . . للاطلاع على دراسة افتتاحية عن استخدام التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة، انظر

Anthony T. Barker, Reza Jalinous, and Ian L. Freeston, "Non-Invasive Magnetic Stimulation of Human Motor Cortex," *Lancet* 325, no. 8437 (1985): 1106–07, doi:10.1016/S0140-6736(85)92413-4.

ص 155 – في الواقع، قامت ليان يونج وفريقها في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا . . . انظر

Liane Young, Joan Albert Camprodon, Marc Hauser, Alvaro Pascual-Leone, and Rebecca Saxe, "Disruption of the Right Temporoparietal Junction with Transcranial Magnetic Stimulation Reduces the Role of Beliefs in Moral Judgments," *PNAS* 107, no. 15 (2010): 6753–58, doi:10.1073/pnas.0914826107.

تخيل أنك تراقب موظفًا في مصنع كيميائي يسكب بعض السكر في فنجان قهوة زميله في عمل. يتم تخزين السكر في إناء عليه علامة "سام". وأنت تشاهده يفعل ذلك، ينفتح فجأة صدع في الوقت المناسب، ويخرج منه، في نفخة مراوغة من الدخان، يظهر فيلسوف أخلاقي أثيري، في بدلة الخطر وهو يلبس نظارة، ويعرض عليك أربعة سيناريوهات. تتضمن هذه السيناريوهات بعدين مستقلين للفضاء الاحتمالي، يتعامدان معًا. يتعلق البُعد الأول بما يعتقد الموظف أنه محتويات الإناء (سكر أو مسحوق سام). يُعين البُعد الثاني ما يحتويه الإناء بالفعل (سكر أو مسحوق سام). إذن، لدينا بالفعل المزيج التالي من الاحتمالية الكمية، المقطر من كوكتيل من النتيجة والمعتقد الشخصي (انظر الشكل أدناه):

1 – يعتقد الموظف أن المسحوق سكر. وهو بالفعل سكر. الزميل يشرب القهوة. ويبقى على قيد الحياة.

2 – يعتقد الموظف أن المسحوق سكر. لكنه، في الواقع، سام. الزميل يشرب القهوة. ويموت.

3 – يعتقد الموظف أن المسحوق سام. لكنه سكر. الزميل يشرب القهوة. ويبقى على قيد الحياة.

4 - يعتقد الموظف أن المسحوق سام. وقد خمَّنْتَ أنت بأنه بالفعل سام. الزميل يشرب القهوة. ويموت.

مع الأخذ في الاعتبار أنه وفقًا لمبدأ أساسي في القانون الجنائي، فإن "الفعل لا يجعل الشخص مذنبًا إلا إذا كان العقل مذنبًا أيضًا"، مسموح به إلى أي حد، كما يسأل الفيلسوف، على مقياس من 1 إلى 7 (1 = ممنوع تمامًا؛ 7 = حسنًا تمامًا)، هل تقيم إجراءات الموظف لتكون في كل سيناريو من هذه السيناريوهات الأربعة؟

عام 2010، طلبت ليان يونج، في قسم الدماغ والعلوم المعرفية، في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وزملاؤها من المتطوعين إصدار هذه الأحكام بدقة، باعتبارها جزءًا من الفحص في علم الأحياء العصبي لإصدار قرار أخلاقي.

ولكن كانت هناك مفاجأة.

قبل أن يصدروا أحكامهم، تلقى بعض المشاركين في الدراسة التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة (TMS) في منطقة من الدماغ معروفة بارتباطها بالمعالجة الأخلاقية (التقاطع الصدغي الجداري الأيمن right temporoparietal junction، أو RTPJ اختصارًا). بشكل أكثر تحديدًا (مما يجعله مختلفًا عن الطمس zapping الأخلاقي الذي كان أحمد عبد الكريم يصل إليه في الفصل الرابع)، والمعالجة الأخلاقية عند تقييم المعتقدات والمواقف والنوايا الكامنة وراء تصرفات طرف ثالث.

هل سيؤثر هذا التحفيز المصطنع للتقاطع الصدغي الجداري الأيمن للمشاركين على طريقة رؤيتهم للسيناريوهات المختلفة؟ تساءلت يونج وزملاؤها. بعبارة أخرى، هل الأخلاق مرنة؟

وقد اتضح أن الجواب كان نعم.

حين تمت مقارنة الأحكام الأخلاقية للمجموعة التجريبية مع أحكام المجموعة المقابلة التي تلقت التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة في موقع تحكم (أي ليس في التقاطع الصدغي الجداري الأيمن)، اكتشفت يونج نمطًا محددًا. في السيناريو 3 (حيث يُقصد الضرر، ولكن النتيجة تبين أنها إيجابية)، اعتبر المشاركون الذين تلقوا التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة في التقاطع الصدغي الجداري الأيمن أن عمل الموظف مسموح به أخلاقيًا أكثر من أولئك الذين تلقوا التحفيز في مكان آخر.

يبدو أن الأخلاق يمكن التلاعب بها. أو بالأحرى، يمكن التلاعب بأحد مكوناتها. قد ترتفع القدرة على وصف بدقة بشكل متعمد في الحكم على سلوك شخص آخر إلى أعلى أو تهبط إلى أسفل.

ص 157 – **عام 1993، في كتاب يحمل اسمها . . .** انظر

Andy McNab, *Bravo Two Zero: The Harrowing True Story of a Special Forces Patrol Behind the Lines in Iraq* (London: Bantam Press, 1993; New York: Dell, 1994).

ص 158 – **يُطلق على البرنامج اسم الإقناع المفرط** ... للاستماع للبرنامج انتقل إلى www.bbc.co.uk/programmes/p006dg3y.

ص 158 – ومثل معظم الأشياء في الفوج، هناك سبب وجيه لذلك. للاطلاع على المزيد عن خبرات آندي مكناب في الخدمة الجوية الخاصة، بما في ذلك عملية الاختيار المخيفة وأساليب الاستجواب، انظر

Andy McNab, *Immediate Action: The Explosive True Story of the Toughest—and Most Highly Secretive—Strike Force in the World* (London: Bantam Press, 1995; New York: Dell, 1996).

6 – الانتصارات السبعة المميتة:

ص 173 – **. . . بعد انطلاق المسح السيكوباتي البريطاني الكبير.** للاستماع إلى البرنامج، انتقل إلى http://soundcloud.com/profkevindutton/great-britishpsychopath.

ص 173 – تم توجيه المشاركين إلى موقع الويب الخاص بي، حيث أكملوا مقياس ليفنسون للتقرير الذاتي للسيكوباتية . . . انظر

Michael R. Levenson, Kent A. Kiehl, and Cory M. Fitzpatrick, "Assessing Psychopathic Attributes in a Noninstitutionalized Population," *Journal of Personality and Social Psychology* 68, no. 1 (1995): 151–58.

لإجراء الاختبار، انتقل إلى

www.kevindutton.co.uk/.

ص 175 – مركز بادوك عبارة عن إدارة مغلقة ومتخصصة للغاية خاصة باضطرابات الشخصية . . . من الصعب للغاية علاج السيكوباتيين، وغالبًا ما يكون سحرهم ومهاراتهم الإقناعية تتملق تمامًا بكل معنى الكلمة للخداع – مما يعطي الانطباع بأن التقدم قد تم إحرازه، في حين، في الواقع، يتصرف الشخص السيكوباتي لإعادة التأهيل بالترتيب (في معظم الحالات) للحصول على الإفراج المشروط. في الآونة الأخيرة، ومع ذلك، فإن العلاج الجديد للحالات المستعصية للمذنبين الأحداث من ذوي الميول السيكوباتية قد تؤدي إلى التفاؤل. حقق مايكل كالدويل،[386] وهو أخصائي نفسي في مركز علاج الأحداث في ميندوتا في ماديسون، ويسكونسن، نتائج واعدة باستخدام تقنية علاج مكثفة فردية تعرف باسم تخفيف الضغط decompression: والهدف منها هو إنهاء الحلقة المفرغة التي يتم فيها العقاب على السلوك السيئ الذي يلهم المزيد من السلوك السيئ، والذي يتم بدوره يتطلب العقاب مرة أخرى . . . وهكذا، وهكذا . . . بمرور الوقت، أصبح سلوك الشباب المسجونين الذين يعالجهم كالدويل أكثر قابلية للعلاج تدريجيًا، مما أدى إلى تمكنهم لاحقًا من المشاركة في خدمات إعادة التأهيل السائدة. لتوضيح ذلك، كانت مجموعة من أكثر من 150 شابًا مسجلين في برنامج كالدويل أقل عرضة بنسبة 50 بالمائة للانخراط في جرائم عنيفة بعد العلاج من مجموعة مماثلة خضعت لإعادة تأهيل في مرافق

---

(386) - مايكل كالدويل Michael Caldwell: محاضر في علم النفس في جامعة ويسكونسن ماديسون وأخصائي نفسي كبير في مركز علاج الأحداث في ميندوتا. كان يشغل منصب رئيس جمعية ويسكونسن لمعاملة المسيئين الجنسيين (المترجم).

إصلاحية منتظمة للأحداث.

لمزيد من المعلومات حول تخفيف الضغط وعلاج السيكوباتيين بشكل عام، انظر

Michael F. Caldwell, Michael Vitacco, and Gregory J. Van Rybroek, "Are Violent Delinquents Worth Treating? A Cost-Benefit Analysis," *Journal of Research in Crime and Delinquency* 43, no. 2 (2006): 148–68, doi:10.1177/0022427805280053.

ص 186 – **لنتأمل شخصية ستيف جوبز.** انظر

John Arlidge, "A World in Thrall to the iTyrant," Sunday *Times* News Review, October 9, 2011.

ص 188 – **أظهر جيمس ريلينج، وهو أستاذ مساعد في الأنثروبولوجي في جامعة إموري . . .** انظر

James K. Rilling, Andrea L. Glenn, Meeta R. Jairam, Giuseppe Pagnoni, David R. Goldsmith, Hanie A. Elfenbein, and Scott O. Lilienfeld, "Neural Correlates of Social Cooperation and NonCooperation as a Function of Psychopathy," *Biological Psychiatry* 61, no. 11 (2007): 1260–71.

ص 189 - **أظهر لي كرست وريتشارد كيجان من جامعة لينكولن . . .** انظر

Crust and Keegan, "Mental Toughness and Attitudes to Risk-Taking," *Personality and Individual Differences* 49, no. 3 (2010): 164–68.

ص 193 – **إن مارك وليمز، أستاذ علم النفس الإكلينيكي . . .** يتمركز وليمز وفريقه في مركز أكسفورد للتركيز التام Oxford Mindfulness Centre، جامعة أكسفورد. تعرف على المزيد حول البحث الحالي في المركز من خلال زيارة موقعه على الإنترنت:

http://oxfordmindfulness.org/. For those interested in reading about mindfulness, see also Mark Williams and Danny Penman, *Mindfulness: A Practical Guide to Finding Peace in a Frantic World* (London: Piatkus, 2011; New York: Rodale Books, 2011).

ص 195 – **ما الذي يجعل المرء تاجرًا ناجحًا على وجه التحديد؟** تمت كتابة رزم في الرد على هذا السؤال. بالنسبة إلى أولئك الذين يرغبون في الاطلاع على المسألة بشكل خفيف، ودمج القليل من الخيال في المزيج، أوصي بشدة برواية من تأليف روبرت هاريس:[387] **مؤشر الخوف** *The Fear Index* (نيويورك: نوف Knopf، 2012).

ص 197 – **. . . الواقع "المتخيل" والمحتمل يكون أكثر إزعاجًا بكثير . . .** انظر

Artur Z. Arthur, "Stress as a State of Anticipatory Vigilance," *Perceptual and Motor Skills* 64, no. 1 (1987): 75–85, doi:10.2466/pms.1987.64.1.75.

7 – العقل السوبر:

ص 202 – **يستشهد آلان هارينجتون ببعض الأمثلة: "السكارى والمزورون . . ."** انظر

Alan Harrington, *Psychopaths* (New York: Simon & Schuster, 1972), 45.

ص 203 – **يتبين أن ما يؤمن [الشخص السيكوباتي] بأنه يحتاج إلى الاحتجاج عليه . . . "** انظر

---

(387) - روبرت هاريس Robert Harris (1957 -): روائي بريطاني (المترجم).

Cleckley, *The Mask of Sanity* (St. Louis, MO: C. V. Mosby, 1941, 1976), 391, www.cassiopaea.org/cass/sanity_1.pdf.

ص 203 – إن [الشخص السيكوباتي] واحد من أفراد النخبة، يتسم بالقسوة المحتملة لواحد من أفراد النخبة . . . " انظر

Norman Mailer, *The White Negro*, first published in *Dissent* (Fall 1957), www.learntoquestion.com/resources/database/archives/003327.html.

ص 204 - "سواء أردنا أن نعترف بذلك أو لم نرد . . . " انظر

Harrington, *Psychopaths*, 233.

ص 204 – القديس بولس، كما يُشار إليه اليوم . . . للاطلاع على سيرة مفصلة عن القديس بولس ونظرات ثاقبة مستنيرة في سيكولوجيته المعقدة، انظر

A. N. Wilson, *Paul: The Mind of the Apostle* (New York: W. W. Norton, 1997).

ص 205 – " إخفاقًا تامًّا للتبجح السياسي، وسرعان ما ترك بولس أنطاكية . . . " انظر

L. Michael White, *From Jesus to Christianity: How Four Generations of Visionaries and Storytellers Created the New Testament and Christian Faith* (San Francisco: HarperCollins, 2004), 170.

ص 207 - "إذا كنت تستطيع أن تلتقي بالانتصار والكارثة . . . " "إذا – "، قصيدة روديارد كبلينج التي أخذ منها هذان البيتان ظهرت أول مرة في مجموعته **المكافآت والجنيات** *Rewards and Fairies* (لندن، ماكميلان Macmillan، 1910).

ص 207 - ديريك ميتشل من الكلية الجامعية، في لندن . . . انظر

Derek G. V. Mitchell, Rebecca A. Richell, Alan Leonard, and James R. Blair, R. "Emotion at the Expense of Cognition: Psychopathic Individuals Outperform Controls on an Operant Response Task," *Journal of Abnormal Psychology* 115, no. 3 (2006): 559–66.

ص 210 – في الواقع، إن هذه القدرة على التركيز التام على المهمة التي يقوم بها المرء . . . للاطلاع على المزيد عن مفهوم التدفق، انظر

Mihály Csíkszentmihályi, *Finding Flow: The Psychology of Engagement with Everyday Life* (New York: Basic Books, 1996).

ص 210 – عام 2011، اكتشف مارتن كلاسين في جامعة آخن أن لحظات التدفق . . . انظر

Martin Klasen, Rene Weber, Tilo T. J. Kircher, Krystyna A. Mathiak, and Klaus Mathiak, "Neural Contributions to Flow Experience During Video Game Playing," *Social Cognitive and Affective Neuroscience* 7, no. 4 (2012): 485–95, doi:10.1093/scan/nsr021.

ص 210 - في العام نفسه الذي كان مارتن كلاسين يلعب فيه ألعاب الفيديو، أعد كينت كيل جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي النقال على ثماني عشرة عجلة من سيارته للعمل . . . انظر

Elsa Ermer, Joshua D. Greene, Prashanth K. Nyalakanti, and Kent A. Kiehl, "Abnormal Moral Judgments in Psychopathy," poster presented at the Society for the Scientific Study of Psychopathy Conference, Montreal,

Canada, May 2011.

ص 214 - **اكتشف عالم الأعصاب ريتشارد دافيدسون،[388] في جامعة ويسكونسن، على وجه التحديد البروفايل نفسه . . . انظر**

Antoine Lutz, Lawrence L. Greischar, Nancy B. Rawlings, Matthieu Ricard, and Richard J. Davidson, "Long-Term Meditators Self-Induce High-Amplitude Gamma Synchrony During Mental Practice," *PNAS* 101, no. 46 (2004): 16369–73, doi:10.1073/pnas.0407401101.

ريتشارد دافيدسون مدير مختبر علم الأعصاب الوجداني بجامعة ويسكونسن. لمعرفة المزيد عن عمله، قم بزيارة موقع المعمل على: .http://psyphz.psych.wisc.edu، انظر أيضًا

Richard J. Davidson and Sharon Begley, *The Emotional Life of Your Brain: How Its Unique Patterns Affect the Way You Think, Feel, and Live —And How You Can Change Them* (New York: Hudson Street Press, 2012).

ص 214 - **"إن هناك الكثير من الأدلة [التي تشير] إلى أن أفضل الرياضيين من الرجال والنساء . . . "**

الاقتباس مأخوذ من

Steve Conner, "Psychology of Sport: How a Red Dot Swung It for Open Champion," *The Independent*, July 20, 2010, www.independent.co.uk/sport/general/others/psychology-of-sporthow-a-red-dot-swung-it-for-open-champion-2030349.html.

ص 215 - **"يُحفظ الذهن عمدًا في مستوى الاهتمام المجرد . . . " انظر**

Bikkhu Bodhi, "Right Mindfulness (Samma Sati)," chapter 6 in *The Noble Eightfold Path: The Way to the End of Suffering* (Onalaska, WA: BPS Pariyatti Publishing, 2000).

ص 215 - **وفقًا لماساتيباسانا سوتا . . . انظر**

Mahasatipatthana Sutta: The Great Discourse on the Establishing of Awareness (Onalaska, WA: Vipassana Research Publications, 1996).

ص 216 - **"المكون الأول [لليقظة الذهنية التامة] ينطوي على التنظيم الذاتي للانتباه . . . " انظر**

Scott R. Bishop, Mark Lau, Shauna Shapiro, Linda Carlson, Nicole D. Anderson, James Carmody, Zindel V. Segal, et al., "Mindfulness: A Proposed Operational Definition," *Clinical Psychology: Science and Practice* 11, no. 3 (2004): 230–41, doi:10.1093/clipsy.bph077.

ص 216 - **"يوجد في ذهن المبتدئ العديد من الاحتمالات . . . " انظر**

Shunryu Suzuki, *Zen Mind, Beginner's Mind: Integrated Talks on Zen Meditation and Practice*, Trudy Dixon and Richard Baker, eds. (New York and Tokyo: Weatherhill, 1970).

ص 218 - **يبدو أن السيكوباتيين ليسوا قساة وغير انفعاليين . . . انظر**

Mehmet Mahmut and Louise Cridland, "Exploring the Relationship Between Psychopathy and Helping Behaviors," poster presented at the Society for the Scientific Study of Psychopathy Conference, Montreal, Canada, May 2011.

---

(388) - ريتشارد دافيدسون Richard Davidson (1951 -): عالم نفس وعالم أعصاب أمريكي (المترجم).

ص 220 - "إن المتعة هي ما يكمن في ممارستك لكل فضيلة من فضائلك . . . " انظر

W. Somerset Maugham, *Of Human Bondage* (London: George H. Doran and Company, 1915).

ص 221 - ومثالًا على ذلك، بدأت ديانا فالكنباخ وماريا تسوكالاس . . . انظر

As a case in point, Diana Falkenbach and Maria Tsoukalas ... Falkenbach and Tsoukalas, "Can Adaptive Psychopathic Traits Be Observed in Hero Populations?" Poster presented at the Society for the Scientific Study of Psychopathy Conference. Montreal, Canada, May 2011.

ص 221 - فيليب زيمباردو، مؤسس مشروع الخيال البطولي . . . للعثور على المزيد عن مشروع الخيال البطولي، زر موقعه على الإنترنت في

http://heroicimagination.org/.

221 - عام **1971**، في تجربة انطلقتْ منذ فترة طويلة . . . انظر

Philip G. Zimbardo, "The Power and Pathology of Imprisonment," Hearings before Subcommittee No. 3 of the Committee on the Judiciary, House of Representatives, Ninety-Second Congress, First Session on Corrections, Part II, Prisons, Prison Reform and Prisoner's Rights: California, *Congressional Record*, Serial No. 15, October 25, 1971. Washington, DC: U.S. Government Printing Office, 1971, www.prisonexp.org/pdf/congress.pdf.

222 - . . . "تدهور في الكفاءة العقلية، واختبار الواقع، والأحكام الأخلاقية" . . . انظر

Irving L. Janis, *Groupthink: A Psychological Study of Policy Decisions and Fiascoes*, 2nd ed. (Boston: Houghton Mifflin, 1982).

224 - مثل هذا الموقف من شأنه أن يتوافق بشكل أفضل . . . انظر

Timothy A. Judge, Beth A. Livingston, and Charlice Hurst, "Do Nice Guys—and Gals—Really Finish Last? The Joint Effects of Sex and Agreeableness on Income," *Journal of Personality and Social Psychology* 102, no. 2 (2012): 390–407, doi:10.1037/a0026021.

225 - كشفت الدراسات أنه حين يتم عرض صور مزعجة . . . انظر

Uma Vaidyanathan, Jason R. Hall, Christopher J. Patrick, and Edward M. Bernat, "Clarifying the Role of Defensive Reactivity Deficits in Psychopathy and Antisocial Personality Using Startle Reflex Methodology," *Journal of Abnormal Psychology* 120, no. 1 (2011): 253–58, doi:10.1037/a0021224.

226 - " . . . لكن أيًّا من هذين السيناريوهين لم يتلاءم مع بروفايل هذا الرجل . . . " وبالنسبة إلى الراغبين في معرفة المزيد عن علم التنميط الإجرامي، يمكنهم الاطلاع على

Brent Turvey, *Criminal Profiling: An Introduction to Behavioral Evidence Analysis* (San Diego: Academic Press, 1999); David V. Canter and Laurence J. Alison, eds., *Criminal Detection and the Psychology of Crime* (Brookfield, VT: Ashgate Publishing, 1997).

228 - "لكن بالنسبة إلى الفئة أخرى من السفاحين، أولئك الذين نسميهم السفاحين الساديين . . . "

انظر

Andreas Mokros, Michael Osterheider, Stephen J. Hucker, and Joachim Nitschke, "Psychopathy and Sexual Sadism," *Law and Human Behavior* 35, no. 3 (2011): 188–99.

يميز تصنيف كيلهر[389] Kelleher للسفاحين الذكور مثل هؤلاء الأفراد إلى أربع فئات منفصلة: الحالمون Visionaries، والمبشرون Missionaries، والباحثون عن المتعة Hedonists، والباحثون عن السلطة Power Seekers. يستجيب الحالمون للرسائل النفسية، والتواصل الإلهي، و / أو الأنا egos المتغيرة المؤثر التي تأمرهم بالقتل. ويشعر المبشرون بأنهم ملزمون أمام أنفسهم "بتنظيف" المجتمع، وعادة ما يستغلون المومسات أو غيرهن من أهداف الأقليات المعينة بشكل انتقائي مثل المثليين، أو مجموعات عرقية أو دينية معينة. والباحثون عن المتعة - النوع الأكثر شيوعًا من السفاحين الذكور - غالبًا ما يكون موجهًا للمتعة، وغالبًا ما يشعر بالنشوة من القتل. ويمكن تقسيمهم أيضًا إلى ثلاثة أنواع فرعية مميزة: قتلة الشهوة (الذين يقتلون من أجل الإشباع الجنسي)، قتلة التشويق (الذين يقتلون فقط من أجل متعة اقتناص فرائسهم وذبحهم)، وقتلة الارتياح (الذين يقتلون من أجل كسب مادي). وأخيرًا، يقتل الباحثون عن السلطة للسيطرة على ضحاياهم. العديد من هؤلاء القتلة يسيئون إلى ضحاياهم جنسيًا، لكنهم يختلفون عن قتلة الشهوة في أن الاغتصاب يستخدم على أنه وسيلة للسيطرة، بدلًا من الإشباع الجنسي.

يتكون تصنيف كيلهر Kelleher للسفاحات من خمسة أنواع مختلفة: الأرامل السوداء Black Widows، وملائكة الموت Angels of Death، والمفترسات الجنسيات Sexual Predators، وقاتلات الانتقام Revenge Killers، وقاتلات الربح. تقتل الأرامل السوداء أفراد العائلة والأصدقاء وأي شخص أقمن معه علاقة شخصية وثيقة، والهدف الأساسي هو لفت الانتباه والتعاطف. وتعمل ملائكة الموت في المستشفيات ودور العجزة وهن مبتهجات بسلطتهن على الحياة والموت، وغالبًا ما يجلبن الضحايا إلى حافة الموت ثم "يعالجونهم" بأعجوبة. عادة ما يتم تشخيص هذا النوع من القاتلات بمتلازمة مونخاهوزن بالوكالة.[390]

إن دوافع المفترسات الجنسيات وقاتلات الانتقام وقاتلات الربح، على التوالي، واضحة إلى حد ما - على

---

(389) - مايكل كيلهر Michael D. Kelleher؛ س. ل. كيلهر C.L. Kelleher: مؤلفان كتبا على نطاق واسع في موضوع العنف، ومايكل متخصص في تقييم التهديدات، والإدارة الإستراتيجية، وإدارة الموارد البشرية للمنظمات في القطاعين العام والخاص (المترجم).

(390) - بمتلازمة مونخاهوزن بالوكالة Munchausen Syndrome by Proxy: خلل نفسي خطير، حيث يتسبب مقدم الرعاية في مرض شخص تحت رعايته أو إصابته (المترجم).

الرغم من أنه يجب ملاحظة أن المفترسات الجنسيات نادرات للغاية (يمكن القول أن ألين ورنوس[391] هي إلى حد كبير المثال الوحيد لسفاحة ينطبق عليها هذا الوصف). على النقيض من ذلك، تشكل قاتلات الربح أكثر أنواع السفاحات شيوعًا، حيث يقع ما يقرب من ثلاثة أرباع هؤلاء النساء في هذه الفئة.

بالنسبة إلى أولئك الذين يرغبون في معرفة المزيد عن السفاحين، من كل من الذكور والإناث، يمكنهم الاطلاع على

Michael D. Kelleher and C.L. Kelleher, *Murder Most Rare: The Female Serial Killer* (Westport, CT: Praeger, 1998); and Michael Newton, *The Encyclopedia of Serial Killers*, 2nd ed. (New York: Checkmark Books, 2006).

ص 228 – "... وقدرًا ضئيلًا من 'نظرية العقل' ... " انظر

Heinz Wimmer and Josef Perner, "Beliefs About Beliefs: Representation and Constraining Function of Wrong Beliefs in Young Children's Understanding of Deception," *Cognition* 13, no. 1 (1983): 103–28, doi:10.1016/0010-0277(83)90004-5.

ص 229 – يحكي لي بيزلي عن دراسة أجراها ألفرد هيلبرن ... انظر

Alfred B. Heilbrun, "Cognitive Models of Criminal Violence Based upon Intelligence and Psychopathy Levels," *Journal of Consulting and Clinical Psychology* 50, no. 4 (1982): 546–57.

ص 230 – بول إكمان، في جامعة كاليفورنيا، في مدينة بيركلي ... يوصف عمل بول إكمان وروبرت ليفنسون في

Daniel Goleman, "Dalai Lama" (foreword), *Destructive Emotions: How Can We Overcome Them? A Scientific Dialogue with the Dalai Lama* (New York: Bantam Books, 2003).

وللاطلاع على خلفية عامة، انظر أيضًا

Paul Ekman, Richard J. Davidson, Matthieu Ricard, and B. Alan Wallace, "Buddhist and Psychological Perspectives on Emotions and Well-Being," *Current Directions in Psychological Science* 14, no. 2 (2005): 59–63, doi:10.1111/j.0963-7214.2005.00335.x.

ص 231 – وقد اكتشفت مؤخرًا صابرينا ديمتريوف، من جامعة كولومبيا البريطانية ... البيانات لم تنشر بعد.

ص 233 – ... قارن كريس باتريك من جامعة ولاية فلوريدا ردود فعل الأشخاص السيكوباتيين والأشخاص غير السيكوباتيين ... انظر

Christopher J. Patrick, Margaret M. Bradley, and Peter J. Lang, "Emotion in the Criminal Psychopath: Startle Reflex Modulation," *Journal of Abnormal Psychology* 102, no. 1 (1993): 82–92.

---

(391) - ألين ورنوس Aileen Wuornos [(1956 - 2002)]: سفاحة أمريكية مثلية، كانت تقيم علاقات جنسية مع ضحاياها وتتخلص من جثثهن في الغابة (المترجم).

ص 233 - كتب المعلم البوذي أتيسا في القرن الحادي عشر أن أعظم قيمة . . . للاطلاع على دليل سهل الفهم لكتابات أتيسا وفلسفته، انظر

Geshe Sonam Rinchen, *Atisha's Lamp for the Path to Enlightenment*, ed. and trans. by Ruth Sonam (Ithaca, NY: Snow Lion Publications, 1997).

ص 234 - تشير أحدث أرقام جرائم مكتب التحقيقات الفدرالي . . .

Blake Morrison, "Along Highways, Signs of Serial Killings," *USA Today*, October 5, 2010, www.usatoday.com/news/nation/2010-10-05-1Ahighwaykiller05_CV_N.htm.

ص 238 - إنها قصيدة عن العث . . . انظر

Don Marquis, "the lesson of the moth," in *The Annotated Archy and Mehitabel*, ed. Michael Sims (New York: Penguin, 2006).



كلمة شكر وتقدير

من الناحية النفسية، هناك عدد كبير من الكُتَّاب وهم يختلفون غالبًا اختلافًا كبيرًا عن بعضهم البعض. بالنسبة لي، قد يكون من السهل نسبيًّا أن أكتب كتابًا يجعل الناس يضحكون. لكن كتابة كتاب يجعل الناس يضحكون ويفكرون - كما فعلت من قبل مع كتاب **فليبنوسيس** *Flipnosis* (أو هكذا يقول لي الذين يعجبون بي) – يكون أكثر صعوبة. وكتابة كتاب يجعل الناس يفكرون، حسنًا . . . لا يكون سهلًا على الإطلاق.

يمكن القول إن كتاب **حكمة السيكوباتيين** يندرج ضمن هذه الفئة الثالثة (على الرغم من أنني نجحت، في بعض الأحيان، من رسم ابتسامة، دعنا لا نختلف حول ذلك). إن السيكوباتيين رائعون بشكل لا يمكن إنكاره. لكن الحقيقة الواضحة هي أنه لا يوجد شيء غريب بشأنهم. يمكن أن يكونوا خطيرين ومدمرين وقاتلين - وعلى أي كاتب جاد أن يتعامل معهم بحكمة على الصفحة المطبوعة كما لو كان يواجههم في الحياة الواقعية.

وهذه الحالة التحريرية الدقيقة أكثر أهمية في ظل ظروف التأييد الوجودي: حين يطور المرء فكرة أن دماغ السيكوباتي ليس في مجمله، العالم الجليدي، غير المضياف الذي يلمح، كما هو الحال في كثير من الأحيان، في المدار العصبي البعيد داخل الأجواء الشبكية الكثيفة teeming synaptic firmament، ولكنه يقدم بدلًا من ذلك - على عكس الاعتقاد الشائع – ملجأ نفسيًّا صالحًا للسكن للأشخاص العاديين المألوفين خلال مسار حياتهم اليومية (على الأقل، أي في مناطقه الأكثر لطفًا والأكثر اعتدالًا). يجب تقديم الدليل ضمن حجة علمية محكمة، ومعقمة تجريبيا للقضاء على حتى أكثر الميكروبات

اللامحدودة، ميكروبات المغالاة والتألق، والاستنتاجات المتولدة في ظل ظروف محكمة للغاية، وآمنة للغاية.

ومع ذلك، فإن السيكوباتيين مخادعون على الورق بقدر ما هم مخادعون حين نلتقي بهم وجها لوجه . . . وتؤكد لي زوجتي أنني لم أفلت من براثنهم النفسية الملتوية دون أن أصاب بأذى. إنني في ختام هذا الكتاب، على ما يبدو، قد تقدمت قليلًا على طيف السيكوباتية أكثر مما كنت عليه في بدايته، ولفترة من الوقت، كنت أتزلج على الجليد الرقيق.

لذا كان من الطبيعي أن تكون لديها خطة. لإصلاح التوازن وتعويض كل شيء بالنسبة إليها، تصرّ على أن يكون كتابي التالي أطروحة عن الحب والرحمة - وهما صفتان في رأيي بعد تدبر مبالغ في قيمتهما تمامًا ولا لزوم لهما إلى حد بعيد (وهي بالتالي فرصة كبيرة لكتابة هذا الكتاب عمومًا). في أي ملاحظة، يا إلين، أريد فقط أن أقول: شكرًا عمومًا يا حبي. سوف تسمعين من محامي في القريب العاجل.

قال بيلي ويلدر[392] ذات مرة أن الوكلاء agents يشبهون إطارات السيارات: للوصول إلى أي مكان عمومًا، تحتاج إلى أربعة إطارات على الأقل، ويجب تبديلها كل خمسة آلاف ميل. أنا شخصيًّا لا يمكنني أن أتبنى بحماس ما يكفي من مزايا دراجة هوائية بعجلة واحدة - على وجه الخصوص، مزايا مجموعة باتريك والش. بمساعدة مجموعتي المتخصصة لإصلاح الثقب، جيك سميث بوزانكيت Jake Smith-Bosanquet، ركبت دراجة باتريك Patrick لبضع سنوات طيبة الآن، واستمتعت بكل دقيقة فوقها. يعلم الرب إلى أين ستأخذنا المغامرة التالية.

الأشخاص الآخرون الذين لولا مساعدتهم لما رأى هذا الكتاب قط ظلام الليل (والذين دفعوا رسوم التضمين inclusion fee بشكل مناسب) هم كما يلي:

Denis Alexander, Paul Babiak, Alysha Baker, Helen Beardsley,

(392) - بيلي ويلدر Billy Wilder (1906 - 2002): كان مخرجًا وكاتب سيناريو أمريكيًا من مواليد النمسا امتدت مسيرته المهنية لأكثر من خمسة عقود. يُعتبر أحد أكثر صناع الأفلام تنوعًا وبراعة في العصر الذهبي للسينما في هوليوود (المترجم).

James Beasley III, Peter Bennett, James Blair, Michael Brooks, Alex Christofi, David Clark, Claire Conville, Nick Cooper, Sean Cunningham, Kathy Daneman, Ray Davies, Roger Deeble, Mariette DiChristina, Liam Dolan, Jennifer Dufton, Robin Dunbar, Elsa Ermer, Peter Fenwick, Simon Fordham, Mark Fowler, Susan Goldfarb, Graham Goodkind, Annie Gottlieb, Cathy Grossman, Robert Hare, Amelia Harvell, John Horgan, Glyn Humphreys, Hugh Jones, Terry Jones, Stephen Joseph, Larry Kane, Deborah Kent, Nick Kent, Paul Keyton, Kent Kiehl, Jennifer Lau, Scott Lilienfeld, Howard Marks, Tom Maschler, Matthias Matuschik, Andy McNab, Alexandra McNicoll, Drummond Moir, Helen Morrison, Joseph Newman, Richard Newman, Jonica Newby, Steven Pinker, Stephen Porter, Caroline Pretty, Philip Pullman, Martin Redfern, Christopher Richards, Ann Richie, Ruben Richie, Joe Roseman, John Rogers, Jose Romero-Urcelay, Tim Rostron, Debbie Schiesser, Henna Silvennoinen, Jeanette Slinger, Nigel Stratton, Christine Temple, Leanne ten Brinke, John Timpane, Lisa Tuffin, Essi Viding, Dame Marjorie Wallace, Fraser Watts, Pete Wilkins, Mark Williams, Robin Williams, Andrea Woerle, Philip Zimbardo, and Konstantina Zougkou.

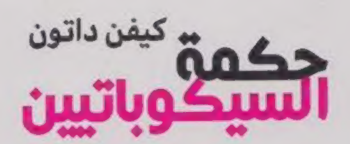
(ملاحظة: على الرغم من أهميتها المشكوك فيها على أي حال، إلا أن إيان كولينز لا يرى من المناسب دفع المبلغ المطلوب، وبالتالي سيبقى بارزًا هنا بغيابه.)

كما أتوجه بالشكر الخاص إلى محرري الكتاب في وليم هينهان William Heinemann، توم أفيري Tom Avery وجاسون آرثر Jason Arthur، وكذلك الدقيقة بالقدر نفسه أماندا مون Amanda Moon في فارار وستراوس وجيرو Farrar, Straus and Giroux.

ملاحظة للمؤلف

لأسباب قانونية (وأحيانًا شخصية)، تم تغيير الأسماء وتفاصيل التعريف ببعض الأشخاص المذكورين في هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن مثل هذا التمويه الديموغرافي الضروري لا يؤثر بأي شكل من الأشكال على صوت هؤلاء الأفراد المقنعين - وقد تم اتخاذ كل خطوة للحديث عن اللقاءات والمحادثات بأكبر قدر ممكن من الدقة والأصالة. وتجدر الإشارة إلى أنه بسبب القيود المفروضة على أجهزة التسجيل، وكان هذا هو الحال بشكل خاص في مستشفى برودمور Broadmoor، حيث أصبحت درجة معينة من الترخيص السردي حتمية في تحقيق التوازن بين الحفاظ على سرية المريض والحفاظ على المشهد الفريد لكل من الشخصيات والحوار.





في هذه الرحلة الممتعة التي يأخذنا فيها كيفن داتون، في كتاب حكمة السيكوباتيين، إلى حياة السيكوباتيين وسلوكياتهم الشائنة، يوضح لنا أن هناك مقياسًا، أو طيفًا، من السيكوباتية يمكن أن نوضع جميعًا على طوله. ومن خلال دمج أحدث التطورات في تكنولوجيا مسح الدماغ وعلم الأعصاب، يوضح كيفن داتون أن جراح الأعصاب اللامع الذي يفتقر إلى التعاطف لديه الكثير من السمات المشتركة مع السفاح تيد بندي Ted Bundy الذي يقتل من أجل المتعة أكثر مما قد نرغب في الاعتراف به، وأن السارق في موقف سيارات خافت الإضاءة قد يكون لديه، في الواقع، الاتزان العصبي نفسه الذي يتمتع به عملاق من عمالقة الصناعة.

ويجادل كيفن داتون في هذا الكتاب بأن هناك بالفعل سيكوباتيين وظيفيين بيننا - يختلفون عن نظرائهم من القتلة والسفاحين - الذين يستخدمون شخصياتهم المنفصلة وغير المتزعزعة والكاريزمية من أجل تحقيق النجاح في المجتمع الحالي، وأن احتمال نجاح الأشخاص الأكثر "سيكوباتية"، في بعض المجالات، يزداد بشكل صادم. يقوم كيفن داتون بتفكيك هذا التشخيص الذي يساء فهمه غالبًا وتحليله من خلال تقارير واقعية جريئة وأبحاث علمية أصيلة حيث يختلط مع سيكوباتي جنائي في جناح شديد الحراسة، ويتناول مشروبًا مع أحد أكثر الفنانين المخادعين نجاحًا في العالم، ويخضع لتحفيز مغناطيسي عبر الجمجمة ليكتشف ما يشعر به المرء بالضبط حين يرى من خلال عيون شخص سيكوباتي (تأتي كل هذه الأمور بالتفصيل في سياق الكتاب).


ISBN:978-603-91498-0-4
9 786039 149804

WWW.PAGE-7.COM

